سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٢١٣)

إذا أشكل عليك

أجوبة على ما يشكل في مختلف العلوم

من كتب التراث

أكثر من ٤٥٠ مسألة

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

" ١٧٠ – أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد الصرام أخبرنا محمد بن الحسين بن محمد بن حاتم أخبرنا محمد بن محمد بن الحسن حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا ابن نمير حدثنا أبي ويعلى عن إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد قال قال عبد الله رضي الله عنه إن للقرآن منارا كمنار الطرق فما عرفتم فتمسكوا به وما **أشكل عليكم** فردوه ." (١)

" عز وجل ، وذلك من طريق حسن الظن بالله ، وخوف النقص في الدين . ويهيج من حب الخلوة : حياة القلب ، وضياء نوره ، ونفاذ بصره بعيوب الدنيا ، ومعرفته بالنقص والزيادة في دينه . ويهيج من حب الخلوة : الإنصاف للناس ، والإقرار بالحق ، وإذلال النفس بالتواضع ، وترك العدوان . ويهيج من حب الخلوة : خوف ورود الفتن التي فيها ذهاب الدين ، والشوق إلى الموت خوفا من أن يسلب الإسلام . ويهيج من حب الخلوة : الوحشة من الناس ، والاستثقال لكلامهم ، والأنس بكلام رب العالمين وهو القرآن الذي جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين وحجة ووبالا على المنافقين ؛ فاجعله مفزعك الذي إليه تلجأ ، وحصنك الذي به تعتصم ، وكهفك الذي إليه تأوي ، ودليلك الذي به تهتدي ، وشعارك ودثارك ومنهجك وسبيلك . وإذا التبست عليك الطرق ، واشتبهت عليك الأمور ، وصرت في حيرة من أمرك ، وضاق بها صدرك ؛ فارجع إلى عجب القرآن الذي لا حيرة فيه ؛ فقف على دلائله من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والتشويق ، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية ؛ فإنك تخرج من حيرتك ، وترجع عن جهالتك ، وتأنس بعد وحدتك ، وتقوى بعد ضعفك ، فليكن دليلك دون المخلوقين ؛ تفز مع الفائزين ، ولا تهذه كهذ الشعر ، وقف عند عجائبه ، وما **أشكل عليك** ؛ فرده إلى عالمه ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ' . آخر الجزء الثاني من كتاب ' العزلة ' ، وهو آخر الكتاب . والحمد لله ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(٢) ".

---

(١) أحاديث في ذم الكلام وأهله، المؤلف غير معروف ١٢/٢

(٢) العزلة والإنفراد، المؤلف غير معروف ص/١٧١

٩٢٨ وبهذا الإسناد قال السري الأمور ثلاثة أمر بان لك رشده فاتبعه وأمر بأن لك غيه فاجتنبه وأمر **أشكل عليك** فقف عنه وكله إلى الله تعالى وليكن الله دليلك واجعل فقرك إليه تستغن به عمن سواه

٩٢٩ أخبرنا أبو عبد الرحمن حكاية عن عمر بن عبد العزيز أنه قال التقى ملجمة

٩٣٠ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنبأ أبو عمرو بن السماك ثنا الحسن بن عمرو قال سمعت بشر بن الحارث يقول قال عمر المؤمن وقاف يمضي عند الخير ويقف عند الشر

٩٣١ وبإسناده قال عمر بن عبد العزيز تقوى المؤمن ملجمة

٩٣٢ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أبنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ثنا سعيد بن عيسى بن زيد ثنا محمد بن أبي تميلة قال سمعت الفضيل بن عياض يقول ليس لأحد أن يقعد مع من شاء لأن الله عز وجل يقول ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم ﴾ ﴿ حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم ﴾ وليس له أن ينظر إلى من شاء لأن الله عز وجل يقول ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ وليس له أن يقول ما لا يعلم أو يسمع إلى ما شاء أو يهوى ما شاء لأن الله عز وجل يقول ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ ولا تفعل تقول ولا تقل

٩٣٣ أخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت منصور بن عبد الله

---

(١) ".

١٧٠ أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد الصرام أخبرنا محمد بن الحسين بن محمد بن حاتم أخبرنا محمد بن محمد بن الحسن حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا ابن نمير حدثنا أبي ويعلى عن إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد قال قال عبد الله رضي الله عنه إن للقرآن منارا كمنار الطرق فما عرفتم فتمسكوا به وما **أشكل عليكم** فردوه

---

(٢) ".

---

(١) الزهد الكبير، المؤلف غير معروف ص/٣٤١

(٢) ذم الكلام وأهله، المؤلف غير معروف ١٢/٢

" أخبرنا عبد الخالق بن أحمد قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال أنبأنا محمد بن علي بن الفتح قال أنبأنا محمد بن عبد الله بن أخي ميمي قال أنبأنا الحسين بن صفوان قال حدثنا عبد الله بن محمد القرشي قال حدثني العباس بن الفضل قال حدثنا السرى بن يحيى قال سمعت مالك بن دينار يقول بئس العبد عبد همه هواه وبطنه

قال القرشي وحدثني أبو علي المروزي قال أنبأنا عبدان بن عثمان قال أنبأنا عبد الله قال أنبأنا سعيد بن أبي أيوب قال حدثني بكر بن عمرو عن صفوان بن سليم قال ليأتين على الناس زمان تكون همة أحدهم فيه بطنه ودينه هواه

أنبانا على بن عبيد الله قال أنبأنا عبدالواحد بن علي بن فهد قال أنبأنا أبو الفتح بن أبي الفوارس قال أنبأنا عمر بن أحمد قال حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا زكريا بن يحيى قال حدثنا الأصمعي قال سمعت أعرابيا يقول إذا **أشكل عليك** أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما من هواك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى

أخبرنا أبو المعمر الأنصاري قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال أنبأنا الحسن ابن أحمد الباقلاني قال أنبأنا أبو الحسين محمد بن أحمد المحاملي قال حدثنا أبو جعفر بن بريه قال حدثنا محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال قال ابن السماك إن شئت أخبرتك بدائك وإن شئت أخبرتك بدوائك داؤك هواك ودواؤك ترك هواك

وبالإسناد حدثنا ابن خلف قال حدثنا أبو محمد التميمي قال حدثنا أبو الحسن المدائني قال قال رجل للحسن يا ابا سعد أي الجهاد أفضل قال جهادك

هواك أخبرنا ابن حبيب قال حدثنا ابن أبي صادق قال أنبأنا ابن باكويه قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال مررت بأعرابي به رمد شديد ودموعه ." (١)

" | **أشكل عليك** الهمز فقس الهمزة بالعين فإن كانت العين تقع قبل الواو | أو الألف جعلتها في قفاها نقطة بعد الواو والألف جعلتها بين يديها | نقطة ، وإن كانت هي الواو والألف جعلت النقطة في جبهتها وكان | حدها أن تكون في نفس الواو ولكنها جعلت في الجبهة لتنحى عن | السواد ، فالممدود مثل قوله ^ (السوء) ^ تقديره السوع فهي بعد الواو ، | و ^ (السماء) ^ تقديره السماع وهي بعد الألف ، وإذا كانت متحركة | بالنصب فالنقطة فوق الواو مثل قوله (إبراهيم : ١٠) ^ (ويؤخركم) ^ |

---

(١) ذم الهوى، المؤلف غير معروف ص/٢٣

و (البقرة : ٢٨٦) ^ (لا تؤاخذان) ^ وأما الهمزة التي تقع في قفا الواو إذا | كانت قبلها فمثل (الأنعام : ٥) ^ (يستهزءون) ^ وكذلك (التوبة : ٣٧) | ^ (ليواطئوا) ^ لأن قياسها يستهزعون فالعين قبل الواو ، وكذلك | ليواطعوا لأن العين قبل الواو ومثله (النحل : ٢٧) ^ (أوتوا العلم) ^ لأن | قياسها عوتوا ولأنه من الواو ووزنها افعلوا ، وأما (البقرة : ٢٥) | ^ (وأتوا به متشابها) ^ فالنقطة قدام الألف ، وكذلك ^ (أولئك) ^ الهمزة | في الألف فالواو ليس لها موضع لأن قياسها علائك فالواو كتبت لأن | الهمزة مرفوعة ، وقال قوم كتبوها ليفصلوا بينها وبين ^ (إليك) ^ في | الخط ، وأما ^ (الأولى) ^ فإن الهمزة في قفا الواو لأن قياسها العولى | فكذلك (البقرة : ٤) ^ (أوف بعهدكم) ^ ، وإذا كانت الهمزة منتصبة نحو | ^ (القرآن) ^ ، و (التوبة : ٩) ^ (نبأنا الله من أخباركم) ^ وقوله (فاطر : ٨) | ^ (فرءاه حسنا) ^ فإنها تنقط عليها ثنتان واحدة قبل الألف والأخرى | بعدها إلا أن التي بعدها أرفع من الأولى سنا وهي تسمى المقيدة ، | وإنما نقطت بثنتين لأن واحدة للهمزة والأخرى للنصب وهي الثانية ، | وإن كانت جزما فلا تنقط إلا واحدة مثل قوله (البقرة : ١٨٩) ^ (وأتوا |

". (١)

"٣٧ - أخبرنا أبو أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم العسال ، حدثنا علي بن الحسين بن جنيد ، حدثنا معلى بن مهدي الموصلي ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي يونس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، : « أن رجلا ، من بني عبس ، يقال له : خالد بن سنان قال لقومه : إني أطفئ نار الحدثان ، فقال له رجل من قومه ، يقال له : عمارة بن زياد : والله يا خالد ، ما قلت لنا قط (١) إلا حقا ، فما شأنك ونار الحدثان ، تزعم أنك تطفئها ؟ فخرج خالد ومعه ناس من قومه ، فيهم عمارة بن زياد ، فخط لهم خالد خطا ، فأجلسهم فيها ، فإذا هي تخرج من شق جبل في حرة ، يقال لها : حرة أشجع ، فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا ، فاستقبلها خالد بعصاه ، فجعل يضربها ، ويقول : بدا بدا ، كل هدى مؤدى ، زعم ابن راعية المعزي أني لا أخرج منها ، وثيابي تبدى (٢) ، وقد كان خالد قال لهم : إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي ، فأبطأ عليهم ، فقال لهم عمارة بن زياد : إن صاحبكم والله إن كان حيا ، لقد خرج إليكم بعد فادعوه باسمه ، قالوا له : إنه قد نهى أن ندعوه باسمه ، فدعوه باسمه ، فخرج إليهم ، فقال لهم : ألم أنهكم أن تدعوني باسمي ، فقد والله قتلتموني ، احملوني ، فادفنوني ، فإذا مرت عليكم الحمر ،

(١) كتاب المصاحف، المؤلف غير معروف ص/٣٣٤

فيها حمار أبتر ، فانبشوني ، فإنكم ستجدوني حيا ، فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر ، فأرادوا نبشه ، فقال لهم عمارة بن زياد : لا تنبشوه ، لا والله لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا ، وقد كان خالد قال لهم : إن في علم امرأته لوحين ، فإذا **أشكل عليكم** شيء ، فانظروا فيهما فإنكم ستجدوني بما تريدون ، ولا تمسها حائض ، فأتوا امرأته ، فسألوها عنهما ، فأخرجتهما إليهم ، وهي حائض ، فذهب ما كان فيهما من علم »

---

(١) قط : بمعنى أبدا ، وفيما مضى من الزمان

(٢) تبدى : ظهر." [1]

"وللحديث أطراف أخرى منها : "إذا أردت أن تفعل أمرا فتدبر" ، "إذا هممت بأمر فتدبر" .

ومن غريب الحديث : "فعليك بالتؤدة" : الزم التأني والرزانة والتثبت وعدم العجلة . "المخرج" : أى المخلص . والمراد من الحديث : إذا أردت فعل شيء **وأشكل عليك** أو شق فتثبت ولا تعجل حتى يهديك الله إلى الخلاص .

١٢٩٣- إذا أردت أن تبزق فلا تبزق عن يمينك ولكن عن يسارك إن كان فارغا فإن لم يكن فارغا فتحت قدمك (البزار عن طارق بن عبد الله المحاربى وصحح)

أخرجه البزار كما فى كشف الأستار (٤٤٧/٢ ، رقم ٢٠٧٩) ، والحافظ فى مختصر الزوائد (٢٣١/٢ ، رقم ١٧١٦) ، وقال : صحيح . وقال الهيثمى (١١٤/٨) : رجاله رجال الصحيح .

ومن غريب الحديث : "تبزق" : تبصق . "فارغا" : خاليا من آدمى ونحوه .

١٢٩٤- إذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك (الرافعى فى التدوين عن ابن عباس . البخارى فى الأدب ، والبيهقى فى شعب الإيمان عنه موقوفا)." [2]

"أخرجه الترمذى (٥٣٧/٤ ، رقم ٢٢٨٠) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضا : الطبرانى فى الأوسط (٢٠٣/٧ ، رقم ٧٢٧٥) ، وفى الصغير (١٢٨/٢ ، رقم ٩٠٣) .

١٦٧٤٣- لا تقصوا نواصى الخيل فإنه معقود بنواصيها الخير ولا أعرافها فإنها أدفاؤها ولا أذنابها فإنها مذابها (أبو داود ، وأبو يعلى ، والبيهقى عن عتبة بن عبد السلمى)

---

(١) فنون العجائب ـ النقاش ـ محقق، المؤلف غير معروف ص/٤٧

(٢) جامع الأحاديث، المؤلف غير معروف ٢/٢٨٤

أخرجه أبو داود (٢٢/٣ ، رقم ٢٥٤٢) ، قال المنذرى (١٦٨/٢) : فى إسناده رجل مجهول . والبيهقى (٣٣١/٦ ، رقم ١٢٦٨٢) . وأخرجه أيضا : أبو عوانة (٤٤٨/٤ ، رقم ٧٢٩٠) ، والطبرانى فى الشاميين (٢٦٨/١ ، رقم ٤٦٧) ، والديلمى (٢٥/٥ ، رقم ٧٣٣٧) .

١٦٧٤٤- لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم وإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبيه أو تكتب إلى فيه (ابن ماجه عن معاذ)

أخرجه ابن ماجه (٢١/١ ، رقم ٥٥) . قال البوصيرى (١١/١) : هذا إسناد ضعيف .." [1]

"٢٨٧٩٧- عن عاصم بن أبى النجود : أن عمر بن الخطاب كان إذا بعث عماله شرط عليهم أن لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقيا ولا تلبسوا رقيقا ، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس ، فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة ، ثم يشيعهم ، فإذا أراد أن يرجع قال : إنى لم أسلطكم على دماء المسلمين ، ولا على أعراضهم ، ولا على أموالهم ، ولكنى بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة ، وتقسموا فيهم فيئهم ، وتحكموا بينهم بالعدل فإذا **أشكل عليكم** شيء فارفعوه إلى ، ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها ولا تجمروها فتفتنوها ولا تعتلوا عليها فتحرموها جردوا القرآن (البيهقى فى شعب الإيمان) [كنز العمال ١٤١٩٧]

٢٨٧٩٨- عن عكرمة : أن عمر بن الخطاب كان إذا تلا هذه الآية ﴿ومن الناس من يعجبك قوله﴾ إلى قوله ﴿ومن الناس من يشترى﴾ قال اقتتل الرجلان (عبد بن حميد) [كنز العمال ٤٢٣١]." [2]

"٤٠٥٣١- يا معاذ إنك تقدم على أهل كتاب وإنهم سائلوك عن مفاتيح الجنة فأخبرهم أن مفاتيح الجنة لا إله إلا الله وإنها تخرق كل شيء حتى تنتهى إلى الله لا تحجب دونه من جاء بها يوم القيامة مخلصا رجحت بكل ذنب يا معاذ تواضع لله يرفعك الله واستدق الدنيا تلقك الحكمة فإنه من تواضع لله واستدق الدنيا أظهر الله الحكمة من قلبه على لسانه ولا تغضبن ولا تقولن إلا بعلم فإن **أشكل عليك** أمر فاسأل ولا تستحى واستشر فإن المستشير معان والمستشار مؤتمن ثم اجتهد فإن الله إن يعلم منك يوفقك وإن التبس عليك فقف وأمسك حتى تتبينه أو تكتب إلى فيه ولا تضربن فيما لم تجد فى كتاب الله ولا فى سنتى على قضاء إلا عن ملأ واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار وإذا قدمت عليهم فأقم فيهم كتاب

---

(١) جامع الأحاديث، المؤلف غير معروف ٢٦٣/١٦

(٢) جامع الأحاديث، المؤلف غير معروف ١٦٤/٢٦

الله وأحسن أدبهم وأقرئهم القرآن يحملهم القرآن على الحق وعلى الأخلاق الجميلة وأنزل الناس منازلهم فإنهم لا يستوون إلا فى الحدود لا فى الخير ولا فى الشر على قدر ما هم عليه من." (١)

"حدثنا سليمان بن أيوب صاحب البصري قال، حدثنا أبو عوانة، عن أبي يونس، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلا من بني عبس يقال له: خالد بن سنان قال لقومه: أنا أطفىء عنكم نار الحدثان، فقال له عمارة بن زياد- رجل من قومه-: والله ما قلت لنا يا خالد قط إلا حقا، فما شأنك وشأن نار الحدثان تزعم أنك تطفئها؟ قال: فانطلق وانطلق معه عمارة بن زياد مع ناس من قومه حتى أتوها وهي تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة أشجع، قال: فخط لهم خطة فأجلسهم فيها وقال لهم: إن أبطأت عنكم فلا تدعوني باسمي. قال، فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا، فاستقبلها خالد فجعل يضربها بعصاه ويقول بدا بدا، كل هدى مؤدى، زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندى، حتى دخل معها الشعب قال- فأبطأ عليهم، فقال عمارة بن زياد: والله لو كان صاحبكم حيا لخرج إليكم بعد، فقالوا له: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه، قال: ادعوه باسمه، فوالله لو كان صاحبكم، حيا لقد خرج إليكم بعد، قال: فدعوه باسمه، قال: فخرج وهو آخذ برأسه، فقال: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي؟ قد والله قتلتموني، احملوني وادفنوني، فإن مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني، فإنكم ستجدوني حيا فأخبركم بما يكون، قال فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر، فقالوا: ننبشه فإنه قد أمرنا أن ننبشه، فقال عمارة: لا تحدث مضر: أنا ننبش موتانا، والله لا تنبشونه أبدا، قال: وقد كان خالد أخبرهم أن في عكم امرأته لوحين فإذا أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تسألون عنه، قال: ولا تمسهما حائض. فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما وهي حائض، فذهب ما كان فيهما من علم، قال أبو يونس: فقال سماك بن حرب: سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "نبي أضاعه قومه" قال: وقال سماك بن حرب: إن ابن." (٢)

"٢٠٦٦٢ - أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن عاصم بن أبي النجود، أن عمر بن الخطاب، كان إذا بعث عماله شرط عليهم: «ألا تركبوا برذونا، ولا تأكلوا نقيا، ولا تلبسوا رقيقا، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة» ، قال: ثم شيعهم، فإذا أراد أن يرجع قال: «إني لم أسلطكم على دماء المسلمين، ولا على أعراضهم، ولا على أموالهم، ولكني بعثتكم لتقيموا بهم

---

(١) جامع الأحاديث، المؤلف غير معروف ٢٥٣/٣٧

(٢) تاريخ المدينة النبوية، المؤلف غير معروف ٢٨٨/١

الصلاة، وتقسموا فيئهم، وتحكموا بينهم بالعدل، -[٣٢٥]- فإن **أشكل عليكم** شيء، فارفعوه إلي، ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها، ولا تجمروها فتفتنوها، ولا تعتلوا عليها فتحرموها، جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، انطلقوا وأنا شريككم»." (١)

"حدثنا سليمان بن أيوب، صاحب البصري قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي يونس، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلا من بني عبس يقال له: خالد بن سنان قال لقومه: أنا أطفئ عنكم نار الحدثان فقال له عمارة بن زياد، رجل من قومه: والله ما قلت لنا يا خالد قط إلا حقا، فما شأنك وشأن نار الحدثان تزعم أنك تطفئها؟ قال: فانطلق وانطلق معه عمارة بن زياد مع ناس من قومه حتى أتوها وهي تخرج من شق جبل -[٤٢٢]- من حرة يقال لها: حرة أشجع قال: فخط لهم خطة فأجلسهم فيها وقال لهم: إن أبطأت عنكم فلا تدعوني باسمي قال: فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا، فاستقبلها خالد فجعل يضربها بعصاه ويقول بدا بدا، كل هدى مؤدى. زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندى، حتى دخل معها الشعب قال: فأبطأ عليهم فقال عمارة بن زياد: والله لو كان صاحبكم حيا لخرج إليكم بعد، فقالوا له: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه قال: ادعوه باسمه، فوالله لو كان صاحبكم حيا لقد خرج إليكم بعد قال: فدعوه باسمه قال: فخرج وهو آخذ برأسه فقال: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي؟ قد والله قتلتموني، احملوني وادفنوني، فإن مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني، فإنكم ستجدوني حيا، فأخبركم بما يكون قال: فدفنوه، فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر، فقالوا: ننبشه -[٤٢٣]-، فإنه قد أمرنا أن ننبشه فقال عمارة: لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا، والله لا تنبشونه أبدا قال: وقد كان خالد أخبرهم أن في عكم امرأته لوحين فإذا **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تسألون عنه قال: ولا تمسهما حائض. فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما وهي حائض، فذهب ما كان فيهما من علم. قال أبو يونس: فقال سماك بن حرب: سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «نبي أضاعه قومه» قال: وقال سماك بن حرب: إن ابن خالد بن سنان، أو بنت خالد، أتى، أو أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «مرحبا بابن أخي، أو ابنة أخي»." (٢)

---

(١) جامع معمر بن راشد معمر بن راشد ٣٢٤/١١

(٢) تاريخ المدينة لابن شبة ابن شبة ٤٢١/٢

"٢٤٨ – حدثني محمد بن منصور بن داود الطوسي ثنا عبد الله بن عيسى البصري عن أبيه عن مسمع بن عاصم عن ثور بن يزيد الشامي قال: نظر الله تعالى إلى داود عليه السلام، فإذا هو وحداني منتبذ. فقال: مالك وحدانيا؟ قال: عاديت الخلق فيك. قال: أو ما علمت أن محبتي أن تعطف على عبادي وتأخذ عليهم بالفضل؟ هنالك أكتبك من أوليائي. يا داود ومن أحبائي فإذا كنت كذلك كتبتك في ديوان أهل المحبة وكنت مني وكنت منك، أجيبك من غير أن تسألني، وأباهي بك حملة عرشي، أرفع الحجب بيني وبينك تنظر إلي ببصر قلبك، لا أحجبك ما دمت متمسكا بطاعتي وكنت مني وكنت منك. ولا تنظر إلى عبادي نظرة جفاء ولا قسوة فأهلكهم، فإذا أنت قد بطل أجرك. احفظ عني كلمات ثلاث خصال:

(١) خالص حبيبي مخالصة.

-[١٠٧]-

(٢) وخالط أهل الدنيا مخالقة.

(٣) ودينك قلدنيه لا تقد دينك الرجال.

أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به، وما أشكل عليك قلدنيه، حقا علي أن ألي سياستك وتقويمك، وأن أكون قائدك ودليلك، ألبيك من غير مسألة، أعينك في الشدائد. فإني قد جعلت على نفسي أن لا أثيب عبدا من عبادي إلا عبدا قد عرفت من طلبته وإرادته، وإلقاء كنفه بين يدي أنه لا غنى به عني. فإذا كنت كذلك نزعت الذل والوحشة من قلبك. ولذلك علم سلني عنه. أسكن الغنى قلبك فتكون في الدنيا غنيا حينئذ عرفت حالك. لا تطمئن إلى معرفتك بنفسك، فإني قد جعلت على نفسي: لا يطمئن رجل إلى معرفته بنفسه إلا وكلته إليها. أضف الأشياء إلي فإني أنا مننت بها عليك. أقر لي بالعبودية أمنحك ثواب العبودية، وما ثواب العبودية [إلا] محبتي. تواضع لمن تعلمه ولا تطاول المريدين أحمال الأقوياء. عبدي، أنا مننت عليهم الضعفاء المساكين المريدين. فلو يعلم أهل محبتي ما منزلة المريدين عندي لكانوا للمريدين أرضا يمشون عليها وللحسوا أقدامهم. إن تخرج على منك عبدا من عبيدي حتى تستنقذه من سكرة ما هو فيه أسميك جهبذا، ومن كان جهبذا لم تكن به فاقة ولا وحشة إلى -[١٠٨]- أحد من خلقي، يا داود تمسك بكلامي أن لا أهلكك مع الهالكين، فدونك فخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها أحجب محبتي عنك إلا أن تحجبها، احفظ وصيتي ولا تؤيس عبادي من رحمتي.." (١)

---

(١) المحبة لله لأبي إسحاق الختلي الختلي، إبراهيم بن عبد الله ص/١٠٦

"٤٧ – وحدثني حسن بن حسين الأزدي قال حدثنا علي بن الصباح ومحمد بن حبيب ومحمد بن سهل قالوا حدثنا ابن الكلبي عن ابيه عن أبي صالح عن معاوية بن عميرة بن منجوس الكندي عن ابن عباس قال

ولد نزار بن معد بن عدنان اربعة مضر وربيعة وإيادا وأنمارا وأم مضر وإياد سودة بنت عك وأم ربيعة وأنمار الجدلة بنت وعلان بن جوشم بن جلهمة بن جرهم فلما حضر نزار الموت جمع بنيه هؤلاء الأربعة فقال أي بني هذه القبة الحمراء وهي من أدم وما أشبهها من المال فلمضر وهذه البدرة والمجلس فلأنمار وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود وما أشبهها من مالي فلربيعة وهذا الخادم وكانت شمطاء وما اشبهها من مالي فلاياد وإن **أشكل عليكم** كيف تقتسمون فأتوا الأفعي الجرهمي ومنزله بنجران وإن أنتم رضيتم وهنا قد خفت صوته إذ لم يسمع الصوت فألمع ثم مات فتشاجروا في ميراثه ولم يهتدوا إلى القسم فتوجهوا إلى الأفعي يريدونه وهو بنجران فرأى مضر أثر بعير قد رعى فقال إن الذي رعى هذا الموضع لبعير أعور فقال ربيعة إنه لأزور فقال إياد إنه لأبتر فقال أنمار إنه لشرود فساروا قليلا فإذا برجل يوضع على جمله فسألهم عن البعير فقال مضر قال نعم قال ربيعة أزور قال نعم قال إياد ابتر قال نعم قال انمار شرود قال نعم فسألهم عن البعير وقال." (١)

"٥٥ – حدثنا الحسن بن حماد سجادة، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن محمد بن سعيد بن حسان، عن عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن بن غنم قال: حدثنا معاذ بن جبل، قال: " لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال: «لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم، وإن **أشكل عليك** أمر، فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه»

---

zهذا المتن مما انفرد به المصنف.

Kموضوع." (٢)

"٥٥ – حدثنا الحسن بن حماد سجادة، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن محمد بن سعيد بن حسان، عن عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن بن غنم

حدثنا معاذ بن جبل، قال: لما بعثني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى اليمن قال:"لا تقضين ولا

---

(١) أخبار مكة للفاكهي الفاكهي، أبو عبد الله ١٢٧/٥

(٢) سنن ابن ماجه ابن ماجه ٢١/١

تفصلن إلا بما تعلم، وإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه" (١).

٥٦ - حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا ابن أبي الرجال، عن عبد الرحمن ابن عمرو الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

يقول: "لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم المولدون، وأبناء (٢) سبايا الأمم، فقالوا بالرأي، فضلوا وأضلوا" (٣).

= وأخرجه أبو داود (٢٨٨٥) من طريق ابن وهب، عن ابن أنعم، بهذا الإسناد.

قوله: "آية محكمة"، قال السندي: أي: غير منسوخة.

"سنة قائمة" أي: ثابتة إسنادا، بأن تكون صحيحة، أو حكما بأن لا تكون منسوخة.

"فريضة عادلة" في القسم، والمراد بالفريضة: كل ما يجب العمل به، وبالعادلة: المساوية لما يؤخذ من القرآن والسنة وجوب العمل بها.

(١) موضوع، آفته محمد بن سعيد بن حسان: وهو ابن قيس الأسدي المصلوب، فقد اتهمه بالوضع أحمد بن حنبل والنسائي وابن حبان والحاكم وغيرهم.

وقد ورد بغير هذه السياقة عن معاذ بن جبل بإسناد أصح من هذا الإسناد، انظره في "مسند أحمد" (٢٢٠٥٧).

(٢) وقع في مطبوعة محمد فؤاد عبد الباقي: المولدون أبناء، بإسقاط الواو، وما أثبتناه من (ذ) و (س)، وهو كذلك في "تحفة الأشراف" (٨٨٨٢) و"مصباح الزجاجة".

(٣) إسناده ضعيف لضعف ابن أبي الرجال واسمه حارثة.

وأخرجه البزار في "مسنده" (٢٤٢٤) من طريق قيس بن الربيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ... فذكره. =." [1]

"الخلوة: وجود حلاوة العمل، والنشاط في الدعاء بحزن من القلب وتضرع واستكانة، ويهيج من حب الخلوة: القنوع، والتوكل، والرضى بالكفاف، والاستغناء بالعفاف عن الناس، ويهيج من حب الخلوة: عزوف النفس عن الدنيا، والشوق إلى لقاء الله، عز وجل، وذلك من طريق حسن الظن بالله، وخوف النقص في

---

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط ابن ماجه ٣٨/١

الدين، ويهيج من حب الخلوة: حياة القلب، وضياء نوره ونفاذ بصره بعيوب الدنيا، ومعرفته بالنقص والزيادة في دينه، ويهيج من حب الخلوة: الإنصاف للناس، والإقرار بالحق، وإذلال النفس بالتواضع، وترك العدوان. ويهيج من حب الخلوة: خوف ورود الفتن التي فيها ذهاب الدين، والشوق إلى الموت خوفا من أن يسلب الإسلام، ويهيج من حب الخلوة: الوحشة من الناس، والاستثقال لكلامهم، والأنس بكلام رب العالمين وهو القرآن الذي جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين وحجة ووبالا على المنافقين، فاجعله مفزعك الذي إليه تلجأ، وحصنك الذي به تعتصم، وكهفك الذي إليه تأوي، ودليلك الذي به تهتدي، وشعارك ودثارك ومنهجك وسبيلك، وإذا التبست عليك الطرق، واشتبهت عليك الأمور، وصرت في حيرة من أمرك، وضاق بها صدرك، فارجع إلى عجائب القرآن الذي لا حيرة فيه، فقف على دلائله من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والتشويق، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية، فإنك تخرج من حيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحدتك، وتقوى بعد ضعفك، فليكن دليلك دون المخلوقين، تفز مع الفائزين، ولا تهذه كهذ الشعر، وقف عند عجائبه، وما **أشكل عليك**، فرده إلى عالمه، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١) .

---

(١) إسناده ضعيف جدا:

فيه: يحي بن سعيد العطار الأنصاري، ضعفه جماهير العلماء، انظر " تهذيب الكمال " (٣٤٣/٣١ ـ ٣٤٦) ، وأبو عبد الله الباهلي، لم أهتد إليه.

الهذ: الإسراع في قراءة القرآن وهو غير محمود.." [١]

---

(١) العزلة والانفراد ابن أبي الدنيا ص/٨٠

"٢٧ – أخبرنا أبو أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم العسال، حدثنا علي بن الحسين بن جنيد، حدثنا معلى بن مهدي الموصلي، حدثنا أبو عوانة، عن أبي يونس، عن عكرمة، عن ابن عباس،: " أن رجلا، من بني عبس، يقال -[٤٢]- له: خالد بن سنان قال لقومه: إني أطفئ نار الحدثان، فقال له رجل من قومه، يقال له: عمارة بن زياد: والله يا خالد، ما قلت لنا قط إلا حقا، فما شأنك ونار الحدثان، تزعم أنك تطفئها؟ فخرج خالد ومعه ناس من قومه، فيهم عمارة بن زياد، فخط لهم خالد خطا، فأجلسهم فيها، فإذا هي تخرج من شق جبل في حرة، يقال لها: حرة أشجع، فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا، فاستقبلها خالد بعصاه، فجعل يضربها، ويقول: بدا بدا، كل هدى مؤدى، زعم ابن راعية المعزي أني لا أخرج منها، وثيابي تبدى، وقد كان خالد قال لهم: إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي، فأبطأ عليهم، فقال لهم عمارة بن زياد: إن صاحبكم والله إن كان حيا، لقد خرج إليكم بعد فادعوه باسمه، قالوا له: إنه قد نهى أن ندعوه باسمه، فدعوه باسمه، فخرج إليهم، فقال لهم: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي، فقد والله قتلتموني، احملوني، فادفنوني، فإذا مرت عليكم الحمر، فيها حمار أبتر، فانبشوني، فإنكم ستجدوني حيا، فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر، فأرادوا نبشه، فقال لهم عمارة بن زياد: لا تنبشوه، لا والله لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا، وقد كان خالد قال لهم: إن في علم امرأته لوحين، فإذا أشكل عليكم شيء، فانظروا فيهما فإنكم ستجدوني بما تريدون، ولا تمسها حائض، فأتوا امرأته، فسألوها عنهما، فأخرجتهما إليهم، وهي حائض، فذهب ما كان فيهما من علم "." (١)

"٨٤٨ – أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله، أخبرنا عبد الصمد بن علي، قال: ثنا محمد بن غالب، ثنا محمد بن عمر المعيطي، قال: ثنا بقية، قال: ثنا بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عمرو بن الأسود، عن جنادة بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا فإن أشكل عليكم منه شيء فاعلموا أنه أعور وأن ربكم ليس بأعور وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»." (٢)

"٨ – حدثنا هناد قال: حدثنا وكيع، عن شعبة، عن أبي عون الثقفي، عن الحارث بن عمرو، عن رجال من أصحاب معاذ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن، فقال: "كيف تقضي؟ "، فقال: أقضي بما في كتاب الله، قال: "فإن لم يكن في كتاب الله؟ "، قال: فبسنة رسول الله صلى الله

---

(١) فنون العجائب لأبي سعيد النقاش أبو سعيد النقاش ص/٤١

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي ٣/٥٤٤

عليه وسلم، قال: "فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ "، قال: أجتهد رأيي، قال: "الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله" ، (ت) ١٣٢٧ [قال الألباني]: ضعيف

– حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا محمد بن جعفر، وعبد الرحمن بن مهدي قالا: حدثنا شعبة، عن أبي عون، عن الحارث بن عمرو ابن أخ للمغيرة بن شعبة، عن أناس من أهل حمص، عن معاذ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه،: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده عندي بمتصل وأبو عون الثقفي اسمه محمد بن عبيد الله ، (ت) ١٣٢٨

– حدثنا حفص بن عمر، عن شعبة، عن أبي عون، عن الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة، عن أناس من أهل حمص، من أصحاب معاذ بن جبل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال: "كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ "، قال: أقضي بكتاب الله، قال: "فإن لم تجد في كتاب الله؟ "، قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في كتاب الله؟ " قال: أجتهد رأيي، ولا آلو فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره، وقال: "الحمد لله الذي وفق رسول، رسول الله لما يرضي رسول الله" ، (د) ٣٥٩٢

– حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثني أبو عون، عن الحارث بن عمرو، عن ناس من أصحاب معاذ، عن معاذ بن جبل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن فذكر معناه ، (د) ٣٥٩٣ [قال الألباني]: ضعيف

– حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي عون، عن الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة، عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حمص، عن معاذ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن، فقال: «كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟» قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟» قال: أجتهد رأيي، لا آلو. قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري، ثم قال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله» (حم) ٢٢٠٠٧ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

- حدثنا وكيع، حدثنا شعبة، عن أبي عون الثقفي، عن الحارث بن عمرو، عن رجال من أصحاب معاذ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن فقال: «كيف تقضي؟» قال: أقضي بكتاب الله. قال: «فإن لم يكن في كتاب الله». قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم». قال: أجتهد رأيي. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله» (حم) ٢٢٠٦١ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

- حدثنا عفان، حدثنا شعبة، أخبرني أبو عون قال: سمعت الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة يحدث، عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حمص، عن معاذ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن فذكر: «كيف تقضي إن عرض لك قضاء؟» قال: أقضي بكتاب الله. قال: «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال: فبسنة رسول الله قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله؟» قال: أجتهد رأيي ولا آلو. قال: فضرب صدري فقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضي رسوله» (حم) ٢٢١٠٠ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

- حدثنا الحسن بن حماد سجادة، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن محمد بن سعيد بن حسان، عن عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن بن غنم قال: حدثنا معاذ بن جبل، قال: " لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال: "لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم، وإن **أشكل عليك** أمر، فقف حتى تبينه ، أو تكتب إلي فيه" ، (جة) ٥٥ [قال الألباني]: موضوع." (١)

"ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة) إلا عند من يجوز تكليف المحال ، ولا اعتداد به ، وما روي من أنه نزل قوله تعالى ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ ولم ينزل ﴿ من الفجر ﴾ فكان أحدنا إذا أراد الصوم وضع عقالين أبيض ، وأسود وكان يأكل ، ويشرب حتى يتبينا فهو محمول على أن هذا الصنيع كان في غير الفرض من الصوم ، ووقت الحاجة إنما هو الصوم الفرض .

(قوله : فبيان التقرير ، والتفسير يجوز موصولا ومتراخيا اتفاقا) أي : بيننا وبين الشافعي رحمه الله تعالى ، وإلا فعند أكثر المعتزلة ، والحنابلة وبعض الشافعية لا يجوز تأخير بيان المجمل عن وقت الخطاب .

---

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٤٦٩/١٦

فإن قلت فما فائدة الخطاب على تقدير تأخير البيان ؟ قلت فائدته العزم على الفعل ، والتهيؤ له عند ورود البيان فإنه يعلم منه أحد المدلولات بخلاف الخطاب بالمهمل فإنه لا يفهم منه شيء ما أصلا واستدل على جواز تراخي بيان التفسير عن وقت الخطاب بقوله تعالى ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ أي : فإذا قرأناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرآنه فتكرر فيه حتى يترسخ في ذهنك ثم إن علينا بيان ما **أشكل عليك** من معانيه ، وإنما حمل على بيان التفسير ؛ لأن معناه اللغوي هو الإيضاح ورفع الاشتباه ، وأما تسمية التغيير بيانا فاصطلاحا ولو سلم فبيان التفسير مراد إجماعا ، فلا يراد غيره دفعا لعموم المشترك ، ولو سلم أن اللفظ عام ، وليس بمشترك فبيان التغيير ، وقد خص منه بالإجماع .

(قوله : وبيان التغيير) إن كان." [1]

"تركيب البدن .

(قوله : روي عن عمر رضي الله تعالى عنه) الراوي هو علي بن ربيعة الوالبي قال سألت عمر رضي الله تعالى عنه ما بالنا نقصر الصلاة ، ولا نخاف شيئا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إن خفتم ﴾ فقال أشكل علي ما **أشكل عليك** فسألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ﴿ إن هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ﴾ فقوله : هذه إشارة إلى الصلاة المقصورة ، أو إلى قصر الصلاة والتأنيث باعتبار كونه صدقة وقوله : فاقبلوا معناه اعملوا بها واعتقدوها كما يقال : فلان قبل الشرائع .

وذكر الإمام الواحدي بإسناده إلى يعلى بن أمية أنه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فيم إقصار الناس الصلاة اليوم ، وإنما قال الله تعالى : ﴿ إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾ ، وقد ذهب ذلك اليوم ؟ ، فقال عجبت منه فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ﴿ هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ﴾ ، ثم إن سؤال عمر رحمه الله تعالى وتعجبه وإشكال الأمر عليه مما يستدل به على أنه فهم من التعليق بالشرط انتفاء الحكم عند انتفاء الشرط ، وأنه إنما سأل لكون العمل واقعا على خلاف ما فهمه .

وأجيب بأن السؤال يجوز أن يكون بناء على اعتقاده استصحاب وجوب الإتمام لا على أنه مفهوم من التقييد بالشرط ، ولا يخفى أن سياق القصة مشعر بأنه كان مبنيا على مفهوم الشرط والمصنف رحمه الله تعالى لم يرض رأسا برأس حتى جعل سؤال عمر رضي الله تعالى عنه دليلا على أن." [2]

---

(١) شرح التلويح على التوضيح، ٤١٨/٢

(٢) شرح التلويح على التوضيح، ٣٨٧/٣

"فإذا ثبت هذا، فمن ملك لحم شاه ذكية، حل له أكله، لأن حليته ظاهرة عنده إذا حصل له شرط الحلية، لتحقق مناطها بالنسبة إليه، أو ملك لحم شاه ميتة، لم يحل له أكله، لأن تحريمه ظاهر من جهة فقده شرط الحلية، فتحقق مناطها بالنسبة إليه، وكل واحد من المناطين راجع إلى ما وقع بقلبه واطمأنت إليه نفسه، لا بحسب الأمر في نفسه، ألا ترى أن اللحم قد يكون واحدا بعينه، فيعتقد واحد حليته بناء على ما تحقق له من مناطها بحسبه، ويعتقد آخر تحريمه بناء على ما تحقق له من مناطه بحسبه، فيأكل أحدهما حلالا، ويجب على الآخر الاجتناب، لأنه حرام.

ولو كان ما يقع بالقلب يشترط فيه أن يدل عليه دليل شرعي، لم يصح هذا المثال، وكان محالا، لأن أدلة الشرع لا تناقض أبدا، فإذا فرضنا لحما أشكل على المالك تحقيق مناطه، لم ينصرف إلى إحدى الجهتين، كاختلاط الميتة بالذكية، واختلاط الزوجة بالأجنبية.

فها هنا قد وقع الريب والشك والإشكال والشبهة، وهذا المناط محتاج إلى دليل شرعي يبين حكمه، وهي تلك الأحاديث المتقدمة، كقوله: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)، وقوله (البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في صدرك)، كأنه يقول: إذا اعتبرنا باصطلاحنا ما تحققت مناطه في الحلية أو الحرمة، فالحكم فيه من الشرع بين، وما أشكل عليك تحقيقه، فاتركه، وإياك والتلبس به، وهو معنى قوله -إن صح-: (استفت قلبك وإن أفتوك) فإن تحقيقك لمناط مسألتك أخص بك من تحقيق غيرك له إذا كان مثلك.

ويظهر ذلك فيما إذا أشكل عليك المناط ولم يشكل على غيرك، لأنه لم يعرض له ما عرض لك.

وليس المراد بقوله: (وإن أفتوك)،أي: إن نقلوا إليك الحكم الشرعي، فاتركه وانظر ما يفتيك به قلبك، فإن هذا باطل، وتقول على التشريع الحق، وإنما المراد ما يرجع إلى تحقيق المناط.." (١)

"ص -٣٠١-..

= قلت: ولفظ هذا الحديث: "لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم، فإن أشكل عليك أمر، فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه".

وذكره الجورقاني وحسنه مع غرابته كما تقدم ليبين بطلان لفظ حديث معاذ هذا، إذ أورده تحت عنوان "في خلاف ذلك".

وما أصاب الجورقاني ولا ابن القيم في قولهم: إن إسناد هذا الحديث أجود من الحديث الذي فيه للرأي

---

(١) شرح تهذيب كتاب الاعتصام للشاطبي، ص/٢٩

ذكر، إذ فيه "محمد بن سعيد بن حسان" وهو المصلوب، المتهم الكذاب.

قال ابن كثير في "تحفة الطالب" "ص١٥٥" بعد أن ذكر طريق الأموي في "مغازيه" بوجود المبهم فيه، ومن ثم طريق ابن ماجه المبينة أنه المذكور؛ فقال: "فتبينا بهذا أن الرجل الذي لم يسم في الرواية الأولى، هو محمد بن سعيد بن حسان، وهو المصلوب، وهو كذاب وضاع للحديث، اتفقوا على تركه".

ولهذا قال البوصيري في "زوائد ابن ماجه" "ورقة ٥/ ب": "هذا إسناد ضعيف، محمد بن سعيد هو المصلوب، اتهم بوضع الحديث"، وقال ابن حجر في "موافقة الخبر الخبر" "١/ ١٢٢": "لا يصلح حديثه لاستشهاد ولا متابعة".

نعم، لم يتفرد به محمد بن سعيد المصلوب؛ فقد رواه آخر عن عبادة بن نسي، ولكن إسناده لا يفرح به؛ فقد أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" "١٦/ ٣١٠/ أ" من طريق سليمان الشاذكوني: نا الهيثم بن عبد الغفار عن سبرة بن معبد عن عبادة به ولكن الشاذكوني كذاب؛ فهذه الطريق كالماء، لا تشد شيئا.." (١)

"و في حاله وجود المناظرة كتابه كالمنتديات او الشات فلا تكتب بخط صغير جدا لا يقرأ و لا بخط كبير أحمر كأنه صراخ

٣٥. ترك الاعجاب بالنفس و التزم التواضع

"إن التزام الأدب وحسن الخلق عموما، والتواضع على وجه الخصوص، له دور كبير في إقناع الطرف الآخر، وقبوله للحق وإذعانه للصواب، فكل من يرى من محاوره توقيرا وتواضعا، ويلمس خلقا كريما، ويسمع كلاما طيبا، فإنه لا يملك إلا أن يحترم محاوره، ويفتح قلبه لسماع رأيه"

قال منصور بن إسماعيل الفقيه المصري :

قلت للمعجب لما ***قال مثلي لا يراجع

ياقريب العهد بالمـ *** ـخرج لم لا تتواضع

٣٦. تجنب استخدام ضمير المتكلم

مثل : "في رأيي " "أرى" فهي ثقيله على النفس و الصواب "يقول المختصون" "و الراجح" "مما سبق يتبين "

---

(١) موسوعة أصول الفقه (١٨) مؤلفا ، ٤١٦/٤٠

٣٧. تنبه الخصم الى التناقض في كلامه

و الا لم يتحقق الغاية من المناظرة على الا يكون الامر تصيدا للاخطاء التى تعلم أنه لم يقصدها و انما كان خطأ في النطق او ما شابه ... ، فأن **أشكل عليك** فنبهه فأن أقر أنه خطأ لسان فتجاوز عنه

و من أمثله التناقض

﴿ فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (٣٩) ﴾الذاريات

﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢)﴾ الذاريات

فالاصل في الساحر شده الذكاء و الدهاء و المجنون فاقد للعقل و هذا تناقض بين

قال العلامة الشاطبي في الإفادات والإنشادات ص١٥٦:

وقع يوما بيني وبين بعض من يتعاطى النظر في العلم من اليهود كلام في بعض المسائل إلى أن أنجز الكلام إلى عيسى عليه السلام، فأخذ ينكر خلقه من غير أب ، ويقول: وهل يكون شيء من غير مادة ؟

فقلت له بديهة: فيلزمك إذا أن يكون العالم مخلوقا من مادة ، وأنتم معشر اليهود لا تقولون بذلك ، فأحد الأمرين لازم إما صحة خلق عيسى من غير أب ، وإما بطلان خلق

العالم من غير مادة . (فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين).." [١]

"القصر سبب عارض فما لم يعمل به لا يرتفع حكم الأصل ، وهذا كالعبد إذا أذن له مولاه بالجمعة يتخير بين أن يؤدي الجمعة ركعتين وبين أن يؤدي الظهر أربعا فكذا المسافر يميل إلى أيهما شاء .

وكذا المسافر في حق الصوم بالخيار إن شاء أخر ، وإن شاء عجل ، ولا يسقط به أصل الفرضية المتعلقة بالوقت إلا أن يترخص بالترك والتأخير .

وعندنا القصر رخصة إسقاط أي القصر ليس برخصة حقيقة بل هو إسقاط للعزيمة ، وهي الأربع .

حتى لا يصح أداؤه من المسافر أي أداء ما سقط عنه كما لو صلى الفجر أربعا ؛ لأن السبب في حقه لم يبق موجبا إلا ركعتين فكانت الأخريان نفلا لما بينا وخلط النفل بالفرض قصدا لا يحل ، وأداء النفل قبل إكمال الفرض مفسد للفرض فإذا صلى أربعا ، ولم يقعد على رأس الركعتين فسدت صلاته ، وإنما جعلناها أي هذه الرخصة إسقاطا للعزيمة استدلالا بدليل الرخصة أي بدليل يثبت الرخصة واستدلالا بمعنى هذه الرخصة .

---

(١) آداب المناظرة، ص/٣٤

أما الدليل فما روي عن علي بن ربيعة الوالبي قال سألت عمر رضي الله عنه ما بالنا نقصر الصلاة ، ولا نخاف شيئا وقد قال الله تعالى : ﴿ إن خفتم ﴾ فقال أشكل علي ما **أشكل عليك** فسألت رسول الله عليه السلام فقال : إن هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته .
وفي بعض الروايات إنها صدقة .
والضمير أو اسم الإشارة راجع إلى الصلاة المقصورة أو إلى القصر ، والتأنيث لتأنيث الخبر كقوله تعالى : ﴿ بل هي فتنة ﴾ .
أو لتأويله بالرخصة أي هذه الرخصة صدقة." (١)

"البيان متراخيا ولا يمكن حمله على ما لا يمكن العمل به من الألفاظ ؛ لأنه تكليف ما ليس في الوسع فيحمل على ما يمكن العمل بظاهره وهو العام فثبت أنه يجوز بيانه متراخيا وكذلك نص المواريث عام في إيجاب الإرث للأقارب كفارا كانوا أو مسلمين .
ثم جاء التخصيص متراخيا بقوله عليه السلام ﴿ لا يتوارث أهل ملتين شتى ﴾ وكذلك الوصية شرعت عامة مقدمة على الميراث بقوله تعالى ﴿ من بعد وصية يوصى بها أو دين ﴾ ثم خص ما زاد على الثلث ببيان الرسول متراخيا وكذلك ﴿ النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المزابنة ﴾ على العموم فيما دون خمسة أوسق وفي أكثر من ذلك ثم خص ما دون خمسة أوسق ببيان متأخر وهو خبر العرايا .
والجواب عن الأول أن المراد من الأمر باتباع القرآن القراءة على ما قيل أي إذا قرأه جبرائيل عليك بأمرنا فاقرأه على قومك ، ثم إن **أشكل عليك** شيء من معانيه فعلينا بيانه ، وإذا كان كذلك يمكن حمله على المجمل ونحوه فحملناه عليه وتأخير بيانه جائز كما مر بيانه قال شمس الأئمة رحمه الله المراد من قوله ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ ليس جميع ما في القرآن بالاتفاق فإن البيان من القرآن أيضا فيؤدي هذا إلى القول بأن لذلك البيان بيانا إلى ما لا يتناهى وإنما المراد بعض ما في القرآن وهو المجمل الذي يكون بيانه تفسيرا له ونحن نجوز تأخير البيان في مثله فأما فيما يكون مغيرا أو مبدلا للحكم إذا اتصل به فإذا تأخر عنه يكون نسخا ولا يكون بيانا محضا ودليل الخصوص." (٢)

"ومنها : قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني ﴾ فأمر باتباعه ، والاتباع هنا أمر عام فيشمل : الاتباع في الأقوال ، والاتباع في الأفعال . وهما الهدي القولي ، والهدي الفعلي .

---

(١) كشف الأسرار، ٤/٢٤٤
(٢) كشف الأسرار، ٥/٢٩٢

ومنها : أنه – صلى الله عليه وسلم – ثبت عنه بالاستقراء أنه كان يأمر بالأخذ عنه في أفعاله ، فقال في الصلاة : ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) ، وصلى مرة على المنبر وقال : ((إنما فعلت ذلك لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي)) ، وكذلك أفعاله في الحج فكان كلما فعل فعلا قال : ((خذوا عني مناسككم)) ، وكذلك لما سأله الأعرابي عن مواقيت الصلاة علمه بالفعل في يومين ثم قال : ((ما بين هذين وقت)) ، وقد كان الصحابة يقتدون به في أفعاله وهو يراهم ولا ينكر عليهم ، وهذا كله يدل على أن الأصل في باب الأفعال النبوية أنها للتشريع إلا ما دل الدليل على إخراجه إلى باب آخر .

وفائدة هذا الأصل أنه إذا **أشكل عليك** شيء من الأفعال ، هل هو تشريعي أو من باب الخصوصية أو الجبلة ؟ فاعمل بالأصل هذا ، وقل هو للتشريع لأن الأصل في أفعاله التشريع ، وأيضا إذا ادعى أحد أن فعله هذا من باب الخصوص ، فقل له : لا نقبل قولك هذا إلا بدليل لأن الأصل في فعله التشريع ، فلماذا أخرجته عن أصله ؟ ما الدليل على هذا الإخراج ؟ ذلك لأن الدليل يطلب من الناقل عن الأصل لا من الثابت عليه ، لكن هو لا يستطيع أن يقول لك : وما دليلك أنت على أن فعله هذا للتشريع ، لأن معك الأصل ، ومن كان قائلا بالأصل فإنه لا يطالب بالدليل ، فاحفظ هذا الأصل فإنه سيكون فاصلا للنزاع فيما ستراه من الفروع التي كثر فيها الخلاف، والله أعلم.

(المسألة الثالثة) : وهي قولنا (ما الضابط في الفرق بينها) أي بين هذه الأقسام الثلاثة ، الأفعال التشريعية والخصوصية والجبلية .." (١)

"ثم يأتي خلاف العلماء في آحاد الأفعال فتراهم قد يختلفون في تحديدها ومن باب التمثيل أذكر لك شيئا من الخلاف : فمثلا لبس العمامة هل يستفاد منه أنه سنة أو هو من باب موافقة عادة قومه لأنهم كانوا يعتمون ؟ فيه قولان للعلماء : سببه خلافهم في مأخذ لبس العمامة هل فعله تشريعا أو موافقة لعادة قومه ؟ ، وكذلك خلافهم في توفير الشعر هل هو سنة أو لا ؟ فيه قولان لأهل العلم وسببه خلافهم في مأخذ توفير شعره – صلى الله عليه وسلم – هل فعله تشريعا أو موافقة لعادة قومه ؟ وكذلك خلافهم في الذهاب يوم العيد من طريق والرجوع من طريق آخر ، هل فعله تشريعا فيكون سنة أو من باب الموافقة فقط فلا يكون سنة ؟ ، فيه قولان سببه هو ما ذكرته لك ، وهكذا وسوف يأتي تحقيق هذه الفروع إن شاء الله تعالى وبيان الراجح فيها في ذكر التفريع على أصل القاعدة .

وإنما المقصود الإشارة ، فهذا هو ضابط الأفعال الجبلية ، وأما الأفعال الخاصة فكل فعل انفرد به ولم

---

(١) تحرير القواعد ومجمع الفرائد، ص/١١٩

يتأس به غيره فهو خاص به ، وما عدا ذلك فهو من قبيل الأفعال التشريعية ، هذا مجمل ما ذكره أهل الأصول ، وفيه خير كثير ولا يخلو من نقص ، لكن يبقى عندك أمر مهم وهو أنه إذا **أشكل عليك** تحديد فعل من أفعال الشارع – صلى الله عليه وسلم – فارجع إلى الأصل الذي قررته لك سابقا وهو أن الأصل في أفعاله التشريع ، والله أعلم .

(المسألة الرابعة) : (ماذا يستفاد منها) وأعني بها الأفعال التشريعية ، أي التي فعلها النبي – صلى الله عليه وسلم – بقصد القربة ، ما هو الحكم الشرعي الذي يستفاد منها ؟." (١)

"... فمن فرق بين جواز الشرب للماء وصحة التطهر به فإنه فرق بين متماثلين وهو مطالب بالدليل على هذه الدعوى ، فالأصل فيهما التلازم ، فأنت تعرف الماء الذي يصح التطهر به بجواز الشرب ، فإذا **أشكل عليك** حكم التطهر بماء ما فاسأل نفسك هل يجوز لي أن أشربه ؟ فإن كان الجواب نعم فتطهر به ، وإن كان لا ، فلا تتطهر به ، فالماء الذي غمس القائم من النوم فيه يده قبل غسلها يصح التطهر به ؛ لأنه يجوز شربه ، والأصل في الماء الذي يجوز شربه صحة التطهر به ، والماء المستعمل ماء يجوز شربه فيصح التطهر به ، ومن فرق بينهما فعليه الدليل ، الماء الذي استعملته الأنثى ماء يصح التطهر به لأنه ماء يجوز شربه ، وهما متلازمان ، وهكذا فقس ، ولا يشكل عليك جواز التطهر بماء البحر مع أنه لا يشرب ، لأن عدم شربه ليس لعدم الجواز الشرعي وإنما لعدم استساغة الطبع لشربه ، ولذلك فإنه لو كرر ونقي ساغ شربه ، فالأصل في ماء البحر جواز شربه فيصح التطهر به ، وعلى ذلك فقس .

... فالأصل هو أن كل ماء جاز شربه فإنه يصح التطهر به ، والله أعلم .

(فصل –٣–)

... ومن الأصول أيضا قولهم : (الأصل في الآنية الحل والإباحة) .

... فإن الآنية من الزينة ، وقد قال تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ ، فقوله : (زينة) مفرد مضاف ، ولفظ الجلالة مضاف إليه . وقد تقرر في الأصول : أن المفرد المضاف يعم فيدخل في ذلك كل زينة ، والآنية من جملة هذه الزينة ، ولما أنكر الله تعالى على من حرم شيئا منها علمنا أن الأصل فيها الحل .

... وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض ﴾ ، وقد تقرر في الأصول أن الأسماء الموصولة

---

(١) تحرير القواعد ومجمع الفرائد، ص/١٢١

تفيد العموم ، فـ (ما) هنا بمعنى (الذي) ، فهي اسم موصول ، فيدخل في ذلك كل ما على هذه الأرض ، ومقتضى تسخيرها لنا أن تكون حلالا مباحة طاهرة .." [1]

"ص -٣٠١-...

= قلت: ولفظ هذا الحديث: "لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم، فإن **أشكل عليك** أمر، فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه".

وذكره الجورقاني وحسنه مع غرابته كما تقدم ليبين بطلان لفظ حديث معاذ هذا، إذ أورده تحت عنوان "في خلاف ذلك".

وما أصاب الجورقاني ولا ابن القيم في قولهم: إن إسناد هذا الحديث أجود من الحديث الذي فيه للرأي ذكر، إذ فيه "محمد بن سعيد بن حسان" وهو المصلوب، المتهم الكذاب.

قال ابن كثير في "تحفة الطالب" "ص١٥٥" بعد أن ذكر طريق الأموي في "مغازيه" بوجود المبهم فيه، ومن ثم طريق ابن ماجه المبينة أنه المذكور؛ فقال: "فتبينا بهذا أن الرجل الذي لم يسم في الرواية الأولى، هو محمد بن سعيد بن حسان، وهو المصلوب، وهو كذاب وضاع للحديث، اتفقوا على تركه".

ولهذا قال البوصيري في "زوائد ابن ماجه" "ورقة ٥/ ب": "هذا إسناد ضعيف، محمد بن سعيد هو المصلوب، اتهم بوضع الحديث"، وقال ابن حجر في "موافقة الخبر الخبر" "١/ ١٢٢": "لا يصلح حديثه لاستشهاد ولا متابعة".

نعم، لم يتفرد به محمد بن سعيد المصلوب؛ فقد رواه آخر عن عبادة بن نسي، ولكن إسناده لا يفرح به؛ فقد أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" "١٦/ ٣١٠/ أ" من طريق سليمان الشاذكوني: نا الهيثم بن عبد الغفار عن سبرة بن معبد عن عبادة به ولكن الشاذكوني كذاب؛ فهذه الطريق كالماء، لا تشد شيئا.." [2]

"وفى جلة المتباينات ما يسمى مشتقة ومنسوبة، وهى التى هى من جهة ما ليس اسمها بواحد ولا معناها واحدا؛ فهى متباينة؛ لكن من حيث أن بين الاسمين والمعنيين مشاكلة م لا تبلغ أن تجعلها اسما واحدا أو معنى واحدا، فهى مشتقة. وليس هذا قسما خامسا يحوج إلى أن يشترط فى المتباينات من أنها هي التى تتباين فى جميع الوجوه، فلا يكون فيها مشاركة فى لفظ ولا معنى؛ فإن هذا تكلف ويحوج الى

---

(١) تحقيق المأمول في ضبط قاعدة الأصول، ص/١٤

(٢) الموافقات. ط ابن عفان - مشهور حسن، ٤١٦/٨

زيادة أقسام؛ بل المشتقة من جملة المتباينة.

والمشتق له الاسم هو الذى لما كانت له نسبة ما، أى نسبة كانت إلى معنى من المعانى، سواء كان المعنى موجودا فيه كالفصاحة، أو له كالمال، أو موضوعا لعمل من أعماله كالحديد، فأريد أن يدل على وجود هذه النسبة له بلفظ يدل على اللفظ الذى لذلك المعنى الأول، ولا يكون هو بعينه ليدل على مخالفة معنى النسبة لمعنى المنسوب إليه، وليس مباينا له من كل وجه فلا يصلح للإيماء إليه، خورف بين اللفظين بالشكل والتصريف مخالفة تدل بالاصطلاح اللغوى على النحو من التعلق الذى بينهما، فقيل: فصيح أو متمول أو حداد؛ أو زيدت فيه زيادة تدل على النسبة، فقيل: نحوى وقرشى؛ أو فعل به فعل يوجبه اصطلاح لغة دون لغة. ومن شأن هذا اللفظ الذى للثانى أن يقال له إنه مشتق من الأول، أو منسوب إليه، كما لو كان مأخوذا بعينه، لقيل منقول بالاشتباه، كما لو لم يسم من فيه العدل عادلا بل سمى عدلا أيضا، لم يكن هذا من جملة ما سموه مشتقا ومنسوبا، بل من جملة ما يقال باشتباه الاسم واتفاقه، وكان منقولا من الأول إلى الثانى لا مشتقا.

والمشتق يحتاج الى اسم موضوع لمعنى، وإلى شىء آخر له نسبة إلى ذلك المعنى، وإلى مشاركة لاسم هذا الآخر مع اسم الأول، وإلى تغيير ما يلحقه.

ولمفرق أن يفرق بين المشتق والمنسوب فيجعل المنسوب ما يدل بالحاق لفظة النسبة بلفظ الشىء، كالهندى؛ ويجعل المشتق ما يدل بتغيير يلحق اللفظ كالمهند. ولليونانية فى الأمرين اصطلاح آخر.

الفصل الثالث

فصل (ج)

في بيان ما يقال على موضوع

أو لا يقال ويوجد في موضوع أو لا يوجد

أقول أولا إنه ربما أوجب استقصاء النظر عدولا عن المشهور؛ فإذا قرع سمعك ذلك فظن خيرا ولا تنقبض بسبب ورود ما لم تألفه عليك. واعلم أن العاقل لا يحيد عن المشهور ما وجد عنه محيصا. وبعد ذلك فاعلم أن صفات الأمور على أقسام: لأنه إما أن يكون الموصوف قد استقر ذاته معنى قائما، ثم إن الصفة التى يوصف بها تلحقه خارجة عنه لحوق عارض أو لازم؛ وإما أن يكون الموصوف أخذ بحيث قد استقر ذاته، لكن الصفة التى يوصف بها ليست تلحقه لحوق أمر خارج بل هو جزء من قوامه؛ وإما أن يكون أخذ بحيث لا يكون قد استقر ذاته بعد، والصفة تلحقه لتقرر ذاته وليست جزءا من ذاته؛ وإما أن يكون أخذ

بحيث لا يكون قد استقر ذاته بعد، والصفة ليست تلحقه من خارج، بل هو جزء من وجوده؛ وإما أن لا يكون قد استقر ذاته، والصفة تلحقه لا لنفس ذاته، بل لحوق لازم لما يقرره أو عارض له أول.

مثال الأول قولك: الإنسات أبيض أو ضحاك.

ومثال الثاني قولك: الإنسان حيوان؛ فإن الإنسان طبيعة متحصلة لا تحتاج إلى ما يقومها، بعد ما هو إنسان. وإن **أشكل عليك** هذا فخذ مكانه زيدا؛ ومع ذلك، فإن الحيوان جزء من ماهيته.

ومثال الثالث الهيولى والصورة؛ فإن الصورة صفة للهيولى خارجة عن ذاتها تتقرر بها ذاتها قائمة بالفعل، ولولاها لاستحال وجودها، لاعلى أن الصورة لازمة بعد التقوم، بل مقومة مثبتة، وليست مع ذلك جزءا من الهيولى. وقد فهمت الفصل بين هذين.

ومثال الرابع الجوهر للجسم المحمول على الحيوان؛ فإن الجسم مطلقا لايتقرر له وجود محصل لايكون بعده إلا العوارض واللواحق الخارجة، بل يحتاج إلى أمور خارجة فصلية تلحقه وتقومه، والجوهر مع ذلك جزء من ماهيته، أي جزء حده.." (١)

"""""" صفحة رقم ١٦٢ """""

فإذا ثبت هذا فمن ملك لحم شاة ذكية حل له أكله لان حليته ظاهرة عنده إذا حصل له شرط الحلية لتحقق مناطها بالنسبة إليه

أو ملك لحم شاة ميتة لم يحل له اكله لان تحريمه ظاهر من جهة فقده شرط الحلية فتحقق مناطها بالنسبة إليه

وكل واحد من المناطين راجع إلى ما وقع بقلبه واطمأنت إليه نفسه لا بحسب الامر في نفسه

ألا ترى ان اللحم قد يكون واحدا بعينه فيعتقد واحد حليته بناء على ما تحقق له من مناطه بحسبه ويعتقد آخر تحريمه بناء على ما تحقق له من مناطبه بحسب فيأكل أحدهما حلالا ويجب على الآخر الاجتناب لانه حرام ولو كان ما يقع بالقلب يشترط فيه أن يدل عليه دليل شرعى لم يصح هذا المثال وكان محالا لان أدلة الشرع لا تناقض أبدا

فإذا فرضنا لحما أشكل على المالك تحقيق مناطه لم ينصرف إلى إحدى الجهتين كاختلاط الميتة بالذكية واختلاط الزوجة بالأجنبية

فهاهنا قد وقع الريب والشك والإشكال والشبهة

---

(١) المنطق، ١/٤٨

وهذا المناط محتاج إلى دليل شرعي يبين حكمه وهي تلك الأحاديث المتقدمة كقوله دع ما يريبك إلى مالا يريبك وقوله البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في صدرك كانه يقول إذا اعتبرنا باصطلاحنا ما تحققت مناطه في الحلية أو الحرمة فالحكم فيه من الشرع بين

وما **اشكل عليك** تحقيقه فاتركه وإياك والتلبس به

وهو معنى - قوله - إن صح - استفت قلبك وإن أفتوك فإن تحقيقك لمناط مسالتك أخص بك من تحقيق غيرك له إذا كان مثلك

ويظهر ذلك فيما إذا **أشكل عليك** المناط ولم يشكل على غيرك لانه لم يعرض له ما عرض لك." (١)

"قال القاضي: قد أنكر جماعة من المتكلمين أن يظهر الله تعالى من آياته ما يخرج عن عادات الناس على مرور الزمان وكرور الأيام إلا لنبي، علما له شاهدا بصدقه ودليلا على صحة نبوته، أو في زمان نبي ونفوا جواز هذا وأن يؤيد به أحد من الآدميين ليس بني وأن كان على غاية الصلاح في دينه، والطهارة في نفسه وقوة يقينه، وجمهور المعتزلة من أشد الناس دفعا له وتكذيبا لمن حكى شيئا منه، وقد كان أبو بكر ابن الإخشيد يجيز هذا إذا جرى على يد من ليس بنبي إذ أيد به على وجه يرجع إلى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة بصحة رسالته وأبو بكر من أماثل المعتزلة في علمه وبيانه ونظره وتدينه. ورأيت بعض من شاهدناه من نظاري المعتزلة وذوي التدين منهم يجيز إظهار مثل ذلك، هذا للصالحين وعلى أيدي الأبرار المخلصين، وفي ذكر ما يحتج به لأهل هذا القول وعليهم وإثبات ما روي فيه من الأخبار المستفيضة الم نتشرة وما حكي عمن ظهرت عدالته واشتهر علمه وأمانته طول ليس هذا موضع استقصائه، وليس هذا الباب مما يدفعه عقل ولا نظر ولا سمع ولا خبر.

وقد كان بعض المتكلمين ورواة الأخبار من المتثبتين يجيزون ظهور هذه الحوائج على أيدي الأنبياء والصالحين من أئمتهم وأئمة الدين بعدهم، ويمنع من ظهورها على من يدعي النبوة كاذبا ويتدين دينا باطلا، ويذهبون إلى أن في تجويز ذلك إفساد الأدلة والتباس الحجة والتسوية بني ذوي الهدى والضلالة والولاية والعداوة، وأجازوا ظهور هذه الأشياء على يد من يدعي الربوبية على وجه الفتنة وتغليظ الفتنة، كالذي روي من أمر الدجال وأنه يتبعه جنة ونارن وقالوا: ليس في إضلال الناس ولا لبس في دينهم، لأن الأسنان مرسوم

---

(١) الاعتصام ـ للشاطبى موافق للمطبوع، ٢/١٦٢

بما لا ينفك منه مما يدل على حدثه وأنه مخلوق كائن بعد أن لم يكن، فأما الدجال فإنه مع ما فيه من سمة الحدث التي يشارك فيها سائر الناس مرمي بالعاهة الظاهرة لأعين الناظرين، النافية للشك في أمره عن قلوب العاقلين. وأما النبوة فصدق من يدعيها وكذب من هو مبطل في ادعائها، فإن هذين الفريقين مشتركان من جهة الخلقة والصورة والهيئة الإنسانية.

المجلس الثامن والسبعون

حديث الرسول عن فتنة الدجال

أخبرنا القاضي أبن الفرج المعافى بن زكريا الجريري قال حدثنا عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري قال حدثنا جعفر بن محمد بن الحجاج بن فرقد القطان قال حدثنا إسماعيل يعني ابن رجاء قال حدثنا معقل يعني ابن عبيد الله عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن أسماء قالت: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حدث أصحابه حديثا غليظا حتى فاضت أعين القوم ينتحبون عن فتنة الدجال، ثم قام عنهم فخرج وهم كذلك، فسكبت له وضوءا في الإناء فدخل ثم خرج فتوضأ ثم رجع إليهم وهم على تلك الحال، والوضوء يقطر منه، فاعتمد على عارضتي الباب ثم قال: مهيم، قالت أسماء: فكنت جارية ناهدا جرية على مسألته، فقلت حين لم يجيبوه: مهيم يا رسول الله، خلعت قلوبنا بالأعور الدجال وقد كان حدث القوم في حديثه عن الدجال أنه تنحاز إليه ثمار الأرض وأطعمتها فقلت له: فكيف يا رسول الله يومئذ؟ والله إني لأعجن عجيني ثم ما يأني لي حتى إني لأخشى أن يفتنني، تعني الجوع، قال: لا بأس، لا بأس، إن خرج وأنا حي فأنا حجيجه، وإن يخرج بعدي فالله خليفتي على كل مسلم.

وحدثني أن مما وصفه به أنه قال: ما **أشكل عليكم** فيه فإنه أسود جعد أعور مكتوب بين عينيه: كافر، يقرأه كل مسلم كاتب أو غير كاتب.

قال القاضي: وقد روي أن التبي صلى الله عليه وسلم ذكر له ما يقال إنه يتبع الدجال من الطعام والشراب ونحوهما، فقال: هو أهون على الله من ذلك.

والأخبار الواردة في أمر الدجال وظهوره ومهلكه كثيرة جدا، ونسأل الله أن يعيذنا من فتنته، ويجيرنا من ضلالته، ويعصمنا من فتنة المحيا والممات برحمته.

إنها حسناء فلا تفرك

حدثنا أحمد بن إسحاق ابن بهلول قال حدثني أبي قال حدثنا معن بن عيسى قال: سمعت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف بالكعبة فإذا أعرابي طوال على عنقه مثل المهاة البيضاء وهو يقول:

عدت لهذي جملا ذلولا ... موطأ أتبع السهولا

أعدلها بالكف أن تميلا ... أحذر أن تسقط أو تزولا

أرجو بذاك نائلا جزيلا." (١)

" هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عليك وقد وقفك على سواء السبيل وأرشدك إلى واضح الدليل وأوسعك تعليما وتحكيما وأقنعك تعريفا وتفهيما ولم يألك جهدا فيما عصمك وعصم على يدك ولم يدخرك ممكنا فيما أصلح بك وأصلحك ولا ترك لك عذرا في غلط تغلطه ولا طريقا إلى تورط تتورطه بالغا بك في الأوامر والزواجر إلى حيث يلزم الأئمة أن يندبوا الناس إليه ويحثوهم عليه مقيما لك على منجيات المسالك صارفا لك عن مرديات المهالك مريدا فيك ما يسلمك في دينك ودنياك يعود بالحظ عليك في آخرتك وأولاك فإن اعتدلت وعدلت فقد فزت وغنمت وإن تجانفت واعوججت فقد فسدت وندمت والأولى بك عند أمير المؤمنين مع مغرسك الزاكي ومنبتك النامي وعودك الأنجب وعنصرك الأطيب أن تكون لظنه محققا ولمخيلته فيك مصدقا وأن تستزيده بالأثر الجميل قربا من رب العالمين وثوابا يوم الدين وزلفى عند أمير المؤمنين وثناء حسنا من المسلمين فخذ ما نبذ إليك أمير المؤمنين من معاذيره وأمسك بيدك على ما أعطى من مواثيقه واجعل عهده مثالا تحتذيه وإماما تقتفيه واستعن بالله يعنك واستهد يهدك وأخلص إليه في طاعته يخلص لك الحظ في معونتك ومهما **أشكل عليك** من خطب أو أعضل عليك من صعب أو بهرك من باهر أو بهظك من باهظ فاكتب إلى أمير المؤمنين منهيا وكن إلى ما يرد عليك من جوابه متطلعا إن شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وأما التقليد الذي أنشأته أنا فهو هذا أما بعد فإن أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذي يكون لكل خطبة قيادا ولكل أمر مهادا ويستزيده من نعمه التي جعلت التقوى له زادا وحملته عبء الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه اجتهادا وصغرت لديه أمر الدنيا فما تسورت له محرابا ولا عرضت عليه جيادا وحققت فيه قول الله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا) ثم يصلي على ما أنزلت الملائكة لنصره أمدادا وأسري به إلى السماء حتى ارتقى سبعا شدادا وتجلى له ربه فلم يزغ منه بصرا ولا أكذب منه ." (٢)

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٣٧٥

(٢) المثل السائر، ١/٢٢٥

"وعلى قدر دين الرجل حسن منقلبه، وعلى حسب سريرته منزلته من ربه. وإنما يبين عن الناس أعمالهم، ويلحقهم بالصلاح آثارهم - واعتمدنا تأليف هذا الكتاب، والحث على طلب الأدب والترغيب فيه، والحض على الإكثار منه، فإن المستكثر من شيء، إن لم يدرك آخره ولم يأت على غابره استكثر من الصواب، واستقل من الخطأ، وتزين به عند الناس، واستتر به من لؤم الأصل، وإنما الإنسان بنفسه وابن خبره.

وقالت عائشة: كل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به، وكل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به.

وقال الشاعر:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك محموده عن النسب

وكان بعض العلماء إذا سأل عن قال: أعصامي هو أم عظامي؟ أي أهو ممن يفخر بآبائه وسلفه وبمن قد مضى من أهله، وهو خال مما كانوا فيه، أم هو بنفسه، كما قال الشاعر:

نفس عصام سودت عصاما ... وعلمته الكر والإقداما

وجعلته ملكا هماما

وسنذكر في كتابنا هذا أبوابا من كلام العرب وبعض ما روى عنها، ونثرا من أخبارها، ونفصل ذلك بأشعار وأخبار من قديم وحديث وما بينهما، ونقدم العذر في تقصير إن وقع فيه أو خلل إن لزمه، فإنا ألفناه من غير خلوة به ولا تمييز لما تضمنه، ونسأل الله توفيقه وحسن معونته، ونتوكل عليه ونسترشده، وبه الحول والقوة.

باب في

فضل الشعر

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثني أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي قال: روى لنا أشياخنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستحسن الشعر ويستنشده من أهله، ويثيب عليه قائله. ثم يروى أن شاعرا أنشده مدحا في الله ومدحا فيه، فأثابه على مدحه لله ولم يثبه على مدحه له.

وكان يتمثل بقول طرفة: ويأتيك من لم تزود بالأخبار. لأن الشعر لم يجر قط على لسانه. وقال يوما لأبي بكر رحمة الله عليه: كيف قال العباس بن مرداس: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله صلى الله عليه: بين عيينة والأقرع. قال: أليس هما سواء! وكان يستحسن:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

وكان يقول: " إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحرا " . وكان حسان بن ثابت شاعره. ويروى أنه أنشده في كلمة له يقول فيها:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بداهته تنبيك بالخبر

فأعجب بذلك، صلى الله عليه وسلم، وأثاب حسانا ودعا له.

ويروى أنه قيل لحسان بعد موت رسول الله عليه السلام: ما بالك لا ترثي رسول الله عليه السلام؟ قال: لأني أستقل كل شيء يجيئني فيه.

وروى أبو عبيدة قال: كان ابن عباس يقول: إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر فإنه ديوان العرب. وكان يسأل عن القرآن فينشد الشعر.

وسئل عن الزنيم، فقال: هو الدعي الملصق، ألم تسمع إلى قول الشاعر:

زنيم تداعاه الرجال زيادة ... كما زيد في عرض الأديم الأكارع

وسئل عن قوله عز وجل: " والليل وما وسق " . قال: وما جمع، ألم تسمع إلى قول الراجز:

إن لنا قلائصا حقائقا ... مستوسقات لو يجدن سائقا

وكان يفسر قوله: " فإذا هم بالساهرة " . قال: بالأرض، ألم تسمع إلى قول أمية بن أبي الصلت الثقفي:

فذاك جزاء ما عملوا قديما ... وكل بعد ذلكم يدوم

وفيها لحم ساهرة وبحر ... وما فاهوا به لهم مقيم

وتحدث عمر بن شبة قال: بينما ابن عباس في المسجد الحرام وعنده ناس من الخوارج وابن الأزرق يسائلونه إذ أقبل عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة فقال: أنشدنا، فأنشده:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد أم رائح فمهجر

حتى جاء على آخرها، فأقبل عليه ابن الأزرق فقال: تالله يا بن عباس، إنا نضرب إليك أكباد الإبل عن أقاصي البلاد لنسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل علينا، ويأتيك مترف من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت ... فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال ابن عباس: ليس هكذا. قال: فكيف قال: فأنشده:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأما بالعشي فيخصر." (١)

---

(١) الفاضل، ص/٣

" إلى الفعل الذي أخذ منه الإسم فتكتب (قفا) (وعصا) (ورجا البئر) بالألف لأنك تقول في تثنيته : قفون وعصوان ورجوان وترد إلى الفعل فتقول : (قد ٢٨٠ قفوت الرجل) إذا اتبعته (وعصوته) إذا ضربته بالعصا ولم يمكنك في (رجا) أن ترده إلى فعل فدلتك عليه التثنية قال الشاعر :

(فلا يرمى بي الرجوان إني ... أقل القوم من يغني مكاني)

وتكتب الهدى والهوى – هوى النفس – والمدى الغابة بالياء لأنك تقول في تثنيته : هديان وهويان ومديان

فإن أشكل عليك من هذا الباب حرف ولم تعرف أصله ولا تثنيته فرأيت الإمالة فيه أحسن فاكتبه بالياء وإن لم تحسن فيه الإمالة فاكتبه بالألف حتى تعلم

وإذا ورد عليك حرف قد ثني بالياء وبالواو عملت على الأكثر الأعم نحو رحى ٢٨١ لأن من العرب من يقول (رحوت الرحا) ومنهم من يقول (رحيت الرحى) وأن تكتبها بالياء كان أحب إلي لأنها اللغة العالية قال مهلهل : ." [1]

"وقيل جلس الإسكندر يوما مجلسا عاما، فلم يسأل حاجة، فقال لجلسائه: والله ما أعد هذا اليوم من أيام عمري في ملكي.قيل: ولم أيها الملك، دامت لك السعادة ؟قال: لأن الملك لا يوجد التلذذ به إلا بالجود للسائل، وإلا بإغاثة الملهوف، وإلا بمكافأة المحسن، وإلا بإنالة الطالب وإسعاف الراغب.قيل له: إنا نظن أنك أتعب الخلق وأنك لا تنام الليل ولا تنعم النهار ولا تجد لذة طعام ولا شراب، فقال: ليس كما ظننتم، إن الأمور التي أليها قد انقسمت لي بين مسموع بالأذن، وبين ملحوظ بالعين وبين مصروف بالروية، وبين مدبر باللسان، وعناية النفس السائسة قد دبرت هذه الأشياء كلها، فما ينساق منها بقوتها على المراد والإيثار أكثر مما ينساق منها بالإجتهاد والإجبار، وإني لأهم بالشيء فأكون كأني قد باشرته، وأومئ إليه فأكون كأني قد تقدمت فيه، وآمر به فكأني قد كفيته، وألبسه فأكون كأني قد فرغت منه، وربما وجدت في أموري ما يسبق أمنيتي ويزيد على اقتراحي، ولقد بلغت ما ترون فما أعيتني إيالة ولا أعوزتني آلة، وما نفعني كلام ككلام كتبه إلي أرسطو معلمي، فإنه قال في رسالة: أيها الملك لا تنخدع للهوى وإن خيل إليك أن في انخداعك له خداعه، فقد يسترسل الإنسان في بعض الأشياء، وهو يظن أنه متحفظ ليظفر بمطلوبه، فيعود إليه ذلك الإسترسال بأعظم الوبال، ويضمحل ذلك التحفظ كأنه لم يخطر ببال.واجمع في سياستك بين بدار لا حدة فيه وريث لا غفلة معه، وامزج كل شيء بشكله حتى تزداد قوة وعزة من ضده

---

(١) أدب الكاتب، ص/٢٠٤

حتى تتميز لك صورته، وصن وعدك من الخلف فإنه شين، وشب وعيدك بالعفو فإنه زين، وكن عبدا للحق فعبد الحق حر، وليكن وكدك الإحسان إلى جميع الخلق، ومن الإحسان وضع الإساءة في موضعها، فإن للإحسان أهلا وإن لضده أهلا، وكن نصيح نفسك فليس لك أرأف بك منك، وإذا **أشكل عليك** أمر، واعتاص على حولك وجه، فاضرع إلى الله الذي قادك إلى هذه الغاية، فإنه يفتح عليك المرتج، ويتم لك المخدج، ويجعل لك في كل أمر أسهل المدخل والمخرج.و إذا أفاتك الله شيئا فاستيقن أن ذلك لسهو عرض لك في الشكر على ما أفادك، والشكر على النعمة هو أن تعترف بالنعم لله أولا، ثم تشرك عباده فيها ثانيا، ومهما أخطأك شيء فلا يخطئنك الفكر في الرحيل عن هذا الحرى، فإنك إذا فكرت فيه سلوت عن الفائت، وقل اعتدادك بالحاصل، وكما يعجبك من غيرك أن يصدقك فليعجبك أن تصدق نفسك حتى يقبل منها صدقها لك. وإذا تظاهر الصدق بينكما ظهرت على جميع أوليائك ورعيتك.واجتنب الشراب فإنه وقود الشر، واللهو فإنه فوات العمر، ولا تجعل إحسانك ضربة فإن ذلك مغراة بالمنهي عنه، ولكن بتدريج يحفظ عليك اعتدالك، ومداراة تظهر عنك جمالك، والزم الخمص فأنه أذكر بالخصاصة، وأجلب للإعتدال، وأبعد من شبه البهيمة، وأدخل في مشاكلة الأشخاص السماوية.

كتب ملك إلى ملك: بم انتظمت مملكتك، واستقامت رعيتك ؟ فقال في الجواب: بثماني خصال: لم أهزل في أمر ولا نهي، ولا أخلفت موعدا ولا وعيدا قط، وعاقبت للجرم لا للحقد، ووليت للغناء لا للهوى، واستملت قلوب الرعية من غير كره، وسهلت الإذن من غير ضعف، وعممت بالقوت، وحسمت الفضول.

طلب أهل يونان رجلا يصلح للملك بعد ملك لهم فذكروا رجلا، فقال فيلسوف لهم: هذا الرجل لا يصلح للملك، قالوا: ولم ؟ قال: لأنه كثير الخصومة، وليس يخلو في خصومته أن يكون ظالما أو مظلوما، فإن كان ظالما لم يصلح للملك بظلمه، وإن كان مظلوما لم يصلح لضعفه، قالوا: صدقت، فأنت أولى بالملك منه، فملكوه.

و كان المنصور يقول: الخلفاء أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، على ما نال عثمان، وما نيل منه أعظم، ولنعم الرجل عمر بن عبد العزيز.والملوك أربعة: معاوية وكفاه زياد، وعبد الملك وكفاه حجاجه، وهشام وكفاه مواليه، وأنا ولا كافي لي ؟ولنعم رجل الحرب كان حمار الجزيرة، من رجل لم يكن عليه طابع الخلافة.و كان معاوية للحلم والأناة، وعبد الملك للإقدام والإحجام، وهشام لوضع الأمور مواضعها.ولقد شاركت عبد الملك في قول كثير: (من الطويل)

يصد ويغضي وهو ليث عرينة ... وإن أمكنته فرصة لا يقيلها

قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: مالك لا تنام بالليل ؟ فقال: لئن نمت بالليل لأضيعن نفسي، ولئن نمت بالنهار لأضيعن الرعية.." (١)

"باب حذر الإنسان على نفسه ومدافعته عنها

قال الأصمعي: يقال في مثل هذا: جاحش فلان عن خيط رقبته.

أي دافع عن دمه. وخيط رقبته: نخاعه. قال الأصمعي: ومثله قولهم: عن ظهرها تحل وقرا.

قال: وكذلك قولهم: حلأت حالئه عن كوعها. قال الأصمعي: وأصله أن تحلا المرأة الأديم، وهو نزع تحلئه، يعني باطنه، فإن هي رفقت سلمت، وإن خرقت أخطأت فقطعت بالشفرة كوعها. وقال أبو عبيد: وروى عن بعض الماضين، ومثال فيه دعابة، فقيل له: انك لتنطب القول في نفسك، فقال: فإلي من أكلها؟! الذي ادفع عن نفسي إذا لم يكن عنها دافع.

باب الحذر من الانفراد في الأمور وما يكره من الاستبداد بها

قال أبو عبيد: يقال: الذئب خاليا اشد.

يقول إذا وجدك الذئب خاليا كان أجرأ له عليك، فلا تفعل ذلك. قال أبو عبيد: وقد يضرب هذا المثل في الدين أيضا، ومنه حديث يروى عن معاذ إنه قال: عليكم بالجماعة، فإن الذئب إنما يصب من الغنم الشاذة القاصية. قال أبو عبيد: فصار المثل في أمر الدين والدنيا. يضرب لكل متواحد برأيه وبدينه أو بسفره، ومنه حديث عمر " لا يسافر أقل من ثلاثة، فإن مات واحد وليه اثنان. والواحد شيطان، والاثنان شيطانان "

باب المحاذرة للرجل من الشيء قد ابتلى مثله مرة.

قال أبو عبيد: روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث مرفوع: " لا يلسع المؤمن من جحر مرتين "
.

وتأويله عندنا إنه ينبغي له إذا نكب من وجهه ألا يعود لمثله. ومن أمثالهم في نحو هذا: كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع.

وأصله الرجل يمشي في الوقع، وهي الحجارة، حافيا فيصيبه الوجى، وفهو يحاذر على رجليه من كل شيء ينكبها، ومنه قول الشاعر:

يا ليت لي نعلين من جلد الضبع ... وشركا من أستها لا تنقطع
كأن الحذاء يحتذي الحافي الوقع

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١٠٨/١

يقول: فهو يتمنى نعلين وإن كانتا من جلد الضبع بعد أن ينجو من الحفا، قال أبو عبيد: ويقال في نحوه: من يشتري سيفي وهذا أثره.

يضرب للرجل يتقدم على الأمر الذي قد اختار وجرب. ويقول: إن المثل للأغلب العجلي. ومثل العامة في هذا الباب قولهم: من نهشته الحية حذر الرسن.

باب الحذر من اتباع الهوى وما يؤمر به من اجتنابه

قال أبو عبيدة: من أمثالهم في هذا قولهم: أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك.

أي أطع من يأمرك بما فيه رشادك وصلاحك وإن كان يبكيك، ويثقل عليك، ولا تطع من يأمرك بما تهوى، ويضحكك بما فيه شينك. قال أبو عبيد: ومن ذمهم الهوى قولهم: حبك الشيء يعمي ويصم.

وهذا المثل يروى عن أبي الدرداء. ومن حديث أبن عباس " ما ذكر الله الهوى في موضع من كتابه إلا ذمه " وقول الشعبي: إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه. وقال بعض الحكماء: إذا **أشكل عليك** أمران فلم تدر أيهما أدنى إلى الصواب والسداد فأنظر أثقلهما عليك فاتبعه ودع الذي تهوى، فانك لا تدري لعل الهوى هو الذي زينه في قلبك، وحسنه عندك.

باب التحذير من المعايب والشين في صحبة من تكره

قال أبو زيد: من أمثالهم في التحذير قولهم: اتق الصبيان لا تصبك باعقائها.

يضرب للرجل تحذره ممن تكره له مصاحبته. وأصل الأعقاء أول ما يخرج من بطن المولود حين يولد، وأحدها عقي. وقال مؤرخ: ومن أمثالهم في هذا قولهم: نزو الفرار استجهل الفرارا.

قال: وهو ولد بقر الوحش يقال له: فرير وفرار، مثل: طويل وطوال، فإذا شب وجدل وقوي أخذ في النزوان فمتى رآه غيره نزا لنزوه. يضرب هذا لمن تتقى مصاحبته. يقول: انك إذا صحبته فعلت فعله. قال الأحمر: ومن أمثالهم في كراهة المعايب قولهم: الملسى لا عهدة.

أي إنه قد خرج من الأمر سالما، وانقضى عنه لا عليه ولا له. قال أبو عبيد: هذا المثل ليس من الأول بعينه، ولكنه نحو منه.

باب التحذير من الأمر يخاف فيه العطب

قال الأصمعي: من أمثالهم في التحذير قولهم: أعور عينيك والحجر.

قال: واصله إن الأعور إذا فقئت عينه الصحيحة بقي لا يبصر، فهو أحق بالحذر من غيره. قال: وقد يقال في الرجل الموصوف بالحذر: العير أوقى لدمه.

واصله أنه ليس شيء من الصيد اشد حذرا إذا طلب صيده من العير وهو الحمار الوحشي. قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في التحذير من الأمرين يخافان قولهم: الليل وأهضام الوادي.." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٦٢ """""""""

قيل للمفضل : لم لا تقول الشعر وأنت من العلماء به ؟ قال : علمي به يمنعني منه . لأبي الأسد : الطويل وإني على عدمي لصاحب خمة . . . لها مذهب بين المجرة والنسر قال العتابي : من أعظم مكايد الشيطان ازدراؤك من علماء دهرك من عنده المخرج مما **أشكل عليك** ، وتهمتك من يلزمك الاقتباس منه . وصف أعرابي خيلا فقال : سامية العيون ، لاحقة البطون ، مصغية الآذان ، أفتاء الأسنان ، ضخام الركبات ، مشرفات الحجبات ، رحاب المناخر ، صلاب الحوافر ، وقعها تحليل ، ورفعها تعليل ، إن طلبت نالت ، وإن طلبت فاتت . شاعر : الطويل كأنك لم تشهد إذا كنت غائبا . . . ولم تك يوما غائبا حين تشهد وصف أعرابي قوما فقال : كأن خدودهم ورق المصاحف ، وكأن أعناقهم أباريق الفضة ، وكأن حواجبهم الأهلة .." (٢)

"في تاريخ الأدب الجاهلي

المرزباني

متصلة بالتدوين، فالذين قاموا بتدوين الأدب أو إملائه إنما هم في الأصل رواة.

ومما ذكرناه عن هؤلاء الرواة يتبين أن أقدمهم مات حوالي منتصف القرن الثاني، أي أن طائفة الرواة المحترفين في الإسلام ظهرت في أواخر القرن الأول عندما استتب أمر الدولة وهدأ روع المسلمين بعد الحركات الأولى، واتسعت رقعة العالم الإسلامي، وقد ساعد على رواج الرواية الأدبية حينئذ محافظة الأمويين على النزعة العربية، وحبهم الظاهر للآثار الأدبية، وتشجعيهم روايتها، ومكافأتهم الأدباء والرواة بسخاء، مع ما في نفس كل منهم -راوية كان أو منتجا للأدب- من ميل إلى الشهرة وحب الظهور. ثم كان مما شجع على ظهور هؤلاء الرجال وتخصصهم في رواية الأدب أن المسلمين احتاجوا إلى النصوص الأدبية القديمة لما اشتغل علماؤهم بالتفسير، فاهتم الأدباء بجمع النصوص الأدبية لكي يستعينوا بها على فهم ما استغلق عليهم من ألفاظ القرآن وعباراته، لذلك قالوا: "إن علوم الأدب كلها وسيلة لفهم كتاب الله تعالى، وإن حكم

---

(١) الأمثال لابن سلام، ص/٤١

(٢) البصائر والذخائر . ، ١٦٢/٥

البلاغة ومعرفة العلوم الأدبية حكم الوجوب الكفائي، وشرفها بشرف ما يتوصل إليه، فكلها علوم آلية"٧٩، وورد عن ابن عباس أنه قال: "إذا **أشكل عليكم** الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر، فإنه ديوان العرب"٨٠. فاهتمام المسلمين بفهم مفردات الكتاب والسنة كان مما شجع على الاشتغال بعلوم الأدب وروايته، ولذلك يقال إن الإمام الشافعي قال إنه طلب اللغة والأدب عشرين سنة ليستعين بهما على الفقه ومن هنا لما أرادوا أن يطرد علمهم في الدين والأدب من ينبوع واحد أوجبوا الإسناد في الأدب أيضا.
". (١)

"وملاك التحيل في بلوغ الأماني ... رفض العجلة واستعمال التواني

قال الله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه وقل رب زدني علما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها عليك بالرفق فإن الرفق لا يخالط شيأ إلا زانه ولا يفارق شيأ إلا شانه وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء إلا ما كان من عمل الآخرة وقال الشاعر

الرفق يمن والأناة سعادة ... ليس النجاح لمن يطيش ويخرق

آخر

وفي الأناة إذا ما جد صاحبها ... حزم ويعقبها التفريط والخرق

وفي التورية الرفق رأس الحكمة وقالوا فعل اللبيب ثمرته السلامة وجد على سيف مكتوب التأني فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة إلى إدراك الأمل وقال بعض الحكماء تأن تحزم وإذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجني ثمر السلامة ويد العجله تغرس شجر الندامة أبو الفتح البستي

تأن في الشيء إذا رمته ... لتعرف الرشد من الغي

لا تتبعن كل دخان ترى ... فالنار قد توقد للكي

وقس على الشيء بأشكاله ... يدلك الشيء على الشي

وقال بشر بن مروان لأهله إذا التبست عليك الخطوب وغاب عنك المورود **وأشكل عليك** المصدر فيه فالأناة الأناة وليكن أمرك حزما وإذا استبان لك فعزما وقال محمد بن هانئ الأندلسي

وكل أناة في المواطن سودد ... ولا كأناة من قدير محكم

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

وما الرأي إلا بعد طول تثبت ... ولا الحزم إلا بعد طول تلوم

القطامي

قد يدرك المتأني نجح حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

آخر

وربما فات قوما جل أمرهم ... من التأني وكان الحزم لو عجلوا

وقالوا الأناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا إذا لم يدرك الظفر بالأناة فبما ذا يدرك وقال المهلب بن أبي صفرة واسم أبي صفرة ظالم ابن سراق أناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت ومن أمثالهم اتئد تصب أو تكد وقولهم من تأنى أدرك ما تمنى وقولهم الرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء إياك والعجلة فإنها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل أن يقدر ويحمد قبل أن يجرب ويذم قبل أن يخبر ولن تصحب هذه الصفة أحدا الأصحب الندامة وجانب السلامة وهذه نبذة يسيرة في الصبر فمما ينسب لعلي رضي الله عنه

إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر يحاوله ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

آخر

ما أحسن الصبر في مواطنه ... والصبر في كل موطن حسن

حسبك من حسنه عواقبه ... عواقب الصبر ما لها ثمن

آخر

الصبر مفتاح ما يرخى ... وكل صعب به يكون

فاصبر وإن طالت الليالي ... فربما أمكن الحزون

وربما نيل باصطبار ... ما قيل هيهات لا يكون

ويقال الصبر مفتاح النصر ويقال النصر في مطاوي الصبر ويقال من تصبر تبصر وقال الصابي حظ الطالبين من الدرك بحسب ما استصحبوه من الصبر وأنشدت لبعض الشعراء

إذا كنت في أمر ولم تر حيلة ... فصبرك إن النجح يدرك بالصبر

كذاك عيون الماء تكدر مرة ... وتصفو مرارا هكذا عادة الدهر

ابن منقذ

لا تستكن للهم واثن حمامه ... بعزيمة في الخطب لا تتضعضع

فإذا أتى ما ليس يدفع فألقه ... بالصبر فهو دواء ما لا يدفع

ومن أحسن ما قيل فيه

أما والذي لا خلد إلا لوجهه ... ومن ليس في العز المنيع له كفو

لئن كان بد الصبر مرا مذاقه ... لقد يجتنى من غبه الثمر الحلو

آخر

اصبر على مضض الادلاج في السحر ... وفي الرواح إلى الحاجات والبكر

لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها ... فالنجح يتلف بين الصبر والضجر

الباب الثاني عشر

في الجبن

وفيه ثلاثة فصول." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٦٤ """""""

فإن الأمير الذي أنت قاصده قد انحلت عرا ملكه والسلطان في اضطراب أموره كالبحر إذا هاج فقال عبد الملك أيها الشيخ قد قوي علي جذب نفسي إلى صحبة هذا الأمير فهل لك أن ترشدني إلى رأي أتفق به عنده فلعله يكون سبب قربي منه فقال الشيخ أن هذه النازلة التي نزلت بهذا الأمير من النوازل التي لا تنفذ فيها العقول وإني لأكره أن أرد مسألتك بالخيبة فقال له عبد الله قبل جزاك الله خيرا فقال الشيخ إن هذا الخليفة خرج إلى قتال عدوه والإرادة غير قابلة لمراده والدليل على ذلك أن الله تعالى لم يرد من قصده من محاربة ابن الزبير ووثوب عمرو بن سعيد على منبره واستيلائه على بيوت أمواله وسرير خلافته فإذا قصدت هذا الأمير وانتظمت في سلكه أنظر في أمره فإن رأيته قد أصر على قصده ابن الزبير فأعلم أنه مخذول فأجنبه وإن رأيته قد رجع من حيث جاء وترك قصده الأول فأرج له النصر والسلامة . فقال عبد الملك يا شيخ وهل رجوعه إلى دمشق إلا كمسيره إلى ابن الزبير فقال الشيخ إن الذي **أشكل عليك** لواضح وها أنا أزيل عنك اللبس وهو أن عبد الملك إذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم لأن ابن الزبير لم يطعه طاعة

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/١٩٣

قط ولا وثب له على ملكة فإذا قصد ابن سعيد كان في صورة مظلوم لأنه نكث بيعته وخان أمانته ووثب على دار ملك لم تكن له ولا لأبيه." (١)

" الأعم

وذلك نحو رحى فإن من العرب من يقول رحوت الرحاء ومنهم من يقول رحيت قال وكتبها بالياء أحب إلي لأنها اللغة العالية

وكذلك الرضا من العرب من يقول في تثنيته رضيان ومنهم من يقول رضوان قال وكتابته بالألف أحب إلي لأن الواو فيه أكثر وهو من الرضوان

وكذلك الحكم في متى لأنها لو سمي بها وثني لقلت متيان فيعلم أنه من ذوات الياء

وتقول في الثاني عصوان ومنوان ورجوان فيعلم أنه من ذوات الواو

فإذا **أشكل عليك** شيء فلم تعلم أهو من ذوات الواو أو من ذوات الياء نحو خسا بالخاء المعجمة والسين المهملة كتبته بالألف لأنه هو الأصل

ومنهم من يكتب الباب كله بالألف على الأصل وهو أسهل للكتاب وعلى تقدير كتبها بالياء فلو كان منونا فالمختار عندهم أنها تكتب بالياء أيضا وهو قياس المبرد وقياس المازني أن يكتب بألف إذ هي ألف التنوين عنده في جميع الأحوال

وقاس سيبويه المنصوب بالألف لأنه للتنوين فقط

قال ابن قتيبة وتعتبر المصادر بأن يرجع فيها إلى المؤنث فما كان في المؤنث بالياء كتبته بالياء نحو العمى والظمى لأنك تقول عمياء وظمياء وما كان المؤنث فيه بالواو كتبته بالألف نحو العشا في العين والعثا وهو كثرة شعر الوجه والقنا في الأنف لأنك تقول عشواء وقنواء وعثواء

قال وكل جمع ليس بين جمعه وبين واحده في الهجاء إلا الهاء من المقصور نحو الحصى والقطا والنوى فما كان جمعه بالواو كتبته بالألف وما كان جمعه بالياء كتبته بالياء ." (٢)

" واستهده يهدك وأخلص إليه في طاعته يخلص لك الحظ من معونته ومهما **أشكل عليك** من خطب أو أعضل عليك من صعب أو بهرك من باهر أو بهظك من باهظ فاكتب إلى أمير المؤمنين به منهيا وكن إلى ما يرد من جوابه عليك منتهيا إن شاء الله تعالى

---

(١) طيب المذاق من ثمرات الأوراق، ص/١٦٤

(٢) صبح الأعشى، ٣/١٩٩

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

وكتب نصير الدولة الناصح أبو طاهر يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وستين وثلثمائة

وعلى هذا الأسلوب كتب أمين الدين أبو سعيد العلاء بن وهب بن موصلايا عن القائم بأمر الله عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بسلطنة الأندلس وبلاد المغرب بعد العشرين والأربعمائة فيما رأيته في ترسل ابن موصلايا المذكور

وهذه نسخته بعد البسملة الشريفة

هذا ما عهد عبد الله ووليه عبد الله القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى فلان حين انتهى إليه ماهو عليه من ادراع جلابيب الرشاد في الإصدار والإيراد واتباع سنن من أبدى وأعاد فيما يجمع خير العاجلة والمعاد والتخصيص من حميد الأنحاء والمذاهب بما يستمد منه أصناف الآلاء والمواهب والتحلي من ." (١)

" وتحرز منهم تحرزا يؤمنك مكايدهم وحيلهم وخدائعهم وغيلهم وإذا نازلت حصنا من حصون الكفار فكن على يقظة من مخاتلهم في الليل والنهار وانصب الحرس والأرصاد واحذر الغرة ولا تهمل الاعتداد لتعرف أعداء الله أن طرفك ساهد وجنانك راصد وتفقد أمر الجيش وأزح علة من ترقبه في الأطماع والمواكدات ومطوعته في المعاون والجرايات ولا تغفل عنهم غفلة تضطرهم إلى الانفلال وتدعوهم إلى الانفصال وأحسن إلى من حسن في الكفاح أثره وطاب في الإبلاء خبره وعده عن أمير المؤمنين بالحباء الجزيل والعطاء والتنويل فإن ذلك قادح لعزائم الأولياء باعث لهم على التصميم في اللقاء فإذا أنت بمشيئة الله شفيت الصدور واحتذيت المأمور وأعززت الدين وذللت الملحدين ودوخت البلاد ونكست رؤوس أهل العناد فانقلب بعساكر أمير المؤمنين ومطوعة المسلمين إلى حضرته واثقا بجميل جزائه وجليل حبائه وطالع في موردك ومصدرك بما يجدده الله لك ويفتحه على يدك واذكر ما **أشكل عليك** ليمدك أمير المؤمنين بالتبصير والتوقيف والتعليم والتعريف واستعن بالله فهو خير معين وتوكل على الله فإنه نعم الوكيل

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاعمل به وانته إليه يسدد الله مساعيك ويصوب مراميك إن شاء الله تعالى

قلت وأورد في خلال ذلك من تقاليد أرباب السيوف جملة أسقط من صدرها التحميدات

---

(١) صبح الأعشى، ١٠/٣٠

ما أورده في رسم تقليد الإمارة على قتال أهل البغي أن يقال بعد التحميد ما مثاله

وإن الله تعالى أوجب طاعة أولي الأمر على كافة المؤمنين وأكد فرضها على جميع المسلمين فقال جل قائلا (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) علما منه تعالى بأن الطاعة ملاك الأمر ونظامه ." (١)

" واقطع بإيصال حق كل ناحية إليها من الماء منازعة الخصوم ونبئهم أن الماء قسمة بينهم لكل منهم شرب يوم معلوم ولا تدع به أحدا من أهل المفاسد ومن جرت لهم بسوابق الفتن عوائد ومن يتعزز برب جاه ومن لا يكون له إلى حماية اتجاه ومن خرج بوجهه للشر مصرحا أو لباب عقاب مستفتحا أو وقف على درب أو قطع طريق أو توعد أهل رفاق أو أهل فريق أو أقدم على ضرر أحد في نفس أو مال أو خشيت له عاقبة في بداية أو مآل أو نزل في بلد أمير ليتغطى بجناحه أو ترامى إلى عصبة يحمل منهم حد سلاحه فسل عليهم سيفك الماضي وأحسن إلى الناس إذا خشيت أن تسيء إليهم التقاضي ومن أمسكته منهم فأمض حكم الله فيهم وأقم الحدود على متعديهم وطهر الأرض بماء السيوف من أنجاسهم وعلق منهم أناسا بحبل الوريد إلى مدارج أنفاسهم واصلب منهم على الجذوع من تناوح الرياح بسعفهم وأوثق منهم بالسلاسل والأغلال من لا تقتضي جرائمهم إيصالهم في المقابلة إلى حد تلفهم وأكرم قدوم من يرد عليك من الكارم وقرر بحسن تلقيك أنك أول ما قدمناه لهم من المكارم فهم سمار كل نادي ورفاق كل ملاح وحادي ولا بد أن يتحدث السمار وتتداول بينهم الأسمار فاجعل شكرنا دأب ألسنتهم ومنننا حلية أعناقهم ومنحنا سببا لاستجلاب رفاقهم فهم من مواد الإرفاق وجواد ما يحمل من طرف الآفاق وقد بقي من بقايا أهل العقائد الفاسدة والمعاقد البائدة من يتعين إقعاد قائمهم والتيقظ لمتيقظهم والنوم عن نائمهم ونحن ننبهك على هذه الدقائق ونوقفك على أطرافها ولك رأيك إذا حقت الحقائق وطالع أبوابنا العالية بما أشكل عليك تتنزل أنوار هدانا أقرب من رجع نفسك إليك وأقدر حق هذه النعمة فإننا أوليناك منها ما لا يضاهي وولیناك من بلادنا قبلة ." (٢)

" نومة لا ينتبهون بها من كراهم حتى يتأدب بهم كل من أغرض ويتداوى بمداواته كل من في قلبه مرض وما أشكل عليك فاسترشد فيه بمطالعة أبوابنا الشريفة لتجد هدى واضحا وحقا لائحا والله تعالى يجعلك من الممهدين لأرضه القائمين في أنواع الجهاد بفرضه والاعتماد على الخط الشريف أعلاه

---

(١) صبح الأعشى، ١٠/٤٢٤

(٢) صبح الأعشى، ١١/٤٣٠

الجهة الثالثة درب الحجاز الشريف

وقد تقدم أنه كان في الزمن المتقدم يكتب عن السلطان تقليد لأمير الركب في الدولة الفاطمية وما تلاها أما الآن فقد ترك ذلك ورفض كما رفض غيره من الكتابة لأرباب السيوف بالحضرة السلطانية ولم يبق الآن من يكتب له من ديوان الإنشاء شيء سوى قاضي الركب وقد جرت العادة أن يكتب له توقيع في قطع العادة مفتتحا برسم

وهذه نسخة توقيع من ذلك كتب به للشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله في مبدإ أمره وهي

رسم بالأمر الشريف لا زال يعين على البر والتقوى ويرتاد لوفد الله من يتمسك في نشر الأحكام الشرعية بينهم بالسبيل الأقوم والسبب الأقوى أن يستقر فلان في كذا لما اختص به من غزارة علومه وإفاضة فضائله المتنوعة إلى قوته في الحق وتصميمه فإن مثله من يختار لهذه الوظيفة الجارية بين وفد الله الذين هم أحق ببراءة الذمم وأولى بمعرفة حكم الله تعالى فيما يجب على المتلبس بالإحرام والداخل إلى الحرم وأحوج إلى الاطلاع على جزاء الصيد ." [١]

" ومن تراجعه فيما **أشكل عليك** من الأمور وتجد به في طاعتنا الشريفة نورا على نور واتبع مراسمنا المطاعة فهي شفاء لما في الصدور والوصايا كثيرة والله تعالى يجعلك على بصيرة ويتولاك بما فيه حسن السيرة وصلاح السريرة والاعتماد

وهذه نسخة مرسوم شريف بنيابة قلعة دمشق المحروسة كتب بها لحسام الدين لاجين الإبراهيمي من إنشاء الشريف شهاب الدين رحمه الله وهي

الحمد لله الذي صان الحصون بانتضاء الحسام وزان الملك بارتضاء ذوي اليقظة من الأولياء والاهتمام وأبان سبيل السعادة لمن أحسن بفروض الطاعة وأجمل القيام

نحمده على أن جعل نعمنا لأصفيائنا وافرة الأقسام ونشكره على أن أقبل عليهم بأوجه إقبالنا الوسام ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لعقود إخلاصها انتظام ولسعود اختصاصها التئام ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي منحه الإجلال والإعظام ومدحه بالإفضال والإكرام ورجحه بمزايا الفضل على جميع الأنام صلى الله عليه و سلم وآله وصحبه بدور التمام ورضي عن أصحابه الذين لهم صدق الاعتزام صلاة ورضوانا لهما تجديد ومزيد وتأييد ودوام وسلم تسليما كثيرا

---

(١) صبح الأعشى، ١١/٤٣٥

وبعد فإن آلاءنا لا تزال تختار الأكفاء وآراءنا لا تبرح تمنح ذوي ." [1]

" فاحكم بينهم بما أراك الله ولا تتبع أهواءهم وقد فقهك الله في دينه وأوردك من موارد يقينه ما جعله لك نورا وجلاه لك سفورا وأقامه عليك سورا وعلمك ما لم تكن تعلم منه أمورا فإن **أشكل عليك** أمر فرده إلى كتاب الله وسنة رسوله وإجماع أصحابه فإن لم تجد فعندك من العلماء من تجعل الأمر بينهم شورى ولأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاب كتبه إلى بعض القضاة فاعمل بمقتضاه واعلم بأن الله تعالى قد ارتضاك لخلقه فاعمل على رضاه

والأئمة العلماء هم إخوانك في الدين وأعوانك على ردع المبتدعين ولسانك في المحفل وجناحك إذا جلسوا ذات الشمال وذات اليمين فنزلهم منازلهم التي أحلهم الله في شرفاتها وبوأهم رفيع غرفاتها وتألف خواطرهم فإنك تنظر إلى كثير من الأمور في صفاء مصافاتها

ومن نسب إلى خرقة الفقر وأهل الصلاح هم أولياء الله المقربون وأحباؤه الأقربون فعظم حياتهم وجانب محاباتهم فما منهم وإن اختلفت أحوالهم إلا من هو على هدى مبين واحرص أن تكون لهم حبا يملأ قلوبهم فإن الله ينظر إلى قوم من قلوب قوم آخرين

وانتصب للدروس التي تقدمت بها على وافد الطلبة فإن الكرم لا يمحقه الالتماس والمصباح لا يفني مقله كثرة الاقتباس والغمام لا ينقصه توالي المطر ولا يزيده طول الاحتباس والبحر لا يتغير عن حاله وهو لا يخلو عن الوراد في عدد الأنفاس ." [2]

" ٣٢ – إن العصا من العصية

قال أبو عبيد : هكذا قال الأصمعي وأنا أحسبه العصية من العصا إلا أن يراد أن الشيء الجليل يكون في بدء أمره صغيرا كما قالوا : إن القرم من الأفيل (القرم – بفتح القاف وسكون الراء – الفحل من الإبل والأفيل – بوزن الأمير – ابن المخاض فما دونه وهذا مثل سيأتي) فيجوز حينئذ على هذا المعنى أن يقال : العصا من العصية

قال المفضل : أول من قال ذلك الأفعى الجرهمي وذلك أن نزارا لما حضرته الوفاة جمع بنيه مضر وإيادا وربيعة وأنمارا فقال : يا بني هذه القبة الحمراء – وكانت من أدم – لمضر وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة وهذه الخادم – وكانت شمطاء – لإياد وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه فإن **أشكل**

(١) صبح الأعشى، ٢٨/١٢

(٢) صبح الأعشى، ٤٧/١٢

عليكم كيف تقتسمون فائتوا الأفعى الجرهمي ومنزله بنجران . فتشاجروا في ميراثه فتوجهوا إلى الأفعى الجرهمي فبيناهم في مسيرهم إليه إذ رأى مضر أثر كلأ قد رعى فقال : إن البعير الذي رعى هذا لأعور قال ربيعة : إنه لأزور قال إياد : إنه لأبتر (الأزور : الذي اعوج صدره أو أشرف أحد جانبي صدره على الآخر والأبتر : المقطوع الذنب) قال أنمار : إنه لشرود فساروا قليلا فإذا هم برجل ينشد جمله فسألهم عن البعير فقال مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم [ص ١٦] قال ربيعة : أهو أزور ؟ قال : نعم قال إياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم قال أنمار : أهو شرود ؟ قال : نعم وهذه والله صفة بعيري فدلوني عليه قالوا : والله ما رأيناه قال : هذا والله الكذب . وتعلق بهم وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته ؟ فساروا حتى قدموا نجران فلما نزلوا نادى صاحب البعير : هؤلاء أخذوا جملي ووصفوا لي صفته ثم قالوا : لم نره فاختصموا إلى الأفعى وهو حكم العرب فقال الأفعى : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ قال مضر : رأيته رعى جانبا وترك جانبا فعلمت أنه أعور وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدته فعلمت أنه أزور لأنه أفسده بشدة وطئه لازوراره وقال إياد : عرفت أنه أبتر باجتماع بعره ولو كان ذيالا لمصع به وقال أنمار : عرفت أنه شرود لأنه كان يرعى في المكان الملفت نبته ثم يجوزه إلى مكان أرق منه وأخبث نبتا فعلمت أنه شرود فقال للرجل : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم : من أنتم ؟ فأخبروه فرحب بهم ثم أخبروه بما جاء بهم فقال : أتحتاجون إلي وأنتم كما أرى ؟ ثم أنزلهم فذبح لهم شاة وأتاهم بخمر : وجلس لهم الأفعى حيث لا يرى وهو يسمع كلامهم فقال ربيعة : لم أر كاليوم لحما أطيب منه لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة فقال مضر : لم أر كاليوم خمرا أطيب منه لولا أن حبلتها نبتت على قبر فقال إياد : لم أر كاليوم رجلا أسرى منه لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له فقال أنمار : لم أر كاليوم كلاما أنفع في حاجتنا من كلامنا وكان كلامهم بأذنه فقال : ما هؤلاء إلا شياطين ثم دعا القهرمان فقال : ما هذه الخمر ؟ وما أمرها ؟ قال : هي من حبلة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها وقال للراعي : ما أمر هذه الشاة ؟ قال : هي عناق أرضعتها بلبن كلبة وذلك أن أمها كانت قد ماتت ولم يكن في الغنم شاة ولدت غيرها ثم أتى أمه فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له قالت : فخفت أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك فأمكنت من نفسي ابن عم له كان نازلا عليه فخرج الأفعى إليهم فقص القوم عليه قصتهم وأخبروه بما أوصى به أبوهم فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر فذهب بالدنانير والإبل الحمر فسمى " مضر الحمراء " لذلك وقال : وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شيء أسود فصارت لربيعة الخيل [ص ١٧] الدهم فقيل " ربيعة الفرس " وما أشبه الخادم

الشمطاء فهو لإياد فصار له الماشية البلق من الحبلق والنقد (الحبلق : غنم صغار لا تكبر والنقد : جنس من الغنم قبيح الشكل) فسمى " إياد الشمطاء " وقضى لأنمار بالدراهم وبما فضل فسمى " أنمار الفضل " فصدروا من عنده على ذلك فقال الأفعى : إن العصا من العصية وإن خشينا من أخشن ومساعدة الخاطل تعد من الباطل فأرسلهن مثلا وخشين وأخشن : جبلان أحدهما أصغر من الآخر والخاطل : الجاهل والخطل في الكلام : اضطرابه والعصيِّة : تصغير تكبير مثل " أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك " والمراد أنهم يشبهون أباهم في جودة الرأي وقيل : إن العصا اسم فرس والعصية اسم أمه يراد أنه يحكي الأم في كرم العرق وشرف العتق ." (١)

" ٣٢٠ - إنه لهو أو الجذل

الجذل : أصل الشجرة . يضرب هذا إذا **أشكل عليك** الشيء فظننت الشخص شخصين ومثله ." (٢)

"مصادر الشعر الجاهلي

الفصل الأول: اتصال الرواية من الجاهلية حتى القرن الثاني

وكان يقول: إن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم.

والأخبار عن معرفة ابن عباس بالشعر الجاهلي، وروايته إياه، وحضه على طلبه وتعلمه وتفسير كتاب الله تعالى به، وأخبار كثيرة١، حتى إنه كان يقول٢: إذا **أشكل عليكم** الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر فإنه ديوان العرب. وكان يسأل عن القرآن فينشد الشعر. وسنكتفي بإيراد مثل واحد من أخبار ابن عباس، وسيمر منها خبر أو خبران عند حديثنا عن معرفة عمر بن الخطاب بالشعر الجاهلي. قال الشعبي٣: كنا عند ابن عباس وهو في ضفة زمزم يفتي الناس، إذ قال أعرابي: أفتيت الناس فافتنا. قال: هات. قال: أرأيت قول الشاعر المتلمس:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

قال ابن عباس: ذاك عمرو بن حممة الدوسي، قضى على العرب ثلاثمائة سنة، فكبر فألزموه السابع من ولده، فكان معه، فكان الشيخ إذا غفل كانت بينه وبينه أن تقرع العصا حتى يعاوده عقله، وذلك قول المتلمس اليشكري من بكر بن وائل: لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا. قال ذو الإصبع العدواني بعد

---

(١) مجمع الأمثال، ١/١٥

(٢) مجمع الأمثال، ١/٦٥

ذلك بدهر:

عذير الحي من عدوا ن كانوا حية الأرض

.....

ومنهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي

يعني: عامر بن الظرب.

---

١ انظر مثلا مفصلا لذلك في الإتقان للسيوطي ١: ١٤٨-١٦٤.

٢ المبرد، الفاضل: ١٠.

٣ السجستاني، المعمرين: ٤٥، وانظر الفاضل للمبرد: ١٢.

٢٠٣ ٧١٧." [(١)]

"ثم قال: الطبيعة عش الكون والفساد؛ والكون والفساد ركبا من البقاء الكاذب، والبلي الصادق. والنفس معدن الفكر والوهم، وهما بابا التمييز والذهن والفهم. العقل نهاية الشرف والكمال، به يكون نيل السعادة الكبرى من العلة الأولى. والطبيعة كذوب لا تصدقك إلا بإكراه النفس. والنفس صدوق لا تكذبك إلا بإكراه الطبيعة، والعقل رقيب يحفظ، وشاهد يؤدي، وثقة يؤمن؛ فمن استشاره منتصحا أصاب، ومن أضرب عنه مغترا طاح وخرج عن إصابة الحق. وبين الفساد فيه فرق يفيت أو يفيد، فنظر أمرا لنفسه ذلك عدمان بهما يكون ويفسد ذلك وجود واحد به يبقى ويسعد. إنما دخل الخلل الإنسان من ناحية اعتداده في عالمه هذا حتى نسي بطبيعته ما كان يزود نفسه من عالمه ذاك. أعرف حقائق الأمور بالتشابه فإن الحق واحد، ولا تستفزك الأسماء وإن اختلفت فتقول: مات غير نام. وفني غير بلي. وبطل غير ذهب. وعدم غير تحول. وفقد غير غاب. فإن السرور هو الفرح، والغم هو الهم، والمعرفة هي العلم، والقول هو الكلام، والبيان هو الإيضاح؛ لكن بدرجة ودرجة. وهيئة وهيئة، ومكان ومكان، وزمان وزمان، ومعرض ومعرض. شكول في هذا العالم في أغشية متكافئة بين أهوال مختلفة على طرق محفوفة. **فأشكل عليك** بلدك الذي أنت منه فانتسبت في الغربة لبلد لست من أهله، وأخذت بعادة كنت غنيا عنها لو عرفت مرماك فيها، فإذا

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي، /

نبهت فخذ في إصلاح ما يرحك إلى مقرك حتى تستريح من هذا القلق الدائم، ومن هذا الهول القائم.." (١)

"لا تبرمن مريضا في عيادته ... يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وللشافعي الفقيه رضي الله عنه وقد اشتكى بمصر شكوى عاده فيها بعض إخوانه، فلمسوا جبينه، وقالوا له: أنت بخير ونحو هذا، فقال:

أقول لعائدي وشجعوني ... وغرهم فتور حمى جبيني

تعزوا بالتصبر عن أخيكم ... فضجوا بالبكاء وودعوني

فلم أدع الأنين لقل سقمي ... ولكني ضعفت عن الأنين

سأصبر للحمام وقد أتاني ... وإلا فهو آت بعد حين

وإن أسلم يمت قبلي حبيب ... وموت أحبتي قبلي يسوني

قال المدائني:سقط عبد الله بن شبرمة القاضي عن دابته، فوثئت رجله، فدخل عليه يحيى بن نوفل الشاعر عائدا له ومادحا، وكان جاره فأنشده:

أقول غداة أتانا الخبير ... ود س أحاديثه هينمه

لك الويل من مخبر ماتقول؟ ... أبن لي وعد عن الجمجمه

فقال خرجت وقاضي القضا ... ة منفكة رجله مؤلمه

فقلت وضاقت علي البلاد ... وخفت المجللة المعظمه

فغزوان حر وأم الوليد ... إن الله عافى أبا شبرمه

جزاء لمعروفه عندنا ... وما عتق عبد له أو أمه

قال: وفي المجلس جار ليحيى بن نوفل يعرف ما في منزله، فلما خرج تبعه، فقال له: ياأبا معمر! رحمك الله من غزوان وأم الوليد؟ قال: سنوران في البيت فاستر علي.

باب الحجاب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من ولي من أمور الناس شيئا فاحتجب عن حاجتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة وعن حاجته، وخلته وفاقته " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من رفع حاجة ضعيف إلى ذي سلطان لا يستطيع رفعها، ثبت الله

---

(١) المقابسات .. لأبي حيان التوحيدي، ص/١٢٩

قدميه على الصراط يوم القيامة " .

حجب معاوية أبا الدرداء يوما وحبسه عند بابه، فقيل له: يا أبا الدرداء! ويفعل هذا بك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: من يأت أبواب السلطان يقم ويقعد.

قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي: ؟دخلت على معاوية بن صخر على حين يئست من الدخول

وما نلت الدخول عليه حتى ... حللت محلة الرجل الذليل

وأغضيت الجفون على قذاها ... ولم أنظر إلى قال وقيل

فأدركت الذي أملت منه ... بمكث والخطا زاد العجول

حجب أعرابي عند باب سلطان فقال:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ... ولن يكرم النفس الذي لا يهينها

حدثني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبيد الله الصيدلاني، قال :حدثنا علي بن سليمان الأخفش، قال: أنشدني بعض أصحابنا:

في كل يوم لي ببابك وقفة ... أطوى إليها سائر الأبواب

فإذا جلست وغبت عنك فإنه ... ذنب عقوبته على البواب

استأذن أبو سفيان على عثمان رضي الله عنه، فأبطأ إذنه، فقيل حجبك أمير المؤمنين ؟ فقال: لا عدمت من قومي من إذا شاء حجب.

قال معاوية لحضين بن المنذر: يا أبا ساسان كأنك لا تحسن إذنك. فأنشأ يقول:

كل خفيف الرأي يمشي مشمرا ... إذا فتح البواب بابك إصبعا

ونحن الجلوس الماكثون رزانة ... وحلما إلى أن يفتح الباب أجمعا

قال زياد لحاجبه: يا عجلان! إني وليتك ما وراء بابي، وعزلتك عن أربعة:طارق الليل فشر ما جاء به، وخبر رسول صاحب الثغر فإنه إن تأخر ساعة أبطل عمل سنة، وهذا المنادي الصلاة وصاحب الطعام فإن الطعام إذا أعيد عليه التسخين فسد.

قال مروان لابنه عبد العزيز – حين ولاه مصر – يا بني مر حاجبك يخبرك من حضر بابك كل يوم، فتكون أنت تأذن وتحجب، وآنس من دخل عليك بالحديث فينبسط إليك، ولا تعجل بالعقوبة إذا **أشكل عليك**

الأمر، فإنك على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها.

كان يقال: لا تقم على باب حتى تدعى إليه.." [1]

""""""""" صفحة رقم ٩ """""""

وأنمارا ، فقال : يا بني هذه القبة الحمراء وكانت من أدم لمضر ، وهذه الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة ، وهذه الخادم وكانت شمطاء لإياد ، وهذه البدرة والمجلس لأنمار ، فإن **أشكل عليكم** كيف تقسمون ، فأتوا الأفعى الجرهمي منزلك بنجران ، فتشاجروا .

في ميراثه ، فتوجهوا إليه ، فبينما هم في سيرهم إذ رأى مضر أثر كلإ قد رعى ، فقال : إن البعير الذي رعى هذا أعور ، وقال ربيعة : إنه لأزور ، وقال إياد : إنه لأبتر ، وقال أنمار : إنه لشرود ، فساروا قليلا ، فإذا هم برجل يوضع حمله فسألهم عن البعير ، فقال مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم ، وقال ربيعة : أهو أزور ؟ قال : نعم ، وقال إياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم ، وقال أنمار : أهو شرود ؟ قال : نعم ، وهذه والله صفة بعيري ، فدلوني عليه ، فقالوا : والله ما رأيناه ، فقال : هذا والله الكذب كيف أصدقكم وأنتم تصفونه بصفته ؟ فساروا حتى قدموا نجران ، فلما نزلوا ، نادى صاحب البعير ، هؤلاء أصحاب جملي وصفوا لي صفته ثم قالوا : لم نره ، فاختصموا إلى الأفعى ، فقال لهم : كيف وصفتموه وأنتم لم تروه ؟ فقال مضر : رأيته قد رعى جانبا وترك جانبا فعلمت أنه أعورة وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة واالثانية فاسدة ، فعلمت أنه أزور لأنه أفسدها بشدة وطئة ، وقال إياد : عرفت أنه أبتر باجتماع بعره ولو كان ذيالا لمصع به ، وقال أنمار : عرفت أنه شرود ، لأنه يرعى في المكان الملتف نبته ثم يجوزه إلى مكان أرق منه ، فقال الأفعى : ليسوا بأصحاب جملك فاطلبه ، ثم سألهم : من أنتم ؟ فأخبروه بخبرهم ، وبما جاءوا له ، فأكرمهم ، وقال أتحتاجون إلي وأنتم كما أرى ؟ ثم أنزلهم وذبح لهم شاة ، وأتاهم بخمر ، وجلس لهم الأفعى بحيث لا يرى : فقال ربيعة : لم أر كاليوم أطيب لحما لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة ، وقال مضر : لم أر كاليوم أطيب خمرا لولا أن حبلته نبتت على قبر ، فقال إياد : لم أر كاليوم رجلا." [2]

""""""""" صفحة رقم ٢٧ """""""

اخترتكم على الأمصار ، وفزعت إليكم لما حدث ، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا ، وانهضوا إلينا ، فالإصلاح نريد ، لتعود هذه الأمة إخوانا " . فمضيا .

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/٥٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ موافق للمطبوع، ٣/٩

وأقام بالربذة ، وأرسل إلى المدينة ، فأتاه ما يريد من دابة وسلاح . ثم قام في الناس فخطبهم وقال : إن الله تبارك وتعالى أعزنا بالإسلام ورفعنا به ، وجعلنا إخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد ، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله ، الإسلام دينهم ، والحق فيهم ، والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان ، لينزغ بين هذه الأمة ، ألا وإن هذه لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها ، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن ثم عاد ثانية فقال : إن لا بد مما هو كائن أن يكون ، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي ، وقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينكم ، واهدوا بهديي ، فإنه هدي نبيكم ، واتبعوا سنته ، وأعرضوا عما **أشكل عليكم** حتى تعرضوه على القرآن ، فما عرفه القرآن فالزموه ، وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، وبالقرآن حكما وإماما .

قال : ثم أتاه جماعة من طيىء ، وهو بالربذة ، فقيل له : هذه جماعة قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ، ومنهم من يريد التسليم عليك . فقال : جزى الله كلا خيرا " وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما " . فلما دخلوا عليه قال لهم : ما شهدتمونا قال به ؟ قالوا : شهدناك بكل ما تحب . فقال : " جزاكم الله خيرا قد أسلمتم طائعين ، وقاتلتم المرتدين ، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين " . فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال : " يا أمير المؤمنين ، إن من الناس من يعبر لسانه عن قلبه ، وإني – والله – ما كل ما كل ما أجد في قلبي يعبر عنه لساني ، وسأجهد وبالله التوفيق ، أما أنا فسأنصح لك في السر والعلانية ، وأقاتل عدوك في كل موطن ، وأرى من الحق لك ما لا أراه لأحد من أهل زمانك لفضلك وقرابتك " . فقال : " يرحك الله قد أدى لسانك عما يجن ضميرك " .

قال : ثم سار علي – رضي الله عنه – من الربذة ، وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمرو بن الجراح ، والراية مع ابنه محمد ابن الحنفية ، وعلى ناقة حمراء يقود فرسا." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٠ """""""

عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى ، فأعلمهم أنه قد اجتمع رأيه على أبي مسلم ، وأمرهم السمع والطاعة له ، ثم قال : إنك رجل منا أهل البيت ، فاحفظ وصيتي : انظر هذا الحي من اليمن فالزمهم ، واسكن بين أظهرهم فإن الله تعالى لا يتم هذا الأمر إلا بهم ، واتهم ربيعة في أمرهم ، وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار ، واقتل من شككت فيه ، وإن استطعت ألا تدع بخراسان من يتكلم العربية فافعل ، وأيما غلام بلغ

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع، ٢٠/٢٧

خمسة أشبار تتهمه فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ يعني سليمان بن كثير ولا تعصه ، وإذا **أشكل عليك** أمر فاكتف به مني .

ذكر إظهار الدعوة بخراسان

وفي سنة تسع وعشرين ومائة : كتب إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم يستدعيه ، فسار في النصف من جمادى الآخرة مع سبعين من النقباء ، فلما وصل إلى قومس أتاه كتاب إبراهيم ، يقول : إني قد بعثت إليك براية النصر ، فارجع من حيث لقيك كتابي ، ووجه إلى قحطبة بما معك يوافيني به في الموسم ، وكتابا إلى سليمان بن كثير ، فانصرف أبو مسلم إلى خراسان ، ووجه قحطبة إلى إبراهيم بما معه من الأموال والعروض ، وقدم أبو مسلم إلى مرو ودفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير ، يأمره بإظهار الدعوة ، فنصبوا أبا مسلم وقالوا رجل من أهل البيت ، ودعوا إلى طاعة بني العباس ، وأرسلوا إلى من قرب منهم وبعد ممن أجابهم بإظهار الدعوة ، ونزل أبو مسلم قرية من قرى مرو يقال لها فنين ، على أبي الحكم عيسى بن أعين النقيب ، ووجه منها أبا داود النقيب ومعه عمرو بن أعين إلى طخارستان فما دون بلخ ، وأمرهما بإظهار الدعوة في شهر رمضان ، وكان نزوله القرية في شعبان ، وبث الدعاة إلى مرو الروذ والطالقان وخوارزم ، وأمرهم بإظهار الدعوة في شهر رمضان لخمس بقين منه ، وقال لهم فإن أعجلكم عدوكم دون الوقت بالأذى والمكروه فقد حل لكم." (١)

"ذوي التقى: "ذوي" ما نوع الكلمة هذه، ذويي أو ذوو؟ من الأسماء الخمسة .. الستة، سبعة؛ ثمانية! "من ذاك ذو إن صحبة أبانا"، ذو: مفرد أو جمع؟ وهنا ملحق بجمع المذكر السالم، إذن: هو شاذ أم قياسي؟ شاذ، لم هو شاذ؟ ويقال: من الملحقات، وبه عشرون ... السؤال يقول: من الملحقات وأنا أقول: شاذ، هل هناك خلاف؟ الملحق بجمع المذكر السالم كله شاذ، إلا أنه يتفاوت؛ بعضه شذوذه أشد من بعض، لذلك ابن مالك نص على: وأرضون شذ، لم نص على شذوذية أرضون، مع كون الباب كله شاذ؟ قالوا: لكون أرضين أشذ شذوذا في هذا الباب.

إذن: (ذوي) هذا جمع (ذو)، و (ذو) الأصل أنه لا يجمع بواو ونون، لماذا؟ لأن الذي يجمع بواو ونون ما كان علما بشرطه أو صفة بشرطه، ماذا يقول ابن مالك؟

وارفع بواو وبيا اجرر وانصب سالم جمع عامر ومذنب

عامر: هذا مثال لعلم مذكر عاقل خال من تاء التأنيث، ومذنب: هذا صفة لمذكر إلى آخره، ما ليس كذلك

---

(١) نهاية الأرب في فنون ال أدب . موافق للمطبوع، ١٠/٢٢

الأصل أنه لا يجمع بواو ونون، فإذا سمع من لغة العرب أنه جمع بواو ونون نقول: هذا شاذ، عشرون: شاذ، عالمون: شاذ، عليون: شاذ، كل يحكم عليه بالشذوذ، لماذا؟ لأن الذي يجمع جمعا قياسيا ما كان علما لمذكر أو صفة لمذكر.

أهلون: "أهل" ليس علما، ولا صفة لمذكر، حينئذ أقول: "أهلون" هذا شاذ، "ذوو" هنا جمع، جمع بواو ونون، ما الدليل على أنه جمع بواو ونون؟ أين الواو .. هنا مرفوع أو مجرور أو مكسور؟ مجرور، لم جر؟ ثم على بقية الصحابة ذوي التقى، ذوي: هذا صفة للصحابة، صفة للمضاف إليه.

ثم على بقية: "بقية" مضاف، و"الصحابة" مضاف إليه.

"ذوي" يعني: أصحاب، نعت للصحابة، جمع: (ذو) بمعنى صاحب:

من ذاك ذو إن صحبة أبانا

إذن: "ذوي" بمعنى أصحاب، "التقى": هذا مصدر، اتقيته تقى، والتقوى ما معناها؟ أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، يقال: تقوى، أصلها؟ كلها أخذناها فيما مضى، تقوى .. "وقوى" هذا أصل٥١، "التاء" هذه منقلبة عن واو، و"الواو" الثانية هذه منقلبة عن ياء الأصل، التاء منقلبة عن واو، والواو منقلبة عن ياء، تقوى أصلها: وقوى، لذا تقول: وقيت، انقلبت الواو ياء، وقيت .. وقيت، نقول: قلبت الواو ياء، الياء. من أين جاءت هذه؟ أصل، لذلك إذا **أشكل عليك** ما كان ناقصا ولامه منقلبة عن واو أو ياء صل به تاء المتكلم، فحينئذ ترجع الألف إن كان أصلها واو أو أصلها ياء.

إذن: ذوي التقى، أي: أصحاب التقوى، ولا إشكال في وصف الصحابة بهذا فهم أعلى درجة بعد الأنبياء في تحقيق التقوى.

هنا قال: والوقاية التقى من قوله: "وقاه فاتقى" والوقاية الحفظ، أيضا ... ((قوا أنفسكم)) [التحريم:٦] أي: اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية، أي: سترا يقيكم عن العذاب، والستر هذا يكون بامتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، هذا هو ... ، والمتقي من يقي نفسه أي: يحفظها عما يضرها في الآخرة.

ذوي التقى والفضل: هذا وصف ثان للصحابة، أي: الزيادة في الخير، والإنابة: أي الرجوع إلى الله عز وجل: ((وأنيبوا إلى ربكم)) [الزمر:٥٤] أي: ارجعوا إلى ربكم، والمجد، أي: الكرم، هذا وصف رابع للصحابة.." (١)

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٦/٢

"حقيقة، أي: اصطلاحا، مستعمل، أي: لفظ مستعمل، حينئذ صار مستعمل هذا صفة لموصوف محذوف، والمحذوف هو الخبر في الحقيقة، حقيقة: هذا مبتدأ، وإن قيل: هي نكرة، حينئذ نقول: للتنويع، يعني: المسوغ له هو التنويع، لأنه أراد أن ينوع، حقيقة مستعمل .. مجاز كلمة غابرت الموضوع، فنوع فصار التنويع مسوغا للابتداء بالنكرة.

وعلى ما ذكره بعضهم: أن أي فائدة أفادت النكرة جاز الابتداء بها، يعني: لا يشترط فيها التعميم والتخصيص الذي ذكره النحاة:

ولا يجوز الابتدا بالنكرة ما لم تفد .. مفهومه: إن أفادت جاز الابتداء بالنكرة، لكن بالأمثلة يريد ابن مالك رحمه الله تعالى أن يوافق الأكثر، وهي أنها لا بد من فائدة مقصودة أو فائدة مرعية، وأما أي فائدة كما قاله البعض وأظنه الكافيجي، حينئذ نقول: لا، ليس بوارد، وإلا لو قيل: رجل في الدار، يصح أن يكون رجل هذا مبتدأ، وفي الدار: هذا خبر، لأنه أفاد أي فائدة. لكن عند الجمهور لا، رجل في الدار، في الدار: هذا صفة، ولا يعتبر خبرا .. ولا يعتبر كلاما.

على كل: حقيقة، هذا مبتدأ، ومستعمل: هذا صفة لموصوف محذوف هو الخبر، مستعمل في ماذا؟ قال: فيما وضع له، في: جار ومجرور متعلق بقوله: مستعمل، فيما: ما اسم موصول بمعنى: الذي، يصدق على المعنى، لماذا؟ لأننا قلنا: مستعمل هذا وصف للفظ، إذا: لفظ يستعمل في لفظ أو في معناه؟ في معناه الذي وضع له، هذا المراد، حينئذ (ما) هنا اسم موصول بمعنى: الذي يصدق على المعنى.

فيما، أي: في المعنى الذي وضع له، له ما هو؟ الضمير يعود على ماذا، أين عائد الصلة؟ فيما قلنا: موصول، وضع له .. وضع نائب الفاعل يعود على ماذا؟ على اللفظ، له؟ إذا: لا يعود (له) على اللفظ الضمير، إذا (وضع) نائب الفاعل يعود على اللفظ، وضع اللفظ له: للمعنى، هذه تأخذها من جهة المعنى، إذا **أشكل عليك** مباشرة .. إذا قلت: اسم موصول .. (ما) اسم موصول، لا بد من عائد، فأين عائدها؟ (له) الضمير هذا المذكور.

حينئذ وضع ذلك اللفظ المستعمل له: لذلك المعنى، فعاد الضمير هنا إلى (ما) ووضع الضمير المستتر نائب الفاعل عاد إلى: لفظ.

وضع له فيه .. فيه، والوضع: جعل اللفظ دليلا على المعنى، هذا إذا فسر الوضع بالشخصي وسيأتي النوعي. أو تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه، فشمل المشترك، فخرج بهذا القيد: الغلط، الغلط هذا لم يوضع له، لو قال مثلا: خذ هذا القوس، مشيرا إلى الكتاب! .. خذ هذا القوس مشيرا إلى الساعة مثلا! نقول: ما

العلاقة بين القوس وبين الساعة؟ ليس ثم علاقة، إذا: لا يسمى مجازا، إذا لم تكن علاقة انتفى المجاز، وليس هو حقيقة، لم يوضع له في لسان العرب، إذا نقول: الغلط لا يكون حقيقة، ومن هنا كما مر معنا في النحو: أن بدل الغلط أنكره الكثير من النحاة، لأنه ليس بفصيح، وإنما غلط من اللسان.." (١)

"مع كسر متلو الأخير مطلقا ** وضم ميم زائد قد سبقا

ولذلك لو **أشكل عليك** هل هذا فعل مضارع أصله رباعي أو ثلاثي أو خماسي النظر يكون باعتبار نقول: باح يبوح وأباح يبيح إذن يبوح يبيح يبوح نقول: هذا من الثلاثي، يبيح هذا من الرباعي بالنظر إلى الفعل المضارع من أين أخذنا؟ حرف المضارعة.

وصمت أن أحاولها لئيت ** فاسمع وعي القول كما وعيت

وضمها من أصلها الرباعي

إذا كان أصلها الرباعي حركتها حرف المضارع الضم.

وضمها من أصلها الرباعي ** مثل يجيب من أجاب الداعي

وما سواه فهي منه تفتتح ** ولا تبل أخف وزنا أم رجح

مثاله يذهب زيد ويجي ** ويستجيش تارة وينتشي

حرف المضارعة إن كان الماضي ثلاثيا أو خماسيا أو سداسيا مفتوحا يذهب ذهب يذ بفتح الياء يستجيش استجاش يستجيش يستخرج بفتح الياء السداسي استغفر يستغفر أما الرباعي فلا

وضمها من أصلها الرباعي

أكرم إيش تقول: يكرم. إذا نظرت للفعل المضارع وجدت الحرف المضارع مضموما فاعلم أن أصله رباعي منه أباح يبيح الحاصل أن المباح اسم مفعول من أباح يبيح فهو مباح.

المباح في اللغة قالوا: هو المعلن والمأذون لأنه مباح معلن اسم مفعول مأذون فيه اسم مفعول ويطلق على الإظهار والإعلام يطلق على الإظهار والإعلام يقال: باح بسره. يبوح باح يبوح من الثلاثي إذن باح بسره إذا أظهره هذا من باب قال يقول قولا باح يبوح بوحا قال يقول قولا إذن باح بسره من باب قال أي: أظهره وأعلنه. ويطلق المباح ويراد به الإطلاق والإذن كما ذكرناه سابقا أباح الأكل من كذا من بيته مثلا أباح الأكل يعني: أذن في الأكل إذن جاء المباح والإباحة بمعنى الإذن وجاءت الإباحة بمعنى الإعلان، وجاءت الإباحة بمعنى الإظهار، ولذلك البعض يقول: المباح هو الموسع فيه. لأن هذه المعاني كلها تشترك وتدل

---

(١) شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، أحمد بن عمر الحازمي ٧/٣٥

على التوسع والتوسيع باح قلنا: يتعدى بالحرف ويتعدى بالهمز. باح بسره هذا تعدى بالحرف أباح المال لصاحبه أباح بمعنى أذن في الأخذ والترك منه أباح يتعدى بالهمز والذي يتعدى به الفعل اللازم ثلاثة أمور:

أولا: حرف الجر.

والثاني: الهمزة وتسمى همزة التعدية.

والثالث: التضعيف.

خرج خرجت خرج فعل ماضي لازم خرج زيد عندما تقول خرجت زيدا جلست زيدا هذا يتعدى بالتضعيف أجلست زيدا هذا تعدى بالهمزة جلست على الكرسي تعدى بحرف الجر ولا يلزم في كل فعل أن يتعدى بالثلاث بل قد يتعدى بالحرف ولا يتعدى بالتضعيف وقد يتعدى بالهمزة ولا يتعدى إلى بغيره والعمدة في ذلك هو السماع فما عداه العرب بالتضعيف عدي بالتضعيف فلا يجوز أن يقاس عليه غيره أباح الرجل ماله أي: أذن في الأخذ والترك وجعله مطلق الطرفين هذا في اللغة المعلن والمأذون فيه.

أما في الاصطلاح اصطلاح أهل الأصول أو في اصطلاح أهل الشرع فنقول: المباح ما خلا من مدح وذم لذاته عرفه الناظم هنا بقوله:

وليس في المباح من ثواب ** فعلا وتركا بل ولا عقاب." (١)

"ثم قال رحمه الله بعد أن فرغ من بابي الأمر والنهي الذين كما سبق أن حقهما التقديم لتعلقهما بنفس الخطاب الشرعي شرع في الكلام على العموم ثم أتبعه بالخصوص المتعلقين بمدلول الخطاب باعتبار المخاطب به لأن الأمر قد يكون بلفظ عام، والنهي قد يكون بلفظ عام كذلك الأمر قد يكون بلفظ خاص وقد يكون بلفظ خاص قد يكون الأمر بلفظ خاص وقد يكون بلفظ خاص قال:

باب العام

عام هذا اسم فاعل عم يعم إذا قال: من قولهم: عممتهم بعممت بفتح الميم لا بكسرها فعل يفعل من باب نصر ينصر فهو عام ونقول: المصدر عموم. عم يعم أعم هذا فعل ماضي مضاعف لا ندري ما حركة عينه أليس كذلك؟ لا ندري ما حركة عينه فيحتمل إما مفتوحا وإما مكسورة وإما مضمومة لأن فعل فعل فعل.

الماضي للمجرد الثلاثي ** أبنية تحصر في ثلاثي

فعل أو فعل ثم فعل ويلزم الثالث مثل الثاء هنا فعل أو فعل ثم فعل إذا عم إما أن يكون من باب فعل أو فعل أو فعل يعم طيب أشكل علينا عم ما ندري لو **أشكل عليك** الفعل الماضي هل هو مفتوح العين أو

---

(١) شرح نظم الورقات، أحمد بن عمر الحازمي ٨/١١

مكسورها أو مضمومها مثل: عم، وشد، ومد، وطل، وزل إلى آخره؟ نقول: هذا العين ما ندري عنها ما حركتها لأنها ساكنة سلبت حركتها فأدغم في العين في اللام شد ومد وعم نقول: من الأمور المرجحة والمبينة للقرائن الشيء يعرف ويميز بقرينته يعم نقول: مضارعه يعم من باب يفعل أصله يعمل يعم يعمم أريد إدغام الميم الأولى في الثانية فنقلت حركت الميم الضمة إلى العين وهي حرف صحيح ساكن فصح النقل إذا هو إعلان بالنقل ثم أدغمت الميم في الميم صار عم يعم أصله يعمم يفعل من باب نصر ينصر عمم يعمم نقول: عم أشكل علينا إذا ننظر إلى المضارع يفعل إما ماضيه فعل أو فعل إذا امتنع فاعلا سقط إذن عم ليس من باب فعل ليس مكسور العين لماذا؟ لأن المضارع يعم بضم العين وفعل الماضي مكسور العين لا يأتي مضارعه على يفعل إذن سقط هذا الباب ماذا بقي؟ فعل وفعل نقول: فعل هذا خاص بالطبائع والسجايا والعموم ليس من الطبائع والسجايا ليس ك: كرم، وشرف، وظرف. حينئذ سقط باب فعل ماذا بقي؟ فعل هكذا تأتي في الحصر ... تقسيم هذا عند الأصوليين فتسقط باب فعل وتسقط باب فعل ثم يتعين الثالث لأنه ليس عندنا إلا بالفتح أو بالكسر أو الضم فانتفى الكسر والضم تعين الثالث كما يقال هناك في باب النحو هذا صرف كما يقال في باب النحو الكلمة ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف. إذا **أشكل عليك** هذه الكلمة اسم أم فعل أم حرف ولا تدري تأتي بالتنوين وأل مثلا العلامات فتدخلها على الكلمة فإن قبلتها علامة الاسم فهي اسم فإن لم تقبلها فأدخلها على الفعل فإن قبلت فهي فعل فإن لم تقبل نحكم بأن هذه حرف ولا يحتاج إلى أنك تجرب بعض العلامات.

والحرف ما ليست له علامة ** فقس على قولي تكن علامة." (١)

"كلام ربنا الذي هو خطاب الله كل خطاب فهو كلام من غير عكس سيأتي بيانه إذن نظر الأصولي في ذات الكلام من جهة مصدره، ونظر الفقيه في كلا الله باعتبار متعلقه ما هو متعلق كلام الله فعل المكلف الفقيه يبحث في فعل المكلف، موضوع الفقه أفعال المكلفين من حيث إثبات الأحكام الشرعية لها ينظر الفقيه في فعلك أنت هذا الفعل الذي تصنعه ما حكمه في الشرع فيثبت له حكما من الأحكام الشرعية إما التحريم إما الإيجاب إلى آخره إذن نظر الفقيه في متعلق كلام الله ولذلك بالمثال يتضح المقال ﴿((((((الصلاة لذكري ((((﴾ [طه:١٤] ﴿((((((((((((((((((((((﴾ [الأنعام: ٧٢] هذا حكم شرعي عند الأصوليين نفس القول نفس اللفظ نفس الكلام هو حكم الله ولذلك خطاب الله نفس الكلام باعتبار مصدره هذا هو الحكم الشرعي عند الأصوليين ويسمى إيجابا مدلوله ﴿((((((((((((((((((((((﴾ ما مدلوله؟

---

(١) شرح نظم الورقات، أحمد بن عمر الحازمي ١١/٢٨

تعلق هذا النص بفعل من أفعال المكلفيِن وهو فعل الصلاة قيام وركوع وسجود كون هذا النص متعلقا بفعل المكلف قالوا: دل النص على وجوب الصلاة إذن الإيجاب والوجوب متحدان في الذات، الذات واحدة ﴿((((((((((((((((((((﴾ هذا إيجاب وهذا وجوب نفس المحل لكن لما نظرنا إلى ﴿((((((((((((((((((((﴾ كونه كلام الله نسب إلى المصدر جل وعلا نقول هذا إيجاب وبالنظر أن مدلولهم متعلق بفعلك أنت نقول هذا وجوب ولذلك نقول أوجب الله الصلاة إيجابا فوجبت عليه وجوبا فهي واجبة إيجاب ووجوب وواجب نقول: أوجب إذا كتبت هذه العبارة ترتاح كثير أوجب الله الصلاة إيجابا فوجبت عليه وجوبا فهي واجبة فهي واجبة الإيجاب وصف لذات النص باعتبار مصدره والشيخ الأمين الهرري يقول: إذا أشكل عليكم بعض المسائل يقول: احفظوها هكذا ونقول: أمروها كما جاءت يعني اكتبها وأحفظها لأن بعض المسائل دقيقة ما تفهم لأول وهنة فتحتاج إلى تأمل وإلى إعادة وفي ذلك يقول: بالتجربة أو بالتجربة يقول: كلما كرر الشيء ولو لم يكن مفهوما يؤدي إلى فهمه وهذا صحيح يعني تكتب الجملة إذا ما فهمتها وتتأمل فيها مرة أو مرتين وثلاثة تجد أنها واضحة أو بينة إذن الإيجاب هذا وصف لكلام الله باعتبار مصدره أنه الله عز وجل والوجوب مدلول كلام الله ولذلك نص الإيجي وغيره أن الإيجاب والوجوب متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار، متحدان بالذات يعني الذات واحدة وهي ﴿((((((((((((((((((((﴾ [الأنعام: ٧٢] هذا وجوب وإيجاب لكن لما نسبناه إلى الله فهو إيجاب ولما نسبناه إلى كونه متعلقا بفعلك أنت جاء يبين فعلك أنت يبين الصفة هذه التي صارت حكما في الشرع هذا يسمى وجوبا، أما الواجب فهو صفة الفعل متحدان بالذات مختلفان باعتبار الواجب هذا صفة الفعل أن تعد ما تقوم وتركع وتسجد نقول فعلت واجبا لذلك نقول: الصلاة واجبة ولا نقول فعلت وجوبا أو إيجابا أليس كذلك لا تقل وفعلت وجوبا لا وجوبا ه ذا صفة للآية ﴿((((((((((((الصلاة﴾ [البقرة:٤٣] والإيجاب هذا صفة من صفات الله لأنه صفة للقرآن إليك أن تفعل أنت ما هو صفة لله عز وجل إنما تفعل الواجب لذلك يعبر عن بالواجب اسم فاعل دال على ذات متصفة بصفة وهي الإيجاب إذن أوجب الله الصلاة إيجابا فوجبت." (١)

"(من عاقد هذا أو من عابد) (من عاقد) هذا قد يكون الشيء مجهولا في نفسه يعني: لا يعرف وإنما تعريفه بمقابله هذا يرد كثيرا في المتون والشروح يعني: (من عاقد) لو وقفنا عندها قاعد ضد واقف هذا الأصل لكن لما قابله بقوله: (من عابد) إذن ضد العابد والإنسان إما أن يكون أخرويا وإما أن يكون

(١) شرح نظم الورقات، أحمد بن عمر الحازمي ١٨/٤

دنيويا فإن لم يكن عابدا فهو قاعد عن العبادة فإذن يكون مشتغلا بالمعاملة إذن الصحة والفساد يكونان في العبادات ويكونان في المعاملات لذلك نقول: هذا بيع صحيح وهذا بيع فاسد هذا نكاح صحيح وهذا نكاح فاسد ونقول: هذه صلاة صحيحة وهذه صلاة فاسدة إذن قوله: (من قاعد) أي تارك للعبادة ما الذي دلنا على هذا مقابلته بقوله: (من عابد) وهذه خذها قاعدة دائمة تشكل عليك في بعض الأمور تعريفها بالسياق لذلك قال: السياق والسباق محكم ثم لما ذكر لك الحكم الشرعي تعدادا قال: (والحكم واجب) سبق أن الحكم نسبة إسناد شيء إلى شيء آخر أو إثبات أمر لأمر آخر، زيد قائم إثبات القيام لزيد أو نفيه عنه زيد ليس عالما نفي العلم عن زيد والواجب هنا ما هو؟ هل هو نسبة؟ واجب؟ صفة الفعل نقول: في حد الحكم خطاب الله المتعلق إذن الحكم متعلق، متعلق بماذا؟ تعلق بماذا؟ بفعل المكلف إذن فعل المكلف متعلق أو متعلق، متعلق به، نقول: إذا **أشكل عليك** هذه المسألة احفظ الحد وأنت تعرف الحكم خطاب الله المتعلق بكسر اللام المتعلق هو الحكم الإيجاب تعلق بماذا؟ بفعل المكلف إذن فعل المكلف متعلق به فحينئذ إذا فسر الحكم بالمتعلق به نقول هذا مجاز هذا مجاز لماذا؟ لأن الواجب متعلق به وهو فعل المكلف وهو ذات لأن الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحرم هذه المشتقات هذه مشتقات ما معنى مشتق: يعني دال على ذات وصفة، الصفة المراد بها في هذا الموضع نفسرها بالنسبة لأن الحكم واجب قال: (الحكم واجب) إذن الحكم الذي هو النسبة (واجب) أي ذات مع نسبة ذات مع نسبة والمقصود هنا في الفقيه أن يعرف ويعلم الذوات أم الأحكام؟ الأحكام أن يعرف الأحكام التي هي النسبة فحينئذ لا بد من ارتكاب مجاز إما في قوله: (والحكم) وإما في قوله: (الواجب) وأكثر الشراح على أنه في قوله: (الواجب) فنقول: هذا من باب إطلاق المتعلق مرادا به المتعلق وهذا مجاز مرسل عندهم أو نقول (والحكم واجب) ومتعلقات الحكم واجب فحينئذ طابق المسند والخبر في كونه ذاتا وذات أو نقول: (والحكم واجب) المراد به الإيجاب من إطلاق المتعلق مرادا به المتعلق لأن تم فرقا بين الإيجاب والوجوب والواجب كما سبق بيانه مرارا الإيجاب هذا هو الحكم عند الأصوليين وهو خطاب الله الذي هو كلام الله ولذلك بعضهم عدل عن قوله: خطاب الله إلى قوله: كلام الله الذي هو القرآن كلام ربي إن تعلق بما يصح فعلا إلى آخره إذن عدل عن قوله خطاب الله قوله: كلام الله، كلام الله الذي هو الحكم هذا عند من؟ عند الأصوليين لأن نظرهم إلى الخطاب إلى كلام الله باعتبار مصدره باعتبار نسبته إلى الله: ﴿))))))))))))))﴾ [لقمان:١٧].." (١)

---

(١) شرح نظم الورقات، أحمد بن عمر الحازمي ٤/٨

"الذي لم يرد به المدح والذم. فيقدم ولا إشكال فيه، هذا كما ذكرنا في التواتر والآحاد، وفي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله: أحدهما أقوى من الآخر لكن الأصل إعمال الطرفين .. إعمال الدليلين، إذا لم يحصل إمكان الجمع بينهما إلا بأن يقال: هذا قول وهو أقوى وهذا فعل وهو أضعف، فيقدم القول على الفعل. لا إشكال فيه ولا ننازع، ولا يجعل هذا التقديم تأصيلا للمسألة بأن الفعل ضعيف فلا يعتبر في الأحكام الشرعية. هذا تأصيل فاسد.

هنا قال: ﴿الثالث أنه للعموم، إلا إن عارضه عام آخر لا يقصد به المدح أو الذم، فيترجح الذي لم يسق لذلك عليه﴾ وهذا لا خلاف فيه بين الأصوليين.

﴿نحو قوله تعالى: ((وأن تجمعوا بين الأختين)) مع قوله تعالى: ((أو ما ملكت أيمانكم))﴾.

((وأن تجمعوا بين الأختين)) هذه جاءت في النساء ((حرمت عليكم أمهاتكم)) [النساء:٢٣] جاءت في بيان الأحكام الشرعية، و ((أو ما ملكت أيمانكم)) هذه جاءت في أول "المؤمنون" وفي غيرها .. جاءت في سياق الامتنان.

يعني: لم تجرد لبيان الأحكام الشرعية بخلاف قوله: ((وأن تجمعوا بين الأختين)).

((وأن تجمعوا بين الأختين)) حرم سواء بين الأحرار أو الإماء، ((وأن تجمعوا بين الأختين)) يعني: حرم عليكم الجمع بين الأختين، والأختين هذا عام يشمل الحرتين .. لا يجمع بينهما، والأمتين فلا يجمع بينهما.

إذا: دلت هذه الآية على تحريم الجمع بين الأختين الأمتين.

((أو ما ملكت أيمانكم)) ما ملكت: أباح، ((ما ملكت أيمانكم)) وقد تملك الأيمان وهما أختان.

إذا: أحلتهما آية وحرمتهما آية.

قال: فالأولى ((وأن تجمعوا بين الأختين)) سيقت لبيان الحكم.

ومن المرجحات -قد يأتينا إن شاء الله-: أن ما سيق في مقام بيان الأحكام مقدم على ما سيق في غير مقام بيان الأحكام، هذه قاعدة.

يعني: ما جاء النص في مكانه -في محله- عند الحديث على بيان الأحكام هذا مقدم، وأما ما جاء عرضا ولم يقصد به بيان الحكم الشرعي وإنما أراد به الامتنان، والامتنان دائما إنما يكون في تكثير ما امتن به الله عز وجل على العباد، فلم يراعى فيه تخصيص الأحكام، لم يكن النظر الأولي هو بيان الحكم الشرعي، ولا مانع من ذلك؛ لأنه بين في مقام آخر .. حينئذ لا بد في كل آية أن يذكر الحكم.

ما دام أنه بين في مقام وعين ونص على الحكم الشرعي، فحينئذ إذا جاء مجمل أو جاء محتمل فيرد إلى ذلك الأول.

قال هنا: ﴿فالأولى﴾ وهي قوله: ((وأن تجمعوا بين الأختين)) ﴿سيقت لبيان الحكم، فقدمت على ما سياقها المنة بإباحة الوطء بملك اليمين﴾. هكذا في تشنيف المسامع.

والمصنف هنا وكذلك صاحبها .. الأصل –التحبير– يعتمد التشنيف كثيرا، فإذا **أشكل عليك** موضع هنا لعلك ترجع إلى التشنيف تجد البغية إن شاء الله تعالى.." [1]

"حبك الشيء يعمي ويصم.

وهذا المثل يروى عن أبي الدرداء. ومن حديث أبن عباس " ما ذكر الله الهوى في موضع من كتابه إلا ذمه " وقول الشعبي: إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه. وقال بعض الحكماء: إذا **أشكل عليك** أمران فلم تدر أيهما أدنى إلى الصواب والسداد فأنظر أثقلهما عليك فاتبعه ودع الذي تهوى، فانك لا تدري لعل الهوى هو الذي زينه في قلبك، وحسنه عندك.

باب التحذير من المعايب والشين في صحبة من تكره

قال أبو زيد: من أمثالهم في التحذير قولهم: اتق الصبيان لا تصبك باعقائها.

يضرب للرجل تحذره ممن تكره له مصاحبته. وأصل الأعقاء أول ما يخرج من بطن المولود حين يولد، وأحدها عقي. وقال مؤرخ: ومن أمثالهم في هذا قولهم: نزو الفرار استجهل الفرارا.

قال: وهو ولد بقر الوحش يقال له: فرير وفرار، مثل: طويل وطوال، فإذا شب وجدل وقوي أخذ في النزوان فمتى رآه غيره نزا لنزوه. يضرب هذا لمن تتقى مصاحبته. يقول: انك إذا صحبته فعلت فعله. قال الأحمر: ومن أمثالهم في كراهة المعايب قولهم:." [2]

"فلا يرمى بي الرجوان إني ... أقل القوم من يغني مكاني

وتكتب الهدى والهوى – هوى النفس – والمدى الغابة؛ بالياء؛ لأنك تقول في تثنيته: هديان، وهويان، ومديان.

فإن **أشكل عليك** من هذا الباب حرف ولم تعرف أصله ولا تثنيته فرأيت الإمالة فيه أحسن فاكتبه بالياء،

---

(١) شرح مختصر التحرير للفتوحي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٨/٤٩

(٢) الأمثال لابن سلام أبو عبيد القاسم بن سلام ص/٢٢٤

وإن لم تحسن فيه الإمالة فاكتبه بالألف حتى تعلم.

وإذا ورد عليك حرف قد ثني بالياء وبالواو عملت على الأكثر الأعم، نحو رحى؛ لأن من العرب من يقول " رحوت الرحا " ومنهم من يقول " رحيت الرحى " وأن تكتبها بالياء كان أحب إلي؛ لأنها اللغة العالية، قال مهلهل:

كأنا غدوة وبني أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير." [(١)]

"أبو قطيفة لأنه كان كثير شعر الرأس ثائره عظيم اللحية، وكان ممن سيره ابن الزبير إلى الشام.

بكى أحد لما تحمل أهله ... فكيف بذي وجد من القوم آلف

وقال أيضا، ويقال غيره:

ألا هل أتاها والحوادث جمة ... بأن قطين الله بعدك سيرا

ولما بنى مروان داره قال له أبو هريرة: ابن شديدا، وأمل بعيدا وعش قليلا وكل خضما [١] والموعد الله.

وكان مروان إذا سمع الأذان قال مرحبا بالقائلين عدلا وبالصلاة مرحبا وأهلها، ويروي هذا عن معاوية أيضا.

وأمر مروان عبد الملك حين ولاه فلسطين بتقوى الله، وقال له: مر حاجبك أن يخبرك بمن يحضر بابك في كل يوم فتأذن أو تحجب، وآنس من يدخل عليك بالحديث يبسطوا إليك، ولا تعجل بالعقوبة إذا **أشكل عليك** أمر فإنك على العقوبة إذا أردتها أقدر منك على ارتجاعها إذا أمضيتها، ويقال إنه أوصى بهذه الوصية عبد العزيز حين ولاه مصر، والأول أثبت.

ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية أبو ليلى، علم ابن الزبير أنه لم يبق أحد يضاده فولى الضحاك بن قيس الفهري دمشق، وكان صاغيا إليه وقد كاتبه فبعث إليه بعهده وكتاب إلى من قبله يدعوهم إلى طاعته، وبعث إلى النعمان بعهده على حمص، وكان النعمان مائلا إليه، وولى ناتل بن قيس بن زيد الجذامي فلسطين وكان لناتل فيه هوى، ويقال: بل كان عنده بمكة فقال

---

[١] الخضم: الأكل، أو بأقصى الأضراس، أو ملء الفم بالمأكول، القاموس.." [(٢)]

"المدائني عن أبي هلال قال: كتب عمر إلى عدي: إذا **أشكل عليك** أمر فسل عنه الحسن بن أبي الحسن» .

---

(١) أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة الدينوري، ابن قتيبة ص/٢٥٧

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٢٥٨/٦

المدائني قال: كتب عمر إلى عماله: «إن الله يقول: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [١] أي لا تقاتل من لا يقاتلك من النساء والصبيان والرهبان.

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا أبان بن جمعة، ثنا بكر بن عبد الله قال: كتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن أم الولد إذا زنت وقد ولدت من سيدها، هل تباع؟.

قال: لا تباع وإن بغت.

حدثنا شيبان بن فروخ، ثنا حماد بن سلمة، ثنا قتادة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطاة: «إن امرأة المفقود تعتد أربع سنين» .

حدثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، أنبأنا حميد أن رجلا كاتب عبده واشترط عليه أن له سهما في ميراثه. فسأل عدي إياس بن معاوية، فقال:

السهم في كلاب العرب السدس، فكتب عدي إلى عمر بن عبد العزيز بذلك، فكتب إليه: «إن قضاء الله قبل شرطه. ليس له شيء» .

حدثنا عمر بن شبه عن عفان عن حماد بن سلمه عن حميد أن رجلا أسلم على يد عبيدة بن أبي عاصم السلمي وترك عشرين ألفا فكتب عدي إلى عمر في ذلك، فكتب: «إن عبيدة أحق بميراثه» .

---

[١] سورة البقرة- الآية: ١٩٠.." (١)

"لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بداهته تنبيك بالخبر

فأعجب بذلك، صلى الله عليه وسلم، وأثاب حسانا ودعا له.

ويروى أنه قيل لحسان بعد موت رسول الله عليه السلام «١» : ما بالك لا ترثى رسول الله عليه السلام؟

قال: لأنى أستقل كل شيء يجيئنى فيه.

وروى أبو عبيدة قال: كان ابن عباس يقول: إذا **أشكل عليكم** الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر فإنه ديوان العرب. وكان يسأل «٢» عن القرآن فينشد الشعر.

وسئل عن الزنيم، فقال: هو الدعى الملصق «٣» ، ألم تسمع إلى قول الشاعر «٤» :

زنيم تداعاه الرجال زيادة ... كما زيد فى عرض الأديم الأكارع

وسئل عن قوله عز وجل: والليل وما وسق

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ١٦٢/٨

. قال: وما جمع، ألم تسمع إلى قول الراجز:

إن لنا قلائصا حقائقا «٥» ... مستوسقات لو يجدن سائقا

وكان يفسر قوله: فإذا هم بالساهرة

. قال: بالأرض، ألم تسمع إلى قول أمية بن أبى الصلت الثقفى «٦» :

فذاك جزاء ما عملوا قديما ... وكل بعد ذلكم يدوم

وفيها لحم ساهرة وبحر ... وما فاهوا به لهم مقيم." (١)

"٣٠٩_قولهم تعست العجلة

أول من قاله فند مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص. وكان أحد المغنين المحسنين وكان يجمع الرجال والنساء، وله يقول ابن قيس الرقيات:

قل لفند يشيع الأظعانا ... طالما سر عيشنا وكفانا

وكانت عائشة أرسلته يأتيها بنار فوجد قوما يخرجون إلى مصر فخرج معهم، فأقام بها سنة ثم قدم فأخذ نارا وجاء يعدو فعثر وتبدد الجمر، فقال: تعست العجلة، وفيه يقول الشاعر:

ما رأينا لغراب مثلا ... إذ بعثناه يجي بالمشمله

غير فند أرسلوه قابسا ... فثوى حولا وسب العجله

٣١٠_قولهم العصا من العصية

أول من قال ذلك الأفعى الجرهمي. وكان من حديث ذلك: أن نزارا لما حضرته الوفاة جمع بنيه مضر وإيادا وربيعة وأنمارا فقال: يابني! هذه القبة الحمراء، وكانت من أدم، لمضر، وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة، وهذه الخادم، وكانت شمطاء لإياد، وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه. فإن **أشكل عليكم** كيف تقتسمون." (٢)

"ما إذا نزل بك أحببت له الموت.

وقال أعرابي: حسبك من فساد الدنيا أنك ترى أسنمة توضع؛ وأخفافا ترقع.

---

(١) الفاضل محمد بن يزيد المبرد ص/١٠

(٢) الفاخر المفضل بن سلمة ص/١٨٩

والخير يطلب عند غير أهله، والفقير قد حل غير محله.
وقدم أعرابي إلى السلطان فقال له: قل الحق وإلا أوجعتك ضربا! قال له: وأنت فاعمل به، فو الله ما أوعدك الله على تركه أعظم مما توعدني به.
وقيل لأعرابي: من أحق الناس بالرحمة؟ قال الكريم يسلط عليه اللئيم، والعاقل يسلط عليه الجاهل.
وقيل له: أي الداعين أحق بالإجابة؟ قال المظلوم.
وقيل له: فأي الناس أغنى عن الناس؟ قال: من أفرد الله بحاجته.
ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة غائر العينين مشرف الحاجبين ناتىء الجبهة، فقال له: يا أعرابي، أين ربك؟ قال: بالمرصاد.
الأصمعي قال: سمعت أعرابيا يقول: إذا **أشكل عليك** أمران فانظر أيهما أقرب من هواك فخالفه، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى.
قال: وسمعت أعرابيا يقول: من نتج الخير أنتج له فراخا تطير بأجنحة السرور؛ ومن غرس الشر أنبت له نباتا مرا مذاقه، وقضبانه الغيظ، وثمرته الندم.
وقال أعرابي: الهوى عاجله لذيذ، وآجله وخيم.
وقيل لأعرابي: إنك لحسن الشارة. قال: ذلك عنوان نعمة الله عندي.
قال الأصمعي: ورأيت أعرابيا أمامه شاء فقلت له: لمن هذه الشاء؟ قال: هي لله عندي.
وقيل لأعرابي: كيف أنت في دينك؟ قال: أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار.
وقال أعرابي: من كساه الحياء ثوبه خفي على الناس عيبه.
وقال: بئس الزاد التعدي على العباد.
وقال: التلطف بالحيلة أنفع من الوسيلة.
وقال: من ثقل على صديقه خف على عدوه، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون.." (١)
"ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم؛ فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك، وإياكم والفخر؛ وما فخر من خلق من تراب وإلى التراب يعود، هو اليوم حي وغدا ميت! فاعلموا وعدوا أنفسكم في الموتى، وما **أشكل عليكم** فردوا علمه إلى الله، وقدموا لأنفسكم خيرا تجدوه

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/ ٢٨

محضرا، فإنه قال عز وجل: يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا، ويحذركم الله نفسه، والله رؤف بالعباد

«١» فاتقوا الله عباد الله وراقبوه، واعتبروا بمن مضى قبلكم، واعلموا أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم، صغيرها وكبيرها، إلا ما غفر الله، إنه غفور رحيم، فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

«٢» اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، أفضل ما صليت على أحد من خلقك؛ وزكنا بالصلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه اللهم أعنا على طاعتك، وانصرنا على عدوك.

وخطب أيضا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة؛ فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته، فقال: إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين

«٣» ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، وعوضكم بالقليل الفاني الكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فثقوا بقوله، وانتصحوا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإنه خلقكم لعبادته، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون. ثم اعلموا عباد الله أنكم." (١)

"إسماعيل يعني ابن رجاء قال حدثنا معقل يعني ابن عبيد الله عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن أسماء قالت: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حدث أصحابه حديثا غليظا حتى فاضت أعين القوم ينتحبون عن فتنة الدجال، ثم قام عنهم فخرج وهم كذلك، فسكبت له وضوءا في الإناء فدخل ثم خرج فتوضأ ثم رجع إليهم وهم على تلك الحال، والوضوء يقطر منه، فاعتمد على عارضتي الباب ثم قال: مهيم، قالت أسماء: فكنت جارية ناهدا جرية على مسألته، فقلت حين لم يجيبوه: مهيم يا رسول الله، خلعت قلوبنا بالأعور الدجال وقد كان حدث القوم في حديثه عن الدجال أنه تنحاز إليه ثمار الأرض وأطعمتها فقلت له: فكيف يا رسول الله يومئذ؟ والله إني لأعجن عجيني ثم ما يأني لي حتى إني لأخشى أن يفتنني، تعني الجوع، قال: لا بأس، لا بأس، إن خرج وأنا حي فأنا حجيجه، وإن يخرج بعدي فالله خليفتي على كل مسلم.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٥٢/٤

وحدثني أن مما وصفه به أنه قال: ما أشكل عليكم فيه فإنه أسود جعد أعور مكتوب بين عينيه: كافر، يقرأه كل مسلم كاتب أو غير كاتب.

قال القاضي: وقد روي أن التبي صلى الله عليه وسلم ذكر له ما يقال إنه يتبع الدجال من الطعام والشراب ونحوهما، فقال: هو أهون على الله من ذلك.

والأخبار الواردة في أمر الدجال وظهوره ومهلكه كثيرة جدا، ونسأل الله أن يعيذنا من فتنته، ويجيرنا من ضلالته، ويعصمنا من فتنة المحيا والممات برحمته.

إنها حسناء فلا تفرك

حدثنا أحمد بن إسحاق ابن بهلول قال حدثني أبي قال حدثنا معن بن عيسى قال: سمعت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف بالكعبة فإذا أعرابي طوال على عنقه مثل المهاة البيضاء وهو يقول:

عدت لهذي جملا ذلولا ... موطأ أتبع السهولا

أعدلها بالكف أن تميلا ... أحذر أن تسقط أو تزولا

أرجو بذاك نائلا جزيلا

فقال عمر: يا عبد الله، من هذه المرأة التي قد وهبت حجك لها؟ قال: امرأتي، أما والله إنها على ذاك لحمقاء مرغمة، أكول قمامة، لا يبقى لها حامة، ولكنها حسناء فلا تفرك وأم عيال فلا تترك، فقال عمر: فشأنك إذا بها.

شروح وتعليقات

قال القاضي: قوله: مثل المهاة البيضاء يعني البقرة الوحشية، ويقال للبلورة مهاة، وكأنه قصد بهذا القول البيان عن الصفاء والحسن والضياء. ويقال ما لهذا العيش مهاه أي نور وبهجة، كما قال الشاعر:." [١]

"حتى نسي بطبيعته ما كان يزود نفسه من عالمه ذاك. أعرف حقائق الأمور بالتشابه فإن الحق واحد، ولا تستفزك الأسماء وإن اختلفت فتقول: مات غير نام. وفني غير بلي. وبطل غير ذهب. وعدم غير تحول. وفقد غير غاب. فإن السرور هو الفرح، والغم هو الهم، والمعرفة هي العلم، والقول هو الكلام، والبيان هو الإيضاح؛ لكن بدرجة ودرجة. وهيئة وهيئة، ومكان ومكان، وزمان وزمان، ومعرض ومعرض. شكول في هذا

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٥٧٦

العالم في أغشية متكافئة بين أهوال مختلفة على طرق محفوفة. **فأشكل عليك** بلدك الذي أنت منه فانتسبت في الغربة لبلد لست من أهله، وأخذت بعادة كنت غنيا عنها لو عرفت مرماك فيها، فإذا نبهت فخذ في إصلاح ما يرحك إلى مقرك حتى تستريح من هذا القلق الدائم، ومن هذا الهول القائم.

فخذ عليك بذاتك ولا تبخل بما لا بال به فيفوتك ما لا بد لك منه. اعرف تركيبك ثم اطلب به بسيطك، فإن لكل مركب بسيطا إليه ينتهي. لست طينا وإنما أنت طيني فانتف مما أنت به منقوص، وانتسب إلى ما أنت به موفور. شقاؤك في انفعالك في الأول والثاني، وإن عجزت عن ارتجاع ما فاتك فلا تعجز عن حفظ ما معك، ولا ينفعك الآن جهدك، فبذلك تتصل بالأجرام التي لا ينفعك إلا مكان وجد، فإن وجه إليك وتوجه وراءك فتوجه أمامك وتغافل عما ورائك، فإن الذي وراءك في حكم ما ليس لك، فمتى التفت إليه فاتك، ومتى رجعت إلى الآخر فبه.

الناموس الحق يعترف بأكثر مما يعرف به، وأنت مجموع معادن إن انسبكت حصلت، وإن تركت فسدت. الصورة غنية عن الانفعال، والهيولى محتاجة إلى الصورة، فانفعالها على قدر حاجتها: الصورة نوبة والهيولى بحسب العلة الأولى، معادن النفس إذا كانت خالصة ولها إليه عزوة، فهي أوثق من." [١]

"قيل للمفضل: لم لا تقول الشعر وأنت من العلماء به؟ قال: علمي به يمنعني منه.

لأبي الأسد: الطويل

وإني على عدمي لصاحب خمة ... لها مذهب بين المجرة والنسر

قال العتابي: من أعظم مكايد الشيطان ازدراؤك من علماء دهرك من عنده المخرج مما **أشكل عليك**، وتهمتك من يلزمك الاقتباس منه.

وصف أعرابي خيلا فقال: سامية العيون، لاحقة البطون، مصغية الآذان، أفتاء الأسنان، ضخام الركبات، مشرفات الحجبات، رحاب المناخر، صلاب الحوافر، وقعها تحليل، ورفعها تعليل، إن طلبت نالت، وإن طلبت فاتت.

شاعر: الطويل

كأنك لم تشهد إذا كنت غائبا ... ولم تك يوما غائبا حين تشهد

---

(١) المقابسات أبو حيان التوحيدي ص/٢٤٩

وصف أعرابي قوما فقال: كأن خدودهم ورق المصاحف، وكأن أعناقهم أباريق الفضة، وكأن حواجبهم الأهلة.." (١)

"وأنا أبو الحسين: أحمد بن محمد بن الحسين الأصبهاني بها أنا سليمان بن أحمد الطبراني ، نا علي بن عبد العزيز ، قال: قال أبو عبيد: " قال بعض الحكماء: إذا **أشكل عليك** أمران ، فلم تدر أيهما أدنى إلى الصواب والسداد ، فانظر أثقلهما عليك فاتبعه ودع الذي تهوى ، فإنك لا تدري لعل الهوى هو الذي زينه في قلبك وحسنه عندك " وقيل يأخذ بأسهل القولين ، وأيسر الأمرين ، لأن الله تعالى ، قال: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [البقرة: ١٨٥]." (٢)

"٢١١ ولما حضرت نزار الوفاة قال لإياد: هذه الجارية- لجارية له شمطاء- وما أشبهها لك. ودعا أنمار وهو في مجلس له فأعطاه بدرة وقال: هذه البدرة والمجلس لك وما أشبههما لك. ودعا ربيعة فأعطاه خباء له أسود من شعر فقال: هذا وما أشبهه لك. وأعطى مضرا قبة حمراء فقال له: هذه وما أشبهها لك. ثم قال: وإن **أشكل عليكم** شيء فاتوا الأفعى الجرهمي، وكان ملك نجران. فلما مات ركبوا رواحلهم يريدون الأفعى، فلما كانوا من نجران على يوم إذا «١» هم بأثر بعير. قال إياد: هذا أثر بعير أعور. قال أنمار: وإنه لأبتر. قال ربيعة: وإنه لأزور. قال مضر: وهو شرود لا يستقر. فلم يلبثوا أن رفع لهم راكب، فلما غشيهم قال لهم: هل رأيتم من بعير ضال؟

فوصفوه له. قال: إن هذه لصفته عينا، فأين بعيري؟ قالوا: ما رأيناه.

قال: أنتم أصحاب بعيري وما أخطأتم من نعته شيئا. فلما أناخوا بباب الأفعى واستأذنوا عليه فأذن لهم صاح الرجل بالباب فدعا به الأفعى فقال له: ما تقول؟ قال: أيها الملك ذهب هؤلاء ببعيري. فسألهم الأفعى عن شأنه فأخبروه. فقال لإياد ما يدريك أنه أعور؟ قال: قد رأيته قد لحس الكلأ من شق والشق الآخر وافر، (فعلمت أنه أعور) «٢» . وقال أنمار:

رأيته يرمي ببعره مجتمعا، ولو كان أهلب لمصع به، فعلمت أنه أبتر. وقال ربيعة: إحدى رجليه ثابتة والأخرى فاسدة، فعلمت أنه أزور. قال مضر:

رأيته يرعى الشقة من الأرض ثم يتعداها فيمر بالكلإ الفض فلا ينهش منه شيئا، فعلمت أنه شرود. فقال الأفعى: صدقتم وليسوا بأصحابك، التمس بعيرك. ثم سألهم الأفعى عن نسبهم فأعلموه فرحب بهم وحياهم،

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ١٦٢/٥

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي الخطيب البغدادي ٤٢٩/٢

ثم قصوا عليه قصة أبيهم فقال: فكيف تحتاجون إلي وأنتم على ما أرى؟ قالوا: ما أمرنا بذلك أبونا. فأمر خادم دار الضيافة «٣» أن يحسن إليهم ويكرمهم وأمر وصيفا له أن يلزمهم وينتقد كلامهم. فأتاهم القهرمان بشهد فأكلوا وقالوا:." (١)

"٣٢- إن العصا من العصية

قال أبو عبيد: هكذا قال الأصمعي، وأنا أحسبه العصية من العصا، إلا أن يراد أن الشيء الجليل يكون في بدء أمره صغيرا، كما قالوا: إن القرم من الأفيل (القرم - بفتح القاف وسكون الراء - الفحل من الإبل، والأفيل - بوزن الأمير - ابن المخاض فما دونه، وهذا مثل سيأتي) ، فيجوز حينئذ على هذا المعنى أن يقال: العصا من العصية.

قال المفضل: أول من قال ذلك الأفعى الجرهمي، وذلك أن نزارا لما حضرته الوفاة جمع بنيه مضر وإيادا وربيعة وأنمارا، فقال: يا بني، هذه القبة الحمراء - وكانت من أدم - لمضر، وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة، وهذه الخادم - وكانت شمطاء - لإياد، وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه، فإن أشكل عليكم كيف تقتسمون فائتوا الأفعى الجرهمي، ومنزله بنجران. فتشاجروا في ميراثه، فتوجهوا إلى الأفعى الجرهمي، فبيناهم في مسيرهم إليه إذ رأى مضر أثر كلأ قد رعى فقال: إن البعير الذي رعى هذا لأعور، قال ربيعة: إنه لأزور، قال إياد: إنه لأبتر (الأزور: الذي اعوج صدره أو أشرف أحد جانبي صدره على الآخر، والأبتر: المقطوع الذنب) قال أنمار: إنه لشرود، فساروا قليلا فإذا هم برجل ينشد جمله، فسألهم عن البعير، فقال مضر: أهو أعور؟ قال: نعم، -[١٦]- قال ربيعة: أهو أزور؟ قال: نعم، قال إياد: أهو أبتر؟ قال: نعم، قال أنمار: أهو شرود؟ قال: نعم، وهذه والله صفة بعيري فدلوني عليه، قالوا: والله ما رأيناه، قال: هذا والله الكذب. وتعلق بهم وقال: كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته؟ فساروا حتى قدموا نجران، فلما نزلوا نادى صاحب البعير: هؤلاء أخذوا جملي ووصفوا لي صفته ثم قالوا: لم نره، فاختصموا إلى الأفعى، وهو حكم العرب فقال الأفعى: كيف وصفتموه ولم تروه؟ قال مضر: رأيته رعى جانبا وترك جانبا فعلمت أنه أعور، وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر و الأخرى فاسدته، فعلمت أنه أزور، لأنه أفسده بشدة وطئه لازوراره، وقال إياد: عرفت أنه أبتر باجتماع بعره، ولو كان ذيالا لمصع به، وقال أنمار: عرفت أنه شرود لأنه كان يرعى في المكان الملفت نبته ثم يجوزه إلى مكان أرق منه وأخبث نبتا فعلمت أنه شرود، فقال للرجل: ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه، ثم سألهم: من أنتم؟ فأخبروه، فرحب بهم،

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١/١٥٩

ثم أخبروه بما جاء بهم، فقال: أتحتاجون إلي وأنتم كما أرى؟ ثم أنزلهم فذبح لهم شاة، وأتاهم بخمر: وجلس لهم الأفعى حيث لا يرى وهو يسمع كلامهم، فقال ربيعة: لم أر كاليوم لحما أطيب منه لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة! فقال مضر: لم أر كاليوم خمرا أطيب منه لولا أن حبلتها نبتت على قبر، فقال إياد: لم أر كاليوم رجلا أسرى منه لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له! فقال أنمار: لم أر كاليوم كلاما أنفع في حاجتنا من كلامنا، وكان كلامهم بأذنه، فقال: ما هؤلاء إلا شياطين ثم دعا ،القهرمان فقال: ما هذه الخمر؟ وما أمرها؟ قال: هي من حبلة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها، وقال للراعي: ما أمر هذه الشاة؟ قال: هي عناق أرضعتها بلبن كلبة، وذلك أن أمها كانت قد ماتت ولم يكن في الغنم شاة ولدت غيرها، ثم أتى أمه فسألها عن أبيه، فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال، وكان لا يولد له، قالت: فخفت أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك، فأمكنت من نفسي ابن عم له كان نازلا عليه، فخرج الأفعى إليهم، فقص القوم عليه قصتهم وأخبروه بما أوصى به أبوهم، فقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر، فذهب بالدنانير والإبل الحمر، فسمى "مضر الحمراء" لذلك، وقال: وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شيء أسود، فصارت لربيعة الخيل -[١٧]- الدهم، فقيل " ربيعة الفرس" وما أشبه الخادم الشمطاء فهو لإياد، فصار له الماشية البلق من الحبلق والنقد (الحبلق: غنم صغار لا تكبر، والنقد: جنس من الغنم قبيح الشكل) ، فسمى " إياد الشمطاء" وقضى لأنمار بالدراهم وبما فضل فسمى " أنمار الفضل" فصدروا من عنده على ذلك، فقال الأفعى: إن العصا من العصية، وإن خشينا من أخشن، ومساعدة الخاطل تعد من الباطل، فأرسلهن مثلا، وخشين وأخشن: جبلان أحدهما أصغر من الآخر، والخاطل: الجاهل، والخطل في الكلام: اضطرابه، والعصية: تصغير تكبير مثل " أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك" والمراد أنهم يشبهون أباهم في جودة الرأي، وقيل: إن العصا اسم فرس، والعصية اسم أمه، يراد أنه يحكي الأم في كرم العرق وشرف العتق.." [١]

"٣٢٠- إنه لهو أو الجذل.

الجذل: أصل الشجرة. يضرب هذا إذا أشكل عليك الشيء فظننت الشخص شخصين، ومثله.." [٢]

"والمجلس لأنمار. وذكر بعض العلماء ان نزار بن معد اوصى بهذه الوصية وقال: ان أشكل عليكم شيء فتحاكموا الى أفعى نجران، وقالت ربيعة: لم تكن الوصية كذلك بل انما الوصي لمضر بالحمار،

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١/١٥

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١/٦٥

ولربيعة بالفرس والبدر، ولأنمار بالخباء والخرثي، ولإياد بالنعم.

فصل في العرب التي كانت باليمن منهم ولد قحطان

أخبرنا ابو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي ببغداد انا ابو الفضل حمد بن احمد بن الحسن الأصبهاني ثنا ابو نعيم احمد بن عبد الله الحافظ ثنا ابو عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان ثنا يعقوب بن سفيان ثنا يزيد ابن خالد الرملي ثنا عيسى بن طارق البلقائى ذكره عن عيسى بن يونس انا مجالد عن الشعبي عن خفاف بن عرابة العنسي عن عثمان بن عفان رضى الله عنه [عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١]] قال: الإيمان يمان ورحى الإسلام في قحطان والقسوة والجفاء فيما ولد عدنان، حمير رأس العرب ونابها، ومذحج ہامتها وغلصمتها، والأزد كاهلها وجمجمتها، وهمدان غاربها وذروتها، اللهم أعز الأنصار الذين اقام الله بهم الدين والإيمان- أو قال الإسلام- هم الذين آوونى ونصروني وآزرونى وحموني هم أصحابي في الدنيا وشيعتي في الآخرة وأول من يدخل بحبوحة الجنة من أمتي.

فصل في نسب كهلان وسبإ

أخبرنا ابو حفص عمر بن عثمان بن شعيب الجنزى وأبو طاهر محمد

---

[١] ما بين الحاجزين ليس في ك.." (١)

"وبين مصروف بالروية، وبين مدبر باللسان، وعناية النفس السائسة قد دبرت هذه الأشياء كلها، فما ينساق منها بقوتها على المراد والايثار أكثر مما ينساق منها بالاجتهاد والإجبار، وإني لأهم بالشيء فأكون كأني قد باشرته، وأومىء إليه فأكون كأني قد تقدمت فيه، وآمر به فكأني قد كفيته، وألبسه فأكون كأني قد فرغت منه، وربما وجدت في أموري ما يسبق أمنيتي ويزيد على اقتراحي، ولقد بلغت ما ترون فما أعيتني إيالة ولا أعوزتني آلة، وما نفعني كلام ككلام كتبه إلي أرسطو معلمي، فإنه قال في رسالة: أيها الملك لا تنخدع للهوى وإن خيل إليك أن في انخداعك له خداعه، فقد يسترسل الانسان في بعض الأشياء، وهو يظن أنه متحفظ ليظفر بمطلوبه، فيعود إليه ذلك الاسترسال بأعظم الوبال، ويضمحل ذلك التحفظ كأنه لم يخطر ببال. واجمع في سياستك بين بدار لا حدة فيه وريث لا غفلة معه، وامزج كل شيء بشكله حتى تزداد قوة وعزة مہن ضده حتى تتميز لك صورته، وصن وعدك من الخلف فإنه شين، وشب وعيدك بالعفو فإنه زين، وكن عبدا للحق فعبد الحق حر، وليكن وكدك الاحسان إلى جميع الخلق، ومن الاحسان وضع

---

(١) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٢٣/١

الإساءة في موضعها، فإن للاحسان أهلا وإن لضده أهلا، وكن نصيح نفسك فليس لك أرأف بك منك، وإذا أشكل عليك أمر، واعتاص على حولك وجه، فاضرع إلى الله الذي قادك إلى هذه الغاية، فإنه يفتح عليك المرتج، ويتم لك المخدج، ويجعل لك في كل أمر أسهل المدخل والمخرج. وإذا أفاتك الله شيئا فاستيقن أن ذلك لسهو عرض لك في الشكر على ما أفادك، والشكر على النعمة هو أن تعترف بالنعم لله أولا، ثم تشرك عباده فيها ثانيا، ومهما أخطأك شيء فلا يخطئنك الفكر في الرحيل عن هذا الحرى «١» ، فإنك إذا فكرت فيه سلوت عن الفائت، وقل اعتدادك بالحاصل، وكما يعجبك من غيرك أن يصدقك فليعجبك أن تصدق نفسك حتى يقبل منها صدقها لك. وإذا تظاهر." (١)

"﴿ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ ١.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته عليك، وقد وقفك على سواء السبيل، وأرشدك إلى واضح الدليل، وأوسعك تعليما وتفهيما، ولم يألك جهدا فيما عصمك وعصم على يدك، ولم يدخرك ممكنا فيما أصلح بك وأصلحك، ولا ترك لك عذرا في غلط تغلطه، ولا طريقا إلى تورط تتورطه، بإلقائك في الأوامر والزواجر إلى حيث يلزم الأئمة أن يندبوا الناس إليه، ويحثوهم عليه، مقيما لك على منجيات المسالك، صارفا لك عن مرديات المهالك، مريدا فيك ما يسلمك في دينك ودنياك، يعود بالحظ عليك في آخرتك وأولاك، فإن اعتدلت وعدلت فقد فزت وغنمت، وإن تحانفت واعوججت فقد فسدت وندمت، والأولى بك عند أمير المؤمنين مع مغرسك الزاكي، ومنبتك النامي، وعودك الأنجب، وعنصرك الأطيب، أن تكون لظنه محققا، ولمخيلته فيك مصدقا، وأن تستزيده بالأثر الجميل قربا وثوابا يوم الدين، وزلفى عند أمير المؤمنين، وثناء حسنا من المسلمين.

فخذ ما نبذ إليك أمير المؤمنين من معاذيره، وأمسك بيدك على ما أعطى من مواثيقه، واجعل عهده مثالا تحتذيه، وإماما تقتفيه، واستعن بالله يعنك، واستهده يهدك، وأخلص إليه في طاعته يخلص لك الحظ في معونتك، ومهما أشكل عليك من الخطب، أو أعضل عليك من صعب، أو بهرك من باهر، أو بهظك من باهظ، فاكتب إلى أمير المؤمنين [به] منهيا، وكن إلى ما يرد عليك من جوابه متطلعا إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

التقليد بأسلوب ابن الأثير:

وأما التقليد الذي أنشأته أنا فهو هذا:

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٠٧/١

"أما بعد، فإن أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذي يكون لكل خطبة قيادا، ولكل أمر مهادا، ويستزيده من نعمه التي جعلت التقوى له زادا، وحملته عبء الخلافة

---

١ سورة المطففين: الآيات ١-٣.." (١)

"هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته عليك، وقد وقفك على سواء السبيل، وأرشدك إلى واضح الدليل، وأوسعك تعليما وتحكيما، وأقنعك تعريفا وتفهيما «١» ، ولم يألك جهدا فيما عصمك وعصم على يدك، ولم يدخرك ممكنا فيما أصلح بك وأصلحك، ولا ترك لك عذرا في غلط تغلطه، ولا طريقا إلى تورط تتورطه، بالغا بك في الأوامر والزواجر إلى حيث يلزم الأئمة أن يندبوا الناس إليه، ويحثوهم عليه، مقيما لك على منجيات المسالك، صارفا لك عن مرديات المهالك، مريدا فيك ما يسلمك في دينك ودنياك، يعود بالحظ عليك في آخرتك وأولاك، فإن اعتدلت وعدلت فقد فزت وغنمت، وإن تجانفت واعوججت فقد فسدت وندمت، والأولى بك عند أمير المؤمنين مع مغرسك الزاكي، ومنبتك النامي وعودك الأنجب، وعنصرك الأطيب، أن تكون لظنه محققا، ولمخيلته فيك مصدقا، وأن تستزيده بالأثر الجميل قربا [من رب العالمين] وثوابا يوم الدين، وزلفى عند أمير المؤمنيِن، وثناء حسنا من المسلمين، فخذ ما نبذ إليك أمير المؤمنين من معاذيره، وأمسك بيدك على ما أعطى من مواثيقه، واجعل عهده مثالا تحتذيه، وإماما تقتفيه، واستعن بالله يعنك، واستهده يهدك، وأخلص إليه في طاعته يخلص لك الحظ في معونتك، ومهما **أشكل عليك** من خطب، أو أعضل عليك من صعب، أو بهرك من باهر، أو بهظك من باهظ، فاكتب إلى أمير المؤمنين منهيا، وكن إلى ما يرد عليك [من جوابه متطلعا] إن شاء الله تعالى؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأما التقليد الذي أنشأته أنا فهو هذا: أما بعد، فإن أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذي يكون لكل خطبة قيادا، ولكل أمر مهادا، ويستزيده من نعمه التي جعلت التقوى له زادا، وحملته عبء الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه اجتهادا، وصغرت لديه أمر الدنيا فما تسورت له محرابا ولا عرضت عليه جيادا، وحققت فيه قول الله تعالى: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يِريدون علوا في الأرض ولا فسادا

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١/٢٤٥

، ثم يصلي على من أنزلت الملائكة لنصره أمدادا، وأسري به إلى السماء حتى ارتقى سبعا شدادا، وتجلى له ربه فلم يزغ منه بصرا ولا أكذب منه." [١]

"الشاعر

الرفق يمن والأناة سعادة ... ليس النجاح لمن يطيش ويخرق

آخر

وفي الأناة إذا ما جد صاحبها ... حزم ويعقبها التفريط والخرق

وفي التورية الرفق رأس الحكمة وقالوا فعل اللبيب ثمرته السلامة وجد على سيف مكتوب التأني فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة إلى إدراك الأمل وقال بعض الحكماء تأن تحزم وإذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجني ثمر السلامة ويد العجله تغرس شجر الندامة أبو الفتح البستي

تأن في الشيء إذا رمته ... لتعرف الرشد من الغي

لا تتبعن كل دخان ترى ... فالنار قد توقد للكي

وقس على الشيء بأشكاله ... يدلك الشيء على الشي

وقال بشر بن مروان لأهله إذا التبست عليك الخطوب وغاب عنك المورود **وأشكل عليك** المصدر فيه فالأناة الأناة وليكن أمرك حزما وإذا استبان لك فعزما وقال محمد بن هانئ الأندلسي

وكل أناة في المواطن سودد ... ولا كأناة من قدير محكم

وما الرأي إلا بعد طول تثبت ... ولا الحزم إلا بعد طول تلوم

القطامي

قد يدرك المتأني نجح حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل." [٢]

"ومن ذلك ما قلنا في قصر الصلاة بالسفر أنه رخص إسقاطا حتى لا يصح أداؤه من المسافر، وإنما جعلناها إسقاطا استدلالا بدليل الرخصة ومعناها أما الدليل فما روي «أن عمر - رضي الله عنه - قال \انقصر ونحن آمنون فقال النبي - عليه السلام - إن هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» سماه صدقة والتصدق بما لا يحتمل التمليك إسقاط محض لا يحتمل الرد، وإن كان المتصدق من لا يلزم طاعته كولي القصاص إذا عفا فمن تلزم طاعته أولى، وأما المعنى فوجهان أحدهما أن الرخصة لليسر

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ١/٢٢٥

(٢) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٤٤١

ـــــــــه ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ [المائدة: ٣] أي غفور لمن تاب من تحريم ما أحل الله واستحلال ما حرم الله. رحيم بشرع التوبة. وقيل غفور للذنوب الكبار فكيف يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار. رحيم بعباده فيما يتعبدهم به.

وقيل غفور بالعفو عمن أكل من غير ضرورة. رحيم برفع الإثم عند الضرورة، وفي عين المعاني فإن الله غفور بإزاحة المغفرة عند المضرة رحيم بإباحة المحظور للمعذور قوله (ومن ذلك) أي، ومن وقت القسم الرابع ما قلنا في قصر الصلاة بالسفر. وقال الشافعي – رحمه الله – القصر رخصة حقيقة والعزيمة هي الأربع حتى لو فات الوقت يقضي أربعا سواء قضاها في السفر أو في الحضر في قول، وفي قول له أن يقضي ركعتين في السفر دون الحضر. واحتج بقوله تعالى ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾ [النساء: ١٠١] . شرع بلفظ لا جناح، وأنه للإباحة دون الإيجاب.

وبأن الوقت سبب الأربع والسفر سبب للقصر لا على رفع الأول وتغييره فإنه لو اقتدى بمقيم صح ويلزمه الأربع، ولو ارتفع لما لزمه كمصلي الفجر إذا اقتدى بمن يصلي الظهر فيعمل بأيهما شاء إلا أن القصر سبب عارض فما لم يعمل به لا يرتفع حكم الأصل، وهذا كالعبد إذا أذن له مولاه بالجمعة يتخير بين أن يؤدي الجمعة ركعتين وبين أن يؤدي الظهر أربعا فكذا المسافر يميل إلى أيهما شاء.

وكذا المسافر في حق الصوم بالخيار إن شاء أخر، وإن شاء عجل، ولا يسقط به أصل الفرضية المتعلقة بالوقت إلا أن يترخص بالترك والتأخير. وعندنا القصر رخصة إسقاط أي القصر ليس برخصة حقيقة بل هو إسقاط للعزيمة، وهي الأربع.

حتى لا يصح أداؤه من المسافر أي أداء ما سقط عنه كما لو صلى الفجر أربعا؛ لأن السبب في حقه لم يبق موجبا إلا ركعتين فكانت الأخريان نفلا لما بينا وخلط النفل بالفرض قصدا لا يحل، وأداء النفل قبل إكمال الفرض مفسد للفرض فإذا صلى أربعا، ولم يقعد على رأس الركعتين فسدت صلاته، وإنما جعلناها أي هذه الرخصة إسقاطا للعزيمة استدلالا بدليل الرخصة أي بدليل يثبت الرخصة واستدلالا بمعنى هذه الرخصة. أما الدليل فما روي عن علي بن ربيعة الوالبي قال سألت عمر – رضي الله عنه – ما بالنا نقصر الصلاة، ولا نخاف شيئا وقد قال الله تعالى: ﴿إن خفتم﴾ [النساء: ١٠١] فقال أشكل علي ما أشكل عليك فسألت رسول الله – عليه السلام – فقال: إن هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته. وفي بعض الروايات إنها صدقة. والضمير أو اسم الإشارة راجع إلى الصلاة المقصورة أو إلى القصر، والتأنيث لتأنيث الخبر كقوله تعالى: ﴿بل هي فتنة﴾ [الزمر: ٤٩] . أو لتأويله بالرخصة أي هذه الرخصة صدقة.

فالشافعي – رحمه الله – تمسك بهذا الحديث وقال أخبر النبي – عليه السلام – أن القصر صدقة والصدقة لا تثبت، ولا تتم إلا بقبول المتصدق عليه ولهذا قال فاقبلوا فقبل القبول بقي على ما كان.
فالشيخ أدرج في تقريره رد هذا الكلام وقال سماه أي القصر صدقة والتصديق بما لا يحتمل التمليك إسقاط محض لا يحتمل الرد فلا يتوقف على قبول العبد فيكون معنى قوله فاقبلوا صدقته فاعملوا بها واعتقدوها كما يقال فلان قبل الشرائع." (١)

"وهذا عندنا من قبيل بيان المجمل؛ لأن القربى مجمل وكان الحديث بيانا له وأن المراد قربى النصرة لا قربى القرابة وإجماله أن القربى يتناول غير النسب ويتناول وجوها من النسب مختلفة والله أعلم بالصواب.
ـــــــالله فيهم ولكن نحن وبنو المطلب إليك سواء في النسب فما بالك أعطيتهم وحرمتنا؟ فقال إنهم لم يزالوا معي هكذا وشبك بين أصابعه» وفي رواية «إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام» فبين أن المراد من ذوي القربى بنو هاشم وبنو المطلب ببيان متأخر فقال الشيخ – رحمه الله – هذا عندنا من قبيل بيان المجمل لا من قبيل تخصيص العام، وذلك لأن القربى لا يحتمل قربى القرابة وقربى النصرة أي نصرة الشعب والوادي على ما يعرف في موضعه إن شاء الله عز وجل فبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد السؤال أن المراد قربى النصرة لا قربى القرابة وتأخير بيان المجمل جائز.
وقوله عند إشارة إلى أن الإجمال إنما يتحقق على مذهبنا لما حملنا لفظ القربى على قربى النصرة وهو يحتمل قربى النسب أيضا كان محتملا للمعنيين فأما عندهم فلا إجمال فيه؛ لأن المراد منه عندهم قربى النسب الذي هي موضوعة لا غير.
ثم أشار في آخر كلامه إلى أنه يمكن إثبات الإجمال على المذهبين بقوله ويتناول وجوها من النسب مختلفة يعني ولئن سلمنا أن المراد قربى النسب كان مجملا أيضا؛ لأن القربى يتناول وجوها مختلفة من النسب لا يمكن العمل بجميعها فإنا علمنا أن المراد ليس من يناسبه إلى أقصى أب فإن ذلك يوجب دخول جميع بني آدم فيكون البعض مرادا وهو غير معلوم إذ لا يعلم أن المراد من يناسبه بأبيه خاصة أو بجده أو بأعلى منهما فكان مجملا فبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن المراد من يناسبه إلى هاشم والمطلب فلم يكن هذا البيان من تخصيص العام في شيء بل هو بيان المراد بالعام الذي تعذر العمل بعمومه وهو في حكم المجمل فيجوز تأخيره فهذا بيان النصوص المذكورة في الكتاب وتمسكوا أيضا بقوله تعالى ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ [القيامة: ١٨] ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ [القيامة: ١٩] .

---

(١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي علاء الدين البخاري ٣٢٤/٢

أمر بالاتباع وضمن البيان متراخيا ولا يمكن حمله على ما لا يمكن العمل به من الألفاظ؛ لأنه تكليف ما ليس في الوسع فيحمل على ما يمكن العمل بظاهره وهو العام فثبت أنه يجوز بيانه متراخيا وكذلك نص المواريث عام في إيجاب الإرث للأقارب كفارا كانوا أو مسلمين.

ثم جاء التخصيص متراخيا بقوله – عليه السلام – «لا يتوارث أهل ملتين شتى» وكذلك الوصية شرعت عامة مقدمة على الميراث بقوله تعالى ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ [النساء: ١٢] ثم خص ما زاد على الثلث ببيان الرسول متراخيا وكذلك «النبي – صلى الله عليه وسلم – نهى عن المزابنة» على العموم فيما دون خمسة أوسق وفي أكثر من ذلك ثم خص ما دون خمسة أوسق ببيان متأخر وهو خبر العرايا.

والجواب عن الأول أن المراد من الأمر باتباع القرآن القراءة على ما قيل أي إذا قرأه جبرائيل عليك بأمرنا فاقرأه على قومك، ثم إن **أشكل عليك** شيء من معانيه فعلينا بيانه، وإذا كان كذلك يمكن حمله على المجمل ونحوه فحملناه عليه وتأخير بيانه جائز كما مر بيانه قال شمس الأئمة – رحمه الله – المراد من قوله ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ [القيامة: ١٩] ليس جميع ما في القرآن بالاتفاق فإن البيان من القرآن أيضا فيؤدي هذا إلى القول بأن لذلك البيان بيانا إلى." (١)

"هذه الأمة ستفترق [١] على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فرقة تنتحلنى [٢] ولا تعمل بعملى، وقد أدركتم ورأيتم [٣] ، فالزموا دينكم، واهدوا بهديى، فإنه هدى نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما **أشكل عليكم** حتى تعرضوه على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن حكما وإماما.

قال: ثم أتاه جماعة من طيىء، وهو بالربذة، فقيل له: هذه جماعة قد أتتك، منهم من يريد الخروج معك، ومنهم من يريد التسليم عليك. فقال: جزى الله كلا خيرا وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما [٤] . فلما دخلوا عليه قال لهم: ما شهدتمونا قال به؟ قالوا: شهدناك بكل ما تحب. فقال: «جزاكم الله خيرا! قد أسلمتم طائعين، وقاتلتم المرتدين، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين» . فنهض سعيد بن عبيد الطائى فقال: «يا أمير المؤمنين، إن من الناس من يعبر لسانه عن قلبه، وإنى- والله– ما كل [٥] ما أجد فى قلبى يعبر عنه لسانى، وسأجهد وبالله التوفيق، أما أنا فسأنصح

---

[١] هذا مأخوذ من حديث النبى صلى الله عليه وسلم،

---

(١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي علاء الدين البخاري ١١٦/٣

فقد روى أحمد بن حنبل وأبو داود عن معاوية بن أبى سفيان أنه قام فقال: ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال: «ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنة، وهى الجماعة»

. انظر معالم السنن ج ٤ ص ٢٩٥.

[٢] تنتحلنى: تنتسب إلى.

[٣] كذا جاء فى المخطوطة مثل الذى رواه ابن جرير. وجاء فى الكامل لابن الأثير:

«وقد أدركتهم ورأيتهم» .

[٤] من الآية ٩٥ من سورة النساء.

[٥] كذا جاء عند الطبرى. وفى المخطوطة هذه العبارة: «وإنى والله ما أجد لسانى يعبر عما فى قلبى» .." (١)

"العدو القريب الدار، واقتل من شككت فيه، وإن استطعت ألا تدع بخراسان من يتكلم العربية [فافعل «١»] ، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ يعنى سليمان بن كثير ولا تعصه، وإذا **أشكل عليك** أمر فاكتف به منى.

وفى سنة تسع وعشرين ومائة:

ذكر إظهار الدعوة بخراسان

كتب إبراهيم الإمام إلى أبى مسلم يستدعيه، فسار فى النصف من جمادى الآخرة مع سبعين من النقباء، فلما وصل إلى قومس أتاه كتاب إبراهيم، يقول: إنى قد بعثت إليك براية النصر «٢» ، فارجع من حيث لقيك كتابى، ووجه إلى قحطبة بما معك يوافينى به فى الموسم، وكتابا إلى سليمان بن كثير، فانصرف أبو مسلم إلى خراسان، ووجه قحطبة إلى إبراهيم بما معه من الأموال والعروض، وقدم أبو مسلم إلى مرو ودفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير، يأمره بإظهار الدعوة، فنصبوا «٣» أبا مسلم وقالوا رجل من أهل البيت، ودعوا إلى طاعة بنى العب ا س، وأرسلوا إلى من قرب منهم وبعد ممن أجابهم بإظهار الدعوة، ونزل أبو مسلم قرية من قرى مرو يقال لها فنين، على أبى الحكم عيسى بن أعين النقيب، ووجه منها أبا داود النقيب ومعه عمرو بن أعين إلى طخار ستان فما دون بلخ، وأمرهما بإظهار الدعوة فى شهر رمضان، وكان نزوله القرية فى شعبان، وبث الدعاة إلى مرو الروذ والطالقان وخوارزم، وأمرهم بإظهار الدعوة فى شهر رمضان لخمس

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠/٤٤

بقين منه، وقال لهم فإن أعجلكم عدوكم دون الوقت بالأذى والمكروه فقد حل لكم أن تدفعوا عن أنفسكم،." (١)

"حرف الهمزة

تقول العرب: «إن الموصين بنو سهوان» قال الميداني: يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به، وبنو سهوان: بنو آدم عليه السلام حين عهد اليه فسها ونسي.

وقولهم: «إن الرثيئة تفثأ الغضب» قال: الرثيئة: اللبن الحامض يخلط بالحلو؛ والفثء: التسكين؛ وزعموا أن رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم، وكان جائعا فسقوه الرثيئة فسكن غضبه، فقال هذا المثل: يضرب في الهدية تورث الوفاق.

وقولهم: «إن الحديد بالحديد يفلح» أى يستعان في الأمر الشديد بما يشاكله ويقاويه.

وقولهم: «إن السلامة منها ترك ما فيها» فى اللقطة وذم الدنيا «١» .

والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت ... أن السلامة منها ترك ما فيها

وقولهم: «إن العصا من العصية» يقال: إن أول من قال ذلك الأفعى الجرهمى، ذلك أن نزارا لما حضرته الوفاة جمع بنيه: مضر، وإيادا، وربيعة، وأنمارا، فقال: يا بنى! هذه القبة الحمراء- وكانت من أدم- لمضر؛ وهذه الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة؛ وهذه الخادم- وكانت شمطاء- لإياد؛ وهذه البدرة والمجلس لأنمار، فإن أشكل عليكم كيف تقسمون، فأتوا الأفعى الجرهمى ومنزله بنجران؛ فتشاجروا." (٢)

"[الشمطاء] «١» وما أشبهها «٢» لك.

[ودعا أنمارا، وهو في مجلس له، وقال: هذه البدرة «٣» والمجلس وما أشبهها «٢» لك] «١» .

ودعا ربيعة فأعطاه حبالا سودا من شعر، وقال: هذا وما أشبهه «٢» لك. «٤»

وأعطى مضر قبة حمراء، وقال: هذه وما أشبهها «٢» لك، ثم قال: وإن أشكل عليكم شيء فأتوا الأفعى بن (١٢) الأفعى الجرهمي «٥» ، وكان ملك نجران.

فلما مات نزار ركبوا رواحلهم آمين الأفعى، فلما كانوا من نجران على يوم إذا هم بأثر بعير، فقال إياد: بعير أعور، فقال أنمار: وإنه لأبتر، فقال ربيعة: وإنه لأزور، وقال مضر:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٩/٢٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٧/٣

وشارد لا يستقر، فلم ينشبوا أن وقع لهم راكب، فلما غشيهم قال: هل رأيتم من بعير ضال؟ فوصفوه له، فقال: إن هذه لصفته عينا فأين بعيري؟ قالوا: ما رأيناه، قال: أنتم." [1]

"**أشكل عليك** فهمه فأوله ما أمكنك التأويل، إن كنت من أهل العلم والفهم والتأويل، وإلا فرده إلى الله ورسوله وإلى أولي العلم من المخلصين والعلماء العاملين، الذين تربوا في مدارس الصالحين، وعاشوا في كنف الأولياء العارفين.

وتمثل قول الشاعر في ذلك؛ حيث قال:

فسلم لأهل الله في كل مشكل ... لديك، لديهم واضح بالأدلة

نفعنا الله ببركاتهم، وحشرنا معهم وفي زمرتهم مع سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه، ونستغفرك مما لا نعلمه، وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، إلى يوم الدين، آمين.

وكتبه/ بسام محمد بارود عفا عنه الكريم المنان الودود

أبو ظبي: ٥/شعبان/ ١٤٢١ هجرية

الموافق ل ١/١١/٢٠٠٠ م." [2]

"نسلك مسلكهم) أي: في الاجتهاد (ونجتهد كما اجتهدوا) ، وهذا اقتداء أيضا، وهو جواب عن قوله: - عليه السلام - «أصحابي كالنجوم» .

(وأيضا كل ما ثبت فيه اتفاق الشيخين يجب الاقتداء به، وأما التابعي فإن ظهر فتواه في زمن الصحابة فهو كالصحابي عند البعض؛ لأنهم بتسليمهم إياه دخل في جملتهم كشريح خالف عليا - رضي الله عنه - ورد شهادة الحسن له) وكان مذهب علي قبول شهادة الولد لوالده.

(وابن عباس رجع إلى فتوى مسروق في النذر بذبح الولد) وكان مذهبه أن يجب عليه مائة من الإبل إذ هي الدية فرجع إلى فتوى مسروق، وهي أن يجب ذبح شاة والله أعلم.

(باب البيان، ويلحق بالكتاب والسنة البيان، وهو إظهار المراد، وهو إما بالمنطوق أو غيره الثاني بيان ضرورة

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٧٣/٤

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٢/٨

والأول إما أن يكون بيانا لمعنى الكلام أو اللازم له كالمدة. الثاني بيان تبديل. والأول إما أن يكون بلا تغيير أو معه. الثاني بيان تغيير كالاستثناء والشرط والصفة والغاية. والأول إما أن يكون معنى الكلام معلوما ــــــــOالخطاب.

فإن قلت فما فائدة الخطاب على تقدير تأخير البيان؟ قلت فائدته العزم على الفعل، والتهيؤ له عند ورود البيان فإنه يعلم منه أحد المدلولات بخلاف الخطاب بالمهمل فإنه لا يفهم منه شيء ما أصلا واستدل على جواز تراخي بيان التفسير عن وقت الخطاب بقوله تعالى ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ [القيامة: ١٩] أي: فإذا قرأناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرآنه فتكرر فيه حتى يترسخ في ذهنك ثم إن علينا بيان ما **أشكل عليك** من معانيه، وإنما حمل على بيان التفسير؛ لأن معناه اللغوي هو الإيضاح ورفع الاشتباه، وأما تسمية التغيير بيانا فاصطلاحا ولو سلم فبيان التفسير مراد إجماعا، فلا يراد غيره دفعا لعموم المشترك، ولو سلم أن اللفظ عام، وليس بمشترك فبيان التغيير، وقد خص منه بالإجماع.

(قوله: وبيان التغيير) إن كان بمستقل فسيأتي حكمه، وإن كان بغيره كالاستثناء ونحوه، فلا يصح إلا موصولا بحيث لا يعد في العرف منفصلا حتى لا يضر قطعه بتنفس أو سعال أو نحوهما، وعند ابن عباس يجوز متراخيا تمسك الجمهور بقوله: – عليه السلام – «من حلف على يمين» الحديث وجه التمسك أنه لو صح الانفصال لما أوجب النبي – عليه السلام – التكفير معينا بل قال فليستثن أو يكفر فأوجب أحدهما لا بعينه إذ لا حنث مع الاستثناء، فلا كفارة على التعيين بل الواجب أحد الأمرين.

وعلى هذا ينبغي أن يحمل كلام المصنف – رحمه الله تعالى – لا على أنه لو جاز التراخي لما وجبت الكفارة أصلا لا معينا، ولا مخبرا فإن قيل قد روي أن النبي – عليه الصلاة والسلام – قال «لأغزون قريشا وسكت ثم قال إن شاء الله تعالى» ، وأيضا «سأله اليهود عن مدة لبث أصحاب الكهف في كهفهم فقال أجيبكم غدا فتأخر الوحي بضعة عشر يوما ثم نزل ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا﴾ [الكهف: ٢٣] ﴿إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف: ٢٤]." (١)

"هذا وبين الثاني أن المحرم قائم وفي الثاني، وأما هاهنا فالمحرم غير قائم حال الضرر لقوله تعالى: ﴿وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم﴾ [الأنعام: ١١٩] فالنص ليس بمحرم في حال الضرورة (ولأن الحرمة لصيانة عقل، ولا صيانة عند فوت النفس، وكذا صلاة المسافر رخصة إسقاط لقوله: – عليه السلام – «إن هذه صدقة» الحديث) روي «عن عمر – رضي الله تعالى عنه – أنه قال

---

(١) شرح التلويح على التوضيح التفتازاني ٢/٣٥

ــــــــوبحكم الأصل وبمثل قوله تعالى: ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ [البقرة: ٢٩] بل عند القائلين بأن الاستثناء من الإثبات نفي يكون النص دالا على عدم حرمتها عند الاضطرار وذلك أن قوله تعالى: ﴿إلا ما اضطررتم﴾ [الأنعام: ١١٩] استثناء وإخراج عن الحكم الذي هو الحرمة؛ لأن المستثنى منه هو الضمير المستتر في حرم أي قد فصل لكم الأشياء التي حرم أكلها إلا ما اضطررتم إليه، فإنه لم يحرم. ويحتمل أن يكون مفرغا على أن " ما " في " ما اضطررتم " مصدرية وضمير إليه عائد إلى ما حرم أي فصل لكم ما حرم عليكم في جميع الأحوال إلا في حال اضطراركم إليه، ولا يجوز أن يكون المستثنى منه ما حرم ليكون الاستثناء إخراجا عن حكم التفصيل لا عن حكم التحريم؛ لأن المقصود بيان الأحكام لا الإخبار عن عدم البيان.

لا يقال: ينبغي أن يكون إجراء كلمة الكفر أيضا مباحا لقوله تعالى: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [النحل: ١٠٦] ؛ لأنا نقول هو الاستثناء من إلزام الغضب لا من التحريم فغايته أن يفيد نفي الغضب على المكره لا عدم الحرمة.

فإن قلت: ذكر المغفرة في قوله تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ [البقرة: ١٧٣] مشعر بأن الحرمة باقية، وأن المنفي هو الإثم والمؤاخذة.

قلت: يجوز أن يكون ذكر المغفرة باعتبار ما يقع من تناول القدر الزائد على ما يحصل به إبقاء المهجة إذ يعتبر على المضطر رعاية قدر الإباحة، وأما في شرب الخمر فلأن حرمتها لصيانة العقل أي القوة المميزة بين الأشياء الحسنة والقبيحة، ولا يبقى ذلك عند فوات النفس أي البنية الإنسانية لفوات القوى القائمة بها عند فواتها وانحلال تركيبها، وإن كانت النفس الناطقة التي هي الروح باقية وذكر فخر الإسلام - رحمه الله تعالى - أن حرمة الميتة لصيانة النفس عن تغذي خبث الميتة لقوله تعالى: ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ [الأعراف: ١٥٧] ، فإذا خاف بالامتناع فوات النفس لم يستقم صيانة البعض بفوات الكل إذ في فوات الكل فوات البعض وكأنه أراد بالنفس أولا البدن وثانيا المجموع المركب من البدن والروح وبفواتها مفارقة الروح وانحلال تركيب البدن.

(قوله: روي عن عمر - رضي الله تعالى عنه -) الراوي هو علي بن ربيعة الوالبي قال سألت عمر - رضي الله تعالى عنه - ما بالنا نقصر الصلاة، ولا نخاف شيئا، وقد قال الله تعالى: ﴿إن خفتم﴾ [النساء:

١٠١] فقال أشكل علي ما **أشكل عليك** فسألت رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – فقال «إن هذه صدقة تصدق." (١)

"واحدا، والمتعلقات متعددة على نحو تعلق الشمس بما قابلها، واستضاءتها من زجاجات مختلفة، فإنه وإن تعددت الألوان من أسود وأبيض وأخضر، لا يوجب وقوع التعدد في الشمس نفسها، وهو نحو قول الفيلسوف في المبدأ الأول حيث قضي بوحدته، وأن تكرر أسمائه بسبب سلوب وإضافات لا توجب صفات زائدة على الذات، قال الآمدي في (غاية المرام): ومن فهم هذا التحقيق اندفع عنه الإشكال وزال الخيال فإنه غير بعيد أن يقوم بذات الله تعالى خبر عن إرسال نوح مثلا، ويكون التعبير عنه قبل إرساله، بأنا نرسله، وبعد الإرسال ﴿إنا أرسلنا نوحا﴾ فالمعبر عنه يكون واحدا في نفسه على ممر الدهور، وإن اختلف المعبر به، قال: وهذا جلي لكل منصف، وقد أورد على هذا الطريق أنكم إذا جعلتم التنوع باختلاف المتعلقات **أشكل عليكم** بالإرادة والعلم والقدرة وغيرها من الصفات، فهلا قلتم: إنها ترجع لمعنى واحد، ويكون التعبير عنه بسبب المتعلقات لا بسبب اختلافه في ذاته فسمي إرادة عند تعلقه بالمخصص، وقدرة عند تعلقه بالإيجاد، وكذا سائر الصفات، وأجاب المحققون بأنا لو قلنا برجوع العلم أو القدرة لأدى إلى عدم الفرق بين المعلومات والمقدورات، وهو ممتنع، فكذلك وجب اختلاف ما تضاف إليه المعلومات والمقدورات، ولم يجب في الكلام، وحكى الآمدي في (الأبكار) عن الأصحاب أنهم أجابوا بأن القدرة والإرادة تختلف معها التأثرات، فلا بد من الاختلاف في نفس المؤثر بخلاف الكلام، فإن تعلقه بمتعلقاته لا يوجب أثرا، فضلا عن كونه مختلفا، ثم استشكل الهذلي هذا الجواب، وقال: عسى أن يكون عند غيري كله، ولعسر جوابه ذهب بعض أصحابنا إلى تعدده، ومنها أن الدليل قد دل." (٢)

"معد «١» الوفاة، قسم ماله بين بنيه، وهم أربعة: مضر وربيعة وأياد وأنمار، وقال يا بني هذه القبة وهي من أدم حمراء وما أشبهها من المال المضر، وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من المال لربيعة، وهذه الخادم وما أشبهها من المال لإياد، وهذه البدرة «٢» والمجلس لأنمار يجلس فيه. ثم قال لهم:

إن **أشكل عليكم** الأمر في ذلك واختلفتم في القسمة، فعليكم بالأفعى بن الأفعى الجرهمي. وإنه لما مات نزار توجهوا إلى الأفعى، وكان ملك نجران فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كلا قد رعي، فقال: إن البعير الذي رعى هذا أعور، فقال ربيعة: وهو أزور، وقال أياد: وهو أبتر، وقال أنمار:

---

(١) شرح التلويح على التوضيح التفتازاني ٢/٢٥٩

(٢) تشنيف المسامع بجمع الجوامع الزركشي، بدر الدين ١/٢١٨

وهو شرود فلم يسيروا إلا قليلا حتى لقيهم رجل، فسألهم عن البعير، فقال مضر: أهو أعور؟
قال: نعم، قال ربيعة: أهو أزور؟ قال نعم. قال إياد: أهو أبتر: قال: نعم. قال أنمار: أهو شرود؟ قال: نعم، هذه صفة بعيري دلوني عليه فحلفوا له أنهم ما رأوه، فلزمهم وقال: كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته؟! ثم سار معهم، حتى قدموا نجران ونزلوا بالأفعى الجرهمي. فنادى الشيخ صاحب البعير: هؤلاء أصابوا بعيري فإنهم وصفوا لي صفته، ثم قالوا: لم نره أيها الملك، فقال الأفعى: كيف وصفتموه ولم تروه؟ فقال مضر: رأيته رعى جانبا وترك جانبا، فعلمت أنه أعور. وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر، فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره. وقال إياد: رأيت بعره مجتمعا، فعلمت أنه أبتر، ولو كان ذيالا لمصع به. وقال أنمار:
رأيته رعى الملتف نبته، ثم جاوزه إلى مكان آخر أرق منه، فعلمت أنه شرود. فقال الأفعى للشيخ: ليسوا بأصحاب بعيرك، فاطلبه. ثم سألهم من هم؟ فأخبروه، فرحب بهم. ثم قال أتحتاجون إلي وأنتم كما أرى؟ فدعا لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا، فقال مضر: لم أر كاليوم خمرا أجود لولا أنها على مقبرة. وقال ربيعة: لم أر كاليوم لحما أجود لولا أنه ربي بلبن كلبة! وقال إياد: لم أر كاليوم رجلا أثرى منه لولا أنه ليس بابن أبيه الذي يدعى إليه! وقال أنمار لم أر كاليوم خبزا أجود لولا أن التي عجنته حائض! وكان الأفعى قد وكل بهم من يستمع كلامهم، فأعلمه بما سمع منهم فطلب صاحب شرابه، وقال له: الخمرة التي جئت بها ما قصتها؟ قال هي من كرمة غرستها على قبر أبيك، لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها. وقال للراعي اللحم ما أمره؟ قال: من لحم شاة أرضعناها بلبن كلبة، ولم يكن في الغنم أسمن منها فدخل داره، وسأل الأمة التي عجنت العجين؟ فأخبرته أنها حائض. ثم أتى أمه وسأل منها عن أبيه؟ فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له، فكرهت أن يذهب الملك، فأمكنت رجلا نزل بهم من نفسها فوطئها، فأتت به. فعجب من أمرهم، ودس عليهم من سألهم عما قالوا؟ فقال مضر: إنما علمت أنها من كرمة غرست على قبر، لأن الخمر إذا شربت أزالت الهم، وهذه بخلاف ذلك، لأنا لما شربناها دخل علينا الغم. وقال ربيعة: إنما علمت أن اللحم لحم شاة رضعت من لبن كلبة، لأن لحم الضأن وسائر اللحوم، شحمها فوق اللحم إلا الكلاب، فإنها عكس ذلك، فرأيته موافقا له فعلمت أنه لحم شاة رضعت من كلبة." (١)

"واستهده يهدك، وأخلص إليه في طاعته، يخلص لك الحظ من معونته؛ ومهما **أشكل عليك** من خطب، أو أعضل عليك من صعب؛ أو بهرك من باهر، أو بهظك من باهظ، فاكتب إلى أمير المؤمنين به

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٥٢/١

منهيا، وكن إلى ما يرد [من جوابه] «١» عليك منتهيا؛ إن شاء الله تعالى. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

[وكتب نصير الدولة الناصح أبو طاهر يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة] «٢» .

وعلى هذا الأسلوب كتب أمين الدين أبو سعيد، العلاء بن وهب بن موصلايا «٣» عن القائم بأمر الله «٤» عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين «٥» ، بسلطنة الأندلس وبلاد المغرب، بعد العشرين والأربعمائة، فيما رأيته في ترسل ابن موصلايا المذكور.

وهذه نسخته بعد البسملة الشريفة:

هذا ما عهد عبد الله ووليه، عبد الله القائم بأمر الله أمير المؤمنين، إلى فلان حين انتهى إليه ما هو عليه من ادراع جلابيب الرشاد، في الإصدار والإيراد؛ واتباع سنن من أبدى وأعاد، فيما يجمع خير العاجلة والمعاد؛ والتخصيص من حميد الأنحاء والمذاهب، بما يستمد منه أصناف الآلاء والمواهب؛ والتحلي من." (١)

"وتحرز منهم تحرزا يؤمنك مكايدهم وحيلهم، وخدائعهم وغيلهم، وإذا نازلت حصنا من حصون الكفار، فكن على يقظة من مخاتلهم في الليل والنهار، وانصب الحرس والأرصاد، واحذر الغرة ولا تهمل الاعتداد: لتعرف أعداء الله أن طرفك ساهد، وجنانك راصد، وتفقد أمر الجيش وأزح علة من ترقبه في الأطماع والمواكدات، ومطوعته في المعاون والجرايات، ولا تغفل عنهم غفلة تضطرهم إلى الانفلال، وتدعوهم إلى الانفصال؛ وأحسن إلى من حسن في الكفاح أثره، وطاب في الإبلاء خبره، وعده عن أمير المؤمنين بالحباء الجزيل والعطاء والتنويل، فإن ذلك قادح لعزائم الأولياء، باعث لهم على التصميم في اللقاء؛ فإذا أنت- بمشيئة الله- شفيت الصدور، واحتذيت المأمور، وأعززت الدين، وذللت الملحدين، ودوخت البلاد، ونكست رؤوس أهل العناد، فانقلب بعساكر أمير المؤمنين، ومطوعة المسلمين، إلى حضرته واثقا بجميل جزائه، وجليل حبائه، وطالع في مۥردك ومصدرك؛ بما يجدده الله لك ويفتحه على يدك، واذكر ما **أشكل عليك** ليمدك أمير المؤمنين بالتبصير والتوقيف، والتعليم والتعريف، واستعن بالله فهو خير معين، وتوكل على الله فإنه نعم الوكيل.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، فاعمل به وانته إليه يسدد الله مساعيك، ويصوب مراميك، إن شاء الله

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣٠/١٠

تعالى.

قلت: وأورد في خلال ذلك من تقاليد أرباب السيوف جملة أسقط من صدرها التحميدات.

ما أورده في رسم تقليد الإمارة على قتال أهل البغي أن يقال بعد التحميد ما مثاله:

وإن الله تعالى أوجب طاعة أولي الأمر على كافة المؤمنين، وأكد فرضها على جميع المسلمين، فقال جل قائلا، يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم

«١» ، علما منه تعالى بأن الطاعة ملاك الأمر ونظامه." (١)

"واقطع بإيصال حق كل ناحية إليها من الماء منازعة الخصوم، ونبئهم أن الماء قسمة بينهم لكل منهم شرب يوم معلوم، ولا تدع [به أحدا] «١» من أهل المفاسد، ومن جرت لهم بسوابق الفتن عوائد، ومن يتعزز برب جاه، ومن لا «٢» يكون له إلى حماية اتجاه، ومن خرج بوجهه للشر مصرحا، أو لباب عقاب مستفتحا، أو وقف على درب أو قطع طريق، أو توعد أهل رفاق أو أهل فريق، أو أقدم على ضرر أحد في نفس أو مال، أو خشيت له عاقبة في بداية أو مال، أو نزل في بلد أمير ليتغطى بجناحه، أو ترامى إلى عصبة يحمل منهم حد سلاحه؛ فسل عليهم سيفك الماضي، وأحسن إلى الناس إذا خشيت أن تسيء إليهم التقاضي؛ ومن أمسكته منهم فأمض حكم الله فيهم، وأقم الحدود على متعديهم، وطهر الأرض بماء السيوف من أنجاسهم، وعلق منهم أناسا بحبل الوريد إلى مدارج أنفاسهم، واصلب منهم على الجذوع من تناوح الرياح بسعفهم، وأوثق منهم بالسلاسل والأغلال من لا تقتضي جرائمهم إيصالهم في المقابلة إلى حد تلفهم، وأكرم قدوم من يرد عليك من الكارم «٣» ، وقرر بحسن تلقيك أنك أول ما قدمناه لهم من المكارم، فهم سمار كل نادي، ورفاق كل ملاح وحادي؛ ولا بد أن يتحدث السمار، وتتداول بينهم الأسمار؛ فاجعل شكرنا دأب ألسنتهم، ومننا حلية أعناقهم، ومنحنا سببا لاستجلاب رفاقهم؛ فهم من مواد الإرفاق، وجواد ما يحمل من طرف الآفاق؛ وقد بقي من بقايا أهل العقائد الفاسدة، والمعاقد البائدة، من يتعين إقعاد قائمهم، والتيقظ لمتيقظهم والنوم عن نائمهم.

ونحن ننبهك على هذه الدقائق، ونوقفك على أطرافها ولك رأيك إذا حقت الحقائق؛ وطالع أبوابنا العالية بما **أشكل عليك**، تتنزل أنوار هدانا أقرب من رجع نفسك إليك، وأقدر حق هذه النعمة فإننا أوليناك منها ما لا يضاهى، ووليناك من بلادنا قبلة." (٢)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٢٤/١٠

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٣٠/١١

"نومة لا ينتبهون بها من كراهم، حتى يتأدب بهم كل من أغرض، ويتداوى بمداواته كل من في قلبه مرض. وما **أشكل عليك** فاسترشد فيه بمطالعة أبوابنا الشريفة: لتجد هدى واضحا، وحقا لائحا؛ والله تعالى يجعلك من الممهدين لأرضه، القائمين في أنواع الجهاد بفرضه؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه.

الجهة الثالثة (درب الحجاز الشريف)

وقد تقدم أنه كان في الزمن المتقدم يكتب عن السلطان تقليد لأمير الركب «١» في الدولة الفاطمية وما تلاها. أما الآن فقد ترك ذلك ورفض كما رفض غيره من الكتابة لأرباب السيوف بالحضرة السلطانية، ولم يبق الآن من يكتب له من ديوان الإنشاء شيء سوى قاضي الركب. وقد جرت العادة أن يكتب له توقيع في قطع العادة مفتتحا ب «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك، كتب به للشيخ «تقي الدين السبكي» «٢» رحمه الله في مبدإ أمره، وهي: رسم بالأمر الشريف- لا زال يعين على البر والتقوى، ويرتاد لوفد الله من يتمسك في نشر الأحكام الشرعية بينهم بالسبيل الأقوم والسبب الأقوى- أن يستقر فلان في كذا: لما اختص به من غزارة علومه، وإفاضة فضائله المتنوعة إلى قوته في الحق وتصميمه؛ فإن مثله من يختار لهذه الوظيفة الجارية بين وفد الله الذين هم أحق ببراءة الذمم، وأولى بمعرفة حكم الله تعالى فيما يجب على المتلبس بالإحرام والداخل إلى الحرم، وأحوج إلى الاطلاع على جزاء الصيد." (١)

"ومن تراجعه فيما **أشكل عليك** من الأمور، وتجد به في طاعتنا الشريفة نورا على نور، واتبع مراسمنا المطاعة فهي شفاء لما في الصدور؛ والوصايا كثيرة، والله تعالى يجعلك على بصيرة، ويتولاك بما فيه حسن السيرة، وصلاح السريرة؛ والاعتماد ... «١» .

وهذه نسخة مرسوم شريف بنيابة قلعة دمشق المحروسة، كتب بها لحسام الدين «لاجين الإبراهيمي» «٢» من إنشاء الشريف شهاب الدين، رحمه الله، وهي:

الحمد لله الذي صان الحصون بانتضاء الحسام، وزان الملك بارتضاء ذوي اليقظة من الأولياء والاهتمام، وأبان سبيل السعادة لمن أحسن بفروض الطاعة وأجمل القيام.

نحمده على أن جعل نعمنا لأصفيائنا وافرة الأقسام، ونشكره على أن أقبل عليهم بأوجه إقبالنا الوسام، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لعقود إخلاصها انتظام، ولسعود اختصاصها التئام، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي منحه الإجلال والإعظام، ومدحه بالإفضال والإكرام، ورجحه

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٣٥/١١

بمزايا الفضل على جميع الأنام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بدور التمام، ورضي عن أصحابه الذين لهم صدق الاعتزام، صلاة ورضوانا لهما تجديد ومزيد وتأييد ودوام، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد: فإن آلاءنا لا تزال تختار الأكفاء، وآراءنا لا تبرح تمنح ذوي." (١)

"فاحكم بينهم بما أراك الله ولا تتبع أهواءهم؛ وقد فقهك الله في دينه، وأوردك من موارد يقينه، ما جعله لك نورا، وجلاه لك سفورا، وأقامه عليك سورا، وعلمك ما لم تكن تعلم منه أمورا؛ فإن أشكل عليك أمر فرده إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع أصحابه فإن لم تجد فعندك من العلماء من تجعل الأمر بينهم شورى، ولأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاب «١» كتبه إلى بعض القضاة، فاعمل بمقتضاه، واعلم بأن الله تعالى قد ارتضاك لخلقه فاعمل على رضاه.

والأئمة العلماء هم إخوانك في الدين، وأعوانك على ردع المبتدعين، ولسانك في المحفل وجناحك إذا جلسوا ذات الشمال وذات اليمين؛ فنزلهم منازلهم التي أحلهم الله في شرفاتها، وبوأهم رفيع غرفاتها، وتألف خواطرهم فإنك تنظر إلى كثير من الأمور في صفاء مصافاتها.

ومن نسب إلى خرقة الفقر «٢» وأهل الصلاح هم أولياء الله المقربون، وأحباؤه الأقربون، فعظم حياتهم، وجانب محاباتهم، فما منهم وإن اختلفت أحوالهم إلا من هو على هدى مبين، واحرص أن تكون لهم حبا يملا «٣» قلوبهم فإن الله ينظر إلى قوم من قلوب قوم آخرين.

وانتصب للدروس التي تقدمت بها على وافد الطلبة فإن الكرم لا يمحقه الالتماس، والمصباح لا يفني مقله كثرة الاقتباس، والغمام لا ينقصه توالي المطر ولا يزيده طول الاحتباس، والبحر لا يتغير عن حاله وهو لا يخلو عن الوراد في عدد الأنفاس.." (٢)

"الأعم. وذلك نحو رحى، فإن من العرب من يقول: رحوت الرحاء، ومنهم من يقول: رحيت، قال: وكتبها بالياء أحب إلي لأنها اللغة العالية.

وكذلك الرضا، من العرب من يقول في تثنيته: رضيان، ومنهم من يقول رضوان، قال: وكتابته بالألف أحب إلي، لأن الواو فيه أكثر، وهو من الرضوان.

وكذلك الحكم في متى، لأنها لو سمي بها وثني، لقلت متيان، فيعلم أنه من ذوات الياء. وتقول في الثاني: عصوان ومنوان ورجوان، فيعلم أنه من ذوات الواو. فإذا أشكل عليك شيء فلم تعلم أهو من ذوات الواو [أو

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢٨/١٢

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٧/١٢

من ذوات الياء] «١» ؟ نحو خسا بالخاء المعجمة والسين المهملة، كتبته بالألف لأنه هو الأصل.
ومنهم من يكتب الباب كله بالألف على الأصل وهو أسهل للكتاب، وعلى تقدير كتبها بالياء، فلو كان منونا فالمختار عندهم أنها تكتب بالياء أيضا، وهو قياس المبرد، وقياس المازني أن يكتب بألف إذ هي ألف التنوين عنده في جميع الأحوال.
وقاس سيبويه»
المنصوب «٣» بالألف لأنه للتنوين فقط.
قال ابن قتيبة: وتعتبر المصادر بأن يرجع فيها إلى المؤنث، فما كان في المؤنث بالياء كتبته بالياء، نحو: العمى، والظمى، لأنك تقول: عمياء وظمياء، وما كان المؤنث فيه بالواو كتبته بالألف، نحو العشا في العين، والعثا وهو كثرة شعر الوجه، والقنا في الأنف، لأنك تقول: عشواء، وقنواء، وعثواء.
قال: وكل جمع ليس بين جمعه وبين واحده في الهجاء إلا الهاء من المقصور، نحو الحصى، والقطا، والنوى، فما كان جمعه بالواو كتبته بالألف، وما كان جمعه بالياء كتبته بالياء.." (١)

"عمرو بن سعيد على منبره واستيلائه على بيوت أمواله وسرير خلافته فإذا قصدت هذا الأمير وانتظمت في سلكه أنظر في أمره فإن رأيته قد أصر على قصده ابن
الزبير فأعلم أنه مخذول فأجنبه وإن رأيته قد رجع من حيث جاء وترك قصده الأول فأرج له النصر والسلامة. فقال عبد الملك يا شيخ وهل رجوعه إلى دمشق إلا كمسيره إلى ابن الزبير فقال الشيخ إن الذي **أشكل عليك** لواضح وها أنا أزيل عنك اللبس وهو أن عبد الملك إذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم لأن ابن الزبير لم يطعه طاعة قط ولا وثب له على ملكة فإذا قصد ابن سعيد كان في صورة مظلوم لأنه نكث بيعته وخان أمانته ووثب على دار ملك لم تكن له ولا لأبيه من قبله بل كانت لعبد الملك ولأبيه من قبله وعمرو عليها متعد، ومن الأمثال سمين الغضب مهزول وولي الغدر معزول وسأضرب لك مثلا يشفي النفس ويزيل اللبس. زعموا أن ثعلبا كان يسمى ظالما وكان له جحر يأوي إليه وكان مغتبطا به فخرج يوما يبتغي ما يأكل ثم رجل فوجد فيه حية فانتظر خروجها فلم تخرج فعلم أنها استوطنته وذلك أن الحية لا تتخذ جحرا بل إذا أعجبها جحر اغتصبته وطردت من به من الحيوان ولهذا قيل فلان أظلم من حية فهذا ظلمها ولما رأى ظالم

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٩٩/٣

أن الحية قد استوطنت جحره ولم يمكنه السكنى معها ذهب يطلب لنفسه مأوى فانتهى به السير إلى جحر حسن الظاهر." (١)

"كون أولئك الأجلة. الذين هم سادات الملة. كالحشوية الذين قال الحسن البصري لما وجد قولهم ساقطا. وكانوا يجلسون في حلقته أمامه) ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة (أي جانبها. أو الطعن في الحسن البصري الذي هو أفضل التابعين عند أهل البصرة حيث رأى سقوط قول هو عين قول السلف. ولم يرض أن يقعد قائله تجاهه مع أنه هو نفسه قائلا به. فقد صح أنه من السلف القائلين بقولهم. وقد أخرج كما قال الحافظ ابن حجر في شرح صحيح البخاري أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة من طريقه عن أمه. عن أم سلمة أنها قالت الاستواء غير مجهول. والكيف غير معقول. والإقرار به إيمان. والجحود به كفر.) وقد كنت (سألت الشيخ رحمه الله تعالى عن ذلك أثناء الدرس فقال الفرق بين مذهب السلف ومذهب الحشوية أن مذهب الحشوية ورود ما يتعذر التوصل إلى معناه مطلقا سواء كان مراد ا أو غير مراد. ومذهب السلف ورود ما يتعذر التوصل إلى معناه المراد. فالاستواء مثلا عندهم له معنى يتوصل إليه بمجرد سماعه كل من يعرف المدلولات اللغوية إلا أنه غير مراد لأنه خلاف ما يقتضيه دليل العقل والنقل. ومعنى آخر يليق به تعالى لا يعلمه إلا هو عز وجل. وقد يقال الأولى في الجواب إبقاء كلام ابن السبكي على ظاهره وعدم الالتفات إلى كلام شيخ الإسلام. وقوله) إنه لم يقل به أحد (فالمثبت لا سيما إذا كان كابن السبكي الإمام بن الإمام. مقدم على النافي ولو كان كشيخ الإسلام. فتأمل جميع ما تلوناه عليك. وهو يغنيك عن مراجعة كثير من الكتب إن أخذت العناية بيديك. وبقيت في هذا المقام أبحاث كثيرة يضيق عنها نطاق الكلام. وفي كتب الحنابلة من ذاك ما يجلو غياهب الأوهام. ويروي الغلل ويبري العلل والأسقام. فمتى **أشكل عليك** أمر. فارجع إليها ينشرح بإذن الله تعالى منك الصدر.." (٢)

"يا طالب العلم أنت لا تحتاج في بلوغك الغاية التي بلغها النابغون من قبلك إلى خلق غير خلقك، وجو غير جوك، وسماء وأرض غير سمائك وأرضك، وعقل وأداة غير عقلك وأداتك، ولكنك في حاجة إلى نفس عالية كنفوسهم، وهمة عالية كهممهم، وأمل أوسع من رقعة الأرض وأرحب من صدر الحليم، ولا يقعدن بك عن ذلك ما يهمس به حاسدوك في خلواتهم من وصفك بالوقاحة أو بالسماجة، فنعم الخلق هي إن كانت السبيل إلى بلوغ الغاية، فامض على وجهك ودعهم في غيهم يعمهون.

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ١/١٧٧

(٢) غرائب الاغتراب الألوسي، شهاب الدين ص/١٩٤

جناحان عظيمان يطير بهما المتعلم إلى سماء المجد والشرف، علو الهمة، والفهم في العلم، أما علو الهمة فقد عرفته، وأما الفهم في العلم فإليك الكلمة الآتية:

العلم علمان، علم محفوظ وعلم مفهوم، أما العلم المحفوظ فيستوي صاحبه فيه مع الكتاب المرقوم، ولا فرق بين أن تسمع من الحافظ كلمة، أو تقرأ في الكتاب صفحة، فإن **أشكل عليك** شيء مما تسمع فانظر إن نطق الكتاب بشرح مشكلاته، نطق الحافظ بتفسير كلماته.

الحافظ يحفظ ما يسمع؛ لأنه قوي الذاكرة، وقوة الذاكرة قدر مشترك بين الذكي والغبي والنابه والأبله؛ لأن الحافظة ملكة." (١)

"وإن كان تركا مجردا عن قول فإنه لا يدل إلا على كراهة الفعل إذا اعتقد القربة بهذا الفعل، كالسواك عند دخول المسجد يكره إذا كان يعتقد فضيلة السواك في هذا المكان بالذات، والله تعالى أعلى وأعلم.

القاعدة السابعة

٧- الشروط في باب المأمورات لا تسقط بالجهل والنسيان وفي التروك تسقط بهما

اعلم – رحمك الله تعالى – أن الشروط عندنا نوعان: شروط صحة، وشروط وجوب. فشروط الصحة هي التي لا يصح الفعل إلا بها كالطهارة شرط لصحة الصلاة وكذلك استقبال القبلة وستر العورة وإزالة النجاسة. وشروط الوجوب هي التي لا تعلق لها بالصحة وإنما لها تعلق بالوجوب فلا يجب الفعل إلا بها لكن يصح بدونها كشرط المحرم للمرأة في الحج، لا يجب عليها الحج إلا عند توفر المحرم، لكن لو حجت بلا محرم فحجها صحيح مع الإثم، كاشتراط الإقامة لوجوب الصوم، فلو صام المسافر لصح صيامه لكن لا يجب عليه إلا بالإقامة، وهكذا

إذا علمت هذا فاعلم أن قولنا في القاعدة (الشروط) إنما نعني بها شروط الصحة لا شروط الوجوب فانتبه لهذا حتى لا تشكل عليك بعض الفروع.

ثم اعلم أن شروط الصحة عندنا نوعان: الأول: شروط كانت معدومة فأمر المكلف بإيجادها، فهذه هي المراد بقولي: (في باب المأمورات) يعني أن المكلف أمر بإيجادها، كالطهارة للصلاة كانت معدومة فأمر المكلف بإيجادها عند كل صلاة إذا كان محدثا، فالطهارة شرط مأمور بإيجاده. الثاني: شروط أمر المكلف بعدم التلبس بها أي باجتنابها والابتعاد عنها، فهذه هي المرادة بقولي: (في باب التروك) يعني أن المكلف

---

(١) النظرات المنفلوطي ٢٨٦/١

أمر بتركها، كإزالة النجاسة هو شرط تركي بمعنى أن المكلف أمر باجتناب النجاسة والابتعاد عنها لا بفعلها، وإن **أشكل عليك** ذلك فإليك هذين السؤالين اللذين يوضحان الفرق: فأقول: إذا **أشكل عليك** شرط من شروط الصحة هل هو من شروط الإيجاد أو من شروط الترك؟ فاسأل نفسك سؤالين:." [1]

"«اقضوا الله الذي له، فإن الله أحق بالوفاء» (١).

وكذلك عقد ابن ماجه بابا خاصا للقياس، ترجمه بقوله: (باب اجتناب الرأي والقياس) (٢)، روى فيه أربعة أحاديث، بعضها ضعيف الإسناد، ومخالف للمشهور، كحديثه عن معاذ بن جبل قال: «لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم، وإن **أشكل عليك** أمر، فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه». فإن هذا الحديث فضلا عن ضعف إسناده، مخالف للمشهور عن معاذ، عندما سأله الرسول: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟»، فأجابه: بأنه يقضي بما في كتاب الله، فإن لم يجد، فبسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فإن لم يجد يجتهد رأيه»، وقد أقره النبي على ذلك.

وقد كان أحمد بن حنبل يحصر القياس في نطاق ضيق، لا يلجأ إليه إلا بعد اليأس من العثور على أثر ولو ضعيف. وقد نقل عنه أنه سأل الشافعي عن القياس، فقال: «إنما يصار إليه عند الضرورة» (٣). كما نقل عنه إنكاره على من يردون الأحاديث لمخالفتها القياس، ويقول: «إنما القياس أن تقيس على أصل، فأما أن تجيء إلى الأصل فتهدمه، ثم تقيس، فعلى أي شيء تقيس؟!» (٤).

[هـ] تأليف الجوامع والسنن:

وهذا التأليف يعتبر نتيجة بدهية للاتجاه إلى الآثار. والدوافع التي حملت المحدثين على التأليف يمكن رجعها إلى أمرين أساسيين:

---

(١) " البخاري بحاشية السندي ": ٤/ ٢٦٤؛ وقد روى النسائي في " سننه ": (٨/ ٢٢٧، ٢٣٠) الحديث الثاني بطرق وألفاظ مختلفة، تحت عنوان (الحكم بالتشبيه والتمثيل).

(٢) " سنن ابن ماجه بحاشية السندي ": ١ / (*).

(٣) " إعلام الموقعين ": ١/ ٣٥.

(٤) " إعلام الموقعين ": ٢/ ٣٩٥، ٣٩٦.

---

(١) تلقيح الأفهام العلية بشرح القواعد الفقهية وليد السعيدان ٢٨/١

[تعليق معد الكتاب للمكتبة الشاملة / الباحث: توفيق بن محمد القريشي]:

(*) في الكتاب المطبوع لم يقع ذكر الصفحة، انظر ١/ ٢٦، طبعة دار الجيل، بدون تاريخ (نفس صفحات دار الفكر، الطبعة الثانية).." [١]

"- اللام ألف -

---

(١) الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري عبد المجيد محمود ص/٢٩١

- لا تكروا المزارع: ٥٧١ هامش.
- لا تلقوا الجلب، فمن تلقاه فاشترى منه ... ٣٤٨.
- لا تلقوا الركبان، ولا يبع حاضر لباد: ٣٦٠.
- لا تمسكوا عني شيئا، فإني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ... : ٢١٦.
- لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها: ٢١٢.
- لا، حتى تميز ما بينهما: ٥٤٧.
- لا سكنى لك ولا نفقة: ١٥٩.
- لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب: ٥٩٢، ٥٩٦.
- لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب: ٣٤٢، ٥٩١، ٥٩٢.
- لا ضرر ولا ضرار: ٤٢٢.
- لا طلاق إلا بعد نكاح، ولا عتق إلا بعد ملك: ٥٣١.." (١)

"كون أولئك الأجلة. الذين هم سادات الملة. كالحشوية الذين قال الحسن البصري لما وجد قولهم ساقطا. وكانوا يجلسون في حلقته أمامه)ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة(أي جانبها. أو الطعن في الحسن البصري الذي هو أفضل التابعين عند أهل البصرة حيث رأى سقوط قول هو عين قول السلف. ولم يرض أن يقعد قائله تجاهه مع أنه هو نفسه قائلا به. فقد صح أنه من السلف القائلين بقولهم. وقد أخرج كما قال الحافظ ابن حجر في شرح صحيح البخاري أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة من طريقه عن أمه. عن أم سلمة أنها قالت الاستواء غير مجهول. والكيف غير معقول. والإقرار به إيمان. والجحود به كفر.)وقد كنت(سألت الشيخ رحمه الله تعالى عن ذلك أثناء الدرس فقال الفرق بين مذهب السلف ومذهب الحشوية أن مذهب الحشوية ورود ما يتعذر التوصل إلى معناه مطلقا سواء كان مراد ا أو غير مراد. ومذهب السلف ورود ما يتعذر التوصل إلى معناه المراد. فالاستواء مثلا عندهم له معنى يتوصل إليه بمجرد سماعه كل من يعرف المدلولات اللغوية إلا أنه غير مراد لأنه خلاف ما يقتضيه دليل العقل والنقل. ومعنى آخر يليق به تعالى لا يعلمه إلا هو عز وجل. وقد يقال الأولى في الجواب إبقاء كلام ابن السبكي على ظاهره وعدم الالتفات إلى كلام شيخ الإسلام. وقوله)إنه لم يقل به أحد(فالمثبت لا سيما إذا كان كابن السبكي الإمام بن الإمام. مقدم على النافي ولو كان كشيخ الإسلام. فتأمل جميع ما تلوناه عليك. وهو يغنيك عن

---

(١) الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري عبد المجيد محمود ص/٧٠٤

مراجعة كثير من الكتب إن أخذت العناية بيديك. وبقيت في هذا المقام أبحاث كثيرة يضيق عنها نطاق الكلام. وفي كتب الحنابلة من ذاك ما يجلو غياهب الأوهام. ويروي الغلل ويبري العلل والأسقام. فمتى أشكل عليك أمر. فارجع إليها ينشرح بإذن الله تعالى منك الصدر.." (١)

"فعندما وضعت بين يديه مسكة عظيمة فأخذ بأنفه، فقيل يا أمير المؤمنين إنما هو ريح قال: وهل ينتفع منها إلا بريحها (١)،وكان يحترز من استعمال أموال المسلمين العامة، فكان يسرج السراج من بيت إذا كان في حاجة المسلمين، فإذا فرغ من حوائجهم أطفأها ثم أسرج عليه سراجه الخاص به من ماله الخاص (٢)، وقد ذكر المؤرخون كثيرا من الأمثلة التي تدل على ورعه، فقد اعتبر أن البعد عن أموال السملين حتى في الأشياء اليسيرة القليلة هو من باب الابتعاد عن الشبهة، فكان بعيد عن الشبهات (٣) احتياطا لدينه، وذلك أن الأمور ثلاثة كما قال هو بنفسه:

١ ـ أمر استبان رشده فاتبعه.

٢ ـ وأمر تبين خطؤه فاجتنبه.

٣ ـ وأمر أشكل عليك فتوقف عنه (٤).

وكان رحمه الله ورعا حتى في الكلام فعندما قيل له: ما تقول في أهل صفين؟ قال: تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني بها (٥)، وهكذا يتضح أن ورع عمر كان في شأنه كله، في مأكله وحاجته وشهوته، ومال المسلمين وفي كافة أمور حياته، ذلك الورع النابع مع الإيمان القوي، والشعور بالمسئولية واستحضاره الآخرة، فقد كانت صفة الورع من صفاته الجلية، فقد بلغ به مبلغا جعله يشتري مكان قبره الذي سيواري فيه، فلا يكون له من الدنيا شيء دون مقابل حتى موضع قبره (٦).

٥ ـ حلمه وصفحه وعفوه:

ومن الصفات التي تجسدت في شخصية عمر بن عبد العزيز الحلم والصفح والعفو، فعن شيخ من الخناصريين قال: كان لعمر بن عبد العزيز ابن له من فاطمة، فخرج يلعب مع الغلمان فشجه غلام فاحتملوا ابن عمر والذي شجه فأدخلوهما على فاطمة، فسمع عمر الجلبة وهو في بيت آخر فخرج، وجاءت امرأة فقالت: هذا ابني وهو يتم قال: أله عطاء؟ قالت: لا. قال: فاكتبوا في الذرية فقالت فاطمة: فعل الله به وصن إن لم يشجه مرة أخرى فقال عمر: إنكم أفزعتموه (٧). وعن إبراهيم بن أبي عبلة قال: غضب عمر

---

(١) غرائب الاغتراب، ص/١٩٤

بن عبد العزيز يوما غضبا شديدا

---

(١) سيرة عمر لابن الجوزي صـ٢٠٠، كتاب الورع لابن أبي الدنيا صـ٧٤ وقال محقق الكتاب إسناد الأثر.

(٢) الآثار الواردة في عمر بن عبد العزيز في العقيدة (١/ ١٦٤).

(٣) المصدر نفسه (١/ ١٦٥).

(٤) العقد الفريد (٤/ ٣٩٧) الآثار الواردة (١/ ١٦٥).

(٥) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـ١٩٥.

(٦) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر صـ١٥٦.

(٧) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـ٢٠٧ الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز (٢/ ٤٢٣).."

(١)

"والانقياد له. فقال لهم الإمام: لقد عرضت هذا الأمر على غير واحد لكنهم رفضوا ذلك فاستقر رأيي علي أبي مسلم لتولي رئاسة الجيش، فأمرهم بالسمع والطاعة له (١).

ج- وصية الإمام إبراهيم لأبي مسلم:

وكتب إبراهيم الإمام وصية لأبي مسلم جاء فيها: يا عبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي، وانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم، وحل بين أظهرهم، فإن الله لا يسمي هذا الأمر إلا بهم، وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم، وانظر هذا الحي من مصر فإنهم العدو القريب الدار، فأقتل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء، وإن استطعت إلا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل، فإيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله ولا تخالف هذا - الشيخ - يعني سليمان بن كثير الخزاعي - ولا تعصه، وإن أشكل عليك أمر فاكتف به

مني (٢). إن هذه الوصية غير متفق عليها من المؤرخين لذلك لا يمكن قبولها دون تمحيص، فالنقد الخارجي للنص يظهر بأنه مذكور دون سلسلة رواة الطبري، ولا ذكر للنص في مصادر مهمة أخرى مثل أنساب البلاذري وأخبار الدولة العباسية، وليس هناك أهمية كبرى لذكرها في كتب تاريخية متأخرة لأن هؤلاء المؤرخين المتأخرين أمثال ابن خلدون وابن كثير وابن الأثير نقلوها ممن ذكرها قبلهم والمهم هنا أن نذكر

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ١٥٥/٢

بأن رواية الدينوري (٣)، وكتاب العيون والحدائق (٤) لا تذكر النص الذي يأمر فيه إبراهيم أبا مسلم بقتل العرب دون تمييز، ولكن الوارد أن الأمر كان بقتل العرب الذين يرفضون الدخول في الدعوة العباسية أو المشكوك في ولائهم لها: واقتل من شككت في

أمره (٥). أو كما يقول العوفي: لقتل كل المدعين أو المطالبين بالإمامة (٦)، ويؤيد ذلك ما يذكره صاحب أخبار العباس على لسان أبي مسلم: أمرني الإمام أن أترك في أهل اليمن وأتألف ربيعة ولا أدع نصيبي من صالحي مضر وأحذر أكثرهم من إتباع بني أمية وأجمع إلي العجم (٧). ويمكن تلخيص النقد الداخلي للوصية بالنقاط التالية:

– الرواية مجزأة في الطبري إلى قسمين تذكر بينهما حوادث ذات علاقة بتطور الدعوة ولا علاقة لها بالوصية.

– تأتي الوصية تحت عنوان سبب قتل مروان بن محمد لإبراهيم الإمام، مما يدل على أنها أو بعضها على الأقل دعاية ضد العباسيين وضعت من جانب أعدائهم.

---

(١) العلويون والعباسيون ودعوة آل البيت ص ٨٧.

(٢) تاريخ الطبري نقلا عن العلويين والعباسيين ص ٨٧.

(٣) الأخبار الطوال ص ٣٥٢.

(٤) العيون والحدائق ص ١٨٤.

(٥) الثورة العباسية ص ١٢٤.

(٦) المصدر نفسه ص ١٢٤.

(٧) الثورة العباسية ص ١٢٢.." [١]

"... وكان شيخنا أبو محمد بن عتاب يقول للقارئ عليه والسامعين: اجعلوا أصلكم في هذا الحرف متى **أشكل عليكم** ضبطه قوله تعالى ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾(١) واضبطوه على هذا التأويل، فيرتفع الإشكال. ويحكي ذلك لنا عن أبيه، لأنه من: صرى مثل زكى (٢).

---

(١) سورة النجم، الآية ٣٢.

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ٢/٥٤٧

(٢) مشارق الأنوار، ج ٢، ص. ٤٣؛ وفي "سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي":''لا تصروا الإبل بضم أوله وفتح الصاد المهملة بوزن تولوا''. (ج ٧، ص. ٢٥٣)..." (١)

"بعصاه وهو يقول: بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندى حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم.

فقال لهم عمارة بن زياد: والله إن صاحبكم لو كان حيا لقد خرج إليكم بعد. قالوا: فادعوه باسمه قال: فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه. فدعوه باسمه فخرج وهو آخذ برأسه فقال: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي فقد والله قتلتموني فادفنوني فاذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني فإنكم تجدوني حيا فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقلنا: انبشوه فإنه أمرنا أن ننبشه فقال لهم عمارة: لا تنبشوه، لا والله لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا، وقد كان قال لهم خالد: إن في عكم امرأته لوحين فإن **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما فإنكم ستجدون ما تسألون عنه قال: ولا يمسهما حائض فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما إليهم، وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم.

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ذاك نبي أضاعه قومه قال أبو يونس: قال سماك بن حرب إن ابن خالد بن سنان أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: مرحبا بابن أخي." (٢)

"وأعرضوا عما **أشكل عليكم** حتى تعرضوه على الكتاب، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن حكما وإماما.

قال: فلما عزم على المسير من الربذة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد ؟ وأين تذهب بنا ؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابوا إليه. قال: فإن لم يجيبوا إليه ؟ قال: ندعهم بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر. قال: فإن لم يرضوا ؟ قال: ندعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا ؟ قال: امتنعنا منهم. قال: فنعم إذا. فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصاري فقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، والله لينصرني الله كما سمانا أنصارا.

قال: وأتت جماعة من طيئ وعلي بالربذة، فقيل له: هؤلاء جماعة جاءوا من طيئ ؛ منهم من يريد الخروج معك، ومنهم من يريد السلام عليك. فقال: جزى الله كلا خيرا وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا

---

(١) مجلة التاريخ العربي، ص/١٢٩٢٠

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٢٥٠/٣

عظيما [النساء: ٩٥] ثم سار من الربذة على تعبئته وهو راكب ناقة حمراء يقود فرسا كميتا، فلما كان بفيد جاءه جماعة من أسد وطيئ، فعرضوا أنفسهم عليه فقال: في من." [١]

" أن ننبشه فقال لهم عمارة لا تنبشوه لا والله لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا وقد كان قال لهم خالد إن في عكن امرأته لوحين فإن **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما فإنكم ستجدون ما تسألون عنه قال ولا يمسهما حائض فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما إليهم وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم

قال أبو يونس قال سماك بن حرب سئل عنه النبي صلى الله عليه و سلم فقال ذاك نبي أضاعه قومه قال أبو يونس قال سماك بن حرب إن ابن خالد بن سنان أتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال مرحبا بابن أخي فهذا السياق موقوف على ابن عباس وليس فيه أنه كان نبيا والمرسلات التي فيها أنه نبي لا يحتج بها هاهنا والأشبه أنه كان رجلا صالحا له أحوال وكرامات فإنه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا لأنه ليس بيني وبينه نبي وإن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبيا لأن الله تعالى قال لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وقد قال غير واحد من العلماء إن الله تعالى لم يبعث بعد اسماعيل نبيا في العرب إلا محمدا صلى الله عليه و سلم خاتم الأنبياء الذي دعا به إبراهيم الخليل باني الكعبة المكرمة التي جعلها الله قبلة لأهل الأرض شرعا وبشرت به الأنبياء لقومهم حتى كان آخر من بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وبهذا المسلك بعينه يرد ما ذكره السهيلي وغيره من إرسال نبي من العرب يقال له شعيب بن ذي مهذم بن شعيب بن صفوان صاحب مدين وبعث إلى العرب أيضا حنظلة بن صفوان فكذبوهما فسلط الله على العرب بخت نصر فنال منهم من القتل والسبي نحو ما نال من بني إسرائيل وذلك في زمن معد بن عدنان والظاهر أن هؤلاء كانوا قوما صالحين يدعون إلى الخير والله أعلم وقد تقدم ذكر عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف في أخبار خزاعة بعد جرهم

حاتم الطائي أحد أجواد الجاهلية

وهو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي بن أحزم بن أبي أحزم (١) واسمه هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء أبو سفانة الطائي والد عدي بن حاتم الصحابي كان جوادا ممدحا في الجاهلية وكذلك كان ابنه في الإسلام وكانت لحاتم مآثر وأمور عجيبة

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٠/٤٤٣

وأخبار مستغربة في كرمه يطول ذكرها ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة وإنما كان قصده السمعة والذكر قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا عبيد بن واقد القيسي حدثنا أبو نصر هو الناجي عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال ذكر حاتم عند النبي صلى الله عليه و سلم فقال ذاك أراد أمرا فأدركه حديث غريب قال الدارقطني تفرد به عبيد بن واقد عن أبي نصر الناجي ويقال إن اسمه حماد

قال ابن عساكر وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين أبي نصر الناجي وبين أبي نصر حماد ولم يسم الناجي ." (١)

" تحن على حنين الجارية وما الذي نهيتني عنه فعصيتك فقال ألم آمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها فيقول قائل أو يتحدث متحدث ألم آمرك أن لا تبايع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فعصيتني في ذلك كله فقال له علي أما قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به وأما مبايعتي قبل مجيء بيعة الأمصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه فتريد مني أن أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال ليست هاهنا حتى يشق عرقوبها فتخرج فإذا لم أنظر فيما يلزمني في هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه فكف عني يا بني ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة من الأمر الذي قدمنا كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر إني قد اخترتكم على ألأمصار فرغبت إليكم وفرغت لما حدث فكونوا لدين الله أعوانا وانصارا وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا فمضيا وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب وقام في الناس خطيبا فقال إن الله أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد فجرى الناس على ذلك ما شاء الله الاسلام دينهم والحق قائم بينهم والكتاب إمامهم حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة ألا وإن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها فنعوذ بالله من شر ما هو كائن ثم عاد ثانية فقال إنه لا بد مما هو كائن أن يكون ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تحبني ولا تعمل بعملي وقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهتدوا بهدني فإنه هدى نبيكم واتبعوا سنته وأعرضوا عما **أشكل عليكم** حتى تعرضوه الكتاب فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه وأرضوا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن حكما وإماما قال فلما

---

(١) البداية والنهاية، ٢/٢١٢

عزم على المسير من الربذة قام إليه ابن أبي رفاعة بن رافع فقال يا أمير المؤمنين أي شيء تريد وأين تذهب بنا فقال أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابوا إليه قال فان لم يجيبوا إليه قال ندعهم بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر قال فإن لم يرضوا قال ندعهم ما تركونا قال فإن لم يتركونا قال امتنعنا منهم قال فنعم إذا فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصاري فقال لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول والله لينصرني الله كما سمانا أنصارا قال وأتت جماعة من طيء وعلى الربذة فقيل له هؤلاء جماعة جاؤا من طيء منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد السلام عليك فقال جزى الله كلا خيرا وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما قالوا فسار علي من الربذة على تعبئته وهو راكب ناقة حمراء يقود فرسا كميتا فلما كان بفيد جاءه جماعة من أسد ." (١)

"وسلم كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة قال: ويحك؟ إن الهدية كانت للنبي هدية وهي لنا اليوم رشوة٥٥٣٣، ومن ورعه أنه كان لا يرى لنفسه أن تشم رائحة مسك أتته من أموال المسلمين، فعندما وضعت بين يديه مسكة عظيمة فأخذ بأنفه، فقيل يا أمير المؤمنين إنما هو ريح قال: وهل ينتفع منها إلا بريحها٥٥٣٤،وكان يحترز من استعمال أموال المسلمين العامة، فكان يسرج السراج من بيت إذا كان في حاجة المسلمين، فإذا فرغ من حوائجهم أطفأها ثم أسرج عليه سراجه الخاص به من ماله الخاص٥٥٣٥، وقد ذكر المؤرخون كثيرا من الأمثلة التي تدل على ورعه، فقد اعتبر أن البعد عن أموال السملين حتى في الأشياء اليسيرة القليلة هو من باب الابتعاد عن الشبهة، فكان بعيد عن الشبهات٥٥٣٦احتياطا لدينه، وذلك أن الأمور ثلاثة كما قال هو بنفسه:

١ . أمر استبان رشده فاتبعه ....٢ . وأمر تبين خطؤه فاجتنبه .

٣ . وأمر **أشكل عليك** فتوقف عنه٥٣٧٥ .

...وكان رحمه الله ورعا حتى في الكلام فعندما قيل له: ما تقول في أهل صفين؟ قال: تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني بها٥٥٣٨، وهكذا يتضح أن ورع عمر كان في شأنه كله، في مأكله وحاجته وشهوته، ومال المسلمين وفي كافة أمور حياته، ذلك الورع النابع مع الإيمان القوي، والشعور بالمسئولية واستحضاره الآخرة، فقد كانت صفة الورع من صفاته الجلية، فقد بلغ به مبلغا جعله يشتري

---

(١) البداية والنهاية، ٢٣٥/٧

مكان قبره الذي سيواري فيه، فلا يكون له من الدنيا شيء دون مقابل حتى موضع قبره٥٥٣٩.

٥ . حلمه وصفحه وعفوه:." [١]

"كان يعاتب على جوده فيقال له لتغلبن عليك العيلة يا عيلان فلزمه هذا الاسم

وقيل بل سمي عيلان بفرس كانت له تدعى عيلان

وقيل سمي بذلك لأنه ولد في جبل يسمى عيلان

وقيل سمي بذلك لأنه حضنه عبد لمضر يدعى عيلان

ابن مضر

وأمه سودة بنت عك وأخوه لأبيه وأمه إياد ولهما أخوان من أبيهما من غير أمهما وهما ربيعة وأنمار أمهما جدالة بنت وعلان بن جوشم بن جلهمة بن عمرو من جرهم

وذكر بعضهم أن نزار بن معد لما حضرته الوفاة أوصى بنيه وقسم ماله بينهم قال يا بني هذه القبة وهي قبة من أدم حمراء وما أشبهها من مالي لمضر فسمي مضر الحمراء وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من مالي لربيعة فخلف خيلادهما فسمي الفرس وهذه الخادم وما أشبهها من مالي لإياد وكانت شمطاء فأخذ البلق والنقد من غنمه وهذه البدرة والمجلس لإنمار يجلس فيه فأخذ أنمار ما أصابه فإن **أشكل عليكم** في ذلك شيء واختلفتم في القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمي فاختلفوا في القسمة فتوجهوا إلى الأفعى فبينما هم يسيرون في مسيرهم إذ رأى مضر كلأ قد رعي فقال إن البعير الذي رعى هذا الكلألأعور وقال ربيعة هو أزور قال إياد هو أبتر وقال أنمار هو شرود فلم يسيروا إلا قليلا حتى لقيهم رجل توضع به راحلته فسألهم عن البعير فقال مضر هو أعور قال نعم قال ربيعة هو أزور قال نعم قال إياد هو أبتر قال نعم قال أنمار هو شرود قال نعم هذه صفة بعيري دلوني عليه فحلفوا له ما رأوه فلزمهم وقال كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته فساروا جمعا حتى قدموا نجران فنزلوا بالأفعى الجرهمي فنادى صاحب البعير هؤلاء أصحاب بعيري وصفوا لي صفته ثم قالوا لم نره فقال الجرهمي كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانبا ويدع جانبا فعرفت أنه أعور وقال ربيعة رأيت إحدي يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره وقال إياد عرفت أنه أبتر باجتماع بعره ولو كان ذيالا لمصع به وقال أنمار عرفت أنه شرود لأنه يرعى المكان الملتف نبته ثم يجوزه إلى مكان آخر أرق منه نبتا وأخبث فقال الجرهمي ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فأخبروه فرحب بهم فقال أتحتاجون إلي وأنتم كما أرى فدعا لهم

---

(١) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ١٩٩/٣

بطعام فأكلوا وأكل وشربوا وشرب فقال مضر لم أر كاليوم خمرا أجود لولا أنها نبتت على قبر وقال ربيعة لم أر كاليوم لحما أطيب لولا أنه ربي بلبن كلب وقال إياد لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا أنه لغير أبيه الذي يدعى له وقال أنمار لم أر كاليوم قط كلاما أنفع في حاجتنا من كلامنا

وسمع الجرهمي الكلام فتعجب لقولهم وأتى أمه فسألها فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت أن يذهب الملك فأمكنت رجلا من نفسها كان نزل بها فوطئها فحملت به وسأل القهرمان عن الخمر فقال من حبلة غرستها على قبر أبيك وسأل الراعي عن اللحم فقال شاة أرضعتها لبن كلبة ولم يكن ولد في الغنم شاة غيرها فقيل لمضر من أين عرفت الخمر ونباتها على قبر قال لأنه أصابني عليها ." (١)

" وقاتلهم فأصيب وحده وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه فجاؤوا حتى أرقوا والخليفة منهم سفيان بن عوف الأزدي فخرج فقاتلهم فضجر وجعل يعبث بأصحابه ويشتمهم فقالت جارية عبدالله واعبد الله ما هكذا كان يقول حين يقاتل فقال سفيان وكيف كان يقول قالت ... الغمرات ثم ينجلينا ...

فترك ما كان يقول ولزم الغمرات ثم ينجلينا وأصيب في المسلمين يومئذ وذلك آخر زمان عبدالله بن قيس الجاسي وقيل لتلك المرأة بعد بأي شيء عرفتيه قالت بصدقته أعطى كما يعطى الملوك ولم يقبض قبض التجار وكتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا قيل لتلك المرأة التي استثارت الروم على عبدالله بن قيس كيف عرفته قالت كان كالتاجر فلما سألته أعطاني كالملك فعرفت أنه عبدالله بن قيس وكتب إلى معاوية والعمال أما بعد فقوموا على ما فارقتم عليه عمر ولا تبدلوا ومهما **أشكل عليكم** فردوه إلينا نجمع عليه الأمة ثم نرده عليكم وإياكم أن تغيروا فإني لست قابلا منكم إلا ما كان عمر يقبل وقد كانت تنتقض فيما بين صلح عمر وولاية عثمان تلك الناحية فيبعث إليها الرجل فيفتحها الله على يديه فيحسب له ذلك وأما الفتوح فلأول من وليها

قال أبو جعفر ولما غزا معاوية قبرس صالح أهلها فيما حدثني علي بن سهل قال حدثنا الوليد بن مسلم قال أخبرني سليمان بن أبي كريمة والليث بن سعد وغيرهما من مشيخة ساحل دمشق أن صلح قبرس وقع على جزية سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين في كل سنة ويؤدون إلى الروم مثلها ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك على ألا يغزوهم ولا يقاتلوا من وراءهم ممن أرادهم من خلفهم وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم وعلى أن يبطرق إمام المسلمين عليهم منهم وقال الواقدي غزا معاوية في سنة ثمان وعشرين قبرس وغزاها أهل مصر وعليهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح حتى لقوا معاوية فكان

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥١٤/١

على الناس قال وحدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير قال لما سبيناهم نظرت إلى أبي الدرداء يبكي فقلت له ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله وأذل فيه الكفر وأهله قال فضرب بيده على منكبي وقال ثكلتك أمك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره بينا هي أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك إذ تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى فسلط عليهم السباء وإذا سلط السباء على قوم فليس لله فيهم حاجة

قال الواقدي وحدثني أبو سعيد أن معاوية بن أبي سفيان صالح أهل قبرس في ولاية عثمان وهو أول من غزا الروم وفي العهد الذي بينه وبينهم ألا يتزوجوا في عدونا من الروم إلا بإذننا قال الواقدي وفي هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم ." (١)

" لما أعرف من مودتكم وحبكم لله عز و جل ولرسوله صلى الله عليه و سلم فمن جاءني ونصرني فقد أجاب الحق وقضى الذي عليه

حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا حبان بن موسى عن طلحة بن الأعلم وبشر بن عاصم عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال بعث محمد بن أبي بكر إلى الكوفة ومحمد بن عون فجاء الناس إلى أبي موسى يستشيرونه في الخروج فقال أبو موسى أما سبيل الآخرة فأن تقيموا وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا وأنتم أعلم وبلغ المحمدين قول أبي موسى فبايناه وأغلظا له فقال أما والله إن بيعة عثمان في عنقي وعنق صاحبكما الذي أرسلكما إن أردنا أن نقاتل لا نقاتل حتى لا يبقى أحد من قتلة عثمان إلا قتل حيث كان وخرج علي من المدينة في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين فقالت أخت علي بن عدي من بني عبد العزى ابن عبد شمس ... لا هم فاعقر بعلي جمله ... ولا تبارك في بعير حمله ... ألا علي بن عدي ليس له ...

حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن عن أبي مخنف عن نمير بن وعلة عن الشعبي قال لما نزل علي بالربذه أتته جماعة من طيء فقيل لعلي هذه جماعة من طيء قد أتتك منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك قال جزى الله كلا خيرا وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ثم دخلوا عليه فقال علي ما شهدتمونا به قالوا شهدناك بكل ما تحب قال جزاكم الله خيرا فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدين ووافيتم بصدقاتكم المسلمين فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال يا أمير المؤمنين إن من الناس من يعبر لسانه عما في قلبه وإني والله ما كل ما أجد في قلبي يعبر عنه لساني وسأجهد وبالله التوفيق

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٦٠٢/٢

أما أنا فسأنصح لك في السر والعلانية وأقاتل عدوز في كل موطن وأرى لك من الحق مالا أراه لأحد من أهل زمانك لفضلك وقرابتك قال رحمك الله قد أدى لسانك عما يجن ضميرك فقتل معه بصفين رحمه الله

كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا لما قدم علي الربذة أقام بها وسرح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وكتب إليهم إني اخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا وأيدونا وانهضوا إلينا فالإصلاح ما نريد لتعود الأمة إخوانا ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق وآثره ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه

فمضى الرجلان وبقي علي بالربذه يتهيأ وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة وسلاح وأمر أمره وقام في الناس فخطبهم وقال إن الله عز و جل أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد فجرى الناس على ذلك ما شاء الله الإسلام دينهم والحق فيهم والكتاب إمامهم حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة ألا إن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم فنعوذ بالله من شر ما هو كائن ثم عاد ثانية فقال إنه لا بد مما هو كائن أن يكون ألا وإن هذه ألأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي فقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهدوا بهدي نبيكم صلى الله عليه و سلم واتبعوا سنته واعرضوا ما **أشكل عليكم** على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه وارضوا بالله جل وعز ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه و سلم نبيا وبالقرآن حكما ." (١)

" فهما التقيان المشار إليهما ... الحاملان الكاملان كلاهما ... وهما أزلا عن عريكة ملكه ... نصرا ولاقى الذل إذ عاداهما ... نفيا ابن أقطع بعد قتل حماته ... وتقسمت أسلابه خيلاهما ... والحارث بن سريج إذ قصدوا له ... حتى تعاور رأسه سيفاهما ... اخذا بعفو أبيهما في قدره ... إذ عز قومهما ومن والاهما ...

وفي هذه السنة وجه إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان وكتب إلى أصحابه إني قد أمرته بأمري فاسمعوا منه واقبلوا قوله فإني قد أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك فأتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة عند إبراهيم فأعلمه أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه وأمره فقال إبراهيم إني قد عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوه علي وذلك أنه كان عرض ذلك قبل أن يوجه أبا مسلم على سليمان بن كثير

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٢٣/٣

فقال لا ألي اثنين أبدا ثم عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى فأعلمهم أنه أجمع رأيه على أبي مسلم وأمرهم بالسمع والطاعة ثم قال يا عبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت فاحتفظ وصيتي وانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم وحل بين أظهرهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم وانظر هذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء وإن استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله ولا تخالف هذا الشيخ يعني سليمان بن كثير ولا تعصه وإذا **أشكل عليك** أمر فاكتف به مني

وفي هذه السنة قتل الضحاك بن قيس الخارجي فيما قال أبو مخنف ذكر ذلك هشام بن محمد عنه

ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك

ذكر أن الضحاك لما حاصر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط وبايعه منصور بن جمهور ورأى عبد الله بن عمر أنه لا طاقة له به أرسل إليه إن مقامكم علي ليس بشيء هذا مروان فسر إليه فإن قاتلته فأنا معك فصالحه على ما قد ذكرت من اختلاف المختلفين فيه

فذكر هشام عن أبي مخنف أن الضحاك ارتحل عن ابن عمر حتى لقي مروان بكفرتوثا من أرض الجزيرة فقتل الضحاك يوم التقوا

وأما أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح فقال فيما حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم عنه أن الضحاك لما قتل عطية الثعلبي صاحبه وعامله على الكوفة ملحان بقنطرة السيلحين وبلغه خبر قتل ملحان وهو محاصر عبد الله بن عمر بواسط وجه مكانه من أصحابه رجلا يقال له مطاعن واصطلح عبد الله بن عمر والضحاك عن أن يدخل في طاعته فدخل وصلى خلفه وانصرف إلى الكوفة وأقام ابن عمر فيمن معه بواسط ودخل الضحاك الكوفة وكاتبه أهل الموصل ودعوه إلى أن يقدم عليهم فيمكنوه منها فسار في جماعة جنوده بعد عشرين شهرا حتى انتهى إليها وعليها يومئذ عامل لمروان وهو رجل من بني شيبان من أهل الجزيرة يقال له القطران بن أكمة ففتح أهل الموصل المدينة للضحاك وقاتلهم القطران في عدة يسيرة من قومه وأهل بيته حتى قتلوا واستولى الضحاك على الموصل وكورها وبلغ مروان خبره وهو محاصر حمص ." (١)

---

(١) تاريخ الأمم والرسل و الملوك- الطبري، ٣٠٠/٤

"واحفظوا وصاياه، التي بينها لكم في التوراة، وأوصاهم أن يتبعوا ما فيها، وبرك عليهم. وكان مما أوصى الله عز وجل به لبني إسرائيل على لسان موسى أن قال لهم: اذكروا اليوم الذي قمتم فيه قدام الله إذ قال الله لي: اجمع هذا الشعب قدامي، فأسمعهم كلامي ليخشوني أيام حياتهم، فقمتم في أسفل الجبل، والجبل يتوقد نارا إلى قلب السماء، وكلمني الله من جوف النار، فسمعتم الصوت، ولم تروا الشبه، وأوصاكم الله أن تتعلموا العشر الآيات. وأوصاني أن أعلمكم السنن والقضاء، فتعملوا بذلك في الأرض التي تصيرون إليها، فاحتفظوا بأنفسكم ولا تصنعوا أصناما مما يشبه ذكرا، ولا أنثى، ولا شيئا مما يدب على الأرض، ولا مما يكون في البحر، ولا ترفعوا رؤوسكم إلى السماء فتعبدوا النجوم! إن الله قد أقسم لا أدخل الأرض الصالحة، فأنا ميت بهذه الأرض، ولست أعبر الأردن، ولكنكم ستعبرون وتصيرون إلى الأرض الصالحة، التي جعلها الله لكم ميراثا، فلا تضلوا ميثاق الله ربكم الذي واثقكم به، فتصنعوا الأصنام، ولا تعملوا أعمال السوء قدام إلهكم لو قد صرتم إلى الأرض الصالحة، فتوشكوا، إن عصيتم أن تهلكوا، وتفرقوا بين الشعوب، وإن عبدتم ما تعمله أيدي البشر من خشب وحجارة لا يبصرون، وتدعون، فلا يسمع لكم دعاء، إن الله الرحيم بكم يسمع أصواتكم، وإن من سمع من الله مثل الذي سمعتم، ورأى مثل الذي رأيتم، لا ينبغي أن يعصي الله، لقد رأيتم ما صنع الله بأهل مصر، وأنتم تنظرون، فإن الله هو الرب الذي ليس غيره، الذي بصركم ناره، وأسمعكم صوته، وأحب آباءكم فاجتبى خلوفهم، وأهلك لكم قوما كانوا أعظم وأشد منكم، وإن الله سيدخلكم الأرض الصالحة، ويجعلها ميراثا لكم، فاحفظوا سننه التي أوصاكم بها وأمركم بها ليحسن إليكم وإلى خلفكم من بعدكم، ويكثر أيامكم في الأرض، اقبلوا وصية الله التي أمركم بها لا تزيغوا عنها يمينا ولا شمالا، واسلكوا كل طريق أوصاكم بها ربكم ليحسن إليكم. أحبوا الله من كل قلوبكم ومن همكم ومالكم، وقصوهن على أولادكم، وأتموها، واتلوها في بيوتكم، اجعلوها علامة بين أعينكم، واكتبوها في منازلكم، إن الله سيعطيكم قرى عظاما لم تبنوها، وبيوتا مملوءة من الخير لم تملأوها، وآبارا مطوية لم تحفروها، وكروما، وزيتونا لم تغرسوها، فلا تنسوا الله، واخشوه، واعبدوه، واحلفوا باسمه، ولا تتبعوا إلها آخر. احذروا غضب الله الذي يبيدكم عن وجه الأرض، ولا تخونوا الله، واقبلوا أمره، واعملوا خيرا وصدقا.

اذكروا إذ كنتم عبيدا لفرعون، فأخرجكم الله بيد شديدة، وآيات معجزات عظام ساقت فرعون وأصحابه إلى الهلكة، وأنتم تنظرون.

إن الله يقول لكم سأعطيكم البلاد الصالحة وأقدركم على الأمم التي بين أيديكم، وأظفركم بالجبارين، والجرشيين، والأموريين، والكنعانيين، والفرازيين، والحوبيين، والنابلسيين، هؤلاء السبع الأمم الذين هم أكثر

منكم وأشد، فإذا ظفركم الله بهم، فاضربوهم، وارجموهم، ولا ترحموهم، ولا تعطوهم ميثاقا، ولا تنكحوهم بناتكم لكيلا يكونوا لكم عثرة، فيزيغون أولادكم عني، فيعبدون إلها غيري، فيشتد عليكم غضبي، فأبيدكم عاجلا، ولكن اكسروا أصنامهم، واعقروا مذابحهم، واهدموا أنساكهم، وأوقدوها! إنكم إن سمعتم وصيتي، وعملتم بقضاياي، فسأحفظ لكم نعمكم والميثاق الذي واثقت آباءكم، وأكثركم، وأثمر زرعكم وماشيتكم. اجعلوا لله نصيبا في أموالكم، فواسوا منه اليتيم، والأرملة، والمسكين، والضعيف، والساكن معكم الذي لا زرع له.

إذا قضيتم بين اثنين، فاعدلوا، ولا تأخذوا الرشا، فإن الرشوة تعمي عيون الحكام، ولا تغرسوا شجرة عند مذبح، ولا تذبحوا قربانا فيه عيب من ثور ولا كبش، واقتلوا من يعمل الأصنام التي تعبد من دون الله، وإذا بلغكم أن أحدا يسجد للشمس والقمر والنجوم، أو شيء من الأنوار، فافحصوا عنه، فإذا علمتم صحته، فارجموه بالحجارة حتى يموت. ولا تقبلوا في الأحكام الموجبة للقتل شهادة واحد، ولكن شهادة شاهدين، أو ثلاثة، وإذا شهد الشهود على من يجب عليه القتل، فليبد الشهود فليبسطوا أيديهم إلى الذي يقتل، فإذا أشكل عليكم الحكم، فارجعوا إلى الأحبار والكهان.." (١)

"ومن الغاية في هذا المعنى قول امرىء القيس:

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة ... كفاني ، ولم أطلب، قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل ... وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

ومما يكمل فضيلة الملك أن تكون قوة الاختيار عنده سليمة لم تعترضها آفة فيكون يختار الرجال اختيارا فاضلا .

الناصر واختيار رجاله

كان الناصر آية الدنيا في اختيار الرجال، فكان من توصلاته إلى معرفة الرجل إن أشكل عليه حاله أن يشيع بين الناس أنه يريد أن يوليه المنصب الفلاني، ثم يتمادى في إبرام ذلك أياما فيمتلىء البلد بالأراجيف لذلك الرجل، فيفترق فيه الناس، فقوم يصوبون ذلك الرأي ويصفون فضائل الرجل، وقوم يغلظون الخليفة ويذكرون عيوب الرجل، وللخليفة عيون وأصحاب أخبار لا يؤبه لهم يخالطون أصناف الناس، فيكتب أصحاب الأخبار إليه بما الناس فيه من الغليان في ذلك، فيعرف بصحة نظره وتمييزه أي القولين أرجح وأصوب، فإن رجح في نظره تفضيل الرجل ولاه وخلع عليه، وإن ترجح عنده قول الطاعنين عليه وتبين له نقصه تركه وأعرض

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ص/١٥

عنه. وفي الجملة فحسن الاختيار أصل عظيم ، قال الشاعر:

من كان راعيه ذئبا في حلوبته ... فهو الذي نفسه في أمره ظلما

يرجو كفايته والغدر عادته ... ومن يرد خائنا يستشعر الندما

ما يكره للملوك

ومما يكره للملوك المبالغة في الميل إلى النساء والانهماك في محبتهن وقطع الزمان بالخلوة معهن، فأما مشاورتهن في الأمور فمجلبة للعجز ومدعاة إلى الفساد ومنبهة على ضعف الرأي ، اللهم إلا أن تكون مشاورتهن يراد بها مخالفتهن، كما قال، عليه السلام: شاوروهن وخالفوهن؛ وفي هذا الحديث سؤال وجواب، إن قال قائل: إذا كان المراد مخالفتهن في آرائهن فأي فائدة في الأمر بمشاورتهن، وقد كان يكفي في هذا أن يقال خالفوهن فيما يشرن به، فالجواب من وجهين: أحدهما أن الأمر الأول للإباحة، والأمر الثاني للوجوب، يعني إذا شاورتموهن فخالفوهن، والأخر أن الصواب لا يزال في خلاف آرائهن، فإذا أشكل عليكم الصواب فشاوروهن، فإذا ملن إلى شيء فاعلموا أن الصواب في خلافه، وفي هذا تظهر فائدة الأمر بمشاورتهن يعني بها يستدل على الصواب.

وحدث أن عضد الدولة فناخسرو بن بويه شغفته امرأة من جواريه حبا وغلب عليه، فاشتغل بها عن تدبير المملكة حتى ظهر الخلل في مملكته، فخلا به وزيره وقال له: أيها الملك إن هذه الجارية قد شغلتك عن مصالح دولتك، حتى لقد تطرق النقص عليها من عدة جهات، وما سبب ذلك إلا اشتغالك عن إصلاح دولتك بهذه الأمة، والصواب أن تتركها وتلتفت إلى إصلاح ما قد فسد من مملكتك. قال: فبعد أيام جلس عضد الدولة على مشترف له على دجلة، ثم استدعى جارية فحضرت فشاغلها ساعة حتى غفلت عن نفسها ثم دفعها إلى دجلة فغرقت، وتفرغ خاطره من حبها واشتغل بإصلاح أمور دولته، فاستعظم الناس هذا الفعل من عضد الدولة ونسبوه فيه إلى قوة النفس حين قويت نفسه على قتل محبوبه.

وأنا أستدل بهذ الفعل على ضعف نفس عضد الدولة لا على قوتها، فإنه لو لم يحس من نفسه بالانفعال العظيم لحبها لما توصل إلى عدمها، ولو تركها حية ثم أعرض عنها لكان ذلك هو الدليل على قوة نفسه.

أصناف السياسة

ولكل صنف من الرعية صنف من السياسة ، فالأفاضل يساسون بمكارم الأخلاق والارشاد اللطيف،

والأوساط يساسون بالرغبة الممزوجة بالرهبة، والعوام يساسون بالرهبة وإلزامهم الجدد المستقيم وقسرهم على الحق الصريح .." (١)

"٢١٠ و الكهانة في اليمن خصوصا و القيافة و الزجر في نزار ورثوها عن آبائهم على ما سنورده. ثم خصت بنو أسد بالزجر و بنو مدلج بالقيافة، و قد قفت القافة بقريش أثر رسول الله صلعم و أبي بكر على الحجر الصلد و الجبل الجرد و حيث لا تكنس الأقدام في رمل و لا تراب حتى انتهوا إلى باب الغار، فحجبهم الله عز و جل عنهم بما كان من نسج العنكبوت و بما «٦» سفت عليه الرياح «٧». و بلاد الجفار بين مصر و الشام بها «٨» أناس من العرب يتخذونهم الولاة يقصون آثار الناس فيخبرونهم بالآثار أي ناس هم ممن طرق «٩» تلك البلاد، و هم إنما عاينوا الآثار لا القدم، و هذا حس دقيق و معنى لطيف.

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ١٥٩

٢١١ و لما حضرت نزار الوفاة قال لإياد: هذه الجارية- لجارية له شمطاء- و ما أشبهها لك. و دعا أنمار و هو في مجلس له فأعطاه بدرة و قال: هذه البدرة و المجلس لك و ما أشبههما لك. و دعا ربيعة فأعطاه خباء له أسود من شعر فقال: هذا و ما أشبهه لك. و أعطى مضرا قبة حمراء فقال له: هذه و ما أشبهها لك. ثم قال: و إن أشكل عليكم شي ء فاتوا الأفعى الجرهمي، و كان ملك نجران. فلما مات ركبوا رواحلهم يريدون الأفعى، فلما كانوا من نجران على يوم إذا «١» هم بأثر بعير. قال إياد: هذا أثر بعير أعور. قال أنمار: و إنه لأبتر. قال ربيعة: و إنه لأزور. قال مضر: و هو شرود لا يستقر. فلم يلبثوا أن رفع لهم راكب، فلما غشيهم قال لهم: هل رأيتم من بعير ضال؟

فوصفوه له. قال: إن هذه لصفته عينا، فأين بعيري؟ قالوا: ما رأيناه.." (٢)

"@ ١١٦ @ من دابة وسلاح وأمر أمره وقام في الناس فخطبهم وقال # إن الله تبارك وتعالي أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد فجري الناس علي ذلك ما شاء الله الإسلام دينهم والحق فيهم والكتاب إمامهم حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزع بين هذه الأمة ألا إن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها فنعوذ بالله من شر ما هو كائن # ثم عاد ثانية وقال إنه لا بد مما هو كائن أن يكون ألا وإن هذه الأمة ستفترق علي ثلاث وسبعين فرقة شرها

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية، ص/١٠

(٢) المسالك والممالك ـ البكري، ١/١٣٠

فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي وقد أدركتهم ورأيتهم فالزموا دينكم وأهدوا بهديي فإنه هدي نبيكم واتبعوا سنته واعرضوا عما أشكل عليكم حتى تعرضوه علي القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه وارضوا بالله ربا وبالإسلام دينا ومحمد نبيا وبالقرآن حكما وإماما # فلما أراد المسير من الربذة إلي البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع فقال يا أمير المؤمنين أي شيء تريد وأين تذهب بنا فقال أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه قال فإن لم يجيبونا إليه قال ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر قال فإن لم يرضوا قال ندعهم ما تركونا قال فإن لم يتركونا قال امتنعنا منهم قال فنعم إذن وقام الحجاج بن غزية الأنصاري فقال لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول وقال # (دراكها دراكها قبل الفوت ٪ فانفر بنا واسم بنا نحو الصوت) # (لا وألت نفسي إن تكرهت الموت) # والله لننصرن الله كما سمانا أنصارا ثم أتاه جماعة من طيئ وهو بالربذة فقيل لعلي هذه جماعة قد أتتك منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك قال جزي الله كليهما خيرا وفضل الله المجاهدين علي القاعدين أجرا." (١)

"@ ٢١ @ # (إني استحيت لكم من بعد طاعتكم ٪ هذا المزوني يجنيكم على قهر) $ ذكر شيعة بني العباس $ # وفي هذه السنة وجه إبراهيم الإمام أبا مسلم الخراساني واسمه عبد الرحمن بن مسلم إلى خراسان وعمره تسع عشرة سنة وكتب إلى أصحابه أني قد أمرته بأمري فاسمعوا له وأطيعوا فإني قد أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك فاتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة عند إبراهيم فاعلمه أبو مسلم انهم لم ينفذوا كتابه وأمره فقال إبراهيم قد عرضت هذا الأمر على غير واحد وأبوه علي وكان قد عرضه على سليمان بن كثير فقال لا ألي على اثنين أبدا ثم عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى فأعلمهم أنه قد جمع رأيه على أبي مسلم وأمرهم بالسمع والطاعة له ثم قال له انك رجل منا أهل بيتا حفظ وصيتي انظر هذا الحي من اليمن فالزمهم واسكن بين أظهرهم فان الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم واتهم ربيعة في ارمهم وأما مضر فانهم العدو القريب الدار واقتل من شككت فيه وان استطعت أن لا تدع تخالف هذا الشيخ يعني سليمان بن كثير ولا تعص وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني وسيرد من خبر أبي مسلم غير هذا أن شاء الله تعالى $ ذكر قتل الضحاك الخارجي $ # قد ذكرنا محاصرة الضحاك بن قيس الخارجي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط فلما طال عليه الحصار أشير عليه بان يدفعه عن نفسه إلى مروان فأرسل ابن عمر إليه أن مقامكم علي ليس يسيء هذا مروان فسيروا إليه فان قتلته فأنا معك فصالحه وخرج إليه وصلى خلفه فانصرف إلى الكوفة وأقام ابن عمر بواسط وكاتب أهل الموصل الضحاك ليقدم عليهم

---

(١) الكامل في التاريخ، ١١٦/٣

ليمكنوه منها فسار في جماعة من جنوده بعد عشرين شهرا حتى انتهى إليها وعليها يومئذ لمروان رجل من بني شيبان يقال له القطران بن أكمة ففتح أهل الموصل البلد فدخله الضحاك وقاتلهم القطران ومن معه من أهله وهم عدة يسيرة." (١)

"١٥ – أخبرني أبو العباس، أحمد بن عبد الله القرميسيني، مشافهة و مناولة، أن أباه حدثه، قال: حدثنا علي بن عبد الحميد الغضائري قال: سمعت السري، يقول: " قليل في سنة، خير من كثير مع بدعة. كيف يقل عمل مع التقوى؟! " .

١٦ – و بهذا الإسناد، قال السري: " الأمور ثلاثة: امر بان لك رشده، فاتبعه؛ و أمر بان لك غيه، فاجتنبه؛ و أمر أشكل عليك، فقف عنده، و كله إلى الله عز و جل. و ليكن الله دليلك. و اجعل فقرك إليه، تستغن به عمن سواه " .

١٧ – و به قال السري: " الأدب ترجمان العقل " .

١٨ – و به قال السري: " ما أكثر من يصف الصفة، و أقل من يوافق فعله صفته ؟ " .

١٩ – و به قال السري: " أقوى القوة غلبتك نفسك، و من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز؛ و من أطلع من فوقه أطاعه من دونه.

٢٠ – و به قال السري: " من خاف الله خافه كل شيء " .

٢١ – و به قال السري: " لسانك رجمان قلبك؛ و وجهك مرآة قلبك؛ يتبين على الوجه ما تضمر القلوب " .

٢٢ – و به قال السري: " القلوب ثلاثة: قلب مثل الجبل، لا يزيله شيء؛ و قلب مثل النخلة، أصلها ثابت و الريح تميلها؛ و قلب كالريشة، يميل مع الريح يمينا و شمالا " .

٢٣ – و به قال السري: " لا تصرم أخاك على ارتياب. و لا تدعه دون الاستعتاب " .

٢٤ – و به قال: " إن اغتممت لما ينقص من مالك، فابك على ما ينقص من عمرك " .

٢٥ – و به قال السري: " من علامة المعرفة بالله القيام بحقوق الله، و إيثاره على النفس، فيما أمكنت فيه القدرة " .

٢٦ – و به قال السري: " من قلة الصدق كثرة الخلطاء " .

٢٧ – و به قال السري: " حسن الخلق كف الاذى عن الناس؛ و احتمال الأذى عنهم بلا حقد و لا

---

(١) الكامل في التاريخ، ٥/٢١

مكافأة " .

٢٨ - و به قال السري: " من علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس " .

٢٩ - و به قال السري: " خير الرزق ما سلم من خمسة: من الآثام في الاكتساب؛ و المذلة و الخضوع في السؤال؛ و الاغش في الصناعة؛ و أثمان آلة المعاصي؛ و معاملة الظلمة " .

٣٠ - و به قال السري: " أحسن الأشياء خمسة: البكاء على الذنوب؛ و إصلاح العيوب؛ و طاعة علام الغيوب؛ و جلاء الرين من القلوب؛ و ألا تكون لكل ما تهوى ركوب " .

٣١ - و بهذا الإسناد، قال السري: " خمسة أشياء، لا يسكن في القلب معها غيرها: الخوف من الله وحده؛ و الرجاء لله وحده؛ و الحب لله وحده؛ و الأنس بالله وحده " .

* * *

٣٢ - سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد بن إبرهيم، الفارسي، يقول: سمعت محمد بن الحسين، يقول: سمعت علي بن عبد الحميد الغضائري، بحلب، يقول: سمعت السري، يقول: " أجلد الناس من ملك غضبه " .

٣٣ - و بهذا الإسناد، قال السري: " من تزين للناس بما ليس فيه، سقط من عين الله عز وجل " .

٣٤ - و به قال السري: " لن يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته؛ و لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه " .

* * * ٣٥ - سمعت أبا نصر الطوسي، يقول: سمعت جعفرا الخلدي، يقول: سمعت الجنيد، يقول: قال رجل لسري السقطي: "كيف أنت؟ " فقال: من لم يبت و الحب حشو فؤاده لم لم يدر كيف تفتت الاكباد * * * ٣٦ - سمعت أبا الحسن بن مقسم ببغداد، سمعت جعفرا الخلدي، يقول: سمعت الجنيد، يقول: سمعت السري، يقول: إذا ابتدأ الإنسان بالنسك ثم كتب الحديث فتر؛ و إذا ابتدأ بكتب الحديث، ثم تنسك، نفذ " .

٦ - الحارث المحاسبي." [١]

"بيته فأهدى إليه تفاحا، فلما جاء به الرسول، قال عمر: ما أطيب ريحه وأحسنه، ارفعه يا غلام، فأقرئ فلانا السلام وقل له:إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث تحب، فقلت يا أمير المؤمنين ابن عمك ورجل من أهل بيتك وقد بلغك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة قال:

---

(١) طبقات الصوفية، ص/٣٢

ويحك؟ إن الهدية كانت للنبي هدية وهي لنا اليوم رشوة(١)، ومن ورعه أنه كان لا يرى لنفسه أن تشم رائحة مسك أتته من أموال المسلمين، فعندما وضعت بين يديه مسكة عظيمة فأخذ بأنفه، فقيل يا أمير المؤمنين إنما هو ريح قال: وهل ينتفع منها إلا بريحها(٢)،وكان يحترز من استعمال أموال المسلمين العامة، فكان يسرج السراج من بيت إذا كان في حاجة المسلمين، فإذا فرغ من حوائجهم أطفأها ثم أسرج عليه سراجه الخاص به من ماله الخاص(٣)، وقد ذكر المؤرخون كثيرا من الأمثلة التي تدل على ورعه، فقد اعتبر أن البعد عن أموال السملين حتى في الأشياء اليسيرة القليلة هو من باب الابتعاد عن الشبهة، فكان بعيد عن الشبهات(٤)احتياطا لدينه، وذلك أن الأمور ثلاثة كما قال هو بنفسه:

١ . أمر استبان رشده فاتبعه .

٢ . وأمر تبين خطؤه فاجتنبه .

٣ . وأمر **أشكل عليك** فتوقف عنه(٥) .

---

(١) سيرة عمر لابن الجوزي صـ١٩٧ .

(٢) سيرة عمر لابن الجوزي صـ٢٠٠ ، كتاب الورع لابن أبي الدنيا صـ٧٤ وقال محقق الكتاب إسناد الأثر .

(٣) الآثار الواردة في عمر بن عبد العزيز في العقيدة (١٦٤/١) .

(٤) المصدر نفسه (١٦٥/١) .

(٥) العقد الفريد (٣٩٧/٤) الآثار الواردة (١٦٥/١) .." [1]

"١٦ ويأخذ عليه واشتهر بالخير والعلم ودخل العجم وسمع الكثير ورجع إلى بغداد وسمع حديثها ولقي مشايخها قال ولقيته ببغداد واستزارني إلى بيته وقال جماعته أنا مملوك بيت الحنبلي ثم سافر إلى أصبخان وقال الشيخ موفق الدين كان رجلا صالحا وهو من جبة طرابسل سبي من طرابلس صغيرا واشتراه ابن نجية وأعتقه فسافر إلى بغداد ثم إلى أصبهان وكان يسمع معنا الحديث انتهى سمع المترجم من ابن ناصر وأضرابه وتفقه على أبي حكيم النهرواني وصحب الشيخ عبد القادر الجيلي مدة مائلا إلى الزهد والصلاح وانتفقع به قال ابن النجار كتب إلى عبد الله بن أبي الحسن الجبائي قال كنت أسمع كتاب حلية الأولياء على شيخنا ابن ناصر فرق قلبي وقلت في نفسي اشتهيت أن أنقطع عن الخلق وأشتغل بالعبادة

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد، ٣٥٥/٣

ومضيت وصليت خلف الشيخ عبد القادر فلما صلى جلسنا بين يديه فنظر إلي وقال إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم فحينئذ يصلح لك الانقطاع وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه وأنت فريخ ما ريشت فإن **أشكل عليك** شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك وتسأل الناس عن أمر دينك ما أحسن صاحب الزاوية أن يخرج من زاويته ويسأل الناس عن أمر دينه ينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره قال وكان الشيخ يتكلم يوما في الإخلاص والرياء والعجب وأنا حاضر في المجلس فخطر في نفسي كيف الخلاف من العجب فالتفت إلى الشيخ وقال إذا رأيت الأشياء من الله تعالى وأنه وفقك لعمل الخير وأخرجت من البين سلمت من العجب وقال ابن الحنبلي كانت حرمة الشيخ عبدالله كبيرة ببغداد وبأصبهان وكان إذا مشى في السوق قام له أهل السوق وله رياضات ومجاهدات وروى عنه ابن خليل في معجمه وتوفي ثالث جمادى الآخرة بأصبهان وفيها عبدالواحد بن أبي المطهر القسم بن الفضل الصيدلاني الأصبهاني في جمادى الأولى عن إحدى وتسعين." (١)

" ويأخذ عليه واشتهر بالخير والعلم ودخل العجم وسمع الكثير ورجع إلى بغداد وسمع حديثها ولقي مشايخها قال ولقيته ببغداد واستزارني إلى بيته وقال جماعته أنا مملوك بيت الحنبلي ثم سافر إلى أصبهان وقال الشيخ موفق الدين كان رجلا صالحا وهو من جبة طرابلس سبي من طرابلس صغيرا واشتراه ابن نجية وأعتقه فسافر إلى بغداد ثم إلى أصبهان وكان يسمع معنا الحديث انتهى سمع المترجم من ابن ناصر وأضرابه وتفقه على أبي حكيم النهرواني وصحب الشيخ عبد القادر الجيلي مدة مائلا إلى الزهد والصلاح وانتفع به قال ابن النجار كتب إلى عبد الله بن أبي الحسن الجبائي قال كنت أسمع كتاب حلية الأولياء على شيخنا ابن ناصر فرق قلبي وقلت في نفسي اشتهيت أن أنقطع عن الخلق وأشتغل بالعبادة ومضيت وصليت خلف الشيخ عبد القادر فلما صلى جلسنا بين يديه فنظر إلي وقال إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم فحينئذ يصلح لك الانقطاع وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه وأنت فريخ ما ريشت فإن **أشكل عليك** شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك وتسأل الناس عن أمر دينك ما أحسن صاحب الزاوية أن يخرج من زاويته ويسأل الناس عن أمر دينه ينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره قال وكان الشيخ يتكلم يوما في الإخلاص والرياء والعجب وأنا حاضر في المجلس فخطر في نفسي كيف الخلاف من العجب فالتفت إلى الشيخ وقال إذا رأيت الأشياء من الله تعالى وأنه وفقك لعمل الخير وأخرجت من البين سلمت من العجب وقال ابن الحنبلي كانت حرمة الشيخ عبدالله

---

(١) شذرات الذهب – ابن العماد، ٥/١٥

كبيرة ببغداد وبأصبهان وكان إذا مشى في السوق قام له أهل السوق وله رياضات ومجاهدات وروى عنه ابن خليل في معجمه وتوفي ثالث جمادى الآخرة بأصبهان وفيها عبدالواحد بن أبي المطهر القسم بن الفضل الصيدلاني الأصبهاني في جمادى الأولى عن إحدى وتسعين

---

(١) ".

" أبي إسحاق الإسفراييني وقعد يسمع جميع درسه أياما ، فقال له الأستاذ : هذا العلم لا يحصل بالسماع . وما توهم فيه ضبط ما يسمع ، فأعاد عليه ما سمعه منه ، وقرره أحسن تقرير من غير إخلال بشيء ، فتعجب منه ، وعرف محله ، فأكرمه ، وقال : ما كنت أدري أنك بلغت هذا المحل ، فلست تحتاج إلى درس ، بل يكفيك أن تطالع مصنفاتي ، وتنظر في طريقتي ، وإن **أشكل عليك** شيء طالعتني به ، ففعل ذلك ، وجمع بين طريقته وطريقة ابن فورك ، ثم نظر في كتب القاضي أبي بكر ابن الطيب ابن الباقلاني ، وهو مع ذلك يحضر مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق ، ثم إنه اختاره لكريمته فزوجها منه ، مع كثرة أقاربها . ولما توفي ابو علي عاشر أبا عبد الرحمن السلمي ، وصار أستاذ خراسان ، وأخذ في التصنيف ، وصنف ' التفسير الكبير ' قبل العشر وأربع مئة ، وخرج إلى الحج في رفقة فيها الإمام أبو محمد الجويني ، والشيخ أحمد البيهقي ، وجماعة من المشاهير ، فسمع معهم الحديث ببغداد وبالحجاز من مشايخ العصر . وكان في علم الفروسية واستعمال الأسلحة وما يتعلق به أحد أفراد عصره ، وله في ذلك دقائق وعلوم انفرد بها ، وأما الجلوس للتذكير والوعظ ، والقعود بين المريدين ، والجواب عن أسولتهم عن الوقائع ، فمنه وإليه ، أجمع أهل عصره على أنه عديم النظير فيها ، غير مشارك في أساليب التكلم على المسائل ، وفي تطبيب القلوب ، وفي الإشارات اللطيفة المستنبطة من الآيات

---

(٢) ".

""""" صفحة رقم ١٥٥ """"

شيخ المشايخ وأستاذ الجماعة ومقدم الطائفة ومقصود سالكي الطريقة وبندار الحقيقة وعين السعادة وحقيقة الملاحة لم ير مثل نفسه ولا رأى الراءون مثله في كماله وبراعته جمع بين علم الشريعة والحقيقة وشرح

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس، ١٦/٥

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية، ٥٦٤/٢

أحسن الشرح أصول الطريقة
أصله من ناحية أستوا من العرب الذين وردوا خراسان وسكنوا النواحي فهو قشيري الأب سلمي الأم وخاله أبو عقيل السلمي من وجوه دهاقين ناحية أستوا
توفي أبوه وهو طفل فوقع إلى أبي القاسم الأليماني فقرأ الأدب والعربية عليه بسبب اتصاله بهم وقرأ على غيره وحضر البلد واتفق حضوره مجلس الأستاذ الشهيد أبي علي الحسن بن علي الدقاق وكان لسان وقته فاستحسن كلامه وسلك طريق الإرادة فقبله الأستاذ وأشار عليه بتعلم العلم فخرج إلى درس الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن بكر الطوسي وشرع في الفقه حتى فرغ من التعليق ثم اختلف بإشارته إلى الأستاذ الإمام أبي بكر بن فورك وكان المقدم في الأصول حتى حصلها وبرع فيها وصار من أوجه تلامذته وأشدهم تحقيقا وضبطا وقرأ عليه أصول الفقه وفرغ منه ثم بعد وفاة الأستاذ أبي بكر اختلف إلى الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني وقعد يسمع جميع دروسه وأتى عليه أيام فقال له الأستاذ هذا العلم لا يحصل بالسماع
وما توهم فيه ضبط ما يسمع فأعاد عنده ما سمعه منه وقرره أحسن تقرير من غير إخلال بشيء فتعجب منه وعرف محله فأكرمه وقال ما كنت أدري أنك بلغت هذا المحل فلست تحتاج إلى درسي يكفيك أن تطالع مصنفاتي وتنظر في طريقي وإن **أشكل عليك** شيء طالعتني به ففعل ذلك وجميع بين طريقته وطريقة ابن فورك." (١)

"وبه إلى عبد الخالق، قال: أخبرنا الإمام أبو تراب عبد الباقي بن يوسف المراغي، قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الله بن حماد، قال: حدثنا أبو حفص عمر بن محمد الزيات، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن عبيد الله الجوهري، قال: حدثني أبو يعلى زكريا بن يحيى المنقري، قال: حدثنا الأصمعي، قال: سمعت أعرابيا يقول: إذا **أشكل عليك** أمران لا تدري أيهما الرشد فخالف أقربهما من هواك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى.
شيخة أخرى
١٧١- حبيبة بنت عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي، أم عبد الرحمن ابنة الزين.
حضرت على اليلداني وخطيب مردا، وسمعت من إبراهيم بن خليل، وابن عبد الدائم، وأجاز لها من بغداد إبراهيم بن أبي بكر الزعبي وعلي بن عبد اللطيف ابن الخيمي، وفضل الله ابن الجيلي، ومحمد بن نصر

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ـ موافق للمطبوع، ٥/١٥٥

ابن الحصري، ومن الديار المصرية سبط السلفي وغيره، ومن الشام البكري وغيره، ومن مكة المرسي، ومن المدينة النبوية الملك الناصر داود ابن المعظم عيسى، وحدثت.

سمع منها الذهبي والبرزالي، وذكرها في مسودة ((معجمه)) فقال: امرأة مباركة وهي الوسطى من أخواتها، مولدها تقريبا سنة خمسين وست مئة بسفح قاسيون. انتهى كلامه. وتوفيت في خامس شعبان سنة ثلاث." (١)

"يا بديعا جل عن شبه ... ما يداني حسنك القمر

صل ووجه الدهر مقتبل ... فزمان الوصل مختصر

وقد كتب القطيعي عنه، وزاد بيتا آخر، وهو:

كم رأينا وجنة فتنت ... فمحى اثارها الشعر

عبد الله بن أبي الحسن بن أبي الفرج الجبائي

الطرابلسي الشامي، الفقيه الزاهد أبو محمد، نزيل إصبهان. وسمي المنذري جده أبا الفضل، والأول أصح، قال القطيعي: سأله عن مولده. قال: سنة إحدى وعشرين وخمسمائة تقريبا.

وقال المنذري: مولده سنة تسع عشرة – أو سنة عشرين – وخمسمائة.

وقال القطيعي: سألته عن نسبه. فقال لي: نحن من قرية يقال لها: الجبة، من ناحية بشري، من أعمال طرابلس، في جبل لبنان، وكنا قوما نصارى، فتوفى أبي ونحن صغار. وكان أبي من علماء النصارى، وهم يعتقدون فيه أنه يعلم الغيب، فلما مات نفذت إلى المعلم، فقالت والدتي: ولدي الكبير للكسب وعمارة أرضنا، وولدي الصغير يضعف عن الكسب – وأشارت إلي – ولنا أخ أوسط، فقال المعلم: أما هذا الصغير – يعنيني – فلا يتعلم العلم، ولكن هذا – وأشار إلى أخي – فأخذه وعلمه ليكون مقام أبي. فقدر الله أن وقعت حروب. فخرجنا من قريتنا. فهاجرت من بينهم. وكان في قريتنا جماعة من المسلمين يقرأون القرآن. فإذا سمعتهم أبكي. فلما دخلت أرض الإسلام أسلمت، وعمري أحد عشر سنة. ثم بلغني إسلام أخي الكبير. وتوفي مرابطا. ثم اسلم أخي الصغير الذي كان يعلمه المعلم. ودخلت بغداد في سنة أربعين وخمسمائة.

قلت: وقد أصابه سبى واسترق.

فذكر أبو الفرج بن الحنبلي – ونقلته من خطه – قال: كان مملوكا، فقرأ القرآن في حلقة الحنابلة – يعني

---

(١) معجم الشيوخ للسبكي، ص/٥٥٣

بجامع دمشق – فحفظه، وحفظ شيئا من عبادات المذهب الحنبلي، فقام قوم إلى الشيخ زين الدين علي بن إبراهيم بن نجا الواعظ، وهو على منبر الوعظ، فقالوا: هذا الصبي قد حفظ القرآن وهو على خير، نريد أن نشتريه ويعتق، فاشترى من سيده وأعتق، وسافر عن دمشق، وطلب همدان، ولقي الحافظ أبا العلاء الهمداني، فأقام عنده. وقرأ عليه القران. وسمع الحديث، وصار عند الحافظ مصدرا يقرىء الناس، ويأخذ عليهم. واشتهر بالخير والعلم، ودخل العجم. وسمع الكثير، ورجع إلى بغداد، وسمع حديثها، ولقي مشايخها.

قال: ولقيته ببغداد، واستزارني إلى بيته. وقال لجماعته: أنا مملوك بيت الحنبلي. ثم سافر إلى إصبهان.

وقال الشيخ موفق الدين المقدسي: كان – يعني الجبائي – رجلا صالحا. وهو من " جبة " طرابلس. وسبي من طرابلس صغيرا، ثم اشتراه ابن نجية وأعتقه، فسافر إلى بغداد، ثم إلى إصبهان. وكان يستمع معنا الحديث. انتهى.

سمع الشيخ أبو محمد ببغداد من ابن ناصر الحافظ الإرموي، وابن الطلاية وسعيد بن البنا، ودعوان بن علي الحسني وأبي علي حمد بن شاتيل القاضي، وأبي المعمر الأنصاري وغيرهم.

وسمع بإصبهان من أبي الخير الباغباني، ومسعود الثقفي، وغيرهم.

وتفقه ببغداد على أبي حكيم النهرواني. وأخذ عنه القطعة التي كتبها من شرح الهداية. وصحب الشيخ عبد القادر الجيلي مدة، مائلا إلى التزهد والصلاح والخير والانقطاع، وانتفع به. وكان يحكي عنه كثيرا من أحواله وكراماته.

قال ابن النجار: كتب إلي عبد الله بن أبي الحسن الجبائي ونقلته من خطه قال: كنت أسمع كتاب " حلية الأولياء " على شيخنا أبي الفضل بن ناصر، فرق قلبي، وقلت في نفسي: أشتهي أن أنقطع عن الخلق وأشتغل بالعبادة، ومضيت وصليت خلف الشيخ عبد القادر فلما صلى جلسنا بين يديه فنظر غلي وقال: إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم، فحينئذ يصلح لك الانقطاع، وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه، وأنت فريخ ما ربشت فإن **أشكل عليك** شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك، وتسأل الناس عن أمر دينك؟ ما يحسن بصاحب الزاوية أن يخرج من زاويته، ويسأل الناس عن أمر دينه. ينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره.

قال: وكان الشيخ يوما يتكلم في الإخلاص والرياء والعجب، وأنا حاضو في المجلس، فخطر في نفسي:

كيف الخلاص من العجب؟ فالتفت إلي الشيخ، وقال: إذا رأيت الأشياء من الله، وأنه وفقك لعمل الخير، وأخرجت نفسك من الشين سلمت من العجب.." (١)

"قال ابن النجار: كتب إلي عبد الله بن أبي الحسن الجبائي ونقلته من خطه قال: كنت أسمع كتاب "حلية الأولياء" على شيخنا أبي الفضل بن ناصر، فرق قلبي، وقلت في نفسي: أشتهي أن أنقطع عن الخلق وأشتغل بالعبادة، ومضيت وصليت خلف الشيخ عبد القادر فلما صلى جلسنا بين يديه فنظر غلي وقال: إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم، فحينئذ يصلح لك الانقطاع، وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه، وأنت فريخ ما ربشت فإن **أشكل عليك** شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك، وتسأل الناس عن أمر دينك؟ ما يحسن بصاحب الزاوية أن يخرج من زاويته، ويسأل الناس عن أمر دينه. ينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره.

قال: وكان الشيخ يوما يتكلم في الإخلاص والرياء والعجب، وأنا حاضو في المجلس، فخطر في نفسي: كيف الخلاص من العجب؟ فالتفت إلي الشيخ، وقال: إذا رأيت الأشياء من الله، وأنه وفقك لءمل الخير، وأخرجت نفسك من الشين سلمت من العجب.

يليه الجزء الثاني ...

؟؟

؟؟

؟؟

؟؟

ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي مكتبة مشكاة الإسلامية

١١." (٢)

"والله ما لهذا حملتني فلو أن العاصي سمع ذلك الصوت لمات حياء من الله تعالى، وكان رضي الله عنه يقول: بلغنا أن حبرا من أحبار بني إسرائيل كان يقول: يا رب كم أعصيك ولم تعاقبني فأوحى الله تعالى إلى نبي من بني إسرائيل قل لفلان كم أعاقبك وأنت لا تدري ألم أسلبك حلاوة مناجاتي. وكان يقول: أنت لا تطيع من يحسن إليك فكيف تحسن إلى من يسيء إليك رضي الله عنه.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة، ص/٢٠٠

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، ١/٤٤٤

؟ومنهم أبو علي أحمد بن عاصم الأنطاكي

رضي الله عنه

هو من أقران بشر بن الحارث الحافي والسري السقطي والحارث المحاسبي وكان أبو سليمان الداراني يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته رضي الله عنه وكان يقول: ما كنت أظن إني أدرك زمانا يعود الإسلام فيه غريبا فقيل له: وهل عاد الإسلام غريبا قال: نعم إن ترغب فيه إلى عالم تجده مفتونا بالدنيا يحب الرياسة والتعظيم، ويكل الدنيا بعلمه ويقول: أنا أولى بها من غيري وإن تركب فيه إلى عابد معتزل في جبل تجده مفتونا جاهلا في عبادته مخدوعا لنفسه ولإبليس قد صعد إلى أعلى درجات العبادة، وهو جاهل بأدناها فكيف بأعلاها فقد صارت العلماء والعباد سباعا ضاربة وذئابا مختلسة فهذا وصف أهل زمانك من أهل العلم والقرآن ورعاة الحكمة " فاعتبروا يا أولي الأبصار " وكان رضي الله عنه يقول: إذا جالستم أهل الصدق من الفقراء فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في قلوبكم ويخرجون منها وأنتم لا تشعرون رضي الله عنه.

ومنهم منصور بن عمار الواعظ

رضي الله تعالى عنه ورحمه

هو من أهل مرو وأقام بالبصرة وكان من أحسن الواعظين ومن حكماء المشايخ كبير الشأن في التقلل والورع . كان رضي الله عنه يقول: إذا سخر الشيطان برجل، جعله ينقل إلى الناس النميمة والقاذورات، ولو أن إبليس كان يهابه ما حمله شيئا من ذلك وكان رضي الله عنه يقول: سبحان من جعل قلوب العارفين أوعية للذكر وقلوب أهل الدنيا أوعية للطمع، وقلوب الفقراء أوعية للقناعة، وكان يقول عجبت للقراء كيف يهجرون إخوانهم سنين على زلة وقعت ولا يحملونهم على القناعة والتوبة، وإذا رأوا ظالما يأخذ ما لا بغير حق ثم يتوارى عنهم بجدار يقولون هذا حلال لاحتمال أن يكون بدله بغيره ولا يرون أن ذلك الواقع في الزلة تاب عن زلته بعد مدة والقاعدة واحدة رضي الله عنه.

ومنهم حمدون بن أحمد القصار النيسابوري

رضي الله تعالى عنه ورحمه

وهو شيخ الملامتية بنيسابور ومنه انتشر مذهب الملامتية. صحب أبا تراب النخشبي والنصراباذي رضي الله عنهما وكان فقيها عالما يذهب مذهب الثوري رضي الله عنه وطريقته لم يأخذها عنه أحد من أصحابه كأخذ عبد الله بن محمد بن منازل صاحبه. مات حمدون سنة إحدى وسبعين ومائتين بنيسابور ودفن في

مقبرة الحيدة، وكان رضي الله عنه يقول: من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر، وكان يقول: من نظر في سير السلف عرف تقصيره، وتخلفه عن درجات الرجال وقيل له ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا فقال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن ونحن نتكلم لعز النفوس، وطلب الدنيا واعتقاد الخلائق لنا، وكان يقول للفقهاء إذا **أشكل عليكم** علم فاسألوا عنه القوم لكن بذل النفوس وإظهار الضعف والاعتراف بالجهل يزيل عنكم الإشكال، وكان رضي الله عنه يقول جمال الفقير في تواضعه فإذا تكبر فقد زاد على الأغنياء في الكبر وكان رضي الله عنه يقول: إذا صحبت فاصحب الصوفية فإن للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به رضي الله عنه.

ومنهم أبو الحسن المقرئ

رضي الله تعالى عنه

كان يقول: لو عمل قارئ القرآن بالقرآن لم تحرقه نار الدنيا وكان يقول: يقبح على قارئ القرآن أن يعصي الله ولو مرة في عمره وكان يقول: أعظم الكبائر فساد العلماء، وأشد المصائب زنا القراء، وكان رضي الله عنه يقول: يأتي القرآن يوم القيامة، وحوله المخلصون كالجمال البخت ويدور حوله قوم آخرون فيقول لهم: سحقا أضعتموني في الدنيا فلا تصحبوني في الآخرة.

ومنهم السيد عبد الله من أولاد إبراهيم بن الحسن

بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه." (١)

"صان له أبيضان، فأبطأ علينا فقال ابن عم له: لا يخرج منها أبدا، ثم خرج علينا وقميصاه ينطفان عرقا، وهو يقول: بدا، بدا، كل حق هو مؤدى، أنا عبد الله الأعلى، زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها أبدا، قال: فأهل ذلك البيت يدعون ابن راعية المعزى إلي اليوم، فقلنا له: يا خالد ما الذي رأيت؟ قال: رأيت أحدا تحشها فشدختهن وقد طفيتها عنكم، وكانت تضر بنا في الكلأ والمرعى، وكان من أعاجيبه أنه وقف علينا فقال: امضوا معي فمضينا معه حتى أتى مكانا من الأرض فقال: احتفروا فاحتفروا، فأبدى لنا عن صخرة فيها كتاب قد زبر زبرا وحفر حفرا: " الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد " فاحتملناها، فكانت إذا نزلت بنا شدة أبدانا عنها فتكشف عنا، وكنا إذا قحط بنا المطر جللها ثوبا ثم قام يصلي ويدعو فمطر حتى إذا روينا كشف الثوب عنه فيمسك المطر، وكان من أعاجيبه أنه قال: إن امرأتي حامل غلام واسمه مرة وهو أحيمر كالذرة ولن يصيب المولى معه مضرة، ولن تروا ما دام فيكم

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني، ص/٨٢

معرة، ثم قال: إني ميت إلى سبع فادفنوني في هذه الأكمة، ثم اخرجوا إلى قبري بعد ثالثة، فإذا رأيتم العير الأبتر يطوف حول قبري ويسوف بمنخره فانبشوني تجدوني حيا أخبركم بما يكون حتى تقوم الساعة، فخرجوا بعد ثالثة إلى قبره فإذا نحن بالعير الأبتر يطوف حول قبره ويسوف بمنخره فأردنا أن ننبشه فمنعنا قومه من ذلك قالوا: لا ندعكم تنبشوه تعيرنا به العرب، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أتته ممياة بنت خالد فانتسبت له فبسط لها رداءه وأجلسها عليه وقال: بنت أخي نبيا ضيعه قومه.

وقالوا: حدثنا أبو سعيد النفاش قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم الغسال قال: حدثنا علي بن الحسن بن جنيد قال: حدثنا يعلى بن مهدي الموصلي قال: حدثنا أبو عوانة عن أبي يونس عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه: إني أطفيء نار الحدثان فقال له رجل من قومه يقال له عمارة بن زياد: والله يا خالد ما قلت لنا قط إلا حقا فما شأنك ونار الحدثان تزعم أنك تطفئها، فخرج خالد ومعه ناس من قومه فيهم عمارة بن زياد فخط لهم خالد خطا فأجلسهم فيها فإذا هي تخرج من شق جبل في حرة يقال لها حرة أشجع فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا فاستقبلها خالد بعصاه فجعل يضربها ويقول: بدا بدا كل هدي مؤدى، زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندا، وقد كان خالد قال لهم: فإن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي فأبطأ عليهم فقال لهم عمارة بن زياد: إن صاحبكم والله إن كان حيا لقد خرج إليكم بعد، فادعوه باسمه، قالوا له: إنه قد نهى أن ندعوه باسمه، فدظوه باسمه، فخرج إليهم فقال لهم: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي فقد والله قتلتموني، احملوني فادفنوني فإذا مرت عليكم الحمر منها حمار أبتر فانبشوني فإنكم ستجدوني حيا، فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فأرادوا نبشه، فقال لهم عمارة بن زياد: لا تنبشوه لا والله ما تحدث مضر أنا ننبش موتانا، وقد كان خالد قال لهم: إن في عكم امرأته لوحين فإذا أشكل عليكم شيء فانظروا فيها، فإنكم ستجدون ما تريدون، ولا تمسها حائض، فأتوا امرأته فسألوها عنها فأخرجتها إليهم، وهي حائض فذهب ما كان فيها من علمه.

قال أبو يونس: قال سماك سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: نبي أضاعه قومه.

قال أبو يونس: قال سماك: إن ابن خالد بن سنان أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: مرحبا يا بن أخي.

قال أحمد بن حنبل: أبو يونس الذي روى عنه أبو عوانة حديث خالد النبي لا أعرفه.

وفي غير هذه الرواية أن ابنته أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقرأ: قل هو الله أحد، فقالت: كان أبي يقول ذا.

خالد بن صفوان بن عبد الله

ابن عمر بن سنان المعروف بالأهتم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر ابن أسد بن الحارث المعروف بمقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو صفوان التميمي المنقري البصري، يعرف بالأهتم أيضا لأنه ضرب بقوس على فيه فهتمت أسنانه، وكان معدودا من الخطباء البلغاء الفصحاء.." (١)

"وكثر أسف الناس على الأمير جانبك إلى الغاية، وعظمت مصيبته على أصحابه وخجداشيته، وانطلقت الألسنة بالوقيعة في السلطان، ورثاه بعضهم، وقالت المذاكرة في أمره قطعا في كيفية قتلته، وفي عدم وفاء السلطان على ما كان قام بأمره حتى سلطنه وثبت قواعد ملكه. واضطرب ملك الملك الظاهرخشقدم بقتله، وخاف كل أحد من خجداشيته وغيرهم على نفسه، وماجت المملكة وكثر الكلام في الدولة، ووقع أمور بعد ذلك ذكرناها في وقتها، ليس لذكرها هنا محل انتهى. ومات الأمير جانبك رحمه الله تعالى وهو في أوائل الكهولية، غير أنه كان بادره الشيب ببعض لحيته. وكان رحمه الله تعالى أصله جاركسي الجنس وجلب إلى الديار المصرية، وتنقل من ملك واحد إلى آخر ذكرنا أسماءهم في ترجمته في غير موضع من مصنفاتنا إلى أن ملكه الملك الظاهر جقمق في أيام إمرته وأعتقه. فلما تسلطن جعله خاصكيا وقربه، ولازال يرقيه حتى أمره وولاه بندر جدة. ونالته السعادة في أيام أستاذه، وعظم وضخم ونهض في إمرة جدة، بحيث إنه صار في وقته حاكم الحجاز جميعه حتى مات في دولة أستاذه وفي دولة غيره وقد حررنا ذلك جميعه في " الحوادث " وغيره. وعظم بآخره عظمة زائدة، لا سيما لما ولي الدوادارية الكبرى في دولة الملك الظاهر خشقدم، وصار هو مدبر المملكة، وشاع ذكره، وبعد صيته، حتى كاتبه ملوك الأقطار من كل جهه وقطر. وأما ملوك اليمن والحجاز والهند فإنه أوقفني مرة على عدة كثيرة من مكاتبات ملوك الهند، وبعضها مشتمل على نظم ونثر وفصاحة وبلاغة، وأما ما كان يأتيه من ملوك الهند من الهدايا والتحف فشيء لا يحصر كثرة. وتضاعفت الهدايا له في هذه الدولة أضعاف ما كان يهدى إليه أولا، وقال له الدهر: خذ، فأخذ وأعطى حتى أسرف وبذر، بحيث إنه لم يكن أحد من خجداشيته وغيرهم من كثرتهم له مال إلا من إنعامه عليه، أو هو ساكن في بيت أنعمه عليه. والذي أعرف أنه وهب تسعة دور من بيوت مقدمي الألوف بالديار المصرية على تسعة نفر من خجداشيته الأكابر الأمراء وغيرهم، وقس على هذا من الخيول والقماش. وكان في مجاورتي بمكة في سنة ثلاث وستين يلازمني وألازمه في الحرم

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٢١٩/٣

كثيرا، ولم أنظره تصدق على أحد فيما تصدق به أقل من عشرة أشرفية، هذا مع اقتنائه من كل شيء أحسنه وأجمله وأكثره، لاسيما بركه وخيمه، فكان إليها المنتهى في الحسن، يضرب بها المثل. ويكفيك من علو همته أنه أنشأ بداره بستانا أزيد من مائة فدان، بابه الأول من داره قريب من خط قناطر السباع، وبابه الآخر تجاه الروضة، ثم أنشأ له تلك القبة العظيمة والرصيف الهائل تجاه الروضة. وبالجملة والتفصيل إن بابه كان محط الرحال، وملجأ الطالبين الملهوفين، ونصرة المظلومين، وكثرة المحتاجين؛ فإنه كان يعطي إلالفين دينارا دفعة واحدة إلى ما دونها، وكان يعطي من المغل ألف إردب دفعة واحدة أيضا في يوم واحد إلى ما دونها إلى عشرة أرادب، وأعطى في يوم واحد لبعض أعيان خجداشيته مائة ناقة بأتباعها، يعرف هذا كل أحد، فقس على كرمه أيها المتأمل ما شئت أن تقيس. ثم اعلم أنه لم يخلف بعده مثله، وإن **أشكل عليك** هذا القول، فسل من أحد من أمرائك العصريين عشرة من إلابل، فإن أعطاك فاشكر مولاك، واعلم أن الناس فيهم بقية كرم، وإن لم يعطك فاشهد بصدق مقالتي. وعل كل حال إنه كان ملكا كريما جليلا، مهابا شهما، عارفا حاذقا فطنا، فصيح العبارة في اللغة العربية والتركية بالنسبة لأبناء جنسه. وكان قصير القامه مع كيس في قده، وظرف في تناسب أعضائه بعضها لبعض. وكان سيوسيا حسن التدبير؛ ومن حسن سياسته أنه لم ينحط قدره بعد زوال دولة أستاذه الملك الظاهر جقمق، بل زادت حرمته أضعاف ما كانت في أيام أستاذه، مع كثرة حكام الدولة الأشرفية الإينالية وتفرق كلمتهم، فساس كل واحد بحسب حاله، وأقام في دولتهم عظيما مبجلا، وبوجوده كان أكبر الأسباب في إعادة دولة خجداشيته بعد موت الملك الأشرف إينال. وبالجملة إنه كان نادرة من نوادر دهره رحمه الله تعالى. وقد استوعبت أحواله في غير هذا المصنف بأطول من هذا بحسب الباعثة والقريحة، ورثيته بقصيدة نونية في غاية الحسن عفا الله عنه وصالح عنه أخصامه بمنه وكرمه. وتوفي الأمير سيف الدين تنم رصاص من نخشايش الظاهري المحتسب، أحد أمراء الطبلخانات، قتيلا بيد المماليك الأجلاب مع الأمير جانبك." (١)

"" صفحة رقم ٥٦٠ "

الأمر إليه ؛ لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته : لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل .

) واللائى يئسن من المحيض من نسآئكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن وأولات الا حمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٥/٥

عنه سيئاته ويعظم له أجرا (
الطلاق : (٤) واللائي يئسن من . . . . . .
روي أن ناسا قالوا : قد عرفنا عدة ذوات الأقراء ، فما عدة اللائي لا يحضن ؛ فنزلت : فمعنى) إن ارتبتم (: إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن ، وقيل : إن ارتبتم في ذم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين ، أهو دم حيض أو استحاضة ؟) فعدتهن ثلاثة أشهر (وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها ، فغير المرتاب بها أولى بذلك) واللائى لم يحضن (هن الصغائر . وارمعنى : فعدتهن ثلاثة أشهر ، فحذف لدلالة المذكور عليه . اللفظ مطلق في أولات الأحمال ، فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن . وكان ابن مسعود وأبي وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون . وعن علي وابن عباس : عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الأجلين . وعن عبد الله : من شاء لاعنته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة ، يعني : أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل . وروت أم سلمة :." [1]
"" صفحة رقم ٦٦٢ "
ترجع أمور العباد ، لا يحكم فيها غيره ، كقوله :) لمن الملك اليوم ((غافر : ١٦) ، أو إلى ربك مستقرهم ، أي : موضع قرارهم من جنة أو نار ، أي : مفوض ذلك إلى مشيئته ، من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار) بما قدم (من عمل عمله) و (بما) إلاها ءاخر (منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به ، أو بما أخره فخلفه . وبما قدم من عمل الخير والشر ، وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده . وعن مجاهد : بأول عمله وآخره . ونحوه : فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه) بصيرة (حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز ، كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله :) فلما جاءتهم ءاياتنا مبصرة ((النمل : ١٣) أو عين بصيرة . والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ ، ففيه ما يجزيء عن الإنباء ؛ لأنه شاهد عليها بما عملت ؛ لأن جوارحه تنطق بذلك) يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ((النور : ٢٤) ،) ولو ألقى معاذيره (ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها . وعن الضحاك : ولو أرخى ستوره ، وقال : المعاذير الستور ، واحدها معذار ، فإن صح فلأنه يمنع رؤية المحتجب ، كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب . فإن قلت : أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير ؟ قلت : المعاذير ليس بجمع معذرة ، إنما هو اسم جمع لها ، ونحوه : المناكير في المنكر .
) لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرءانه فإذا قرأناه فاتبع قرءانه ثم إن علينا بيانه كلا بل تحبون

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٤/٥٦٠

العاجلة وتذرون الا خرة وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة (القيامة : (١٦) لا تحرك به . . . . .

الضمير في) به (للقرآن . وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ، ولم يصبر إلى أن يتمها ، مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه ، فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه ، حتى يقضى إليه وحيه ، ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه . والمعنى : لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ) لتعجل به (لتأخذه على عجلة ، ولئلا يتفلت منك . ثم علل النهي عن العجلة بقوله) إن علينا جمعه (في صدرك وإثبات قراءته في لسانك) فإذا قرأناه (جعل قراءة جبريل قراءته : والقرآن القراءة) فاتبع قرءانه (فكن مقفيا له فيه ولا تراسله ، وطأمن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ ، فنحن في ضمان تحفيظه) ثم إن علينا بيانه (إذا **أشكل عليك** شيء من معانيه ، كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا ، كما ترى بعض الحراص على العلم ؛ ونحوه) ولا تعجل بالقرءان من قبل إن يقضى إليك وحيه ((طه : ١١٤) ،) كلا (ردع لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن عادة العجلة وإنكار لها عليه ، وحث على الأناة." [1]

"وأخرج أحمد عن مكحول قال : قال عيسى بن مريم : يا معشر الحواريين أيكم يستطيع أن يبني على موج البحر دارا قالوا : يا روح الله ومن يقدر على ذلك قال : إياكم والدنيا فلا تتخذوها قرارا.

وأخرج أحمد عن زياد أبي عمرو قال : بلغني أن عيسى عليه السلام قال : إنه ليس بنافعك أن تعلم ما لم تعلم ولما تعمل بما قد علمت إن كثرة العلم لا تزيد إلا كبرا إذا لم تعمل به.

وأخرج أحمد عن إبراهيم بن الوليد العبدي قال : بلغني أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال : الزهد يدور في ثلاثة أيام : أمس خلا وعظت به واليوم زادك فيه وغدا لا تدري ما لك فيه ، قال : والأمر يدور على ثلاثة ، أمر بان لك رشده فاتبعه وأمر بان لك غيه فاجتنبه وأمر **أشكل عليك** فكله إلى الله عز وجل.

وأخرج أحمد عن قتادة قال : قال عيسى عليه الصلام والسلام : سلوني فإن قلبي لين وإني صغير في نفسي.

وأخرج أحمد عن بشير الدمشقي قال : مر عيسى عليه الصلاة والسلام بقوم فقال : اللهم اغفر لنا ثلاثا فقالوا : يا روح الله انا نريد أن نسمع منك اليوم موعظة ونسمع منك شيئا لم نسمعه فيما مضى فأوحى الله إلى عيسى أن قل لهم اني من أغفر له مغفرة واحدة أصلح له بها دنياه وآخرته." [2]

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٤/٦٦٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣/٥٥٩

"أبتر فانبشوني فإنكم ستجدوني حيا ، فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقالوا : انبشوه فإنه أمرنا أن ننبشه ، فقال لهم عمارة : لا تحدث مضر أننا ننبش موتانا والله لا تنبشوه أبدا وقد كان خالد أخبرهم أن في عكن امرأته لوحين فإذا أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تساءلون عنه وقال : لا تمسها حائض فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم وقال أبو يونس : قال سماك بن حرب : سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك نبي أضاعه قومه وإن ابنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مرحبا بابن أخي قال
الحاكم : صحيح على شرط البخاري فإن أبا يونس هو حاتم بن أبي صغيرة وقال الذهبي منكر.
وأخرج ابن سعد والزبير بن بكار في الموفقيات ، وابن عساكر عن الكلبي قال : أول نبي بعثه الله في الأرض إدريس وهو أخنوخ بن يرد وهو يارد ابن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ثم انقطعت الرسل حتى بعث نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يارد وقد كان سام بن نوح نبيا ثم انقطعت الرسل حتى بعث الله إبراهيم نبيا وهو إبراهيم بن تارح وتارح هو آزر." (١)

"صفحة رقم ٣٨

وشواهد معانيهم ، وقد قال ابن عباس : " إذا أشكل عليكم الشيء من كتاب الله ، فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب .

وأما الإعراب ، فإن كان اختلافه موجبا لاختلاف حكمه وتغيير تأويله ، لزم العلم به في حق المفسر وحق القارئ ، ليتوصل المفسر إلى معرفة حكمه ، ويسلم القارئ من لحنه ، وروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه " .

وإن كان اختلاف إعرابه لا يوجب اختلاف حكمه ، ولا يقتضي تغيير تأويله ، كان العلم بإعرابه لازما في حق القارئ ليسلم من اللحن في تأويلاته ، ولم يلزم في حق المفسر لوصوله مع الجهل بإعرابه إلى معرفة حكمه ، وإن كان الجهل بإعراب القرآن نقصا عاما .

والقسم الثالث : ما يرجع فيه إلى اجتهاد العلماء ، وهو تأويل المتشابه ، واستنباط الأحكام ، وبيان المجمل ، وتخصيص العموم ، والمجتهدون من علماء

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٣٥/٥

الشرع أخص بتفسيره من غيرهم حملا لمعاني الألفاظ على الأصول الشرعية ،
حتى لا يتنافى الجمع بين معانيها وأصول الشرع ، فيعتبر فيه حال اللفظ ، فإنه ينقسم
قسمين :
أحدهما : أن يكون مشتملا على معنى واحد لا يتعداه ، ومقصورا عليه ولا
يحتمل ما سواه ، فيكون من المعاني [الجلية] والنصوص الظاهرة ، التي يعلم
مراد الله تعالى بها قطعا من صريح كلامه ، وهذا قسم لا يختلف حكمه ولا يلتبس
تأويله .
والقسم الثاني : أن يكون اللفظ محتملا لمعنيين أو أكثر ، وهذا على ضربين :." (١)
"٣٣٨

لجميع الناس برد الأمانات إلى أهلها ويقال نزلت في شأن اليهود حيث كتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وكانت أمانة عندهم فمنعوها ويقال هذا أمر لجميع المسلمين بأداء الفرائض وجميع الطاعات لأنها أمانة عندهم كقوله تعالى " إنا عرضنا الأمانة على السموات " إلى قوله " وحملها الإنسان "
ثم قال تعالى " وإذا حكمتم بين الناس " يعني بين القوم " أن تحكموا بالعدل " يقول بالحق وقال الضحاك " بين الناس " يعني بين الخصوم " أن تحكموا بالعدل " يعني على بالبينة على المدعي واليمين على المدعى عليه " إن الله نعما يعظكم به " يعني يأمركم بالعدل والنصيحة والاستقامة وأداء الأمانة " إن الله كان سميعا " بمقالة العباس " بصيرا " برد المفتاح إلى أهله قرأ ابن عامر والكسائي وحمزة " نعما " بنصب النون وكسر العين والاختلاف فيه كالاختلاف الذي في سورة البقرة وذلك قوله " إن تبدوا الصدقات فنعما هي "
سورة النساء ٥٩
وقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله " يعني في الفرائض " وأطيعوا الرسول " يعني في السنن ويقال " وأطيعوا الله " فيما فرض " وأطيعوا الرسول " فيما بين ويقال " أطيعوا الله " بقول لا إله إلا الله " وأطيعوا الرسول " بقول محمد رسول الله " وأولي الأمر منكم " قال الكلبي ومقاتل يعني أمراء السرايا وقال الضحاك يعني الفقهاء والعلماء في الدين ويقال الخلفاء والأمراء يجب طاعتهم ما لم يأمروا بالمعصية
ثم قال " فإن تنازعتم في شيء " من الحلال والحرام والشرائع " فردوه إلى الله والرسول " يعني إلى أمر الله فيما يأمر بالوحي وإلى أمر الرسول فيما يخبر عن الوحي ثم بعد النبي صلى الله عليه وسلم لما انقطع الوحي

(١) النكت والعيون . موافق للمطبوع، ٣٨/١

يرد إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويقال معناه إذا **أشكل عليكم** شيء فقول الله ورسوله أعلم وهذا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل وقال الخليل بن أحمد البصري الناس أربعة رجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فهذا أحمق فاجتنبوه ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فهذا جاهل فعلموه ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فهذا نائم فأيقظوه ورجل يدري ويدري أنه يدري فهذا عالم فاتبعوه

ثم قال تعالى " إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر " يعني إن كنتم تصدقون بالله وبالبعث بعد الموت " ذلك خير " يعني الرد إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم خير من الاختلاف " وأحسن تأويلا " يعني وأحسن عاقبه وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال حق على الإمام أن يحكم بالعدل ويؤدي الأمانة فإذا فعل ذلك وجب على." (١)

"وفي التحرير والتحبير قال ابن عباس : ﴿إن علينا جمعه﴾ : أي حفظه في حياتك ، وقراءته : تأليفه على لسانك. وقال الضحاك : نثبته في قلبك بعد جمعه لك. وقيل : جمعه بإعادة جبريل عليك مرة أخرى إلى أن يثبت في صدرك. ﴿فإذا قرأناه﴾ ، قال ابن عباس : أنزلناه إليك ، فاستمع قراءته ، وعنه أيضا : فإذا يتلى عليكك فاتبع ما فيه. وقال قتادة : فاتبع حلاله واجتنب حرامه. وقد نمق الزمخشري بحسن إيراده تفسير هذه الآية فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي ، نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه ، فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضي إليه وحيه ، ثم يعقبه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه. والمعنى : لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل يقرأ. ﴿لتعجل به﴾ : لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ، ثم علل النهي عن العجلة بقوله : ﴿إن علينا جمعه﴾ في صدرك وإثبات قراءته في لسانك. ﴿فإذا قرأناه﴾ : جعل قراءة جبريل قراءته ، والقرآن القراءة ، فاتبع قراءته : فكن مقفيا له فيه ولا تراسله ، وطامن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ ، فنحن في ضمان تحفيظه. ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ : إذا **أشكل عليك** شيء من معانيه ، كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا ، كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ، ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه. انتهى.

وذكر أبو عبد الله الرازي في تفسيره : أن جماعة من قدماء الروافض زعموا أن القرآن قد غير وبدل وزيد فيه ونقص منه ، وأنهم احتجوا بأنه لا مناسبة بين هذه الآية وما قبلها ، ولو كان التركيب من الله تعالى ما كان

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع، ١/٣٣٨

الأمر كذلك. ثم ذكر الرازي مناسبات على زعمه يوقف عليها في كتابه ، ويظهر أن المناسبة بين هذه الآية وما قبلها أنه تعالى لما ذكر منكر القيامة والبعث معرضا عن آيات الله تعالى ومعجزاته وأنه قاصر شهواته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه ، ذكر حال من يثابر على تعلم آيات الله وحفظها وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله إياها ، فظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات الله ومن يرغب عنها.

وبضدها تتميز الأشياء

ولما كان عليه الصلاة والسلام ، لمثابرته على ذلك ، كان يبادر للتحفظ بتحريك لسانه أخبره تعالى أنه يجمعه له ويوضحه. كلا بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة. لما فرغ من خطابه عليه الصلاة والسلام ، رجع إلى حال الإنسان السابق ذكره المنكر البعث ، وأن همه إنما هو في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل ثواب الآخرة ، إذ هو منكر لذلك. وقرأ الجمهور : ﴿بل تحبون العاجلة * وتذرون﴾ بتاء الخطاب ، لكفار قريش المنكرين البعث ، و﴿كلا﴾ : رد عليهم وعلى أقوالهم ، أي ليس كما زعمتم ، وإنما أنتم قوم غلبت عليكم محبة شهوات الدنيا حتى تتركون معه الآخرة وانظر في أمرها. وقال الزمخشري : ﴿كلا﴾ ردع ، وذكر في كتابه ما يوقف عليه فيه. وقرأ مجاهد والحسن وقتادة والجحدري وابن كثير وأبو عمرو : بياء الغيبة فيهما.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٨١

ولما وبخهم بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة ، تخلص إلى شيء من أحوال الآخرة فقال : ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ ، وعبر بالوجه عن الجملة. وقرأ الجمهور : ﴿ناضرة﴾ بألف ، وزيد بن علي : نضرة بغير ألف. وقرأ ابن عطية : ﴿وجوه﴾ رفع بالابتداء ، وابتدأ بالنكرة لأنها تخصصت بقوله : ﴿يوماذ﴾ و﴿ناضرة﴾ خبر ﴿وجوه﴾ . وقوله : ﴿إلى ربها ناظرة﴾ جملة هي في موضع خبر بعد

٣٨٨

خبر. انتهى. وليس ﴿يوماذ﴾ تخصيصا للنكرة ، فيسوغ الابتداء بها ، لأن ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ، إنما يكون ﴿يوماذ﴾ معمول لناضرة. وسوغ جواز الابتداء بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل ، و﴿ناضرة﴾ الخبر ، و﴿ناضرة﴾ صفة. وقيل : ﴿ناضرة﴾ نعت لوجوه ، و﴿إلى ربها ناظرة﴾ الخبر ، وهو قول سائغ. ومسألة النظر ورؤية الله تعالى مذكورة في أصول الدين ودلائل الفريقين ، أهل السنة وأهل الاعتزال ، فلا نطيل بذكر ذلك هنا. ولما كان الزمخشري من المعتزلة ، ومذهبه أن تقديم المفعول يدل

على الاختصاص ، قال هنا : ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر في محشر يجمع الله فيه الخلائق ، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال ، فوجب حمله على معنى لا يصح معه الاختصاص ، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس : أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي ، يريد معنى التوقع والرجاء ، ومنه قول القائل :

وإذا نظرت إليك من ملكوالبحر دونك زدتني نعماء

." (١)

"سبأ فقال: يا رسول الله ! ما سبأ أرجل أم جبل أم واد ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا، بل رجل ولد عشرة فتشاءم أربعة وتيامن ستة فتشاءم لخم وجذام وعاملة وغسان وتيامن حمير ومذحج والازد وكندة والاشعريون وأنمار التي فيها بجيلة وخثعم ".

فصل في نسب مضر ٣٧ - أخبرنا أبو حفص عمر بن عثمان بن شعيب الجنزي وأبو طاهر محمد بن محمد بن

عبد الله السنجي بمرو قالا أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن حمد بن الحسن الدوني أنا أبو نصر أحمد بن الحسين الدينوري أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق.

السني بالدينور ثنا عبد الله بن عبد الله بن حمد بن عبدان ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم ثنا عبد الرحمن بن بشير عن محمد بن إسحاق عن نافع وزيد بن أسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما وسعيد المقبري ومحمد بن المنكدر عن أبي هريرة وعمار بن ياسر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أيها الناس ! م١لي أوذي في أهلي والله إن شفاعتي لتنال حاء وحكم وسلهب وصداء، تنالها يوم القيامة، وسلهب في نسب اليمن من دوس ".

قال ابن إسحاق هذا مما يصدق نسابة مضر أن هذه القبائل من معد.

٣٨ - أخبرنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطي الحافظ ببغداد أنا أبو الفضل حمد بن أحمد بن الحسن الحداد أنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ ببغداد أنا أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ ثنا الحسن بن عمر ثنا علي بن المديني ثنا أبي أخبرني سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تغني شيئا والذي نفسي بيده أنه لترجو شفاعتي صداء وسلهب ".

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٢٩٢/٨

قال علي: سألت أبا عبيدة عن صداء وسلهب فقال: حيان من اليمن.

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نزار بن معد بن عدنان لما حضره الموت أوصى بنيه وهم أربعة مضر بن نزار وربيعة بن نزار و إياد بن نزار وأنمار بن نزار وقسم ماله بينهم في حياته فقال: يا بني هذه القبة الحمراء وما أشبهها من مال لمضر – فسمى بذلك مضر الحمراء – وهذا الخباء الاسود وما أشبهها من مال لربيعة وكان له فرس أدهم فأخذه فسمي ربيعة الفرس، وهذه الخادم وما أشبهها لاياد – وكانت الخادم شمطاء – فأخذ الخيل البلق وما أشبه ذلك، وهذه البدرة والمجلس لانمار.

وذكر بعض العلماء أن نزار بن معد أوصى بهذه الوصية وقال: إن **أشكل عليكم** شئ فتحاكموا إلى أفعى نجران، وقالت ربيعة: لم تكن الوصية كذلك بل إنما أوصى لمضر بالحمار، ولربيعة بالفرس والبدر، ولانمار بالخباء والخرثي، ولاياد بالنعم.." [1]

" صفحة رقم ٢٧

وأثنائها أن للناس يوما يدانون فيه وصلوا بقولهم السابق قوله : (ربنا إنك جامع (قال الحرالي : من الجمع ، وهو ضك ما شأنه الافتراق والتنافر لطفاأو قهرا انتهى .

) الناس) أي كلهم) ليوم) أي يدانون فيه) لا ريب فيه (ثم عللوا نفي الريب بقولهم عادلين عن الخطاب آتين بالاسم الأعظم لأن المقام للجلال : (إن الله) أي المحيط بصفات الكمال) لا يخلف (ولما كان نفي الخلف في زمن الوعد ومكانه أبلغ من نفي خلافه نفسه عبر بالمفعال فقال : (الميعاد (وقال الحرالي : هو مفعال من الوعد ، وصيغ لمعنى تكرره ودوامه ، والوعد العهد في الخير أ انتهى .

وكل ذلك تنبيها على أنه يجب التثبت في فهم الكتاب والإحجام عن مشكله خوفا من الفضيحة يوم الجمع يوم يساقون إليه ويقفون بين يديه ، فكأنه تعالى يقول للنصارى : هب أنه **أشكل عليكم** بعض أفعالي وأقوالي في الإنجيل فهلا فعلتم فعل الراسخيں فنزهتموني عما لا يليق بجلالي من التناقض وغيره ، ووكلتم أمر ذلك إلي ، وعولتم في فتح مغلقه علي خوفا من يوم الدين ؟ قال ابن الزبير : ثم لما بلغ الكلام إلى هنا أي إلى آيه التصوير كان كأنه قد قيل : فكيف طرأ عليهم ما طرأ مع وجود الكتب ؟ أخبر تعالى بشأن الكتاب وأنه محكم ومتشابه ، وكذا عيره من الكتب والله سبحانه وتعالى أعلم ، فحال أهل التوفيق تحكيم المحكم ، وحال أهل الزيغ اتباع المتشابه والتعلق به ، وهذا بيان لقوله :

٧٧ ( ) يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ( ) ٧

---

(١) الأنساب للسمعاني، ١/٣٠

[البقرة : ٢٦] وكل هذا بيان لكون الكتاب العزيز أعظم فرقان وأوضح بيان إذ قد أوضح أحوال المختلفين ومن أين أتى عليهم مع وجود الكتب ، وفي أثناء ذلك تنبيه العباد على عجزهم وعدم استبدادهم لئلا يغتر الغافل فيقول مع هذا البيان ووضوح الأمر : لا طريق إلى تنكب الصراط ، فنبهوا حين علموا الدعاء من قوله :

٧٧ ( ) وإياك نستعين ( ) ٧

[الفاتحة : ٤] ثم كرر تنبيههم لشدة الحاجة ليذكر هذا أبدا ، ففيه معظم البيلن ، ومن اعتقادا الاستبداد ينشأ الشرك الأكبر إذ اعتقاد الاستبداد بالأفعال إخراج لنصف الموجودات عن يد بارئها

٧٧ ( ) والله خلقكم وما تعلمون ( ) ٧

[الصافات : ٩٦] فمن التنبيه

٧٧ ( ) إن الذين كفروا ( ) ٧

[البقرة : ٦] ومنه :

٧٧ ( ) يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ( ) ٧

[البقرة : ٢٦] ومنه

٧٧ ( ) آمن الرسول ( ) ٧

[البقرة : ٢٨٥] إلى خاتمتها ، هذا من جلي التنبيه ومحكمه ، ومما يرجع إليه ويجوز معناه بعد اعتباره :

٧٧ ( ) وإلهكم إله واحد ( ) ٧

[البقرة : ١٦٣] وقوله :

٧٧ ( ) الله لا إله إلا هوالحي القيوم ( ) ٧

[البقرة : ٢٥٥] ، فمن رأى الفعل أو بعضه لغيره تعالى حقيقة فقد قال بإلهية غيره ، ثم حذروا أشد التحذير لما بين لهم فقال تعالى :

٧٧ ( ) إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد ( ) ٧

[آل عمران : ٤] ثم ارتبطت الآيات إلى آخرها – انتهى." [١]

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٧/٢

"عن عاصم بن أبي النجود أن عمر بن الخطاب كان إذا بعث عمالا اشترط عليهم: ألا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقيا ولا تلبسوا رقيقا ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة، ثم يشيعهم، فإذا أراد أن يرجع قال: إني لم أسلطكم على دماء المسلمين ولا على أبشارهم ولا على أعراضهم ولا على أموالهم، ولكني بعثتكم لتقيموا فيهم الصلاة وتقسموا(١) فيهم فيئهم وتحكموا بينهم بالعدل، فإن أشكل عليكم شيء فارفعوه إلي؛ ألا ولا تضربوا العرب فتذلوها، ولا تحمدوها فتفتنوها ولا تقبلوا عليها فتحدثوها(٢)

---

(١) كانت (وتقتسموا).

(٢) كانت (فتحرموها)، وإن صح ما أثبته أنا فالمراد: لا تشغلوهم عن القرآن بأحاديث الناس؛ ثم وجدت هذه الرواية في جامع معمر ٣٢٥/١١ وفي آخرها: "فإن أشكل علكيم شيء فارفعوه إلي ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها ولا تجمروها فتفتنوها ولا تعتلوا عليها فتحرموها، جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا وأنا شريككم".

وقال الطبري في تأريخه ٥٦٦/٢-٥٦٧: "وكان عمر رحمه الله إذا بعث عاملا له على عمل يقول ما حدثنا به محمد بن المثنى قال حدثنا عبدالرحمن بن مهدي قال حدثنا شعبة عن يحيى بن حضين سمع طارق بن شهاب يقول قال عمر في عماله اللهم إني لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم ولا ليضربوا أبشارهم من ظلمة أميره فلا إمرة عليه دوني.

وحدثنا ابن بشار قال حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس يوم الجمعة فقال: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار أني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم وأن يقسموا فيهم فيئهم وأن يعدلوا فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إلي.

وحدثنا أبو كريب قال حدثنا ابو بكر بن عياش قال سمعت أبا حصين قال كان عمر إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول إني لم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أشعارهم ولا على أبشارهم إنما عليهم لتقيموا بهم الصلاة بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل وإني لم أسلطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم ولا تجلدوا العرب فتذلوها ولا تجمروها فتفتنوها ولا عنها فتحرموها جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن محمد صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم وكان يقتص من عماله وإذا شكي إليه عامل له جمع بينه وبين

من شكاه فإن صح عليه أمر يجب أخذه به أخذه به.

وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال أخبرنا سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي فراس قال خطب عمر بن الخطاب فقال: يأيها الناس إني والله ما أرسل إليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين أرأيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته إنك لتقصه منه قال إي والذي نفس عمر بيده إذا لأقصنه منه وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم".." [١]

"وروى الترمذي في سننه عن عيسى بن طلحة عن معاذ أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات، وهي البقول فقال: «ليس فيها شيء» .

مما يدل على بطلانه ما رواه ابن ماجه في سننه عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ قال لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم، فإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تتبينه أو تكتب إلي فيه » .." [٢]

"ابن نسي عن عبد الرحمن بن غنم قال حدثنا معاذ ببن جبل قال لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال لا تقضين ولا تفعلن إلا بما تعلم فإن **أشكل عليك** أمر فقف عليه حتى تبينه أو تكتب إلي فيه

فتبينا بهذا أن الرجل الذي لم يسم في الرواية الأولى هو محمد بن سعيد بن حسان وهو المصلوب وهو كذاب وضاع للحديث اتفقوا على تركه

". [٣]

"عن الخضراوات وهي البقول ، فقال : ليس فيها شيء» قال : ومما يدل على بطلانه ما رواه ابن ماجه في «سننه» عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ قال : «لما بعثني رسول الله – صلى الله عليه وسلم

---

(١) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، ٤٧٥/١

(٢) تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج، ص/١٠٥

(٣) تحفة الطالب، ص/١٥٥

- قال : لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم ، فإن أشكل عليك أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه» .
قال ابن طاهر : فقد صح عندي فساد حديث معاذ المذكور لما أوضحته من وهن إسناده ، وبما أتبعته من الأحاديث المتصلة المخرجة في الصحيح ووجب ترك الاحتجاج به . هذا ملخص كلامه في التأليف المذكور . الحديث الذي أورده من طريق ابن ماجه عجبت منه سكوته على إسناده وفيه محمد ابن (سعيد) المصلوب وهو كذاب وضاع كما أسلفته في كتاب الجنايات . وقال أبو عمر وعثمان بن الإمام أبي علي حسن بن علي بن دحية «إرشاد البائنية والرد على المعتدي مما وهم فيه الفقيه أبو بكر ابن العربي» : هذا الحديث لا أصل له ، ورجاله مجهولون ، ولا يصح عند أحد من الأئمة النقاد ، وهو حديث مشهور عند ضعفاء أهل الفقه لا أصل له ، يوجب إطراحه . وقال : أحسن ما روي في هذا الباب ما رواه الشعبي عن شريح القاضي «أنه كتب إلى عمر بن الخطاب يسأله فكتب إليه عمر أن اقض بما [في] كتاب الله ، فإن لم يكن في كتاب الله ففي سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن لم [يكن] في سنة رسول الله وإلا فبما قضى به الصالحون ، فإن لم يكن في كتاب الله ولا." (١)

"[٦٥٩٣]وعن أبي رافع- رضي الله عنه- قال: كان أبو لؤلؤة عبدا لمغيرة بن شعبة وكان يصنع الرحا وكان المغيرة بن شعبة يستغله كل يوم أربعة دراهم فلقي أبو لؤلؤة عمر فقال: ياأمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل علي غلتي فكلمه يخفف عني. فقال له عمر: اتق الله وأحسن إلى مولاك. وفي نية عمر أن يلقى المغيرة فيكلمه فيخفف عنه فغضب العبد وقال: وسع الناس كلهم عدله غيري. فأضمر على قتله فاصطنع خنجرا له رأسان وشحذه وسمه ثم أتى به الهرمزان فقال: كيف ترى في هذا؟ قال: أرى أنك لا تضرب به أحدا إلا قتلته. قال: فتحين أبولؤلؤة فجاء في صلاة الغداة حتى قام وراء عمر وكان عمر إذا أقيمت الصلاة فتكلم يقول: أقيموا صفوفكم. كما كان يقول فلما كبر وجأه أبولؤلؤة في كتفه ووجأه في خاصرته فسقط عمر وطعن بخنجره ثلاثة عشر رجلا فهلك منهم سبعة وأفرق منهم ستة وحمل عمر فذهب به إلى منزله وصاح الناس حتى كادت الشمس تطلع فنادى عبد الرحمن بن عوف: ياأيها الناس الصلاة الصلاة. وفزعوا إلى الصلاة فتقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم بأقصر سورتين من القرآن فلما قضى الصلاة توجهوا إلى عمر فدعا بشراب لينظر ما قدر جرحه فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يدر أنبيذ هو أم دم فدعا بلبن فشربه فخرج من جرحه فقالوا: لا بأس عليك يأمير المؤمنين. فقال: إن يكن القتل بأسا فقد قتلت فجعل الناس يثنون عليه يقولون: جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين كنت وكنت. ثم ينصرفون ويجيء

---

(١) البدر المنير، ٩/٥٤٠

قوم آخرون: فيثنون عليه فقال عمر: أما والله على ما تقولون وددت أني خرجت منها كفافا لا علي ولا لي وإن صحبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلمت لي. فتكلم عبد الله بن عباس فقال: لا والله لا تخرج منها كفافا لقد صحبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصحبته خير ما صحبه صاحب كنت له وكنت له حتى قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عنك راض ثم صحبت خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم وليتها يا أمير المؤمنين أنت فوليتها بخير ما وليها قال كنت تفعل وكنت تفعل. فكان عمر يستريح إلى حديث ابن عباس فقال عمر: كرر علي حديثك. فكرر عليه فقال عمر: أما والله على ما تقول لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به اليوم من هول المطلع قد جعلتها شورى في ستة: عثمان وعلي وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص. وجعل عبد الله بن عمر معهم مشيرا وليس هو منهم وأجلهم ثلاثا وأمر صهيب أن يصلي بالناس ".
رواه أبو يعلى وعنه ابن حبان في صحيحه ورواه الحاكم وعنه البيهقي في سننه وتقدم في كتاب الديات.
وله شاهد في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب.

[٦٥٩٤]ورواه الحاكم وعنه البيهقي من حديث ابن عمر قال: عاش عمر ثلاثا بعد أن طعن ثم مات فغسل وكفن وصلى عليه صهيب ".

[٦٥٩٥]وعن سعيد بن المسيب قال: " لما صدر عمر- رضي الله عنه- من منى أناخ بالأبطح ثم كوم كومة من البطحاء ثم ألقى عليه نفسه فلزق بثوبه واستلقى ومد يده إلى السماء فقال: اللهم ضعفت قوتي وكبرت سني وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط. ثم قدم المدينة فخطب فقال: أيها الناس إني قد سننت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على واضحة- وصفق يحيى بيديه- إلا أن تضلوا يمينا وشمالا... " فذكر الحديث.
قال سعيد: فما أنسلخ ذو الحجة حتى قتل.
رواه مسدد عن يحيى بن سعيد عن يحيى بن سعيد عنه وتقدم في الحدود في باب الرجم.

٥- فضائل أميرالمؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

فيه حديث عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وسهل بن سعد وشداد بن أوس- رضي الله عنهم- وتقدم كل ذلك في باب ما اشترك فيه أبوبكر الصديق وغيره من الفضل وتقدم حديث عثمان بن عفان في الطب في باب رقية المريض وحديث المغيرة وسيأتي في الفتن.

[٦٥٩٦]وعن سالم بن أبي الجعد قال: " أتى أهل نجران عليا- رضي الله عنه- فقالوا:نسألك خطك بيدك وشفاعتك بلسانك أن تردنا. قال: كان عمر رشيد الأمر فلو طعن عليه يوما لطعن عليه ذلك اليوم ".

رواه مسدد.

[٦٥٩٧]وعن ابن عون قال: " سمعت القاسم بن محمد يقول في سجوده: اللهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان ".

رواه مسدد.

[٦٥٩٨]وعن عبد الرحمن بن أبزى قال: " لما وقع الناس في أمر عثمان قلت لأبي: يا أبا المنذر ما المخرج من ذلك؟ قال: كتاب الله. قال: فما استبان لك فآمن به وانتفع به وما **أشكل عليك** فكله إلى عالمه "

رواه مسدد.

[٦٥٩٩]وعن أبي قلابة " إن رجلا من قريش يقال له: ثمامة كان على صنعاء فلما جاء قتل عثمان بن عفان خطب فبكى بكاء شديدا فلما أفاق قال: اليوم انتزعت خلافة النبي - صلى الله عليه وسلم - (من أمة محمد- صلى الله عليه وسلم - وصارت ملكا وجبرية من غلب على شيء أكله.

رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر.." [١]

"٣٨- لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم فإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه

الراوي: معاذ بن جبل - خلاصة الدرجة: غريب حسن." [٢]

""""""""" صفحة رقم ٣١٨ """""""

أحدكم ، لا تصوموا حتى تروه ثم صوموا حتى تروه فإن حال دونه غمام فأتموا العدة ثلاثين ثم أفطروا والشهر تسع وعشرون)) (د) عن ابن عباس .

(١٣٥٦٧) (((ز) لا تقدموا الشهر بيوم ولا يومين إلا أن يوافق ذلك صوما كان يصومه أحدكم . صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين ثم أفطروا)) (ت) عن أبي هريرة .

(١٣٥٦٨) ((لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة قبله ثم صوموا حتى تروا الهلال أو

---

(١) اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ٦٧/٧

(٢) الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير، ٢٤٧/١

تكملوا العدة قبله)) (دن حب) عن حذيفة .

(١٣٥٦٩) (((ز) لا تقدموا شهر رمضان بصوم قبله بيوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صوما فليصمه)) (حم م ٤) عن أبي هريرة .

(١٣٥٧٠) ((لا تقرؤوا بشيء من القرآن إذا جهرت إلا بأم القرآن)) (د) عن عبادة بن الصامت .

(١٣٥٧١) ((لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح)) (ت) عن أبي هريرة .

(١٣٥٧٢) (((ز) لا تقصوا نواصي الخيل فإنه معقود بنواصيها الخير ولا أعرافها فإنها أدفاؤها ولا أذنابها فإنها مذابها)) (د) عن عتبة بن عبد السلمي .

(١٣٥٧٣) (((ز) لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم وإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه)) (هـ) عن معاذ .

(١٣٥٧٤) ((لا تقطع الأيدي في السفر)) (م ٣ ، والضياء) عن بسربن أبي أرطأة .

(١٣٥٧٥) (((ز) لا تقطع اليد في تمر معلق فإن ضمه الجرين قطعت في ثمن المجن ولا تقطع في حريسة الجبل فإذا آوى المراح قطعت في ثمن المجن)) (ن) عن ابن عمرو .

(١٣٥٧٦) ((لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا)) (م ن هـ) عن عائشة .

(١٣٥٧٧) ((لا تقطعوا اللحم بالسكين فإنه من صنيع الأعاجم ، ولكن انهشوه نهشا فإنه أهنأ وأمرأ)) (دهق) عن عائشة .

(١٣٥٧٨) (((ز) لا تقع بين السجدتين)) (هـ) عن علي .." [(١)]

" ١٤١٩٧ - ﴿ مسنده ﴾ عن عاصم بن أبي النجود عن عمر بن الخطاب كان إذا بعث عماله شرط عليهم أن لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقيا (برذون : البرذون : الدابة قال الكسائي : الأنثى من البراذين برذونه . المختار (٣٥) ب

نقيا : نقاوة الشيء : خياره وكذلك النقاية بالضم فيهما كأنه بني على ضده وهو النفاية لأن فعالة يأتي كثيرا فيما يسقط من فضلة الشيء . يقال : نقي الشيء بالكسر ينقى نقاوة بالفتح فهو نقي أي نظيف . الصحاح للجوهري (٦ / ٢٥١٤) ب) ولا تلبسوا رقيقا ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة ثم يشيعهم فإذا أراد أن يرجع قال : إني لم أسلطكم على دماء المسلمين ولا على أعراضهم ولا على أموالهم ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة وتقسموا فيهم فيئهم وتحكموا

---

(١) الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، ٣١٨/٣

بينهم بالعدل فإذا أشكل عليكم شيء فارفعوه إلي ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها ولا تجمروها (ولا تجمروها : تجمير الجيش جمعهم في الثغور وحبسهم عن العود إلى أهلهم النهاية (١ / ٢٩٢) ب) فتفتنوها ولا تعتلوا عليها فتحرموها جردوا القرآن (جردوا : أي لا تقرنوا به شيئا من الأحاديث ليكون وحده مفردا وقيل : أراد أن لا يتعلموا من كتب الله شيئا سواه وقيل : أراد جردوه من النقط والاعراب وما أشبههما . النهاية (١ / ٢٥٦) ب)

(هب أيضا) ." [1]

" ١٥٠٢٧ - لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم وإن أشكل عليك أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه

(هـ) عن معاذ ." [2]

" ٣٠٢٩٢ - يا معاذ إنك تقدم على أهل الكتاب وإنهم يسألونك عن مفاتيح الجنة فأخبرهم أن مفاتيح الجنة لا إله إلا الله وأنها تحرق كل شيء حتى تنتهي إلى الله عز و جل لا يحجب دونه من جاء بها إلى يوم القيامة مخلصا رجحت بكل ذنب يا معاذ تواضع لله عز و جل يرفعك الله واستدق (واستدق : أي : احتقرها واستصغرها . وهو استفعل من الشيء الدقيق الصغير . النهاية ٢ / ١٢٧ . ب) الدنيا يؤتك الله الحكمة فإنه من تواضع لله واستدق الدنيا أظهر الله تعالى الحكمة من قلبه على لسانه ولا تغضبن ولا تقولن إلا بعلم فإن أشكل عليك أمر فاسأل ولا تستحي واستشر فإن المستشير معان والمستشار مؤتمن ثم اجتهد فإن الله عز و جل إن يعلم منك يوفقك وإن التبس عليك فقف وأمسك حتى تبينه أو تكتب إلي فيه ولا تضربن فيما لم تجد في كتاب الله ولا في سنتي على قضاء إلا عن ملأ واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار وإذا قدمت عليهم فأقم فيهم كتاب الله وأحسن أدبهم وأقرئهم القرآن يحملهم القرآن على الحق وعلى الأخلاق الجميلة وأنزل الناس منازلهم فإنهم لا يستوون إلا في الحدود لا في الخير ولا في الشر على قدر ما هم عليه من ذلك ولا تحابين في أمر الله وأد إليهم الأمانة في الصغير والكبير وخذ ممن لا سبيل عليه العفو وعليك بالرفق وإذا أسأت فاعتذر إلى الناس فعاجل التوبة وإذا أسروا عليك من الجهالة فبين لهم حتى يعرفوا ولا تحاقدهم

---

(١) كنز العمال، ٨٨٤/٥

(٢) كنز العمال، ١٦٠/٦

وأمت أمر الجاهلية إلا ما حسنه الإسلام وأعرض الأخلاق على أخلاق الإسلام ولا تعرضها على شيء من الأمور وتعاهد الناس في المواعظ والقصد القصد والصلاة الصلاة فإنها قوام هذا الأمر اجعلوها همكم وآثروا شغلها على الأشغال وترفقوا بالناس في كل ما عليهم ولا تفتنوهم وانظروا في وقت كل صلاة فإن كان أرفق بهم فصلوا بهم أوله وأوسطه وآخره صلوا الفجر في الشتاء وغلسوا بها وأطل في القراءة على قدر ما يطيقون لا يملون أمر الله ولا يكرهونه ويصلون الظهر في الشتاء مع أول الزوال والعصر في أول وقتها والشمس حية والمغرب حين يجب القرص صلها في الشتاء والصيف على ميقات واحد إلا من عذر وأخر العشاء شيئا ما فإن الليل طويل إلا أن يكون غير ذلك أرفق بهم وإذا كان الصيف فأسفر بالفجر فإن الليل قصير فيدركها النوام وصل الظهر بعد ما يتنفس الظل وتبرد الرياح وصل العصر في وسط وقتها وصل المغرب إذا سقط القرص و العشاء إذا غاب الشفق إلا أن يكون غير ذلك أرفق بهم وتعاهدوا الناس بالتذكير وأتبعوا الموعظة بالموعظة فإنه أقوى للعاملين على العمل بما يحب الله ولا تخافوا في الله لومة لائم واتقوا الله الذي إليه ترجعون يا معاذ إني عرفت بلاءك في الدين والذي ذهب من مالك وركبك في الدين وقد طيبت لك الهدية فإن هدي إليك شيء فاقبل

أبو نعيم وابن عساكر - عن عبيد بن صخر بن لوذان (كان ممن بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى اليمن . راجع أسد الغابة (٣ / ٥٤٢) وذكر الحديث في ترجمة معاذ بن جبل ابن الأثير في أسد الغابة (٥ / ١٩٤ و ١٩٥) . ص) الأنصاري السلمي ." (١)

"١٣٨١٧- ص.٣٩٠ عن ابن عباس، أن رجلا من بني عبس يقال له: خالد بن سنان قال لقومه: أنا أطفئ عنكم نار الحرتين. فقال له عمارة بن زياد - رجل من قومه - : والله ما قلت لنا يا خالد قط إلا حقا، فما شأنك وشأن نار الحرتين؟ تزعم أنك تطفئها؟ قال: فانطلق معه عمارة بن زياد في ناس من قومه حتى أتوها وهي تخرج من شق جبل في حرة يقال لها: حرة أشجع، قال: فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها وقال: إن أبطأت عنكم فلا تدعوني باسمي. فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا، فاستقبلها خالد [فجعل] يضربها بعصاه ويقول: بدا بدا كل سها مردا زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندى حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم. قال: فقال عمارة بن زياد: والله لو كان صاحبكم حيا لقد خرج إليكم بعد. فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه. قال: فادعوه باسمه، فوالله لو كان صاحبكم حيا لقد خرج بعد. فقال: إنه قد نهانا أن ندءوه باسمه. قال: فدعوه باسمه. فخرج إليهم آخذا برأسه، قال: ألم أنهكم أن

---

(١) كنز العمال، ٨٠٨/١٠

تدعوني باسمي؟ فقد والله قتلتموني، فادفنوني، فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني، فإنكم ستجدوني حيا. قال: فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر، فقال: انبشوه، فإنه أمرنا أن ننبشه. فقال عمارة بن زياد: لا تحدث مضر عنا أنا ننبش موتانا، والله لا تنبشوه أبدا. وقد كان خالد أخبرهم أن في علم امرأته لوحين، فإذا **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تسألون عنه، ولا تمسهما حائض.

ص.٣٩١

قال: فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما، فأخرجتهما وهي حائض، فذهب ما كان فيهما من علم.

قال: وقال أبو يونس: قال سماك: أن ابن خالد بن سنان أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مرحبا بابن أخي".

٪رواه الطبراني موقوفا، وفيه المعلى بن مهدي، ضعفه أبو حاتم قال: يأتي أحيانا بالمناكير. قلت: وهذا منها.." (١)

"(١٩) - ﴿ حدثنا عبد الله بن سعيد ، حدثنا بشر بن منصور الخياط ، عن أبي زيد ، عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عباس ، قال: قال رسول الله: «أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته».

هذا إسناد رجاله كلهم مجهولون قاله الذهبي في الكاشف، وقال أبو زرعة لا أعرف أبا زيد ولا المغيرة.

رقم الجزء: ١ رقم الصفحة: ٤٩

(٢٠) - ﴿ حدثنا الحسن بن حماد ، سجادة ، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي ، عن محمد بن سعيد بن حسان ، عن عبادة بن نسي ، عن عبد الرحمن بن غنم ، حدثنا معاذ بن جبل ، ، قال: لما بعثني رسول الله إلى اليمن قال «لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم. وإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه».

هذا إسناد ضعيف محمد بن سعيد هو المصلوب اتهم بوضع الحديث.

رقم الجزء: ١ رقم الصفحة: ٥٠

(٢١) - ﴿ حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا ابن أبي الرجال ، عن عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، عن ﻋبدة بن أبي لبابة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال: سمعت رسول الله يقول «لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم المولدون، أبناء سبايا الأمم. فقالوا بالرأي. فضلوا وأضلوا».

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. محقق، ١٤٨/٨

(...) حدثنا محمد بن أبي عمر العدني، عن سفيان بن عيينة قال: لم يزل أمر الناس معتدلا حتى نشأ فلان بالكوفة، وربيعة الرأي بالمدينة، وعثمان البستي بالبصرة فوجدناهم من أبناء سبايا الأمم.
هذا إسناد ضعيف لضعف ابن أبي الرجال واسمه حارثة بن محمد بن عبد الرحمن.
رقم الجزء: ١ رقم الصفحة: ٥٠
٥ -
باب في الإيمان
رقم الجزء: ١ رقم الصفحة: ٥٠." (١)

"يقدر، وقف يوم القيامة جلد ولا لحم له، عظم يتقعقع. فقال الرجل: آمنت بالله، شققت عليك يا نبي الله ولم أعلم. قال: لا بأس، أحسنت واتقيت. فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، احكم في أهلي ومالي بما شئت، أو اختر، فأخلي سبيلك. قال: أحب أن تخلي سبيلي فأعبد ربي. فخلى سبيله. فقال الخضر: الحمد لله الذي أوثقني في العبودية ثم نجاني منها ".
رواه الطبراني ورجاله موثقون، إلا أن بقية مدلس. ويأتي حديث آخر في وفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخضر.

(باب ما جاء في خالد بن سنان)

١٣٨١٧ عن ابن عباس، أن رجلا من بني عبس يقال له: خالد بن سنان قال لقومه: أنا أطفئ عنكم نار الحرتين. فقال له عمارة بن زياد - رجل من قومه -: والله ما قلت لنا يا خالد قط إلا حقا، فما شأنك وشأن نار الحرتين ؟ تزعم أنك تطفئها ؟ قال: فانطلق معه عمارة بن زياد في ناس من قومه حتى أتوها وهي تخرج من شق جبل في حرة يقال لها: حرة أشجع، فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها وقال: إن أبطأت عنكم فلا تدعوني باسمي. فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا، فاستقبلها خالد [فجعل] يضربها بعصاه ويقول: بدا بدا كل منتهى مردا زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندى، حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم. قال: فقال عمارة بن زياد: فوالله لو كان صاحبكم حيا لقد خرج إليكم بعد. فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه. قال: فادعوه باسمه، فوالله لو كان صاحبكم حيا لقد خرج بعد. فقال: إنه

---

(١) مصباح الزجاجة، ٨/١

قد نهانا أن ندعوه باسمه.، قال: فدعوه باسمه فخرج إليهم آخذا برأسه قال: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي ؟ فقد والله قتلتموني، فادفنوني، فإذا مرت بكم

الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني، فإنكم ستجدوني حيا. قال: فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر، فقال: انبشوه، فإنه أمرنا أن ننبشه. فقال عمارة بن زياد: لا تحدث مضر عنا أنا ننبش موت ا نا، والله لا تنبشوه أبدا.قال: وقد كان خالد أخبرهم أن في عكم امرأته لوحين، فإذا **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تسألون عنه، ولا تمسهما حائض. قال: فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما، فأخرجتهما وهي حائض، فذهب ما كان فيهما من." [1]

"ج: ٢ ص: ٣٩٧

قال معاذ رضي الله عنه فقلت يا رسول الله أرأيت ما سئلت واختصم إلي فيه مما ليس في كتاب الله وما أسمعه منك قال اجتهد فإن الله إن علم منك الصدق وفقك ولا تقصير إلا بما تعلم وإن **أشكل عليك** أمر فقف عنده حتى تتبينه أو تكتب إلي فيه وهو محمد بن سعيد الأسدي الذي روى عنه سعيد بن أبي هلال أخبرنا أبو علي أحمد بن محمد بن إبراهيم الصيدلاني أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق عن ابن جريج ح وأخبرنا الحسن بن علي التميمي أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عثمان بن محمد عن سعيد بن أبي هلال عن محمد بن سعيد الأسدي عن أوس بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم الجمعة فغسل أحدكم رأسه واغتسل ثم غدا وابتكر ودنا واستمع وأنصت كان له بكل خطوة يخطوها ص‍يام سنة وقيام سنة وهو محمد بن حسان الذي روى عنه عبد الرحيم بن سليمان ومروان بن معاوية أخبرنا علي بن القاسم بن الحسن البصري حدثنا علي بن إسحاق المادرائي حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة حدثنا فروة هو ابن أبي المغراء حدثنا عبد الرحيم ح وأخبرنا الحسن بن أبي بكر أخبرنا عبد الله بن إسحاق ابن إبراهيم البغوي حدثنا أحمد بن علي الخراز حدثنا أبو القاسم فروة بن أبي المغراء حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن حسان عن المهاجر بن غانم عن الصنابحي قال سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يسمع صوته ويفرج كربه فلينظر معسرا أو ليدع له ومن سره أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فلا يكن على المؤمنين غليظا

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨٠٧، ٢١٣/٨

وليكن بهم رحيما لفظ المادرائي أخبرنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي حدثنا محمد بن أحمد." (١)

"١٣٠٣) إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج (البخارى فى الأدب المفرد ، وابن أبى الدنيا فى ذم الغضب ، والخرائطى فى مكارم الأخلاق ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، وابن عساكر عن رجل من بلى)

أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (١/٣٠٦ ، رقم ٨٨٨) ، والخرائطى فى مكارم الأخلاق (ص ٢٢٩ ، رقم ٦٨٨) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/٦٨ ، رقم ١١٨٧) ، وابن عساكر (٦٠/٨٩) . وأخرجه أيضا : الحارث كما فى بغية الباحث

(٢/٨٢٧ ، رقم ٨٦٧) . قال المناوى (١/٢٧٢) : فيه سعد بن سعيد ضعفه أحمد والذهبى لكن له شواهد كثيرة .

وللحديث أطراف أخرى منها : ((إذا أردت أن تفعل أمرا فتدبر)) ، ((إذا هممت بأمر فتدبر)) .

ومن غريب الحديث : ((فعليك بالتؤدة)) : الزم التأنى والرزانة والتثبت وعدم العجلة . ((المخرج)) : أى المخلص . والمراد من الحديث : إذا أردت فعل شيء **وأشكل عليك** أو شق فتثبت ولا تعجل حتى يهديك الله إلى الخلاص .

***." (٢)

"٨٠٩) لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم وإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبيه أو تكتب إلى فيه (ابن ماجه عن معاذ)

أخرجه ابن ماجه (١/٢١ ، رقم ٥٥) . قال البوصيرى (١/١١) : هذا إسناد ضعيف .

***." (٣)

"وأعرضوا ما **أشكل عليكم** على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه وأرضوا بالله جل وعز ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن حكما وإماما.

[و] لما اراد علي١ الخروج من الربذة إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين اي

---

(١) موضح أوهام الجمع والتفريق، ٢/٣٨٤

(٢) جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي، ص/١٦٤٠

(٣) جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي، ص/١٨٣٨٧

شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه قال: فإن لم يجيبوا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم قال: فنعم إذا وقام الحجاج بن غزية الأنصاري فقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول وقال:

دراكها دراكها قبل الفوت ... وانفر بنا واسم نحو الصوت

لا وألت نفسي إن هبت الموت

والله لأنصرن الله عز وجل كما سمانا أنصارا فخرج أمير المؤمنين وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح و الراية مع محمد بن الحنفية وعلى الميمنة عبد الله بن عباس وعلى الميسرة عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد وخرج علي وهو في سبعمائة وستين وراجز علي يرجز به:

سيروا أبابيل وحثوا السيرا ... إذا عزم السير وقولوا خيرا

حتى يلاقوا وتلاقوا خيرا ... نغزو بها طلحة والزبيرا

وهو أمام أمير المؤمنين وأمير المؤمنين علي على ناقة له حمراء يقود فرسا

١- عن محمد وطلحة، ط ٤ – ٤٧٨.." (١)

"أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني موسى بن عبيدة قال: سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وإياك والجلوس في بيتك. اخرج للناس فآس بينهم في المجلس والمنظر ولا يكن أحد من الناس آثر عندك من أحد ، ولا تقولن هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين ، فإن أهل بيت أمير المؤمنين وغيرهم عندي اليوم سواء. بل أنا أحرى أن أظن بأهل بيت أمير المؤمنين أنهم يقهرون من نازعهم ، وإذا أشكل عليك شيء ، فاكتب إلي فيه "." (٢)

"قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز بالعراق في رد المظالم إلى أهلها فرددناها حتى أنفدنا ما في بيت مال العراق. وحتى حمل إلينا عمر المال من الشام.

قال أبو الزناد: وكان عمر يرد المظالم إلى أهلها بغير البينة القاطعة. كان يكتفي بأيسر ذلك. إذا عرف وجها

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل سيف بن عمر ص/١٣٦

(٢) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ٣٤٣/٥

من مظلمة الرجل ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما كان يعرف من غشم الولاة.

أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: ما كان يقدم على أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتاب من عمر إلا فيه رد مظلمة أو إحياء سنة أو إطفاء بدعة أو قسم أو تقدير عطاء أو خير. حتى خرج من الدنيا.

أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني يحيى بن خالد بن دينار عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: كتب إلي عمر بن عبد العزيز أن استبرئ الدواوين فانظر إلى كل جور جاره من قبلي من حق مسلم أو معاهدة فرده عليه. فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم.

أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني موسى بن عبيدة قال: سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: وإياك والجلوس في بيتك. اخرج للناس فآس بينهم في المجلس والمنظر ولا يكن أحد من الناس آثر عندك من أحد. ولا تقولن هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين فإن أهل بيت أمير المؤمنين وغيرهم عندي اليوم سواء بل أنا أحرى أن أظن بأهل بيت أمير المؤمنين أنهم يقهرون من نازعهم. وإذا **أشكل عليك** شيء فاكتب إلي فيه.

قال: أخبرنا سعيد بن عامر عن حزم بن أبي حزم قال: قال عمر بن عبد العزيز في كلام له: فلو كان كل بدعة يميتها الله على يدي وكل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي حتى يأتي آخر ذلك على نفسي كان في الله يسيرا.

قال: أخبرنا الفضل بن دكين وأحمد بن عبد الله بن يونس عن محمد بن طلحة عن حماد بن أبي سليمان أن عمر بن عبد العزيز قام في مسجد دمشق ثم نادى بأعلى صوته: لا طاعة لنا في معصية الله.

أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا عبد الله بن يونس عن سيار قال: كان." (١)

"ابن إلياس

وأمه الرباب بنت حيدة بن معد، واخوه لأبيه وأمه الناس، وهو عيلان، وسمي عيلان- فيما ذكر- لأنه كان يعاتب على جوده، فيقال له: لتغلبن عليك العيلة يا عيلان، فلزمه هذا الاسم.

وقيل: بل سمي عيلان بفرس كانت له تدعى عيلان.

وقيل: سمي بذلك، لأنه ولد في جبل يسمى عيلان.

وقيل: سمي بذلك لأنه حضنه عبد لمضر يدعى عيلان.

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ٢٦٤/٥

ابن مضر

وأمه سودة بنت عك، وأخوه لأبيه وأمه إياد، ولهما أخوان من أبيهما من غير أمهما، وهما ربيعة وأنمار، أمهما جدالة بنت وعلان بن جوشم ابن جلهمة بن عمرو، من جرهم.

وذكر بعضهم أن نزار بن معد لما حضرته الوفاة اوصى بنيه، وقسم ماله بينهم، فقال: يا بني، هذه القبة- وهي قبة من أدم حمراء- وما أشبهها من مالي لمضر، فسمي مضر الحمراء وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من مالي لربيعة، فخلف خيلا دهما، فسمي الفرس وهذه الخادم وما أشبهها من مالي لإياد- وكانت شمطاء- فأخذ البلق والنقد من غنمه وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه، فأخذ أنمار ما أصابه فإن أشكل عليكم في ذلك شيء واختلفتم في القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمي فاختلفوا في القسمة، فتوجهوا إلى الأفعى، فبينما هم يسيرون في مسيرهم إذ رأى مضر كلأ قد رعي، فقال: إن البعير الذي رعى هذا الكلأ لأعور، وقال ربيعة: هو أزور، قال إياد: هو أبتر، وقال أنمار: هو شرود، فلم يسيروا إلا قليلا حتى لقيهم رجل توضع به راحلته، فسألهم عن البعير، فقال مضر: هو أعور؟ قال: نعم، قال ربيعة: هو أزور؟ قال: نعم، قال إياد: هو أبتر؟

قال: نعم، قال أنمار: هو شرود؟ قال: نعم، قال: هذه صفة بعيري،." [(١)]

"وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده، وألا يبتليه بمصاب أحد منهم، ففعل، حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده، خرج في قارب طليعة، فانتهى إلى المرقى من أرض الروم، وعليه سؤال يعترون بذلك المكان، فتصدق عليهم، فرجعت امرأة من السؤال إلى قريتها، فقالت للرجال: هل لكم في عبد الله بن قيس؟ قالوا: وأين هو؟ قالت: في المرقى، قالوا: أي عدوة الله! ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس؟ فوبختهم، وقالت: أنتم أعجز من أن يخفى عبد الله على أحد فثاروا إليه، فهجموا عليه، فقاتلوه وقاتلهم، فأصيب وحده، وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه، فجاءوا حتى أرقوا، والخليفة منهم سفيان بن عوف الأزدي، فخرج فقاتلهم، فضجر وجعل يعبث بأصحابه ويشتمهم، فقالت جارية عبد الله: وا عبد الله، ما هكذا كان يقول حين يقاتل! فقال سفيان: وكيف كان يقول؟ قالت:

الغمرات ثم ينجلينا.

فترك ما كان يقول، ولزم: الغمرات ثم ينجلينا وأصيب في المسلمين يومئذ، وذلك آخر زمان عبد الله بن

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٦٨/٢

قيس الجاسي، وقيل لتلك المرأة بعد:

بأي شيء عرفتيه؟ قالت: بصدقته، أعطى كما يعطي الملوك، ولم يقبض قبض التجار.

وكتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي حارثة وأبي عثمان، قالا: قيل لتلك المرأة التي استثارت الروم على عبد الله بن قيس:

كيف عرفته؟ قالت: كان كالتاجر، فلما سألته أعطاني كالملك، فعرفت أنه عبد الله بن قيس.

وكتب إلى معاوية والعمال: أما بعد، فقوموا على ما فارقتم عليه عمر، ولا تبدلوا، ومهما أشكل عليكم، فردوه إلينا نجمع عليه الأمة، ثم نرده." (١)

"من دابة وسلاح، وأمر أمره وقام في الناس فخطبهم، وقال: إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم والحق فيهم والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة، ألا إن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن ثم عاد ثانية، فقال: إنه لا بد مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي، فقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهدوا بهدي نبيكم ص، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه، وارضوا بالله جل وعز ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ص نبيا، وبالقرآن حكما وإماما.

كتب إلي السري عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة. قالا:

لما أراد علي الخروج من الربذة إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع، فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا واجابونا اليه، قال: فان لم يجيبوا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟

قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال:

فنعم إذا وقام الحجاج بن غزية الأنصاري فقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول وقال:

دراكها دراكها قبل الفوت ... وانفر بنا واسم بنا نحو الصوت

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٦١/٤

لا وألت نفسي إن هبت الموت.

والله لأنصرن الله عز وجل كما سمانا أنصارا فخرج أمير المؤمنين وعلى." (١)

"والحارث بن سريج إذ قصدوا له ... حتى تعاور رأسه سيفاهما

أخذا بعفو أبيهما في قدره ... إذ عز قومهما ومن والاهما

وفي هذه السنة وجه إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان، وكتب إلى أصحابه: إني قد أمرته بأمري، فاسمعوا منه واقبلوا قوله، فإني قد أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك، فأتاهم فلم يقبلوا قوله، وخرجوا من قابل، فالتقوا بمكة عند إبراهيم، فاعلمه ابو مسلم انهم لم ينفذوا كتابه وأمره، فقال إبراهيم: إني قد عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوه علي، وذلك أنه كان عرض ذلك قبل أن يوجه أبا مسلم على سليمان بن كثير، فقال: لا ألي اثنين أبدا، ثم عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى، فأعلمهم أنه أجمع رأيه على أبي مسلم، وامرهم بالسمع والطاعة، ثم قال: يا عبد الرحمن، إنك رجل منا أهل البيت، فاحتفظ وصيتي، وانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم، وحل بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم. وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم، وانظر هذا الحي من مضر، فإنهم العدو القريب الدار، فاقتل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء، وإن استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل، فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ- يعني سليمان بن كثير- ولا تعصه، وإذا **أشكل عليك** امر فاكتف به منى.

ذكر الخبر عن مقتل الضحاك الخارجي

وفي هذه السنة قتل الضحاك بن قيس الخارجي، فيما قال أبو مخنف، ذكر ذلك هشام بن محمد عنه." (٢)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [النساء: ٩٤] يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ [البقرة: ١٠٤] يا أيها الذين صدقوا الله وصدقوا رسوله ، فيما جاءهم به من عند ربهم ﴿إذا ضربتم في سبيل الله﴾ [النساء: ٩٤] يقول: " إذا سرتم مسيرا لله في جهاد أعدائكم ﴿فتبينوا﴾ [النساء: ٩٤] يقول: "

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٤/٤٧٩

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٧/٣٤٤

فتأنوا في قتل من **أشكل عليكم** أمره ، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره ، ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره ، ولا تتقدموا على قتل أحد إلا على قتل من علمتموه يقينا حربا لكم ولله ولرسوله. ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام﴾ [النساء: ٩٤] يقول: " ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم ، مظهرا لكم أنه من أهل ملتكم ودعوتكم ﴿لست مؤمنا﴾ [النساء: ٩٤] فتقتلوه ابتغاء عرض الحياة الدنيا ، يقول: طلب متاع الحياة الدنيا ، فإن عند الله مغانم كثيرة من رزقه وفواضل نعمه ، فهي خير لكم إن أطعتم الله فيما أمركم به ونهاكم عنه." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾ [المائدة: ١٩] يقول جل ثناؤه لهؤلاء اليهود الذين وصفنا صفتهم: قد أعذرنا إليكم ، واحتججنا عليكم برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم إليكم ، وأرسلناه إليكم ، ليبين لكم ما **أشكل عليكم** من أمر دينكم ، كيلا تقولوا لم يأتنا من عندك رسول يبين لنا ما نحن عليه من الضلالة ، فقد جاءكم من عندي رسول ، يبشر من آمن بي وعمل بما أمرته ، وانتهى عما نهيته عنه ، وينذر من عصاني وخالف أمري ، وأنا القادر على كل شيء ، أقدر على عقاب من عصاني وثواب من أطاعني ، فاتقوا عقابي على معصيتكم إياي وتكذيبكم رسولي ، واطلبوا ثوابي على طاعتكم إياي ، وتصديقكم بشيري ونذيري ، فإني أنا الذي لا يعجزه شيء أراده ولا يفوته شيء طلبه." (٢)

"سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول سمعت جعفرا الخلدي يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول أربع خصال ترفع العبد العلم والأدب والأمانة والعفة

سمعت أبا الفضل أحمد بن محمد بن حمدون الشرمقاني يقول سمعت علي بن عبد الحميد الغضائري يقول سمعت السري يقول من لم يعرف قدر النعمة سلبها من حيث لا يعلم

وبإسناده قال السري من هانت عليه المصائب أحرز ثوابها

أخبرني أبو العباس أحمد بن عبد الله القرميسيني مشافهة ومناولة أن أباه حدثه قال حدثنا علي بن عبد الحميد الغضائري قال سمعت السري يقول قليل في سنة خير من كثير مع بدعة كيف يقل عمل مع التقوى

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٥١/٧

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٧٦/٨

وبهذا الإسناد قال السري الأمور ثلاثة أمر بان لك رشده فاتبعه وأمر بان لك غية فاجتنبه وأمر **أشكل عليك** فقف عنده وكله إلى الله عز وجل وليكن الله دليلك واجعل فقرك إليه تستعن به عمن سواه." [(١)]

"خراسان وما غلب عليه بعد ذلك.» فأتاهم فلم يقبلوا قوله ولا كتابه حتى خرجوا من قابل فالتقوا بمكة عند إبراهيم، فأعلمه أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه ولا أمره. فقال إبراهيم:

– «إنى عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوه على فأجمعت رأيى على هذا.» وأشار عليه، وأمرهم بالسمع [٢٥٨] والطاعة له. وكان إبراهيم عرض ذلك على سليمان بن كثير فقال:

– «لا إلى أمر اثنين أبدا.» ثم عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى. ثم قال إبراهيم لأبى مسلم:

– «يا عبد الرحمن، إنك رجل منا أهل البيت، فاحفظ وصيتى: انظر هذا الحى من اليمن، فأكرمهم وحل بين أظهرهم فإن الله عز وجل لا يتمم هذا الأمر إلا بهم. وانظر هذا الحى من ربيعة، فاتهمهم فى أمرهم. وانظر هذا الحى من ربيعة، فاتهمهم فى أمرهم. وانظر هذا الحى من مضر، فإنهم العدو القريب الدار، واقتل من شككت فى أمره ومن كان فى أمره شبهة ومن وقع فى نفسك منه شيء. وإن استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل. وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله.

ولا تخالف هذا الشيخ يعنى سليمان بن كثير ولا تعصه، وإذا **أشكل عليك** أمر فاكتف به منى.»

أبو حمزة الخارجي يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد

وفى هذه السنة لقى أبو حمزة الخارجي عبد الله بن يحيى طالب الحق فدعاه إلى مذهبه. وكان أبو حمزة واسمه المختار بن عوف الأزدى من أهل البصرة يوافى الموسم كل سنة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد وآل." [(٢)]

"الطلاق. فكان هنا في معنى الشرط كأنه قال إن لم يقدم فلان، ولو قال هكذا لا يقع الطلاق ما دام يرجى قدومه، فإذا وقع الناس من قدومه بموته وقع الطلاق وهذا لأن كلمة إلا أن حقيقة للغاية فإذا تعذر حملها على الغاية حملت على الشرط ولو قال لها أنت طالق إن كلمت زيدا إلا أن يقدم عمرو، إن كلم زيدا قبل أن يقدم عمرو وطلقت سواء قدم عمرو أو لم يقدم، وإن لم يكلم زيدا حتى قدم عمرو سقطت اليمين لأنه أدخل كلمة إلا أن فيما يتوقف وهو الكلام كأنه يقول كلم فلانا شهرا فكان معناها معنى الغاية، فإن كلم فلانا قبل القدوم حنث لأنه لم توجد غايته، وإن قدم عمرو سقطت اليمين لوجود غايتها فلا يحنث،

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٥٥

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٣/٢٥٦

لأنك إن أدخلت إلا أن فيما يتوقف أردت بها الغاية، وإن أدخلتها فيما لا يتوقف أردت بها الشرط فإن **أشكل عليك** بالأفعال فاعتبره بالأوقات. ولو قال أنت طالق إلا أن يجيء الليل صار كأنه قال أنت طالق إن لم يجيء الليل، ولو قال هكذا لا تطلق لأن وجود الليل يرجى.

ولو قال أنت طالق إن كلمت فلانا إلا أن يجيء الليل صار الليل غاية ليمينه إن كلمه قبل مجيء الليل حنث وبعده لا يحنث.

الأصل في بيان ما يأتى من المسألة

إن كلمة لا، رجوع. وكلمة بل، تدارك. فإن أدخل كلمة لا قبل إكمال الشرط بالجزاء يصح رجوعه، وإن أدخل بعد إكمال الشرط بالجزاء لا يصح رجوعه. وإنما قلت ذلك لأن الشرط إذا لم يكمل بالجزاء لم يتم اليمين، فصح رجوعه. أما إذا كمل الشرط بالجزاء تمت اليمين، واليمين بعد تمامها لا يصح الرجوع عنها.

وأصل آخر: إنه متى ذكر بعد كلمة لا بل، من هو محل لوقوع الطلاق كان العطف على الطلاق، ويقتضى مشاركة في الطلاق. وإن ذكر بعد كلمة لا بل، من ليس بمحل لوقوع الطلاق كان عطفا على الشرط، ويقتضى مشاركة في الشرط.

أصل آخر: إن كل كلمة تستقيم بنفسها لا تتعلق بما قبلها، وكل كلمة لا تستقل بنفسها تتعلق بما قبلها لأن التعلق بما قبلها للضرورة يكون، فإن كانت تستقيم بنفسها فلا ضرورة بنا إلى التعلق. بيان ذلك.." [(١)]

"[سورة الطلاق (٦٥) : الآيات ٤ الى ٥]

واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا (٤) ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا (٥)

روى أن ناسا قالوا: قد عرفنا عدة ذوات الأقراء، فما عدة اللائي لا يحضن، فنزلت: فمعنى إن ارتبتم: إن **أشكل عليكم** حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن، وقيل: إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين، أهو دم حيض أو استحاضة؟

فعدتهن ثلاثة أشهر وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها، فغير المرتاب بها أولى بذلك واللائي لم يحضن هن الصغائر. والمعنى: فعدتهن ثلاثة أشهر، فحذف لدلالة المذكور عليه. اللفظ مطلق في أولات الأحمال، فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن. وكان ابن مسعود وأبى وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون. وعن على

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٢٧/٢٢

وابن عباس: عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الأجلين «١» . وعن عبد الله: من شاء لا عنته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة «٢» ، يعنى: أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل. وروت أم سلمة أن سبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: قد حللت فانكحي «٣» يجعل له من أمره يسرا ييسر له من أمره ويحلل له من عقده بسبب التقوى ذلك أمر الله يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات. والمعنى: ومن يتق الله في العمل بما أنزل الله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الإسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وإيتاء أجر المرضعات وغير ذلك: استوجب تكفير السيئات والأجر العظيم.

[سورة الطلاق (٦٥) : الآيات ٦ الى ٧]

أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضآروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى (٦) لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا (٧)

---

(١) . رواه البخاري في صحيحه قال: «جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة عنده. فقال: أفتنى في امرأة ولدت بعد وفاة زوجها بأربعين ليلة. فقال ابن عباس آخر الأجلين وفيه قصة سبيعة. وفيه مخالفة أبى هريرة له في ذلك رواه ابن أبى شيبة عن وكيع عن إسماعيل عن الشعبي قال قال عبد الله «أجل كل حامل حتى تضع» وكان على يقول «آخر الأجلين» وله طريق أخرى عنده موصولة من طريق عبيد بن الحسن عن عبد الرحمن بن معقل قال «شهدت عليا رضى الله عنه ... فذكره نحوه.

(٢) . أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجة من طريق مسروق لم يذكر البخاري أوله. وزاد عبد الرزاق أنه قال ذلك لما بلغه أن عليا قال «هي في آخر الأجلين» .

(٣) . متفق عليه وله طرق وألفاظ. وفي رواية البخاري «فوضعت بعد موته بأربعين ليلة» . [.....]."[١]

"الجنة ومن شاء أدخله النار بما قدم

من عمل عمله

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٥٧/٤

وبما أخر
منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به، أو بما أخره فخلفه. وبما قدم من عمل الخير والشر، وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده. وعن مجاهد: بأول عمله وآخره. ونحوه: فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه بصيرة
حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز، كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة. والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ، ففيه ما يجزئ عن الإنباء، لأنه شاهد عليها بما عملت، لأن جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، ولو ألقى معاذيره
ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها. وعن الضحاك: ولو أرخى ستوره، وقال: المعاذير الستور، واحدها معذار، فإن صح فلأنه يمنع رؤية المحتجب، كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب. فإن قلت: أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير؟ قلت: المعاذير ليس بجمع معذرة، إنما هو اسم جمع لها، ونحوه: المناكير في المنكر.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ١٦ الى ٢٥]
لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨) ثم إن علينا بيانه (١٩) كلا بل تحبون العاجلة (٢٠)
وتذرون الآخرة (٢١) وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة (٢٣) ووجوه يومئذ باسرة (٢٤) تظن أن يفعل بها فاقرة (٢٥)
الضمير في به
للقرآن، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحى نازع جبريل القراءة، ولم يصبر إلى أن يتمها، مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه، فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه، حتى يقضى إليه وحيه، ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه. والمعنى: لا تحرك لسانك بقراءة الوحى ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ لتعجل به
لتأخذه على عجلة، ولئلا يتفلت منك. ثم علل النهى عن العجلة بقوله إن علينا جمعه
في صدرك وإثبات قراءته في لسانك فإذا قرأناه
جعل قراءة جبريل قراءته: والقرآن: القراءة فاتبع قرآنه
فكن مقفيا له فيه ولا تراسله، وطأ من نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ، فنحن في ضمان تحفيظه ثم إن

علينا بيانه إذا أشكل عليك شيء من معانيه، كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا، كما ترى بعض الحراص على العلم، ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه، كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وإنكار لها عليه، وحث على الأناة والتؤدة، وقد بالغ في ذلك بإتباعه قوله." (١)

"يعذبني الله على ذلك بالنار قال وسمعت السري يقول إنما أذهب أكثر أعمال القراء العجب وخفي الرياء أو كلام نحو هذا أخبرنا أبو القاسم المزكي أنا أبو بكر الحافظ أنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين أخبرني أبو الصابر القرميسيني (١) مشافهة ومناولة أن أباه حدثه قال نا علي بن عبد الحميد الغضائري (٢) قال سمعت السري يقول عمل قليل في سنة خير من كثير (٣) مع بدعة كيف يقل عمل مع تقوى وقال السري الأمور ثلاثة أمر بان لك رشده فاتبعه وأمر بان لك غيه (٤) فاجتنبه وأمر أشكل عليك فغب (٥) عنه وكله إلى الله تعالى وليكن الله دليلك واجعل فقرك إليه تستغن به عمن سواه سمعت أبا المظفر بن الأستاذ يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت علي بن عبد الحميد يقول سمعت السري يقول من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله (٦) أخبرتنا أم الفتوح فاطمة بنت محمد بن عبد الله القيسية قالت أنبأتنا عائشة بنت الحسن الوركانية نا أبو الحسين عبد الواحد بن محمد بن شاه الشيرازي حدثني عبد الواحد بن بكر نا محمد بن عيسى بحلب نا علي بن عبد الحميد قال قال سري بن المغلس إنما أذهب أكثر أعمال القراء العجب وخفي الرياء أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أنا أحمد بن الحسين أنا أبو عبد الله الحافظ نا جعفر بن محمد بن نصير حدثني الجنيد بن محمد قال سمعت سريا يقول ما أرى

---

(١) القاف مهملة بالاصل بدون نقط رسمها يقرأ " عين " والصواب ما أثبت وهذه النسبة الى قرميسين بلد بجبال العراق على ثلاثين فرسخا من همذان (انظر الانساب)

(٢) بالاصل رسمت " العصايري " وفي م: العضامري والصواب ما أثبت " الغضائري " عن الانساب ذكر السمعاني ثترجم له

(٣) بياض بالاصل مكان العبارة المستدركة بين معكوفتين وما استدركناه عن م (٤) بالاصل: لك عنه فلا حسبه " ولا معنى لها صوبنا العبارة عن م

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٦٦١

(٥) في م: فقف عنده

(٦) الرسالة القشيرية ط بيروت ص ٢٠٩." [1]

"وقد روي هذا الحديث من وجه آخر أتم من هذا بإسناد أشبه من هذا أخبرناه (١) أبو القاسم بن السمرقندي أيضا أنا أحمد بن محمد بن أحمد البزاز أنا عيسى بن علي بن عيسى الكاتب أنا عبد الله بن محمد البغوي حدثني السري بن يحيى أبو عبيدة التميمي نا سهل بن يوسف عن أبيه عن عبيد بن صخر (٢) بن لوذان الأنصاري السلمي وكان فيمن بعثه النبي (صلى الله عليه وسلم) مع عمال اليمن فقال فرق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمال اليمن في سنة عشر بعدما حج حجة التمام وقد مات باذام فلذلك فرق أعمالها بين شهر بن باذام وعامر بن شهر الهمداني وعبد الله بن قيس أبو موسى وخالد بن سعيد بن العاص والطاهر بن أبي هالة ويعلى بن أمية وعمرو بن حزم وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي وعكاشة بن ثور على السكاسك والسكون وبعث معاذ بن جبل معلما لأهل البلدين اليمن وحضرموت وقال يا معاذ إنك تقدم على أهل كتاب وإنهم سائلوك عن مفاتيح الجنة فأخبرهم أن مفاتيح الجنة لا إله إلا الله وأنها تخرق كل شئ حتى (٣) تنتهي إلى الله عز وجل لا تحجب دونه من جاء بها يوم القيامة مخلصا رجحت بكل ذنب فقال يعني معاذ إذا سئلت واختصم إلي فيما ليس في كتاب الله ولم أسمع منك فيه سنة فقال تواضع لله عز وجل يرفعك واستدق الدنيا تلقك الحكمة فإنه من تواضع لله عز وجل واستدق الدنيا أظهر الله الحكمة من قلبه على لسانه ولا تقضين ولا تقولن إلا بعلم فإن **أشكل عليك** أمر فاسأل ولا تستحي واستشر فإن المستشير معان والمستشار مؤتمن ثم اجتهد فإن الله عز وجل إن يعلم منك الصدق يوفقك فإن ألبس (٤) عليك فقف وأمسك حتى تتبينه أو تكتب إلي فيه ولا تضربن فيما لم تجد في كتاب الله ولا في سنتي على قضاء إلا عن ملأ واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار وإذا قدمت عليهم فأقم فيهم كتاب الله وأحسن أدبهم وأقرئهم القرآن يحملهم القرآن على الحق وعلى الأخلاق الجميلة وأنزل الناس منازلهم فإنهم لا يستوون إلا في الحدود لا في الخير ولا في الشر على قدر ما هم عليه من ذلك ولا تحابين في أمر الله وأد إليهم الأمانة في الصغير والكبير وخذ ممن لا سبيل عليه العفو وعليك بالرفق وإذا أسأت فاعتذر إلى

---

(١) كتب فوقها في " ز ": ملحق

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٨١/٢٠

(٢) مكانها بياض في " ز " وم

(٣) استدركت على هامش الاصل

(٤) غير واضحة بالاصل ورسمها: " السك " والمثبت عن د وم و " ز "." [١]

"أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر وأخوه (١) أبو بكر المعدلان قالا أنا أبو نصر عبد الرحمن بن علي بن محمد أنا يحيى بن إسماعيل بن يحيى الحربي (٢) أنا عبد الله بن محمد بن الحسن أنا عبد الله بن هاشم نا وكيع نا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله ابن سلمة عن معاذ قال كيف أنتم عند ثلاث دنيا تقطع رقابكم وزلة عالم وجدال منافق بالقرآن قال فسكتوا فقال معاذ بن جبل أما دنيا تقطع رقابكم فمن جعل الله غناه في قلبه فقد هدي ومن لا فليس بنافعته دنياه وأما زلة عالم فإن اهتدى فلا تقلدوه (٣) دينكم وإن فتن فلا تقطعوا منه أناتكم فإن المؤمن يفتن ثم يفتن ثم يتوب واما جدال منافق بالقرآن فإن للقرآن منارا كمنار الطريق لا يكاد يخفى على أحد فما عرفتم فتمسكوا به وما **أشكل عليكم** فكلوه إلى عامله أخبرنا (٤) أبو القاسم الشحامي أنا أبو بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله الصفار أنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني هارون بن عبد الله نا سعيد بن عامر عن عون بن معمر قال كان معاذ بن جبل له مجلس يأتيه فيه ناس من أصحابه فيقول يا أيها الرجل وكلكم رجل اتقوا الله وسابقوا الناس إلى الله وبادروا أنفسكم إلى الله تعالى الموت وليسعكم بيوتكم ولا يضركم أن لا يعرفكم أحد (٥) أنبأنا أبو علي الحداد أنا أبو نعيم (٦) نا سليمان بن أحمد نا سهل بن موسى عن عمرو بن علي قال سمعت عون بن أبي بكر الراسبي يحدث عن ثور بن يزيد قال كان معاذ بن جبل إذا تهجد من الليل قال اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم اللهم طلبي للجنة بطئ وهربي من النار ضعيف اللهم اجعل لي عندكم هدى ترده إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد أخبرنا أبو غالب بن البنا أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن الآبنوسي أنا عبد الله ابن محمد بن سعيد بن محارب الأوسي الإصطخري نا أبو خليفة نا عبد الرحمن بن أخي

---

(١) مكانها بياض في " ز "

(٢) مكانها بياض في " ز "

(٣) غير واضحة بالاصل والمثبت عن " ز " ود وم

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤١٠/٥٨

(٤) كتب فوقها في " ز " ود: ملحق

(٥) كتب بعدها في " ز " ود: إلى

(٦) رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الاولياء ١ / ٢٣٣." (١)

"بالكعبة، فكانوا إذا طافوا بالبيت لم يحلوا [١] حتى يأتوا العزى، فيطوفون به

. وأما مضر

[٢] فأمه سودة بنت عك، وأخوه لأبيه وأمه: إياد، ولهما أخوان من أبيهما واسمهما: / ربيعة وأنمار [٣]

.

وقد قال الزبير بن بكار: إن نزار بن معد لما حضرته الوفاة أوصى بنيه، وقسم ماله بينهم، فقال: يا بني، هذه القبة [٤]- وهي من أدم حمراء- وما أشبهها من مالي لمضر [٥] ، فسمي مضر الحمراء. وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من مالي لربيعة فخلف خيلا دهما [٦] ، فسمي ربيعة الفرس [٧] . وهذه الخادم وما أشبهها من مالي لإياد- وكانت شمطاء- فأخذ البلق والنقد من غنمه [٨] وهذه البدرة، والمجلس لأنمار يجلس فيه [٩] ، فأخذ أنمار ما أصابه. وقال: فإن أشكل عليكم في ذلك شيء واختلفتم في القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمي. فاختلفوا في القسمة، فذهبوا إلى الأفعى. فبينما هم في مسيرتهم إذ رأى مضر كلأ قد رعي، فقال: إن البعير الذي قد رعى [١٠] هذا الكلأ لأعور، وقال ربيعة: إنه أزور، وقال إياد: هو أبتر. وقال أنمار: هو شرود.

فلم يسيروا إلا قليلا حتى لقيهم رجل توضع به راحلته، فسألهم عن البعير، فقال مضر: هو أعور؟ قال: نعم. وقال ربيعة: هو أزور؟ قال: نعم. وقال إياد: هو أبتر؟

---

[١] في ت: «لم يخرجوا» .

[٢] في الأصل: «وأما النضر» .

[٣] الطبري ٢/ ٢٦٨.

[٤] في ت: «هذه وهو قية» .

[٥] في ت: «من مال المضر» .

[٦] في ت: «لربيعة بن خلف خيلا وسهما» .

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٣٨/٥٨

[٧] في ت: «القرش» .

[٨] في الأصل: «من غنمها» .

[٩] في ت: «فيه يجلس» .

[١٠] «رعى» سقطت من ت.." (١)

"وكان يوم الاثنين بمر الظهران فغربت له الشمس بسرف، ثم أصبح واغتسل ودخل مكة نهارا وهو على راحلته، فدخل من أعلى مكة من كداء حتى انتهى إلى باب بني شيبة، فلما رأى البيت رفع يديه، وقال: «اللهم يزد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة، وزد من عظمه ممن حجه واعتمره تشريفا وتكريما ومهابة وتعظيما وبرا» . ثم بدأ فطاف بالبيت، ورمل ثلاثة أشواط من الحجر إلى الحجر وهو مضطبع بردائه، ثم صلى خلف المقام ركعتين، ثم سعى بين الصفا والمروة على راحلته من فوره ذلك.

وخطب بمكة خطبا في أيام حجه.

قال المؤلف:

ومما جرى بعد حجه صلى الله عليه وآله وسلم.

أن باذام والي اليمن مات، ففرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمالها بين شهر بن باذام/ وعامر بن شهر الهمداني، وأبي موسى الأشعري، وخالد بن سعيد بن العاص، ويعلى بن أمية، وعمرو بن حزم، وزياد بن لبيد البياضي على حضرموت، وعكاشة بن ثور على السكاسك والسكون.

وبعث معاذ بن جبل معلما لأهل البلدين: اليمن وحضرموت، وقال له: «يا معاذ إنك تقدم على قوم أهل كتاب وإنهم سائلوك عن مفاتح الجنة، فأخبرهم أن مفاتح الجنة لا إله إلا الله، وأنها تخرق كل شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل، لا تحجب دونه، من جاء بها يوم القيامة مخلصا رجحت بكل ذنب» فقال: أرأيت ما سئلت عنه واختصم إلي فيه مما ليس في كتاب الله ولم أسمع منك سنة [١] ؟ فقال: «تواضع لله يرفعك، ولا تقضين إلا بعلم، فإن **أشكل عليك** أمر فسل ولا تستحي، واستشر ثم اجتهد، فإن الله إن يعلم منك الصدق يوفقك، فإن التبس عليك فقف حتى تتبينه أو تكتب إلي فيه، واحذر

---

[١] في الأصل: العبارة مضطربة هكذا: «مما ليس في كتاب ولا أسمع منه» .." (٢)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢/٣٣٣

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٤/٦

"[سورة الطلاق (٦٥) : الآيات ٤ الى ٥]

واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا (٤) ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا (٥)

قوله: واللائي يئسن من المحيض الآية، ذكر الله تعالى في سورة البقرة عدة ذوات الأقراء والمتوفى عنها زوجها وذكر عدة سائر النسوة اللائي لم يذكرن هناك في هذه السورة،

وروي أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله قد عرفنا عدة التي تحيض، فما عدة التي لم تحض فنزل: واللائي يئسن من المحيض

وقوله:

إن ارتبتم أي إن **أشكل عليكم** حكمهن «١» في عدة التي لا تحيض، فهذا حكمهن، وقيل: إن ارتبتم في دم «٢» البالغات مبلغ الإياس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر فلما نزل قوله تعالى: فعدتهن ثلاثة أشهر قام رجل فقال: يا رسول الله فما عدة الصغيرة التي لم تحض؟ فنزل: واللائي لم يحضن أي هي بمنزلة الكبيرة التي قد يئست عدتها ثلاثة أشهر، فقام آخر وقال، وما عدة الحوامل يا رسول الله؟ فنزل: وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن معناه أجلهن في انقطاع ما بينهن وبين الأزواج وضع الحمل، وهذا عام في كل حامل، وكان علي عليه السلام يعتبر أبعد الأجلين، ويقول:

والذين يتوفون منكم [البقرة: ٢٣٤] لا يجوز أن يدخل في قوله: وأولات الأحمال وذلك لأن أولات الأحمال إنما هو في عدة الطلاق، وهي لا تنقض عدة الوفاة إذا كانت بالحيض، وعند ابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين. وأما ابن مسعود فقال: يجوز أن يكون قوله: وأولات الأحمال مبتدأ خطاب ليس بمعطوف على قوله تعالى: واللائي يئسن ولما كان مبتدأ يتناول العدد كلها، ومما يدل عليه خبر سبيعة بنت الحرث أنها وضعت حملها بعد وفاة زوجها بخمسة عشر يوما، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتزوج، فدل على إباحة النكاح/ قبل مضي أربعة أشهر وعشر، على أن عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل في جميع الأحوال. وقال الحسن: إن وضعت أحد الولدين انقضت عدتها، واحتج بقوله تعالى: أن يضعن حملهن ولم يقل: أحمالهن، لكن لا يصح، وقرئ (أحمالهن) ، وقوله: ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا أي ييسر الله عليه في أمره، ويوفقه للعمل الصالح. وقال عطاء: يسهل الله عليه أمر

الدنيا والآخرة، وقوله: ذلك أمر الله أنزله إليكم يعني الذي ذكر من الأحكام أمر الله أنزله إليكم، ومن يتق الله بطاعته، ويعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يكفر عنه سيئاته من الصلاة إلى الصلاة، ومن الجمعة إلى الجمعة، ويعظم له في الآخرة أجرا، قاله ابن عباس، فإن قيل قال تعالى: أجلهن أن يضعن حملهن ولم يقل: أن يلدن، نقول: الحمل اسم لجميع ما في بطنهن، ولو كان كما قاله، لكانت عدتهن بوضع بعض حملهن، وليس كذلك. ثم قال تعالى:

[سورة الطلاق (٦٥) : الآيات ٦ الى ٧]

أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضآروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى (٦) لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا (٧)

---

(١) في مطبوع التفسير الكبير للرازي (حملهن) والمثبت من الكشاف للرازي (٤/ ١٢١ ط. دار الفكر) .

(٢) في مطبوع التفسير الكبير للرازي (في البالغات) والمثبت من المرجع السابق.." [(١)]

"الله) وما أرى أحدا أحق بهذا الأمر مني، فجعلني سهما من ستة أسهم، فبايع الناس عثمان فبايعته، ثم سار الناس إلى عثمان فقتلوه وبايعوني طائعين غير مكرهين، فأنا مقاتل من خالفني بمن أطاعني حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين) . وأما قولك أن أجلس في بيتي حين خرج طلحة والزبير، فكيف لي بما قد لزمني أومن تريدني؟ أتريدني أن أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال ليست هاهنا حتى يحل عرقوباها حتى تخرج! وإذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه؟ فكف عنك يا بني.

ولما قدم علي الربذة وسمع بها خبر القوم أرسل منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر، وكتب إليهم: إني اخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا وانهضوا إلينا، فالإصلاح نريد ؛ لتعود هذه الأمة إخوانا. فمضيا وبقي علي بالربذة، وأرسل إلى المدينة، فأتاه ما يريده من دابة وسلاح، وأمر أمره، وقام في الناس فخطبهم وقال: إن الله - تبارك وتعالى - أعزنا بالإسلام ورفعنا به، وجعلنا به إخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٦٣/٣٠

دينهم، والحق فيهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة! ألا إن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن، (ثم عاد ثانية وقال: إنه لا بد مما هو كائن) أن يكون، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي، وقد أدركتم ورأيتم، فالزموا دينكم، واهدوا بهديي، فإنه هدي نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما **أشكل عليكم** حتى تعرضوه على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله ربا، وبالإسلام دينا، ومحمد نبيا، وبالقرآن حكما وإماما.

فلما أراد المسير من الربذة إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد وأين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا." (١)

"عمرو ومالك وسعد: بطون من تميم. وقيل: بل قال هذه الأبيات نصر لعثمان بن صدقة، وقالت أم كثير الضبية، شعر:

لا بارك الله في أنثى وعذبها ... تزوجت مضريا آخر الدهر

أبلغ رجال تميم قول موجعة ... أحللتموها بدار الذل والفقر

إن أنتم لم تكروا بعد جولتكم ... حتى تعيدوا رجال الأزد في الظهر

إني استحيت لكم من بعد طاعتكم ... هذا المزوني يجبيكم على قهر

ذكر شيعة بني العباس

وفي هذه السنة وجه إبراهيم الإمام أبا مسلم الخراساني، واسمه عبد الرحمن بن مسلم، إلى خراسان، وعمره تسع عشرة سنة، وكتب إلى أصحابه: إني قد أمرته بأمري فاسمعوا له وأطيعوا، فإني قد أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك. فأتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة عند إبراهيم، فأعلمه أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه وأمره. فقال إبراهيم: قد عرضت هذا الأمر على غير واحد وأبوه علي.

وكان قد عرضه على سليمان بن كثير، فقال: لا ألي على اثنين أبدا. ثم عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى، فأعلمهم أنه قد أجمع رأيه على أبي مسلم، وأمرهم بالسمع والطاعة له، ثم قال له: إنك رجل منا أهل البيت، احفظ وصيتي، انظر هذا الحي من اليمن فالزمهم واسكن بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، فاتهم ربيعة في أمرهم، وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار، واقتل من شككت فيه، وإن استطعت أن لا

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢/٥٨٤

تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ، يعني سليمان بن كثير، ولا تعصه، وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني.." [1]

"أبي إسحاق الإسفراييني وقعد يسمع جميع درسه أياما، فقال له الأستاذ: هذا العلم لا يحصل بالسماع. وما توهم فيه ضبط ما يسمع، فأعاد عليه ما سمعه منه، وقرره أحسن تقرير من غير إخلال بشيء، فتعجب منه، وعرف محله، فأكرمه، وقال: ما كنت أدري أنك بلغت هذا المحل، فلست تحتاج إلى درس، بل يكفيك أن تطالع مصنفاتي، وتنظر في طريقتي، وإن أشكل عليك شيء طالعتني به، ففعل ذلك، وجمع بين طريقته وطريقة ابن فورك، ثم نظر في كتب القاضي أبي بكر ابن الطيب ابن الباقلاني، وهو مع ذلك يحضر مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق، ثم إنه اختاره لكريمته فزوجها منه، مع كثرة أقاربها.

ولما توفي ابو علي عاشر أبا عبد الرحمن السلمي، وصار أستاذ خراسان، وأخذ في التصنيف، وصنف " التفسير الكبير " قبل العشر وأربع مئة، وخرج إلى الحج في رفقة فيها الإمام أبو محمد الجويني، والشيخ أحمد البيهقي، وجماعة من المشاهير، فسمع معهم الحديث ببغداد وبالحجاز من مشايخ العصر.

وكان في علم الفروسية واستعمال الأسلحة وما يتعلق به أحد أفراد عصره، وله في ذلك دقائق وعلوم انفرد بها، وأما الجلوس للتذكير والوعظ، والقعود بين المريدين، والجواب عن أسولتهم عن الوقائع، فمنه وإليه، أجمع أهل عصره على أنه عديم النظير فيها، غير مشارك في أساليب التكلم على المسائل، وفي تطبيب القلوب، وفي الإشارات اللطيفة المستنبطة من الآيات." [2]

"وقالوا: حدثنا أبو سعيد النفاش قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن ابراهيم الغسال قال: حدثنا علي بن الحسن بن جنيد قال: حدثنا يعلى بن مهدي الموصلي قال: حدثنا أبو عوانة عن أبي يونس عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه: إني أطفيء نار الحدثان (١٧- و) فقال له رجل من قومه يقال له عمارة بن زياد: والله يا خالد ما قلت لنا قط إلا حقا فما شأنك ونار الحدثان تزعم أنك تطفئها، فخرج خالد ومعه ناس من قومه فيهم عمارة بن زياد فخط لهم خالد خطا فأجلسهم فيها فإذا هي تخرج من شق جبل في حرة يقال لها حرة أشجع فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا فاستقبلها خالد بعصاه فجعل يضربها ويقول: بدا بدا كل هدي مؤدى، زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندا، وقد كان خالد قال لهم: فإن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي فأبطأ عليهم

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٥١/٤

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية ابن الصلاح ٥٦٤/٢

فقال لهم عمارة بن زياد: إن ص ا حبكم والله إن كان حيا لقد خرج إليكم بعد، فادعوه باسمه، قالوا له: إنه قد نهى أن ندعوه باسمه، فدعوه باسمه، فخرج إليهم فقال لهم: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي فقد والله قتلتموني، احملوني فادفنوني فإذا مرت عليكم الحمر منها حمار أبتر فانبشوني فإنكم ستجدوني حيا، فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فأرادوا نبشه، فقال لهم عمارة بن زياد: لا تنبشوه لا والله ما تحدث مضر أنا ننبش موتانا، وقد كان خالد قال لهم: إن في عكم «١» امرأته لوحين فإذا **أشكل عليكم** شيء فانظروا فيها، فإنكم ستجدون ما تريدون، ولا تمسها حائض، فأتوا امرأته فسألوها عنها فأخرجتها إليهم، وهي حائض فذهب ما كان فيها من علمه.

قال أبو يونس: قال سماك سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: نبي أضاعه قومه.

قال أبو يونس: (١٧- ظ) قال سماك: إن ابن خالد بن سنان أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: مرحبا يا بن أخي.

قال أحمد بن ح نبل: أبو يونس الذي روى عنه أبو عوانة حديث خالد النبي لا أعرفه.." [١]

"بأهل بيت أمير المؤمنين أنهم يقهرون من نازعهم، وإذا **أشكل عليك** شيء فاكتب إلي فيه.

وعن حازم بن أبى حازم، قال: قال عمر فى كلام له: فلو كان بكل بدعة يميتها الله على يدى وبكل سنة ينعشها على يدى بضعة من لحمى حتى يأتى آخر ذلك على نفسى كان فى الله يسيرا.

وعن حماد بن أبى سليمان، قال: قام عمر بن عبد العزيز فى جامع دمشق، فقال بأعلى صوته: لا طاعة لنا فى معصية الله.

وعن عبد الله بن واقد، قال: آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز، حمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس، والله لولا أن أنعش سنة أو أشير بحث ما أحببت أن أعيش فواقا. الفواق: ما بين الحلبتين.

وعن سالم بن عبد الله، وخارجة بن زيد، قالا: إنا لنرجوا لسليمان بن عبد الملك فى استخلافه عمر بن عبد العزيز. وبإسناده أن عمر بن عبد العزيز لما استخلف باع كل ما كان يملكه من الفضول من عبد، ولباس، وعطر، وكل ما يستغنى عنه، فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار، فجعله فى السبيل.

وبإسناده عن خادم عمر بن عبد العزيز أنه لم يمتلأ من طعام من يوم ولى حتى مات، وأنه وضع المكث عن كل أرض، وأنه أمر بعمل الخانات بطريق خراسان، وأنه كتب إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وكان يأتيه: أن افرض للناس، يعنى العطاء، إلا لتاجر، وأنه كتب إلى الناس: أن ارفعوا إلى كل منفوس يفرض

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٣٠٤٣/٧

له، يعنى المولود، فإنما هو مالكم نرده عليكم، وأن أبا بكر بن محمد كان يعمل بالليل كعمله بالنهار لاستحثاث عمر إياه.

وعن محمد بن قيس، قال: رأيت عمر بن عبد العزيز إذا صلى العشاء دعى بشمعة فيكتب فى أمر المسلمين وفى رد المظالم، فإذا أصبح جلس فى رد المظالم، وأمر بالصدقات أن تقسم لأهلها، فلقد رأيت من يتصدق عليه له فى العام القابل إبل فيها صدقة.

وعن مهاجر بن يزيد قال: بعثنا عمر بن عبد العزيز فقسمنا الصدقة، فلقد رأيتنا وإنا لنأخذ الزكاة فى العام القابل ممن يتصدق عليه فى العام الماضى، ولقد كنت أراه يغسل ثيابه فما يخرج إلينا، ما له غيرها، وما أحدث بناء، ولقد رأيت عتبة له خربت فاكلم فى إصلاحها، ثم قال: يا مزاحم، هل لك فى تركها." (١)

"وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء أو الطلوع من المغرب، ولا ينافيه الخسوف فإنه مستعار للمحاق، ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب، أو بوصوله إلى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس، وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف.

يقول الإنسان يومئذ أين المفر أي القرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني، وقرئ بالكسر وهو المكان.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ١١ الى ١٣]

كلا لا وزر (١١) إلى ربك يومئذ المستقر (١٢) ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر (١٣)

كلا ردع عن طلب المفر. لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل.

إلى ربك يومئذ المستقر

إليه وحده استقرار العباد، أو إلى حكمه استقرار أمرهم، أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار.

ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر

بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله، أو بما قدم من عمل عمله وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة عمل بها بعده، أو بما قدم من مال تصدق به وبما أخر فخلفه، أو بأول عمله وآخره.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات النووي ٢/ ٢١

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ١٤ الى ١٩]

بل الإنسان على نفسه بصيرة (١٤) ولو ألقى معاذيره (١٥) لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨)

ثم إن علينا بيانه (١٩)

بل الإنسان على نفسه بصيرة

حجة بينة على أعمالها لأنه شاهد بها، وصفها بالبصارة على المجاز، أو عين بصيرة فلا يحتاج إلى الإنباء.

ولو ألقى معاذيره

ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر، أو جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فإن قياسه معاذر وذلك أولى وفيه نظر.

لا تحرك

يا محمد، به

بالقرآن. لسانك

قبل أن يتم وحيه. لتعجل به

لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك.

إن علينا جمعه

في صدرك. وقرآنه

وإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي.

فإذا قرأناه

بلسان جبريل عليك. فاتبع قرآنه

قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك.

ثم إن علينا بيانه بيان ما أشكل عليك من معانيه، وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب، وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور وأصل الدين فكيف بها في غيره، أو بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات. وقيل الخطاب مع الإنسان المذكور والمعنى أنه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا، فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فإن علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من أعمالك وقراءته، فإذا قرأناه فاتبع قراءته بالإقرار أو التأمل فيه، ثم إن

علينا بيان أمره بالجزاء عليه.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ٢٠ الى ٢٣]

كلا بل تحبون العاجلة (٢٠) وتذرون الآخرة (٢١) وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة (٢٣)

كلا ردع لدرسول عن عادة العجلة أو للإنسان عن الاغترار بالعاجل. بل تحبون العاجلة.

وتذرون الآخرة تعميم للخطاب إشعارا بأن بني آدم مطبوعون على الاستعجال وإن كان الخطاب." (١)

"واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا (٤)

﴿واللائى يئسن من المحيض من نسائكم﴾ روي أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الإقراء فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت ﴿إن ارتبتم﴾ أي **أشكل عليكم** حكمهن وجهلتم كيف يعتددن ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر﴾ أي فهذا حكمهن وقيل إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أن استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر واذا

كانت هه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك ﴿واللائي لم يحضن﴾ هن الصغائر وتقديره واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها ﴿وأولات الأحمال أجلهن﴾ عدتهن ﴿أن يضعن حملهن﴾ والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما عدة الحامل المتوفي عنها زوج١ا أبعد الأجلين ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ ييسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى." (٢)

"ثم إن علينا بيانه (١٩)

﴿ثم إن علينا بيانه﴾ إذا **أشكل عليك** شيء من معانيه." (٣)

"فإذا قرأناه

: أي الملك المبلغ عنا، فاتبع

: أي بذهنك وفكرك، أي فاستمع قراءته، قاله ابن عباس. وقال أيضا هو قتادة والضحاك: فاتبع في الأوامر

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢٦٦/٥

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٩٩/٣

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٥٧٢/٣

والنواهي. وفي كتاب ابن عطية، وقرأ أبو العالية: فإذا قرته فاتبع قرته، بفتح القاف والراء والتاء من غير همز ولا ألف في الثلاثة، ولم يتكلم على توجيه هذه القراءة الشاذة، ووجه اللفظ الأول أنه مصدر، أي إن علينا جمعه وقراءته، فنقل حركة الهمزة إلى الراء الساكنة وحذفها فبقي قرته كما ترى. وأما الثاني فإنه فعل ماض أصله فإذا قرأته، أي أردت قراءته فسكن الهمزة فصار قرأته، ثم حذف الألف على جهة الشذوذ، كما حذفت في قول العرب: ولو تر ما الصبيان، يريدون: ولو ترى ما الصبيان، وما زائدة. وأما اللفظ الثالث فتوجيهه توجيه اللفظ الأول، أي فإذا قرأته، أي أردت قراءته، فاتبع قراءته بالدرس أو بالعمل. ثم إن علينا بيانه، قال قتادة وجماعة: أن نبينه لك ونحفظكه. وقيل: أن تبينه أنت. وقال قتادة أيضا:

أن نبين حلاله وحرامه ومجمله ومفسره.

وفي التحرير والتحبير قال ابن عباس: إن علينا جمعه

: أي حفظه في حياتك، وقراءته: تأليفه على لسانك. وقال الضحاك: نثبته في قلبك بعد جمعه لك. وقيل: جمعه بإعادة جبريل عليك مرة أخرى إلى أن يثبت في صدرك. فإذا قرأناه

، قال ابن عباس:

أنزلناه إليك، فاستمع قراءته، وعنه أيضا: فإذا يتلى عليك فاتبع ما فيه. وقال قتادة: فاتبع حلاله واجتنب حرامه. وقد نمق الزمخشري بحسن إيراده تفسير هذه الآية فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي، نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه، فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضى إليه وحيه، ثم يعقبه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه. والمعنى: لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل يقرأ. لتعجل به

: لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك، ثم علل النهي عن العجلة بقوله: إن علينا جمعه

في صدرك وإثبات قراءته في لسانك. فإذا قرأناه

: جعل قراءة جبريل قراءته، والقرآن القراءة، فاتبع قراءته: فكن مقفيا له فيه ولا تراسله، وطامن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ، فنحن في ضمان تحفيظه. ثم إن علينا بيانه: إذا **أشكل عليك** شيء من معانيه، كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا، كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه، ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه. انتهى.

وذكر أبو عبد الله الرازي في تفسيره: أن جماعة من قدماء الروافض زعموا أن القرآن." [١]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٤٩/١٠

"الأسواق، وكان بين الإسفراييني وبين الواعظ أبي الحسن الغزنوي شنآن، فنودي في بغداد أن لا يذكر أحد مذهبا.

قلت: لما سمع ابن عساكر بوفاة الإسفراييني، أملى مجلسا في المعنى، سمعناه بالاتصال، فينبغي للمسلم أن يستعيذ من الفتن، ولا يشغب بذكر غريب المذاهب لا في الأصول ولا في الفروع، فما رأيت الحركة في ذلك تحصل خيرا، بل تثير شرا وعداوة ومقتا للصلحاء والعباد من الفريقين، فتمسك بالسنة، وألزم الصمت، ولا تخض فيما لا يعنيك، وما **أشكل عليك** فرده إلى الله ورسوله، وقف، وقل: الله ورسوله أعلم.

٨٥ - شريح بن محمد بن شريح بن أحمد الرعيني *

ابن محمد بن شريح بن يوسف بن شريح، الشيخ، الإمام الأوحد، المعمر، الخطيب، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو الحسن الرعيني، الإشبيلي، المالكي، خطيب إشبيلية.

ولد: في ربيع الأول، سنة إحدى وخمسين وأربع مائة.

تلا على: والده العلامة أبي عبد الله بكتابه (الكافي (في السبع، وحمل عنه علما كثيرا، وأجاز له مروياته أبو محمد بن حزم الظاهري.

وسمع (صحيح البخاري) من: أبي عبد الله بن منظور صاحب أبي ذر الهروي، وسمع من: علي بن محمد الباجي، وأبي محمد بن خزرج، وطائفة.

(*) الصلة ١ / ٢٣٤، ٢٣٥، بغية الملتمس: ٣١٨، العبر ٤ / ١٠٧، معرفة القراء الكبار ١ / ٣٩٧، ٣٩٨، دول الإسلام ٢ / ٥٧، غاية النهاية ١ / ٣٢٤، ٣٢٥، النجوم الزاهرة ٥ / ٢٧٦، بغية الوعاة ٢ / ٣، شذرات الذهب ٤ / ١٢٢.." [١]

"الإمام أبو القاسم القشيري [١] النيسابوري.

الزاهد الصوفي، شيخ خراسان وأستاذ الجماعة، ومقدم الطائفة.

توفي أبوه وهو طفل، فوقع إلى أبي القاسم اليماني الأديب، فقرأ الأدب والعربية عليه. وكانت له ضيعة مثقلة الخراج بناحية أستوا [٢] ، فرأوا من الرأي أن يتعلم طرفا من «الاستيفاء» ، ويشرع في بعض الأعمال بعد ما أونس رشده في العربية، لعله يصون قريته، ويدفع عنها ما يتوجه عليها من مطالبات الدولة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٤٢/٢٠

فدخل نيسابور من قريته على هذه العزيمة، فاتفق حضوره مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق، وكان واعظ وقته، فاستحلى كلامه، فوقع في شبكة الدقاق، ونسخ ما عزم عليه. طلب القباء، فوجد العباء، وسلك الطريق الإرادة، فقبله الدقاق وأقبل عليه، وأشار إليه بتعلم العلم، فمضى إلى درس الفقيه أبي بكر الطوسي، فلازمه حتى فرغ من التعليق، ثم اختلف إلى الأستاذ أبي بكر بن فورك الأصولي، فأخذ عنه الكلام والنظر، حتى بلغ فيه الغاية. ثم اختلف إلى أبي إسحاق الإسفرائيني [٣] ، ونظر في تواليف ابن الباقلاني.

ثم زوجه أبو علي الدقاق بابنته فاطمة. فلما توفي أبو علي عاش أبا عبد

[(- ١١١،)] وروضات الجنات ٤٤٤، وهدية العارفين ٦٠٧، ٦٠٨، وديوان الإسلام ٤/ ٣٤، ٣٥ رقم ١٧٠٣، وإيضاح المكنون ١/ ١٩٤، والرسالة المستطرفة ١٦٦، والأعلام ٤/ ٥٧، وتاريخ الأدب العربي ١/ ٤٣٢ و ٢/ ١١٧، وملحقه ١/ ٧٧١، ومعجم المؤلفين ٦/ ٦، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين ٢٥١ رقم ٣٠٢.

وانظر مقدمة كتابه «الرسالة القشيرية» للدكتور المرحوم عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف.

[١] القشيري: بضم القاف وفتح الشين وسكون الياء وفي آخرها راء. نسبة إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

[٢] أستوا: بضم أوله وسكون السين المهملة، وضم التاء المثناة وواو وألف. ناحية من نيسابور كثيرة القرى.

[٣] زاد ابن عساكر: وقعد يسمع جميع دروسه، وأتى عليه أيام فقال له الأستاذ: هذا العلم لا يحصل بالسماع، وما توهم فيه ضبط ما يسمع، فأعاد عنده ما سمعه منه وقرره أحسن تقرير من غير إخلال بشيء، فتعجب منه وعرف محله وأكرمه، وقال: ما كنت أدري أنك بلغت هذا المحل فلست تحتاج إلى درسي، بل يكفيك أن تطالع مصنفاتي وتنظر في طريقي، وإن **أشكل عليك** شيء طالعتني به، ففعل ذلك، وجمع بين طريقته وطريقة ابن فورك» . (تبيين كذب المفتري ٢٧٣) (وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٦) .." (١)

"وحوله جم غفير من عصبيته، ومنهم من يصيح ويقول: لا بحرف ولا صوت بل هي عبارة عن ذلك. فرجمه العوام، ورجم أصحابه، حتى لم يكد يبقى في الطريق ما يرجم به. وكان هناك كلب ميت، فتراجموا به، وصار من ذلك فتنة كبيرة، لولا قربها من باب النوبي لهلك فيها جماعة. فاتفق جواز موفق الملك عثمان عميد بغداد، فهرب معظم أصحابه من حوله، صار قصارى أمره أن يلقي نفسه عن فرسه، ودخل في بعض

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٧١/٣١

الدكاكين، وأغلق الباب، ووقف من تخلف معه على الباب. حتى انقضت الفتنة. ثم ركب طائر العقل إلى دار المملكة، ودخل إلى السلطان مسعود، فحكى له الحال، فتقدم السلطان إلى الأمير قيماز بالقبض على أبي الفتوح، وحمله إلى همذان، وتسليمه من همذان، وتسليمه من همذان إلى الأمير عباس ليحمله إلى إسفراين، ويشهد عليه أنه متى خرج منها فقد أطاح دم نفسه [١] .

٣٩٣- محمد بن القاسم بن المظفر بن علي بن الشهرزوري، ثم الموصلي [٢] .

———————

[١] وقال ابن الجوزي: قدم السلطان مسعود بغداد ومعه الحسن بن أبي بكر النيسابوري الحنفي، أحد المناظرين، فجالسته، فجلس بجامع القصر، وكان يلعن الأشعري جهرا، ويقول: كن شافعيا ولا تكن أشعريا، وكن حنفيا ولا تكن معتزليا، وكن حنبليا، ولا تكن مشبها، وكان على باب النظامية اسم الأشعري، فأمر السلطان بمحوه، وكتب مكانه: الشافعي، وكان الأسفراييني يعظ في رباطه، ويذكر محاسن مذهب الأشعري، فتقع الخصومات، فذهب الغزنوي، فأخبر السلطان بالفتن وقال: إن أبا الفتوح صاحب فتنة، وقد رجم غير مرة، والصواب إخراجه، فأخرج، وعاد الحسن النيسابورى إلى وطنه، وقد كانت اللعنة قائمة في الأسواق، وكان بين الأسفراييني وبين الواعظ أبي الحسن الغزنوي شنئان، فنودي في بغداد أن لا يذكر أحد مذهبا، (المنتظم ١٠/ ١٠٦- ١٠٨ و ١١٠/ ١٨/ ٣١، ٣٢ و ٣٦) .

وقال المؤلف الذهبي- رحمه الله-: لما سمع ابن عساكر بوفاة الأسفراييني أملى مجلسا في المعنى، سمعناه بالاتصال، فينبغي للمسلم أن يستعيذ من الفتن، ولا يشغب بذكر غريب المذاهب لا في الأصول ولا في الفروع، فما رأيت الحركة في ذلك تحصل خيرا، بل تثير شرا وعداوة ومقتا للصلحاء والعباد من الفريقين، فتمسك بالسنة، والزم الصمت، ولا تخض فيما لا يعنيك، وما **أشكل عليك** فرده إلى الله ورسوله، وقف، وقل: الله ورسوله أعلم. (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٤٢) .

[٢] انظر عن (محمد بن القاسم) في: الأنساب ٧/ ٤١٨، ٤١٩، والمنتظم ١٠/ ١١٢ رقم ١٥٥ (١٨/ ٣٧ رقم ٤١٠٣) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر، ومشيخة ابن عساكر ٢٠٦ ب، واللباب ٢/ ٢١٦، ٢١٧، وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ٢/ ٣٢٢، وتاريخ إربل لابن المستوفي ١/ ٢٠٣- ٢٠٦ رقم ١٠٢، ووفيات الأعيان ٤/ ٦٨- ٧٠ (في ترجمة أبيه) ، وطبقات الفقهاء." (١)

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٨٣/٣٦

"وقال ابن النجار: سمعت عبد الرزاق بن عبد القادر يقول: ولد لوالدي تسع وأربعون ولدا، سبعة وعشرون ذكرا، والباقي إناث [١] .

وقال: كتب إلي عبد الله بن أبي الحسن الجبائي قال: كنت أسمع كتاب «الحلية» على ابن ناصر، فرق قلبي، وقلت في نفسي: اشتهيت أن أنقطع عن الخلق وأشتغل بالعبادة. ومضيت فصليت خلف الشيخ عبد القادر، فلما صلى جلسنا، فنظر إلي وقال إذا أردت الانقطاع، فلا تنقطع حتى تتفقه، وتجالس الشيوخ، وتتأدب، وإلا تنقطع وأنت فريخ ما ريشت [٢] .

قال ابن النجار: أخبرني أبو عبد الله محمد بن سعيد الشاهد، عن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر قال: سمعت أبا الثناء بن أبي البركات النهر ملكي يقول: قال لي صديق لي: قد سمعت أن الشيخ عبد القادر لا يقع على ثيابه الذباب. فقلت: ما لي علم بهذا. ثم بكرنا يوم الجمعة، وحضرنا مجلسه، فالتفت إلي وإليه وقال: أيش يعمل الذباب عندي، لا دبس الدنيا، ول ا عسل الآخرة [٣] .

قال: وأنبأنا أبو البقاء عبد الله بن الحسين الحنبلي: سمعت يحيى بن نجاح الأديب يقول: قلت في نفسي: أريد أحصي كم يقص الشيخ عبد القادر شعرا من التواب. فحضرت المجلس ومعي خيط، فكلما قص شعرا عقدت عقدة تحت ثيابي، من الخيط، وأنا في آخر الناس، وإذا به يقول: أنا أحل، وأنت تعقد؟! [٤] .

قال: وسمعت شيخ الصوفية عمر بن محمد السهروردي يقول: كنت

---

[١] سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٤٧، فوات الوفيات ٢/ ٣٧٤.

[٢] زاد ابن النجار: «فإن أشكل عليك شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك وتسأل الناس عن أمر دينك؟ ما يحسن صاحب الزاوية أن يخرج من زاويته ويسأل الناس عن أمر دينه! ينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره» .

[٣] سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٤٨.

[٤] سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٤٨.." (١)

"وبه إلى عبد الخالق، قال: أخبرنا الإمام أبو تراب عبد الباقي بن يوسف المراغي، قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الله بن حماد، قال: حدثنا أبو حفص عمر بن محمد الزيات، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن عبيد الله الجوهري، قال: حدثني أبو يعلى زكريا بن يحيى المنقري، قال: حدثنا الأصمعي، قال:

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٩/٩٧

سمعت أعرابيا يقول: إذا **أشكل عليك** أمران لا تدري أيهما الرشد فخالف أقربهما من هواك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى.

شيخة أخرى

١٧١- حبيبة بنت عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي، أم عبد الرحمن ابنة الزين.

حضرت على اليلداني وخطيب مردا، وسمعت من إبراهيم بن خليل، وابن عبد الدائم، وأجاز لها من بغداد إبراهيم بن أبي بكر الزعبي وعلي بن عبد اللطيف ابن الخيمي، وفضل الله ابن الجيلي، ومحمد بن نصر ابن الحصري، ومن الديار المصرية سبط السلفي وغيره، ومن الشام البكري وغيره، ومن مكة المرسي، ومن المدينة النبوية الملك الناصر داود ابن المعظم عيسى، وحدثت.

سمع منها الذهبي والبرزالي، وذكرها في مسودة ((معجمه)) فقال: امرأة مباركة وهي الوسطى من أخواتها، مولدها تقريبا سنة خمسين وست مئة بسفح قاسيون. انتهى كلامه. وتوفيت في خامس شعبان سنة ثلاث." (١)

"شيخ المشايخ وأستاذ الجماعة ومقدم الطائفة ومقصود سالكي الطريقة وبندار الحقيقة وعين السعادة وحقيقة الملاحة لم ير مثل نفسه ولا رأى الراءون مثله في كماله وبراعته جمع بين علم الشريعة والحقيقة وشرح أحسن الشرح أصول الطريقة

أصله من ناحية أستوا من العرب الذين وردوا خراسان وسكنوا النواحي فهو قشيري الأب سلمي الأم وخاله أبو عقيل السلمي من وجوه دهاقين ناحية أستوا

توفي أبوه وهو طفل فوقع إلى أبي القاسم الأليماني فقرأ الأدب والعربية عليه بسبب اتصاله بهم وقرأ على غيره وحضر البلد واتفق حضوره مجلس الأستاذ الشهيد أبي علي الحسن بن علي الدقاق وكان لسان وقته فاستحسن كلامه وسلك طريق الإرادة فقبله الأستاذ وأشار عليه بتعلم العلم فخرج إلى درس الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن بكر الطوسي وشرع في الفقه حتى فرغ من التعليق ثم اختلف بإشارته إلى الأستاذ الإمام أبي بكر بن فورك وكان المقدم في الأصول حتى حصلها وبرع فيها وصار من أوجه تلامذته وأشدهم تحقيقا وضبطا وقرأ عليه أصول الفقه وفرغ منه ثم بعد وفاة الأستاذ أبي بكر اختلف إلى الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني وقعد يسمع جميع دروسه وأتى عليه أيام فقال له الأستاذ هذا العلم لا يحصل بالسماع

---

(١) معجم الشيوخ للسبكي السبكي، تاج الدين ص/٥٥٣

وما توهم فيه ضبط ما يسمع فأعاد عنده ما سمعه منه وقرره أحسن تقرير من غير إخلال بشيء فتعجب منه وعرف محله فأكرمه وقال ما كنت أدري أنك بلغت هذا المحل فلست تحتاج إلى درسي يكفيك أن تطالع مصنفاتي وتنظر في طريقي وإن **أشكل عليك** شيء طالعتني به ففعل ذلك وجميع بين طريقته وطريقة ابن فورك." (١)

"يعلى الموصلي: حدثنا المعلى بن مهدي الموصلي قال حدثنا أبو عوانة عن أبي يونس عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه: إني أطفئ عنكم نار الحرتين فقال له رجل من قومه (١) والله يا خالد ما قلت لنا قط إلا حقا فما شأنك وشأن نار الحرتين تزعم أنك تطفئها فخرج خالد ومعه أناس من قومه فيهم عمارة بن زياد فأتوها فاذا هي تخرج من شق جبل فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا فاستقبلها خالد فجعل يضربها بعصاه وهو يقول: بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي بيدي حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم فقال لهم عمارة بن زياد والله إن صاحبكم لو كان حيا لقد خرج إليكم بعد قالوا فادعوه باسمه.

قال فقالوا إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه فدعوه باسمه فخرج وهو آخذ برأسه فقال ألم أنهكم أن تدعوني باسمي فقد والله قتلتموني فادفنوني فاذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني فإنكم تجدوني حيا فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقلنا انبشوه فإنه أمرنا أن ننبشه فقال لهم عمارة لا تنبشوه لا والله لا تحدث مضر أن ننبش موتانا وقد كان قال لهم خالد إن في عكن امرأته لوحين فإن **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيها فإنكم ستجدون ما تسألون عنه قال ولا يمسهما حائض فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما إليهم وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم (٢) .

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " ذاك نبي أضاعه قومه "

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب إن ابن خالد بن سنان أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " مرحبا بابن أخي ".

فهذا السياق موقوف على ابن عباس وليس فيه أنه كان نبيا والمرسلات التي فيها أنه نبي لا يحتج بها هاهنا والأشبه أنه كان رجلا صالحا له أحوال وكرامات فإنه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا لأنه ليس بيني وبينه نبي

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٥/١٥٥

".

وإن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبيا لأن الله تعالى قال: (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) (٣) وقد قال غير واحد من العلماء إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبيا في

العرب إلا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء الذي دعا به ابراهيم الخليل باني الكعبة المكرمة التي جعلها الله قبلة لأهل الأرض شرعا وبشرت به الأنبياء لقومهم حتى كان آخر من بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وبهذا المسلك بعينه يرد ما ذكره السهيلي وغيره من إرسال نبي من العرب يقال له شعيب بن ذي مهذم بن شعيب بن صفوان صاحب مدين وبعث إلى العرب أيضا حنظلة بن صفوان فكذبوهما فسلط الله على العرب بخت نصر فنال منهم من القتل والسبي نحو ما نال من بني

---

(١) في المستدرك للحاكم قال: هو عمارة بن زياد.

(٢) من الاساطير الغريبة ليس من سبيل لتصديقها والقبول بها.

(٣) سورة السجدة الآية ٣.

[*]."[1]

"به، وأما مبايعتي قبل مجئ بيعة الأمصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه.

فتريد مني أن يكون كالضبع التي يحاط بها، ويقال ليست ها هنا، حتى يشق عرقوبها فتخرج، فإذا لم أنضر فيما يلزمني في هذا الأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟ فكف عني يا بني، ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة من الأمر الذي قدمنا كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، إني قد اخترتكم على أهل الأمصار، فرغبت إليكم وفزعت لما حدث، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا، [وأيدونا] وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا (١) ، فمضيا، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب، وقام في الناس خطيبا فقال: إن الله أعزنا بالإسلام ورفعنا به، وجعلنا به إخوانا، بعد ذلة وقلة وتباغض

وتباعد، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم، والحق قائم بينهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة، ألا وإن هذه الأمة لابد

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢/٢٦٩

مفترقة كما افترقت الأمم قبلها، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن.
ثم عاد ثانية فقال: إنه لابد مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فرقة تحبني ولا تعمل بعملي، وقد أدركتم ورأيتم، فالزموا دينكم، واهتدوا بهديي فإنه هدى نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما **أشكل عليكم**، حتى تعرضوه على الكتاب، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن حكما وإماما.
قال فلما عزم على المسير من البربذة قام إليه ابن أبي رفاعة بن رافع، فقال: يا أمير المؤمنين أي شئ تريد؟ وأين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابوا إليه، قال: فإن لم يجيبوا إليه؟ قال: ندعهم بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر.
قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذا.
فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصاري فقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، والله لينصرني الله كما سمانا أنصارا.
قال: وأتت جماعة من طئ وعلي بالبربذة، فقيل له: هؤلاء جماعة جاؤوا من طئ منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد السلام عليك، فقال: جزى الله كلا خيرا * (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) * [النساء: ٩٥] قالوا: فسار علي من الربذة على تعبئته وهو راكب ناقة حمراء يقود فرسا كميتا فلما كان بفيد (٢) جاءه جماعة من أسد وطئ، فعرضوا أنفسهم عليه فقال: فيمن معي كفاية، وجاء رجل من أهل الكوفة يقال له عامر بن مطر الشيباني، فقال له علي: ما وراءك؟ فأخبره الخبر، فسأله عن أبي موسى فقال: إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبه، وإن أردت القتال فليس بصاحبه، فقال علي: والله ما أريد إلا الصلح ممن تمرد علينا.
وسار، فلما اقترب من الكوفة وجاءه الخبر بما وقع من الأمر على جليته،

---

(١) زاد الطبري في كتابه: ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق وآثره ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه.
(٢) فيد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة عامرة إلى الآن (معجم البلدان) .
(*)."[1]

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٧/٢٦٢

"بعصاه وهو يقول: بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندى حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم.

فقال لهم عمارة بن زياد: والله إن صاحبكم لو كان حيا لقد خرج إليكم بعد. قالوا: فادعوه باسمه قال: فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه. فدعوه باسمه فخرج وهو آخذ برأسه فقال: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي فقد والله قتلتموني فادفنوني فاذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني فإنكم تجدوني حيا فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقلنا: انبشوه فإنه أمرنا أن ننبشه فقال لهم عمارة: لا تنبشوه، لا والله لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا، وقد كان قال لهم خالد: إن في عكم امرأته لوحين فإن **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما فإنكم ستجدون ما تسألون عنه قال: ولا يمسهما حائض فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما إليهم، وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم.

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ذاك نبي أضاعه قومه قال أبو يونس: قال سماك بن حرب إن ابن خالد بن سنان أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: مرحبا بابن أخي." (١)

"وأعرضوا عما **أشكل عليكم** حتى تعرضوه على الكتاب، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن حكما وإماما.

قال: فلما عزم على المسير من الربذة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وأين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابوا إليه. قال: فإن لم يجيبوا إليه؟ قال: ندعهم بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر. قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم. قال: فنعم إذا. فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصاري فقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، والله لينصرني الله كما سمانا أنصارا.

قال: وأتت جماعة من طيئ وعلي بالربذة، فقيل له: هؤلاء جماعة جاءوا من طيئ ؛ منهم من يريد الخروج معك، ومنهم من يريد السلام عليك. فقال: جزى الله كلا خيرا ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما﴾ [النساء: ٩٥] ثم سار من الربذة على تعبئته وهو راكب ناقة حمراء يقود فرسا كميتا، فلما كان بفيد جاءه جماعة من أسد وطيئ، فعرضوا أنفسهم عليه فقال: في من." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٥٠/٣

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤٤٣/١٠

"أن ننبشه فقال لهم عمارة لا تنبشوه لا والله لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا وقد كان قال لهم خالد إن في عكن امرأته لوحين فإن **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما فإنكم ستجدون ما تسألون عنه قال ولا يمسهما حائض فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما إليهم وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم.

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ذاك نبي أضاعه قومه قال: أبو يونس: قال سماك بن حرب إن ابن خالد بن سنان أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: مرحبا بابن أخي فهذا السياق موقوف على ابن عباس وليس فيه أنه كان نبيا والمرسلات التي فيها أنه نبي لا يحتج بها هاهنا والأشبه أنه كان رجلا صالحا له أحوال وكرامات فإنه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا لأنه ليس بيني وبينه نبي. وإن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبيا لأن الله تعالى قال (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) ٢٨: ٤٦ وقد قال غير واحد من العلماء إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبيا في العرب إلا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء الذي دعا به ابراهيم الخليل باني الكعبة المكرمة التي جعلها الله قبلة لأهل الأرض شرعا وبشرت به الأنبياء لقومهم حتى كان آخر من بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وبهذا المسلك بعينه يرد ما ذكره السهيلي وغيره من إرسال نبي من العرب يقال له شعيب بن ذي مهذم بن شعيب بن صفوان صاحب مدين وبعث إلى العرب أيضا حنظلة بن صفوان فكذبوهما فسلط الله على العرب بخت نصر فنال منهم من القتل والسبي نحو ما نال من بني إسرائيل وذلك في زمن معد بن عدنان والظاهر أن هؤلاء كانوا قوما صالحين يدعون إلى الخير والله أعلم. وقد تقدم ذكر عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف في أخبار خزاعة بعد جرهم.

ذكر حاتم الطائي أحد أجواد الجاهلية

وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أحزم بن أبي أحزم [١] واسمه هرومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ أبو سفانة الطائي والدعدى بن حاتم الصحابي كان جوادا ممدحا في الجاهلية وكذلك كان ابنه في الإسلام وكانت لحاتم مآثر وأمور عجيبة وأخبار مستغربة في كرمه يطول ذكرها ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة وإنما كان قصده السمعة والذكر قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا عبيد بن واقد القيسي حدثنا أبو نصر هو الناجي عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال ذكر حاتم عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال

ذاك أراد أمرا فأدركه (حديث غريب) قال الدارقطني تفرد به عبيد بن واقد عن أبي نصر الناجي ويقال إن اسمه حماد قال ابن عساكر: وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين أبى نصر الناجي وبين أبي نصر حماد ولم يسم الناجي

---

[١] كذا بالأصول وبلوغ الارب للآلوسى بالحاء المهملة والمنقول عن الأغاني بالخاء المعجمة انتهى.." (١)

"نحن على حنين الجارية، وما الذي نهيتني عنه فعصيتك؟ فقال: ألم آمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها، فيقول قائل أو يتحدث متحدث؟ ألم آمرك أن لا تبايع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فعصيتني في ذلك كله؟ فقال له علي: أما قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما مبايعتي قبل مجيء بيعة الأمصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه. فتريد منى أن أكون كالضبع التي يحاط بها، ويقال ليست هاهنا، حتى يشق عرقوبها فتخرج، فإذا لم أنظر فيما يلزمني في هذا الأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟ فكف عني يا بني، ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة من الأمر الذي قدمنا كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، إني قد اخترتكم على أهل الأمصار، فرغبت إليكم وفرغت لما حدث، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا، وانهضوا إلينا فالاصلاح نريد لنعود هذه الأمة إخوانا، فمضيا، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب، وقام في الناس خطيبا فقال: إن الله أعزنا بالإسلام ورفعنا به، وجعلنا به إخوانا، بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم، والحق قائم بينهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة، ألا وإن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن. ثم عاد ثانية فقال: إنه لا بد مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فرقة تحبني ولا تعمل بعملي، وقد أدركتم ورأيتم، فالزموا دينكم، واهتدوا بهديي فإنه هدى نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما **أشكل عليكم**، حتى تعرضوه على الكتاب، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن حكما وإماما. قال فلما عزم على المسير من الربذة قام إليه ابن أبى رفاعة بن

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢/٢١٢

رافع، فقال: يا أمير المؤمنين أي شيء تريد؟ وأين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوى فالاصلاح، وإن قبلوا منا وأجابوا إليه، قال: فإن لم يجيبوا إليه؟

قال: نعدهم بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر. قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذا. فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصاري فقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، والله لينصرني الله كما سمانا أنصارا. قال: وأتت جماعة من طيئ وعلي بالربذة، فقيل له: هؤلاء جماعة جاءوا من طيئ منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد السلام عليك، فقال: جزى الله كلا خيرا وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ٤: ٩٥ قالوا: فسار على من الربذة على تعبئته وهو راكب ناقة حمراء يقود فرسا كميتا فلما كان بفيد جاءه جماعة من أسد." (١)

"الشيوخ وتتأدب بهم، فحينئذ يصلح لك الانقطاع، وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه، وأنت فريخ ما ربشت فإن **أشكل عليك** شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك، وتسأل الناس عن أمر دينك؟ ما يحسن بصاحب الزاوية أن يخرج من زاويته، ويسأل الناس عن أمر دينه. ينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره.

قال: وكان الشيخ يوما يتكلم في الإخلاص والرياء والعجب، وأنا حاضو في المجلس، فخطر في نفسي: كيف الخلاص من العجب؟ فالتفت إلي الشيخ، وقال: إذا رأيت الأشياء من الله، وأنه وفقك لعمل الخير، وأخرجت نفسك من الشين سلمت من العجب.

قال أبو الفرج بن الحنبلي - وكتبته من خطه -: كانت حرمة الشيخ عبد الله الجبائي كبيرة ببغداد. فلما دخلت أصبهان سنة ثمانين وجدته فيها وهو عظيم الحرمة، فكان كل يوم يأتي إلى زيارتي. وبجاهه سمعت على الحافظ أبي موسى الجزء من السباعيات، فإنه كان مريضا. وقد حجب الناس عنه، فلم يقدروا على حجب الشيخ عبد الله، فدخلنا معه، فأخذ الإذن من الحافظ أبي موسى لي في القراءة عليه. وكان إذا مشى في السوق قام له أهل السوق. وحكى لي الشيخ طلحة - يعني العلثي - أن للشيخ عبد الله - يعني الجبائي - رياضات ومجاهدات يطول ذكرها.

وحدثني الشيخ طلحة عنه: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال: يا رسول الله، أيثاب الرجل على قراءة القرآن. فقال: نعم. فقال: يا رسول الله،." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٧/٢٣٤

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ابن رجب الحنبلي ٣/٩٢

"الجدعة١ بنت وعلان بن جوشم من جلهمة بن جرهم؛ فلما حضر نزارا الموت جمع بنيه هؤلاء الأربعة فقال: أي بني، هذه القبة الحمراء -وهي من أدم- وما أشبهها من المال فلمضر، وهذه البدرة والمجلس والأنمار فلأنمارا، وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود وما أشبهها من مال فلربيعة، وهذا الخادم -وكانت شمطاء- وما أشبهها من مال فلإياد، وإن **أشكل عليكم** كيف تقتسمون، فأتوا الأفعى الجرهمي ومنزله بنجران، وإن أنتم رضيتم -وهنا قد خفت صوته إذ لم يسمع الصوت فألمع- ثم مات، فتشاجروا في ميراثه ولم يهتدوا إلى القسم، فتوجهوا إلى الأفعى يريدونه وهو بنجران؛ فرأى مضر أثر بعير قد رعى، فقال: إن الذي رعى هذا الموضع لبعير أعور، فقال ربيعة: أنه الأزور، فقال إياد: إنه لأبتر؛ فقال أنما: إنه لشرود، فساروا قليلا، فإذا برجل يوضع على جمله، فسألهم عن البعير، فقال مضر: أعور؟ قال: نعم، قال ربيعة: أزور؟ قال: نعم، ق ا ل إياد: أبتر، قال: نعم، قال أنمار: شرود؟ قال: نعم؛ فسألهم عن البعير، وقال: هذه صفة بعيري، فدخلوا نجران؛ فقال صاحب البعير: هؤلاء أصابوا بعيري؛ وصفوا لي صفته وقالوا: لم نره؛ فاختصموا إلى الأفعى -وهو يومئذ حكم العرب- فاختصموا إلى الأفعى، وهو يومئذ حكم العرب؛ فأخبروه بقولهم، فحلفوا له ما رأوه؛ فقال الرجل: قد نعتوا لي صفة بعيري قال الأفعل لمضر كيف عرفت أنه أعور قال إنه رعى جانبا وترك جانبا فعرفت أنه أعور فقال لربيعة: كيف عرفت أنه أزور؟ قال: رأيت إحدى يديه ثابته الأثر، والأخرى فاسدة الأثر؛ فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه؛ فقال لإياد: كيف عرفت أنه أبتر؟ قال: باجتماع بعره ولو كان ذيالا لمصع٢، فقال لأنمار: كيف عرفت أنه شرود؟ قال: إنه رعى في المكان المكيء، ولم يجزه إلى مكان أغرز منه نبتا؛ فقال الرجل: ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه، ثم سألهم من أنتم؟ فأخبروه، فرحب بهم، وأخبروه م ا جاء بهم، فقال: تحتاجون إلي وأنتم كما بدا لي؟! فذبح لهم وأقاموا عنده، ثم قام إلى خازن له يستحثه الطعام، ثم جلس معهم، ثم أكلوا وشربوا، وتنحى عنهم الأفعى؛ حيث لا يرى وهو يسمع كلامهم؛ فقال ربيعة: لم أر كاليوم لحما أطيب منه، لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة؛ فقال مضر: لم أر كاليوم خمرا، لولا أن حبلته نبتت على قبر؛ فقال إياد: لم أر كاليوم رجلا أسرى، لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى إليه؛ فقال أنمار: لم أر كاليوم كلاما أنفع في حاجتنا. وكان كلامهم بإذنه؛ فقال: ما هؤلاء إلا شياطين؛ فدعى القهرمان فقال: أخبرني خبر هذه الكرمة؛ فقال: من حبلة غرستها على قبر أبيك، وسأل الراعي عن العناق؛ فقال: هي عناق أرضعتها بلبن كلبة. ولم يكن ولد في الغنم غيرها، وماتت أمهال، ثم أتى أمه فقال:

---

١ عند ابن الأثير ٢/ ٩٢: الجدالة، وكذلك عند الطبري ٢/ ٢٦٨.

٢ يقال: مصعت الناقة بذنبها؛ أي حركته وضربت به.." [١]

"فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر، فقالوا: انبشوه، فإنه قد أمرنا أن ننبشه، فقال لهم عمارة بن زياد تحدث مضر أنا ننبش موتانا، والله لا تنبشوه أبدا، وقد كان خالد أخبرهم أن في عكن امرأته لوحين، فإذا **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما، فإنكم سترون ما تسألون عنه، وقال: لا تمسهما حائض.

فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما وهي حائض. فذهب ما كان فيهما من علم.

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب: سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «ذاك نبي ضيعه قومه» «١» ، وإن ابنته أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «مرحبا بابنة أخي» .

«٢» قال الحاكم: هذا حديث صحيح، فإن أبا يونس هو حاتم بن أبي صغيرة.

قلت: لكن معلى بن مهدي ضعفه أبو حاتم الرازي، قال الحاكم: قد سمعت أبا الأصبغ عبد الملك بن نصر وغيره يذكرون أن بينهم وبين القيروان بحرا في وسط جبل لا يصعده أحد، وأن طريقها في البحر على الجبل وإنهم رأوا في أعلى الجبل في غار هناك رجلا عليه صوف أبيض، وهو محتب في صوف أبيض، ورأسه على يديه، كأنه نائم لم يتغير منه شيء، وإن جماعة أهل تلك الناحية يشهدون أنه خالد بن سنان.

قلت: وشهادة أهل تلك الناحية بذلك مردودة، فأين بلاد بني عبس من جبال المغرب.

وأخرجه البزار والطبراني من طريق قيس بن الربيع، عن سالم موصولا بذكر ابن عباس، قال: ذكر خالد بن سنان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ذاك نبي ضيعه قومه.»

وزاد الطبراني: وجاءت بنت خالد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألها قومه ... » الحديث.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٩٩ عن خالد بن سنان قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأورده الهيثمي في الزوائد ٨/ ٢١٧، عن خالد بن سنان وقال الهيثمي رواه البزار والطبراني إلا أنه قال جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي فبسط لها ثوبه، وفيه قيس ابن الربيع وقد وثقه شعبة والثوري ولكن ضعفه أحمد مع ورعه وابن معين وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢٤٧

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ٢٠٠.." [٢]

---

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام التقي الفاسي ٣١/٢

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٣١٢/٢

"ما شئت أن تقيس، ثم أعلم أنه لم يخلف بعده مثله، وإن أشكل عليك هذا القول، فسل من أحد من أمرائك العصريين عشرة من الإبل، فإن أعطاك فاشكر مولاك، واعلم أن الناس فيهم بقية كرم، وإن لم يعطك فاشهد بصدق مقالتى.

وعلى كل حال إنه كان ملكا كريما جليلا، مهابا شهما، عارفا حاذقا فطنا، فصيح العبارة في اللغة العربية والتركية بالنسبة لأبناء جنسه، وكان قصير القامة مع كيس فى قده، وظرف في تناسب أعضائه بعضها لبعض، وكان سيوسا حسن التدبير، ومن حسن سياسته أنه لم ينحط قدره بعد زوال دولة أستاذه الملك الظاهر جقمق، بل زادت حرمته أضعاف ما كانت في أيام أستاذه، مع كثرة حكام الدولة الأشرفية الإينالية وتفرق كلمتهم، فساس كل واحد بحسب حاله، وأقام في دولتهم عظيما مبجلا، وبوجوده كان أكبر الأسباب في إعادة دولة خچداشيته بعد موت الملك الأشرف إينال، وبالجملة إنه كان نادرة من نوادر دهره- رحمه الله تعالى- وقد استوعبت أحواله في غير هذا المصنف بأطول من هذا بحسب الباعثة والقريحة، ورثيته بقصيدة نونية في غاية الحسن- عفا الله عنه وصالح عنه أخصامه بمنه وكرمه.

وتوفى الأمير سيف الدين تنم رصاص من نخشايش الظاهرى المحتسب، أحد أمراء الطبلخانات، قتيلا بيد المماليك الأجلاب مع الأمير جانبك الدوادار، وقد تقدم ذكر قتله فيما تقدم.

وكان تنم هذا من عتقاء الملك الظاهر جقمق وخاصكيته، وترقى بعد موته إلى أن ولى حسبة القاهرة في أواخر دولة الملك الأشرف إينال، ثم صار أمير عشرة في أوائل دولة الملك الظاهر خشقدم، ثم نقل إلى إمرة طبلخاناه، ودام على ذلك إلى أن قتل فى التاريخ المذكور في قصة الأمير جانبك، وهو يوم الثلاثاء أول ذى الحجة، وكان شابا مليح الشكل، شجاعا عارفا، كريما لسنا، متحركا حاضر الجواب، وكان أحد أعوان الأمير جانبك الدوادار في مقاصده- رحمهما الله تعالى، وعفا عنهما أجمعين.." (١)

"وهو من جبة طرابلس وسبي من طرابلس صغيرا ثم اشتراه ابن نجا يعني الواعظ وأعتقه فسافر إلى بغداد ثم إلى أصبهان وكان يسمع معنا الحديث

انتهى سمع من ابن ناصر والأرموي وابن الطلاية وغيرهم وتفقه ببغداد على أبي حكيم النهرواني وصحب الشيخ عبد القادر مائلا إلى الزهد والصلاح والخير والانقطاع وانتفع به كثيرا قال عبد الله كنت أسمع كتاب حلية الأولياء على شيخنا أبي الفضل ابن ناصر فرق قلبي وقلت في نفسي اشتهيت أن أنقطع عن الخلق وأشتغل بالعبادة ومضيت وصليت خلف الشيخ عبد القادر فلما صلى جلسنا بين يديه فنظر إلى وقال إذا

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٢٤/١٦

أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم فحينئذ يصلح لك الانقطاع وإلا فتمضى فتنقطع قبل أن تتفقه وأنت فريخ ماريشت فإن **أشكل عليك** شيء في أمر دينك تخرج من زاويتك وتسأل الناس عن أمر دينك ما يحسن بصاحب الزاوية أن يخرج من زاويته ويسأل الناس." (١)

"(ويرزقه من حيث لا يحتسب) وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما: من طلق وراجع كما أمره الله، جعل الله له من الكرب -سيما عند الموت- مخرجا، ورزقه من حيث لا يرجو، وأكثر العلماء على أنها نزلت حين جاء صحابي أسر ابنه، وشكا إليه عليه السلام هذا والفاقة. فقال عليه السلام: " اتق واصبر، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله "، ففعل الرجل إذ جاء ابنه بإبل وغنم، وعن بعض إن فيها تسلية ووصية للنساء عند الفراق، فإنهن مضطرات غالبا للغيرة والاحتياج والعجز (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) كافيه (إن الله بالغ أمره) يبلغ ما يريد لا يعجزه مطلوب فهو منفذ أمره (قد جعل الله لكل شيء قدرا) تقديرا [وتوقيتا] فتوكلوا عليه (واللائي يئسن) للكبر (من المحيض من نسائكم إن ارتبتم) إن **أشكل عليكم** حكمهن (فعدتهن ثلاثة أشهر) أي: فهذا حكمهن (واللائي لم يحضن) بعد كذلك وهن الصغائر

---

(١) في الأصل [وتوفيقا] اهـ (مصحح النسخة الإلكترونية).." (٢)

"(كلا)، ردع عن طلب الفرار، (لا وزر): لا ملجأ، (إلى ربك): وحده، (يومئذ المستقر): استقرار العباد، (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر): بأعمال أوائل عمره وأواخره، أو بما عمله وما تركه، أو بأعمال عملها، وبأعمال أخرها فعمل بها كسنة حسنة وسيئة، (بل الإنسان على نفسه بصيرة): حجة بينة تشهد جوارحه عليه نحو: لما جاءت آياتنا مبصرة أو عين بصيرة يعني لا يحتاج إلى الإنباء، (ولو ألقى معاذيره): ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه جمع معذار، وهو العذر، أي: لا ينفعه عذره؛ لأن من نفسه من يكذبه، وعن بعض: ولو ألقى الستور وأخفى الذنب كل الإخفاء، وأهل اليمن يسمون الستر معذارا، (لا تحرك): يا محمد، (به): بالقرآن، (لسانك لتعجل به): لتأخذه على عجلة قد صح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره: إنه إذا نزل جبريل بالوحي قرأ النبي - عليه السلام - قبل فراغه مسارعة إلى الحفظ، وخوفا من الانفلات. فنزل: (إن علينا جمعه): في صدرك، (وقرآنه): إثبات قراءته في لسانك، (فإذا قرأناه): بلسان الملك عليك، وأصغيته، (فاتبع قرآنه): فاتبع قراءته، وكن مقفيا له فيه، (ثم إن علينا بيانه): بيان ما

---

(١) المقصد الارشد ابن مفلح، برهان الدين ٢٩/٢

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣٢٧/٤

أشكل عليك، (كلا)، ردع لإلقاء المعاذير، (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة): تختارون الدنيا على العقبى، ولا تعملون للعقبى، والخطاب لجنس الإنسان؛ لأن فيهم من." (١)

"المقدم في الأصول، حتى حصلها وبرع فيها، وصار من أوجه تلامذته، وأشدهم تحقيقا وضبطا، وقرأ عليه أصول الفقه، وفرغ منه، ثم بعد وفاة الأستاذ أبي بكر اختلف إلى الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني، وقعد يسمع جميع دروسه، وأتى عليه أيام، فقال له الأستاذ: هذا العلم لا يحصل بالسماع. وما توهم فيه ضبط ما يسمع، فأعاد عنده ما سمعه منه، وقرره أحسن تقرير من غير إخلال بشيء، فتعجب منه وعرف محله فأكرمه، وقال:

ما كنت أدري انك بلغت هذا المحل، فلست تحتاج إلى درسي، يكفيك أن تطالع مصنفاتي وتنظر في طريقي، وأن أشكل عليك شيء طالعتني به، ففعل ذلك، وجمع بين طريقته وطريقة ابن فورك.

ثم نظر بعد ذلك في كتب القاضي أبي بكر بن الطيب، وهو مع ذلك يحضر مجلس الأستاذ أبي علي إلى أن اختاره لكريمته، فزوجها منه.

وبعد وفاة الأستاذ عاشر أبا عبد الرحمن السلمي، إلى أن صار أستاذ خراسان وأخذ في التصنيف فصنف «التفسير الكبير» قبل العشر وأربعمائة، ورتب المجالس وخرج إلى الحج في رفقة، فيها أبو محمد الجويني، والشيخ أحمد البيهقي، وجماعة من المشاهير، فسمع معهم الحديث ببغداد، والحجاز من مشايخ عصره.

وكان في علم الفروسية واستعمال السلاح وما يتعلق به من أفراد العصر، وله في ذلك الفن دقائق وعلوم انفرد بها.

وأما المجالس في التذكير والقعود فيما بين المريدين وأسئلتهم عن الوقائع وخوصه في الأجوبة، وجريان الأحوال العجيبة، فكلها منه وإليه.

أجمع أهل عصره على أنه عديم النظير فيها، غير مشارك في أساليب الكلام على المسائل؛ وتطييب القلوب؛ والإشارات اللطيفة المستنبطة من." (٢)

"ثم إن علينا بيانه أي بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه." (٣)

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤١٢/٤

(٢) طبقات المفسرين للداوودي الداوودي، شمس الدين ٣٤٧/١

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦٧/٩

"قال ابن النجار: كتب إلي عبد الله بن أبي الحسن الجبائي قال: كنت أسمع كتاب «حلية الأولياء» على شيخنا ابن ناصر، فرق قلبي، وقلت في نفسي: أشتهي [١] أن أنقطع عن الخلق وأشتغل بالعبادة، ومضيت وصليت خلف الشيخ عبد القادر، فلما صلى، جلسنا بين يديه، فنظر إلي وقال: إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه، وتجالس الشيوخ وتتأدب بهم، فحينئذ يصلح لك الانقطاع، وإلا فتمضي وتنقطع قبل أن تتفقه، وأنت فريخ ما ريشت، فإن **أشكل عليك** شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك، وتسأل الناس عن أمر دينك؟ ما يحسن بصاحب [٢] الزاوية أن يخرج من زاويته، ويسأل الناس عن أمر دينه. ينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره.

قال: وكان الشيخ يتكلم يوما في الإخلاص، والرياء، والعجب، وأنا حاضر في المجلس، فخطر في نفسي: كيف الخلاص من العجب؟ فالتفت إلي الشيخ وقال: إذا رأيت الأشياء من الله تعالى، وأنه وفقك لعمل الخير، وأخرجت [نفسك] من الشين [٣] ، سلمت من العجب.

وقال ابن الحنبلي: كانت حرمة الشيخ عبد الله [الجبائي] كبيرة ببغداد وبأصبهان، وكان إذا مشى في السوق قام له أهل السوق.

وله رياضات ومجاهدات.

وروى عنه ابن خليل في «معجمه» وتوفي ثالث جمادى الآخرة بأصبهان.

وفيها عبد الواحد بن أبي المطهر القاسم بن الفضل الصيدلاني

---

[١] في «آ» و «ط» : «اشتهيت» وما أثبته من «ذيل طبقات الحنابلة» .

[٢] في «آ» و «ط» : «ما أحسن صاحب» وأثبت لفظ «ذيل طبقات الحنابلة» .

[٣] في «آ» و «ط» و «المنتخب» (١٣٥/ ب) : «البين» وما أثبته من «ذيل طبقات الحنابلة» ولفظة «نفسك» زيادة منه. والشين ضد الزين.." (١)

"ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة التي هي علم الشرائع، أو معرفة الحق لذاته، والعلم للعمل به.

ولا تجعل مع الله إلها آخر، كرره، للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه، وأنه رأس الحكمة وملاكها، ومن عدمه لم تنفعه علومه وحكمه، ولو جمع أساطير الحكماء، ولو بلغت عنان السماء. والخطاب للرسول

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٣١/٧

صلى الله عليه وسلم، والمراد: غيره ممن يتصور منه ذلك. ورتب عليه، أولا: ما هو عاقبة الشرك في الدنيا، وهو: الذم والخذلان، وثانيا:

ما هو نتيجته في العقبى. فقال: فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك، وتلومك الملائكة والناس، مدحورا مطرودا من رحمة الله.

ثم قبح رأيهم في الشرك، فقال: أفأصفاكم ربكم بالبنين، وهو خطاب لمن قال: الملائكة بنات الله.

والهمزة للإنكار، أي: أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد، وهم البنون، واتخذ من الملائكة إناثا بنات لنفسه، إنكم لتقولون قولا عظيما أي: عظيم النكر والشناعة، لا يقدر قدره في إيجاب العقوبة لخرمه لقضايا العقول، بحيث لا يجترئ عليه أحد حيث تجعلونه تعالى من قبيل الأجسام المتجانسة السريعة الزوال، ثم تضيفون إليه ما تكرهونه، وتفضلون عليه أنفسكم بالبنين، ثم جعلتم الملائكة، الذين هم أشرف الخلق، أدونهم، تعالى الله عن قولكم علوا كبيرا.

الإشارة: ينبغي للإنسان الكامل أن يكون في أموره كلها على بينة من ربه، فيحكم على ظاهره الشريعة المحمدية، وعلى باطنه الحقيقة القدسية، فإذا تجلى في باطنه شيء من الواردات أو الخواطر فليعرضه على الكتاب والسنة، فإن قبلاه أظهره وفعله، وإلا رده وكتمه، كان ذلك الأمر قوليا أو فعليا، أو تركا او عقدا فقد انعقد الإجماع على أنه لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وإليه الإشارة بقوله: ولا تقف ما ليس لك به علم، فإن لم يجد نصا في الكتاب أو السنة فليستفت قلبه، إن صفا من خوض الحس، وإن لم يصف فليرجع إلى أهل الصفاء، وهم أهل الذكر. قال تعالى: فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون «١» ، ولا يستفت أهل الظنون، وهم أهل الظاهر، قال تعالى: إن الظن لا يغني من الحق شيئا «٢» .

وقال القشيري في تفسير الآية هنا: ولا تقف ما ليس لك به علم أي: جانب محاذاة الظنون، وما لم يطلعك الله عليه، فلا تتكلف الوقوف عليه من غير برهان. فإذا **أشكل عليك** شيء في حكم الوقت، فارجع إلى الله،

---

(١) من الآية ٤٣ من سورة النحل، ومن الآية ٧ من سورة الأنبياء.

(٢) من الآية ٣٦ من سورة يونس.." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٢٠٠

"بصيرتكم وبصركم لأن نور البصيرة إذا استولى على البصر، بعد فتح البصيرة، غطى نوره، فلا يرى البصر إلا ما تراه البصيرة من أسرار الذات الأزلية القديمة. فمن بلغ هذا المقام كان خليفة الله في أرضه، يملكه الوجود بأسره، وما ذلك على الله بعزيز.
ثم ذكر نوعا آخر من دلائل توحيده، فقال:

[سورة النمل (٢٧) : آية ٦٣]
أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون (٦٣)

يقول الحق جل جلاله: أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ليلا، وبعلامات في الأرض نهارا؟.
أو: أمن يهديكم إلى سلوك الطريق التي توصلكم إلى مقصدكم، وأنتم في ظلمات الليل، سواء كنتم في البر أو البحر؟ فلا هادي إلى ذلك إلا الله تعالى. ومن يرسل الرياح، أو بالإفراد. نشرا «١» بالنون- أي: تنشر السحاب إلى الموضع الذي أمر الله بإنزال المطر فيه، أو بشرا- بالباء- أي: مبشرة بالمطر، بين يدي رحمته قدام المطر، علامة عليه، أإله مع الله يفعل ذلك؟ تعالى الله عما يشركون. وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار للإشعار بعلية الحكم، أي: تعالى الله وتنزه بذاته المنفردة بالألوهية، المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته، عن وجود ما يشركونه به تعالى.
الإشارة: أمن يهديكم إلى حل ما **أشكل عليكم**، وأظلمت منه قلوبكم، من علم بر الشرائع. وبحر الحقائق، فيهديكم في الأول إلى كشف الحق والصواب، وفي الثاني إلى كشف الغطاء ورفع الحجاب، أو: في الأول إلى علم البيان، وفي الثاني إلى عين العيان بالذوق والوجدان. أو: في الأول إلى علم اليقين، وفي الثاني إلى عين اليقين وحق اليقين. ومن يرسل رياح الواردات الإلهية، بشارة بين يدي رحمته بالوصول إلى حضرته، وهو التوحيد الخاص. ولذلك ختمه بقوله: تعالى الله عما يشركون من رؤية وجود السوى.

---

(١) قرأ عاصم «الرياح» بالجمع و «بشرا» بالباء المضمومة مع إسكان الشين، وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، بالجمع، و «نشرا» بضم النون والشين. وقرأ ابن كثير بإفراد الريح، وضم النون والشين من «نشرا» . راجع الإتحاف (٢/ ٣٣٢) .." [1]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٢١٠

"ثم قال الورتجبي: قال أبو بكر النقاش: سألت الجنيد عن الأخ الحقيقي؟ فقال: هو أنت في الحقيقة، غير أنه غيرك في الهيكل. قلت: يعني أن الناس في الحقيقة ذات واحدة، وما افترقوا إلا في الهياكل، فكلهم أخوة. وقال أبو عثمان الحيري: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تقطع بمخالفة النسب. هـ. وتقدم لنا شروط الأخوة في قوله تعالى: الأخلاء يومئذ ... الآية «١» .

وقال القشيري هنا: ومن حق الأخوة ألا تلجأه إلى الاعتذار، بل تبسط عذره، أي: تذكر عذره قبل أن يعتذر، فإن **أشكل عليك** وجهه عدت بالملامة على نفسك في خفاء عذره عليك، وتتوب عليه إذا أذنب، وتعوده إذا مرض، وإذا أشار عليك بشيء فلا تطالبه بالدليل وإيراد الحجة، كما أنشدوا:

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لأية حرب أم لأي مكان «٢» . هـ.

ومن أوكد شروطها «٣» : التعظيم، كما أبان ذلك بقوله تعالى:

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١١]

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١)

يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم أي: عسى أن يكون المسخور منهم خيرا عند الله- تعالى- من الساخرين لأن الناس لا يطلعون إلا على الظواهر، وهو تعليل للنهي، والقوم خاص بالرجال لأنهم القوامون على النساء، وهو في الأصل: جمع قائم، كصوم وزور، فى جمع صائم وزائر، واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية إذ لو كانت النساء داخلة في الرجال، لم يقل:

ولا نساء من نساء، وحقق ذلك زهير في قوله:

وما أدري وسوف إخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء؟ «٤»

وأما قولهم في قوم فرعون، وقوم عاد: هم الذكور والإناث. فليس لفظ القوم شاملا لهم، ولكن قصد ذكر الذكور، والإناث تبع لهم.

---

(١) الآية ٦٧ من سورة الزخرف.

(٢) البيت ينسب إلى وداك بن ثميل المازني. كما فى العقد الفريد (٥/ ٢٠٢) ، ونهاية الأرب (٣/ ٢٢٩) .

(٣) أي: الأخوة.

(٤) حيث أراد بالقوم الرجال دون النساء. والبيت من الوافر. انظر ديوان زهير (١٢) والمغني (١/ ٤١) .." [1]

"عدة التي لم تحض؟ فنزلت. وقوله: ﴿إن ارتبتم﴾ أي: إن **أشكل عليكم** حكمهن كيف يعتددن، ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر﴾ أو: إن ارتبتم في حيضها، هل انقطع أو لم ينقطع، فعدتها بالأشهر، وهي المرتابة التي غابت حيضتها، وهي في سن من يحيض، واختلف فيها، فقيل: ثلاثة أشهر على ظاهر الآية، وقيل: تسعة، وتستبرىء بثلاثة، وهو المشهور في مذهب مالك، وقدوته في ذلك عمر بن الخطاب، لأن مذهبه عمري، وقيل: تعتد بالأقراء، ولو بلغت ثلاثين سنة، حتى تبلغ سن من لا يحيض، وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة. ﴿واللائي لم يحضن﴾ من صغر، فعدتهن ثلاثة أشهر، حذف لدلالة ما قبله، ﴿وأولات الأحوال أجلهن﴾ أي: عدتهن ﴿أن يضعن حملهن﴾ سواء كن مطلقات، أو متوفى عنهن أزواجهن، عند مالك والشافعي وأبي حنيفة وسائر العلماء. وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما: إنما هذا في المطلقات الحوامل، وأما المتوقى عنهن فعدتهن أقصى الأجلين، إما الوضع، أو انقضاء أربعة أشهر وعشر، وحجة الجمهور: حديث سبيعة، أنها لما مات زوجها، ووضعت، أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتزوج، وقد روي أن ابن عباس رجع إليه، ولو بلغ عليا لرجع، فهذه الآية مخصصة لما في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ... ﴾ [البقرة: ٢٣٤] .

تنبيه: وضع الحمل إنما يبرىء الرحم إذا كان من نكاح صحيح، وأما من الزنى فلا يبرئ، باتفاق، فمن حملت من زنى وهي متزوجة فلا تحل للهارب الذي حملت منه إذا طلقت بوضع حملها منه، بل لا بد من ثلاثة قروء بعد الوضع، نعم من لا زوج لها من حرة أو أمة إذا حملت من زنى تم استبراؤها بوضع حملها. ﴿

ومن يتق الله﴾ في شأن أحكام العدة ومراعاة حقوقها ﴿يجعل له من أمره يسرا﴾ أي: يسهل عليه أمره. ويتحلل عليه ما تعقد ببركة التقوى، ﴿ذلك﴾ أي: ما علمكم من الأحكام ﴿أمر الله أنزله إليكم﴾ لتعملوا به. وإفراد الكاف مع أن المشار إليهم جماعة؛ لأنها لتعيين الفرق بين البعد والقرب، لا لتعيين خصوصية

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٤٢٦

المخاطبين ﴿ومن يتق الله﴾ بالمحافظة على أحكامه ﴿يكفر عنه سيئاته﴾ فإن الحسنات يذهبن السيئات، ﴿ويعظم له أجرا﴾ بالمضاعفة والتكثير.

الإشارة: والنفوس التي يئسن من المساوىء والميل إلى الدنيا، ثم شككتم في تحقق طهارتها، تنتظر ثلاثة أشهر، فإذا مضت هذه المدة ولم يظهر منها ميل، فالغالب طهارتها، وكذلك النفوس الزكية، الباقية على الفطرة، التي لم يظهر منها خلل، تنتظر هذه المدة، فإن ظهرت سلامتها فلا مجاهدة عليها، والنفوس الحوامل بكثرة الأشغال عدة تمام فتحها أن تضع كل ما يثقل عليها ويمنعها من السير، ولقد سمعت شيخنا البوزيدي رضي الله عنه." (١)

"ذلك قادر على إحياء الموتى وجمع عظامها، وتسوية بنانها. ونقل الطيبي عن الإمام الفخر: أنه تعالى لما أخبر عن الكفار أنهم يحبون العاجلة، وذلك قوله: ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ بين أن العجلة مذمومة، ولو فيما هو أهم الأمور وأصل الدين، بقوله: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ فاعترض به، ليؤكد التوبيخ على حب العاجلة بالطريق الأولى. هـ. وقيل: اعترض نزولها في وسط السورة قبل أن تكمل، فوضعت في ذلك المحل، كمن كان يسرد كتابا ثم جاء سائل يسأل عن نازلة، فيطوي الكتاب حتى يجيبه، ثم يرجع إلى تمام سرده. انظر الإتقان.

يقول الحق جل جلاله: ﴿لا تحرك به﴾ ؛ بالقرآن ﴿لسانك لتعجل به﴾ ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يأخذ في القراءة قبل فراغ جبريل، كراهة أن يتفلت منه، فقيل له: لا تحرك لسانك بقراءة الوحي، ما دام جبريل يقرأ، ﴿لتعجل به﴾ ؛ لتأخذه على عجلة، لئلا يتفلت منك، ثم ضمنه له بقوله: ﴿إن علينا جمعه﴾ في صدرك، ﴿وقرآنه﴾ ؛ وإثبات قراءته في لسانك، فالمراد بالقرآن هنا: القراءة، وهذا كقوله: ﴿ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ [طه: ١١٤] ، ﴿فإذا قرأناه﴾ على لسان جبريل ﴿فاتبع قرآنه﴾ أي: قراءته، ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ إذا **أشكل عليك** شيء من معانيه وأحكامه.

الإشارة: لا تحرك بالواردات الإلهية لسانك لتعجل به حين الإلقاء، بل تمهل في إلقائه ليفهم عنك، إن علينا جمعه وقرآنه، أي: حفظه وقراءته، فإذا قرأناه على لسانك في حال الفيض فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه. وفي الحكم: " الحقائق ترد في حال التجلي جملة، وبعد الوعي يكون البيان، ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه إن علينا بيانه﴾ ". ولا شك أن الواردات في حال الفيض تبرز مجملة، لا يقدر على حصرها ولا تفهمها، فإذا فرغ منها قولا وكتابة فتدبرها وجدها صحيحة المعنى، واضحة المبنى، لا نقص فيها ولا خلل، لأنها من

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧١/٧

وحي الإلهام، وكان بعض المشايخ يقول لأصحابه: إني لأستفيد مني كما تستفيدون أنتم، وكان الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه إذا فاض بالمواهب يقول: هلا من يكتب عنا هذه الأسرار. إلى غير ذلك مما هو مدون عند أهل الفن. والله تعالى أعلم.." [1]

"المسلمين مرارا عديدة مع عريعر وأولاده منها نزولهم على الدرعية وهي شعاب لا يمكن تحصينها بالأبواب والبناء، وقد أشار إلى ذلك العلامة حسين بن غنام رحمه الله حيث يقوله:

وجاؤا بأسباب من الكيد مزعج، مدافعهم يزجي الوحوش رنينها، فنزلوا البلاد واجتمع من اجتمع من أهل نجد حتى من يدعي أنه من العلماء، ولما قيل لرجل منهم وهو من أمثل علمائهم وعقلائهم كيف أشكل عليكم أمر عريعر وفساده وظلمه، وأنتم تعينونه وتقاتلون معه، فقال: لو أن الذي حاربكم إبليس كنا معه، والمقصود أن الله تعالى رد لهم بغيضهم لم ينالوا خيرا، وحمى الله تلك القرية فلم يشربوا من آبارها وأما وزير العراق فمشى مرارا عديدة بما يقدر عليه من الجنود والكيد الشديد وأجرى الله تعالى عليهم من الذل ما لا يخطر ببال قبل أن يقع بهم ما وقع من ذلك أن ثويني في مرة من المرار مشى بجنوده إلى الإحساء بعدما دخل أهلها في الإسلام في حال حداثتهم بالشرك والإضلال، فلما قرب من تلك البلاد أتاه رجل مسكين لا يعرف من غير ممالات أحد من المسلمين فقتله فمات فنصر الله هذا الدين برجل لا يعرف، وذلك مما به يعتبر فانفلت تلك الجنود وتركوا ما معهم من المواشي والأموال خوفا من المسلمين ورعبا فغنمها من حضر، وقد قال الشيخ حسين بن غنام في ذلك.

تقاسمتم الإحساء قبل منالهاه ... فللروم شطر والبوادي لها شطر

ثم جددوا أسبابا لحرب المسلمين، وساروا بدول عظيمة يتبع بعضها بعضها وكيد عظيم فنزولوا الإحساء وقائدهم علي كيخيا فتحصن من ثبت على دينه في الكوت وثغر صاهود فنزل بهم وصار يضربهم بالمدافع والقنابل وصفر اللغوب، فأعجزه الله ومن معه ممن ارتد عن الإسلام فولى مدبرا." [2]

"خلاف ما يقتضيه دليل العقل والنقل، ومعنى آخر يليق به تعالى لا يعلمه إلا هو عز وجل.

وقد يقال: الأولى في الجواب إبقاء كلام ابن السبكى على ظاهرة وعدم الالتفات إلى كلام شيخ الإسلام، وقوله: أنه لم يقل به أحد، فالمثبت لا سيما إذا كان كابن السبكى الإمام ابن الإمام – مقدم على النافي ولو كان كشيخ الإسلام، فتأمل جميع ما تلوناه عليك وهو يغنيك عن مراجعة كثير من الكتب إن أخذت

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٨٩/٧

(٢) مقامات عبد الرحمن بن حسن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٤

العناية بيديك.

وبقيت في هذا المقام أبحاث كثيرة يضيق عنها نطاق الكلام. وفي كتب الحنابلة من ذلك ما يجلو غياهب الأوهام، ويروى الغلل ويبرئ العلل والأسقام فمتى **أشكل عليك** أمر فارجع إليها ينشرح بإذن الله تعالى منك الصدر. أنتهى كلام الوالد، لا زال بنعيم متزايد. وقد مر عليك غير مرة أن كثيرا من المؤولة يسمى غالب السلفيين بالحشوية ولا سيما المعتزلة. وذكر الوالد في سبب التسمية ما تقدم.

والشيخ ابن القيم نسبها في النونية إلى غير من تعلم كعمرو بم عبيد والله تعالى أعلم - بما نصه: [كامل]

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآن

ويظن يعنون حشوا في الوجو ... د وفضله من أمه الإنسان

ويظن جاهلهم بأنهم حشوا ... رب العباد بداخل الأكوان

إذ قولهم فوق العباد وفي السما ... ء الرب ذو الملكوت والسلطان

ظن الحمير بأن في للظرف والر ... حمن محوى بظرف مكان

والله لم يسمع بذا من فرقة ... قالته في زمن من الأزمان

لا تبهتوا أهل الحديث به فما ... ذا قولهم تبا لذى البهتان

بل قولهم إن السماوات العلا ... في كف خالق هذه الأكوان." (١)

"وعند هناد عن إبراهيم قال: كان عمر رضي الله عنه إذا استعمل عاملا فقدم إليه الوفد من تلك البلاد قال: كيف أميركم؟ أيعود المملوك؟ أيتبع الجنازة؟ كيف بابه؟ ألين هو؟ فإن قالوا: بابه لين، ويعود المملوك، تركه، وإلا بعث إليه بنزعه. كذا في كنز العمال.

شرائط عمر على العمال

وأخرج البيهقي عن عاصم بن أبي النجود أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا بعث عماله شرط عليهم أن لا تركبوا برذونا، ولا تأكلوا نقيا، ولا تلبسوا رقيقا، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة؛ ثم يشيعهم. فإذا أراد أن يرجع قال: إني لم أسلطكم على دماء المسلمين، ولا على أبشارهم، ولا على أعراضهم، ولا على أموالهم، ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة، وتقسموا فيهم فيئهم، وتحكموا بينهم بالعدل، فإذا **أشكل عليكم** شيء فارفعوه إلي. ألا فلا تضربوا العرب

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ابن الآلوسي ١/٤٣٥

فتذلوها، ولا تحمروها فتفتنوا، ولا تعتلوا عليها فتحرموها، جردوا القرآن. كذا في الكنز.
وأخرجه الطبري عن أبي حصين بمعناه مختصرا، وزاد: جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن محمد صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم، وكان يقص من عماله، وإذا شكي." [1]

"اعلم أن جميع روايات هذا الحديث المذكورة في المسند والسنن كلها من طريق شعبة، عن أبي عون، عن الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة، عن أناس من أصحاب معاذ، عن معاذ، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

أما الرواية المتصلة الصحيحة التي ذكرنا سابقا عن ابن قدامة في (روضة الناظر) أن عبادة بن نسي رواه عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ، فهذا الإسناد وإن كان متصلا ورجاله معروفون بالثقة، فإني لم أقف على من خرج هذا الحديث من هذه الطريق، إلا ما ذكره العلامة ابن القيم في (إعلام الموقعين) عن أبي بكر الخطيب بلفظ: وقد قيل إن عبادة بن نسي رواه عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ. اهـ منه. ولفظة «قيل» صيغة تمريض كما هو معروف، وإلا ما ذكره ابن كثير في تاريخه، فإنه لما ذكره فيه حديث معاذ المذكور باللفظ الذي ذكرنا بالإسناد الذي أخرجه به الإمام أحمد قال: وأخرجه أبو داود، والترمذي من حديث شعبة به. وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل. ثم قال ابن كثير: وقد رواه ابن ماجه من وجه آخر عنه، إلا أنه من طريق محمد بن سعيد بن حسان وهو المصلوب أحد الكذابين، عن عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن، عن معاذ به نحوه.

واعلم أن النسخة الموجودة بأيدينا من تاريخ ابن كثير التي هي من الطبعة الأولى سنة (١٣٥١) فيها تحريف مطبعي في الكلام الذي ذكرنا؛ ففيها محمد بن سعد بن حسان، والصواب محمد بن سعيد لا سعد. وفيها: عن عياذ بن بشر، والصواب عن عبادة بن نسي.

وما ذكره ابن كثير من إخراج ابن ماجه لحديث معاذ المذكور من طريق محمد بن سعيد المصلوب، عن عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن وهو ابن غنم، عن معاذ – لم أره في سنن ابن ماجه، والذي في سنن ابن ماجه بالإسناد المذكور من حديث معاذ غير المتن المذكور، وهذا لفظه: حدثنا الحسن بن حماد سجادة، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن محمد بن سعيد بن حسان، عن عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن بن غنم، حدثنا معاذ بن جبل، قال: بعثني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى اليمن، قال: «لا تقضين، ولا تفصلن إلا بما تعلم، وإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه» اهـ منه. وما أدري أوهم

(١) حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي ٢/٣١٥

الحافظ بن كثير فيما ذكر؟ أو هو يعتقد أن معنى «تبينه» في الحديث أي: تعلمه باجتهادك في استخراجه من المنصوص، فيرجع إلى معنى الحديث المذكور؟ وعلى كل حال." [(١)]

"آثار متعلقة بالآية

(٢١٠٤٥) – عن عبد الله بن عباس – من طريق عكرمة – أن رجلا من بني عبس يقال له: خالد بن سنان – قال لقومه: إني أطفئ عنكم نار الحدثان – فقال له عمارة بن زياد – رجل من قومه – : والله، ما قلت لنا يا خالد قط إلا حقا، فما شأنك وشأن نار الحدثان، تزعم أنك تطفئها؟ قال: فانطلق، وانطلق معه عمارة في ثلاثين من قومه، حتى أتوها وهي تخرج من شق جبل من حرة يقال لها: حرة أشجع – فخط لهم خالد خطة، فأجلسهم فيها، فقال: إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي – فخرجت كأنها خيل شقر، يتبع بعضها بعضا، فاستقبلها خالد، فجعل يضربها بعصاه وهو يقول: بدا بدا بدا كل هدى، زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندى – حتى دخل معها الشق، فأبطأ عليهم، فقال عمارة: والله، لو كان صاحبكم حيا لقد خرج إليكم – فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه – قال: فقال: فادعوه باسمه؛ فوالله، لو كان صاحبكم حيا لقد خرج إليكم – فدعوه باسمه، فخرج إليهم وقد أخذ برأسه، فقال: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي؟ قد والله قتلتموني، فادفنوني، فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني؛ فإنكم ستجدوني حيا – فدفنوه، فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر، فقالوا: انبشوه، فإنه أمرنا أن ننبشه – فقال لهم عمارة: لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا، والله، لا تنبشوه أبدا – وقد كان خالد أخبرهم أن في عكم العكم واحد العكوم: الأحمال والغرائر التي تكون فيها الأمتعة وغيرها – النهاية (عكم) – امرأته لوحين، فإذا أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما، فإنكم سترون ما تسألون عنه – وقال: لا تمسها حائض – فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما، فأخرجتهما وهي حائض، فذهب ما كان فيهما من علم – وقال أبو يونس: قال سماك بن حرب: سئل عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فقال: «ذاك نبي أضاعه قومه» – وإن ابنه أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فقال: «مرحبا بابن أخي» أخرجه الحاكم (٢) / (٦٥٤) ((٤١٧٣)) – قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط البخاري، ولم يخرجاه» – وقال السيوطي: «قال الذهبي: منكر» – وقال الهيثمي في المجمع (٨) / (٢١٣) – (٢١٤) ((١٣٨١٧)): «رواه الطبراني موقوفا، وفيه المعلى بن مهدي، ضعفه أبو حاتم، قال: يأتي أحيانا بالمناكير – قلت: وهذا منها» – وقال فيه أيضا (٨) / (٢١٤) ((١٣٨١٨)): «وفيه قيس بن الربيع، وقد وثقه شعبة، والثوري، ولكن ضعفه أحمد مع ورعه،

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٧٣/٤

وابن معين، وهذا الحديث معارض للحديث الصحيح قوله - صلى الله عليه وسلم - : «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، الأنبياء إخوة لعلات، وليس بيني وبينه نبي» - قال البزار: رواه الثوري، عن سالم، عن سعيد بن جبير مرسلا» - وقال الألباني في الضعيفة (١) / (٤٤٩) ((٢٨١)): «لا يصح» - .
". (١)

"* ١٩٨٥ -) أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه وجعفر بن محمد الخلدي قالا حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا معلى بن مهدي حدثنا أبو عوانة عن أبي يونس عن عكرمة عن بن عباس رضي الله عنهما * أن رجلا من بني عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه أني أطفيء عنكم نار الحدثان قال فقال له عمارة بن زياد رجل من قومه والله ما قلت لنا يا خالد قط إلا حقا فما شأنك وشأن نار الحدثان تزعم أنك تطفئها قال فانطلق وانطلق معه عمارة بن زياد في ثلاثين من قومه حتى أتوها وهي تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة أشجع فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا قال فاستقبلها خالد فضربها بعصاه وهو يقول بدا بدا بدا كل هدى زعم بن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثناي بيدي حتى دخل معها الشق قال فأبطأ عليهم قال فقال عمارة بن زياد والله لو كان صاحبكم حي، لقد خرج إليكم بعد قالوا ادعوه باسمه قال فقالوا إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه فدعوه باسمه قال فخرج إليهم وقد أخذ برأسه فقال ألم أنهكم أن تدعوني باسمي قد والله قتلتموني فادفنوني فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانتبشوني فإنكم ستجدوني حيا قال فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقلنا انبشوه فإنه أمرنا أن ننبشه قال عمارة بن زياد لا تحدث مضر إنا ننبش موتانا والله لا ننبشه أبدا قال وقد كان أخبرهم إن في عكن امرأته لوحين فإذا **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تسألون عنه وقال لا يمسهما حائض قال فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما وهي حائض قال فذهب بما كان فيهما من علم قال فقال أبو يونس قال سماك بن حرب سأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذاك نبي أضاعه قومه وقال أبو يونس قال سماك بن حرب أن بن خالد بن سنان أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بابن أخي قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه فإن أبا يونس هو الذي روى عن عكرمة هو حاتم بن أبي صغيرة وقد احتجا جميعا به واحتج البخاري بجميع ما يصح عن عكرمة فأما موت خالد بن سنان هكذا فمختلف فيه فإني سمعت أبا الأصبغ عبد الملك بن نصر وأبا عثمان سعيد بن نصر وأبا عبد الله بن صالح المعافري الأندلسيين وجماعتهم

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٥٢/١١

عندي ثقات يذكرون أن بينهم وبين القيروان بحر وفي وسطها جبل عظيم لا يصعده أحد وإن طريقها في البحر على الجبل وأنهم رأوا في أعلى الجبل في غار هناك رجلا عليه صوف أبيض محتبيا في صوف أبيض ورأسه على يديه كأنه نائم لم يتغير منه شيء وإن جماعة أهل الناحية يشهدون أنه خالد بن سنان والله تعالى أعلم

الحاكم في مستدركه ج ٢/ ص ٦٥٦ حديث رقم: ٤١٧٣

"ابن بريدة (١)، وأبو برزة الأسلمي (٢)، وأبو الدرداء (٣)، وأبو ثعلبة الخشني (٤)، وعبادة بن الصامت (٥)، وأبي بن كعب (٦). وعلى الجملة فإن أحاديث الرؤية مروية في جميع دواوين الإسلام من طرق كثيرة حتى رووه من طريق زيد بن على (٧)، وفي الصحيحين منها ثلاثة عشر حديثا اتفقا منها على

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السمة رقم (٤٦٩) وفي سنده أبو خالد القرشي- عمرو بن خالد- متروك ورماه وكيع بالكذب مات بعد سنة ١٢٠ هـ.

انظر التقريب (٢/ ٦٩).

قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما منكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان ".

(٢) لم أعثر عليه.

(٣) انظر حديث فضالة بن عبيد (ص ٧٤٣).

(٤) لم أعثر عليه.

(٥) أخرجه أبو داود رقم (٤٣٢٠) وأحمد (٥/ ٣٢٤) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٤٢٨) عن عبادة ابن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا فإن أشكل عليكم منه شيء فاعلموا أنه أعور وأن ربكم ليس بأعور وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا " وهو حديث صحيح.

(٦) أخرجه الدارقطني في الرؤية رقم (١١٩) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٨٤٩).

(٧) أخرجه اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " رقم (٨٥٢) بإسناد رآه. عن زيد ابن على عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم " يزور أهل الجنة الرب

تبارك وتعالى في كل جمعة ". وذكر ما يعطون. قال ثم يقول تبارك وتعالى اكشفوا حجابا فيكشف حجاب ثم حجاب ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنه لم يرو نعمة قبل ذلك وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿ولدينا مزيد﴾." (١)

"وصف المخطوط:

١ - عنوان الرسالة من المخطوط: " القول الجلي في حل لبس النساء للحلي ".

٢ - موضوع الرسالة: " فقه ".

٣ - أول الرسالة: " بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآله الطاهرين، ذكرتم - كثر الله فوائدكم ومد على الطلاب موائدكم - أنه أشكل عليكم. . . ".

٤ - آخر الرسالة: والله ولي التوفيق. انتهى تحريره بقلم مؤلفه محمد الشوكاني - غفر الله له - في الثلث الأوسط من ليلة الأحد، لعله ليلة اثنين وعشرين من شهر رجب سنة ١٢١٦.

٥ - نوع الخط: خط نسخي مقبول.

٦ - عدد الصفحات: ١٥ صفحة ما عدا صفحة العنوان.

٧ - عدد الأسطر في الصفحة: ٢١ سطرا.

٨ - عدد الكلمات في السطر: ٨ - ١٠ كلمات.

٩ - الناسخ: محمد بن علي الشوكاني.

١٠ - الرسالة من المجلد الثاني من الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني.." (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآله الطاهرين.

ذكرتم - كثر الله فوائدكم، ومد على الطلاب موائدكم - أنه أشكل عليكم الحديث الذي أورده المحقق المقبلي - رحمه الله - في المنار (١) حيث قال: أخرج أحمد وأبو داود من حديث أسماء بنت يزيد مرفوعا: " أيما امرأة تقلدت بقلادة من ذهب قلدت في عنقها مثله يوم القيامة، وأيما امرأة جعلت في أذنها خرصا من ذهب جعل في أذنها يوم القيامة ".

فهذا الحديث أخرجه أبو داود في سننه (٢) بإسناد لا مطعن فيه، وأخرجه أيضا أحمد (٣) والنسائي (٤).

---

(١) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، الشوكاني ٧٤٤/٢

(٢) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، الشوكاني ٤٢٦١/٩

وأخرج أيضا أبو داود (٥) عن ربعي بن خراش، عن امرأته، عن أخت لحذيفة أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: " يا معشر النساء أما لكن في الفضة ما تحلين به! أما إنه ليس منكن امرأة تحلى ذهبا تظهره إلا عذبت به ".

وأخرجه أيضا النسائي (٦) من هذه الطريق. قال المنذري (٧): وامرأة ربعي مجهولة.

قال ابن عبد البر (٨): إن صح فهو منسوخ. وحكى المنذري (٩) عن بعض أهل العلم (١٠)

---

(١) (٢/ ٢٦٣).

(٢) رقم (٤٢٣٨).

(٣) في " المسند " (٦/ ٤٦٠).

(٤) في " السنن " رقم (٥١٤٢). وهو حديث ضعيف.

(٥) في " السنن " (٤٢٣٧).

(٦) في " السنن " (٨/ ١٥٧ رقم ٥١٣٨). وهو حديث ضعيف.

(٧) " مختصر السنن " (٦/ ١٢٤).

(٨) في " الاستذكار " (٩/ ٧٥).

(٩) " مختصر السنن " (٦/ ١٢٤).

(١٠) تقدم ذكره في الرسالة رقم (١٣٦).." (١)

"وأخرج الحاكم عن إبراهيم بن عطاء عن أبيه أن زيادا أو ابن زياد بعث عمران بن حصين رضي الله عنهما ساعيا فجاء ولم يرجع معه درهم. فقال له: أين المال؟ فقال: وللمال أرسلتني؟ أخذناها كما كنا نأخذها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعناها في الموضع الذي كنا نضعها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبي: صحيح.

حق الرعية على الأمير سؤال عر الوفود عن خصال الأمير

أخرج البيهقي عن الأسود (بن يزيد) قال: كان عمر رضي الله عنه إذا قدم عليه الوفد سألهم عن أميرهم: أيعود المريض؟ أيجيب العبد؟ كيف صنيعه؟ من يقوم على بابه؟، (فإن قالوا لخصلة منها لا؛ عزله). كذا في الكنز . وأخرجه الطبري عن الأسود بمعناه.

---

(١) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، الشوكاني ٤٢٦٥/٩

وعند هناد عن إبراهيم قال: كان عمر رضي الله عنه إذا استعمل عاملا فقدم إليه الوفد من تلك البلاد قال: كيف أميركم؟ أيعود المملوك؟ أيتبع الجنازة؟ كيف بابه؟ ألين هو؟ فإن قالوا: بابه لين، ويعود المملوك، تركه، وإلا بعث إليه بنزعه. كذا في كنز العمال .

شرائط عمر على العمال

وأخرج البيهقي عن عاصم بن أبي النجود أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا بعث عماله شرط عليهم أن لا تركبوا برذونا، ولا تأكلوا نقيا، ولا تلبسوا رقيقا، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة؛ ثم يشيعهم. فإذا أراد أن يرجع قال: إني لم أسلطكم على دماء المسلمين، ولا على أبشارهم، ولا على أعراضهم، ولا على أموالهم، ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة، وتقسموا فيهم فيئهم، وتحكموا بينهم بالعدل، فإذا أشكل عليكم شيء فارفعوه إلي. ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها، ولا تحرموها فتفتنوا، ولا تعتلوا عليها فتحرموها، جردوا القرآن. كذا في الكنز .." (١)

"وقال تعالى: +والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون" [الشورى: ٣٨]. وقد اتخذ عثمان (في دولته مجلسا للشورى يتألف من كبار أصحاب رسول الله × من المهاجرين والأنصار.(٣٢٢) وقد طلب عثمان (من العمال والقادة قائلا: أما بعد، فقوموا على ما فارقتم عليه عمر ولا تبدلوا، ومهما أشكل عليكم فردوه إلينا نجمع عليه الأمة ثم نرده عليكم.(٣٢٣) فأخذ قادته بذلك، فكانوا إذا هموا بالغزو والتقدم في الفتوحات الإسلامية استأذنوه واستشاروه، فيقوم هو بدوره بجمع الصحابة واستشارتهم للإعداد والإقرار والتنفيذ ووضع الخطط المناسبة لذلك، ومن ثم يأذن(٣٢٤) لهم؛ فقد قام عبد الله بن أبي السرح بالكتابة إلى الخليفة عثمان (طالبا منه أن يأذن له بأن يغزو أطراف إفريقية، وذلك لقرب جزر الروم من المسلمين، فأجابه الخليفة عثمان إلى ذلك بعد المشورة وندب إليه الناس.(٣٢٥) كما أن معاوية بن أبي سفيان حين أراد فتح جزيرة قبرص ورودس فعل الشيء نفسه في استشارة القيادة العليا المركزية، وطلب الإذن بالسماح له، ولم يأته الجواب إلا بعد انعقاد مجلس الشورى وبحثه في الموضوع، ومن ثم السماح له.(٣٢٦) وكان قادة الخليفة عثمان (في إدارتهم للمعارك الحربية يتشاورون فيما بينهم؛(٣٢٧) كما شاور عثمان كبار الصحابة في جمع القرآن، وفي قتل عبيد الله بن عمر للهرمزان، وحول التدابير الكفيلة بقطع دابر الفتنة، وفي مقام القضاء، وغير ذلك من المواقف والأحداث التي سيأتي

---

(١) حياة الصحابة، المؤلف غير معروف ٢/٢١٢

بيانها في محلها بإذن الله.

خامسا: العدل والمساواة:." [1]

"وقال تعالى: ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الشورى: ٣٨]. وقد اتخذ عثمان - رضي الله عنه - في دولته مجلسا للشورى يتألف من كبار أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المهاجرين والأنصار.(١) وقد طلب عثمان - رضي الله عنه - من العمال والقادة قائلا: أما بعد، فقوموا على ما فارقتم عليه عمر ولا تبدلوا، ومهما **أشكل عليكم** فردوه إلينا نجمع عليه الأمة ثم نرده عليكم.(٢) فأخذ قادته بذلك، فكانوا إذا هموا بالغزو والتقدم في الفتوحات الإسلامية استأذنوه واستشاروه، فيقوم هو بدوره بجمع الصحابة واستشارتهم للإعداد والإقرار والتنفيذ ووضع الخطط المناسبة لذلك، ومن ثم يأذن(٣) لهم؛ فقد قام عبد الله بن أبي السرح بالكتابة إلى الخليفة عثمان - رضي الله عنه - طالبا منه أن يأذن له بأن يغزو أطراف إفريقية، وذلك لقرب جزر الروم من المسلمين، فأجابه الخليفة عثمان إلى ذلك بعد المشورة وندب إليه الناس.(٤) كما أن معاوية بن أبي سفيان حين أراد فتح جزيرة قبرص ورودس فعل الشيء نفسه في استشارة القيادة العليا المركزية، وطلب الإذن بالسماح له، ولم يأته الجواب إلا بعد انعقاد مجلس الشورى وبحثه في الموضوع، ومن ثم السماح له.(٥) وكان قادة الخليفة عثمان - رضي الله عنه - في إدارتهم للمعارك الحربية يتشاورون فيما بينهم؛(٦) كما شاور عثمان كبار الصحابة في جمع القرآن، وفي قتل عبيد الله بن عمر للهرمزان، وحول التدابير الكفيلة بقطع دابر الفتنة، وفي مقام القضاء، وغير ذلك من المواقف والأحداث التي سيأتي بيانها في محلها بإذن الله.

خامسا: العدل والمساواة:

---

(١) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (٢٧٧/١).

(٢) المصدر نفسه (٢٧٧/١)، نقلا عن تاريخ الطبري.

(٣) فتوح مصر، ص٨٣. (٤) المصدر نفسه، ص١٨٣.

(٥) ، ٦) الإدارة العسكرية (٨٢٧/١). ." [2]

---

(١) عثمان بن عفان شخصيته وعصره، المؤلف غير معروف ٩٣/١

(٢) سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه، المؤلف غير معروف ١٠٩/١

"٣- الترغيب في هدى النبي ×:كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه يرغب المسلمين في لزوم هدى النبي ×، فقد قال في خطبة له في الربذة(٢١٥): "الزموا دينكم واهتدوا بهدى نبيكم، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه"(٢١٦)، وبعد رجوع أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه من قتال الخوارج خطب أصحابه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر، وقد ضمن هذه الخطبة الأمر بالتزام هدى النبي × والترغيب فيه، حيث يقول: "واقتدوا بهدى نبيكم ×، فإنه أفضل الهدى، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن"(٢١٧)، ولم تشغل الفتن الداخلية أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه والتي حصلت في عهده، عن دعوة أصحابه إلى كل خير، ونهيهم عن كل شر(٢١٨)، وتحذيرهم من البدع، ومن قوله في هذا الشأن: "إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها، وكل محدثة بدعة، وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيع، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة"(٢١٩).

٤- بيان فضله وبعض حقوقه على أمته ×: بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه في معرض حديثه للمسلمين فضائل النبي× ومما قاله في هذا المجال: "فكان مما أكرم الله به عز وجل هذه الأمة، وخصهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمدا ×، فعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما لا يتفرقوا، وزكاهم لكيما يتطهروا، ورفههم لكيما لا يجوروا، فلما قضى من ذلك ما عليه، قبضه الله عز وجل صلوات الله عليه ورحمته وبركاته"(٢٢٠). وإليك بعض حقوقه×:." (١)

"١- فالمصدر الأول: هو كتاب الله:قال تعالى: +إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما" [النساء:١٠٥]،فكتاب الله تعالى يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشئون الحياة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم، وقد قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه: الزموا دينكم، واهتدوا بهدى نبيكم، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه(١١٩٧).

٢- المصدر الثاني: السنة المطهرة: التي يستمد منها الدستور الإسلامي أصوله، ومن خلاله يممكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن الكريم(١١٩٨)، فقد قال أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه: واهتدوا بهدى نبيكم ×، فإنه أفضل الهدى واستنوا بسنته، فإنها أفضل السنن(١١٩٩).." (٢)

(١) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، المؤلف غير معروف ٨٧/١

(٢) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، المؤلف غير معروف ٣١٢/١

"الأقل بعض منهم بأن في تلك الكتب بعض الروايات الموضوعة، كما أنهم أنفسهم جرحوا بعض رواتهم، وإذا كان الأمر كذلك فيمكن أن يأخذ الشيعة بوصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– عندما قال: الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن فما عرفه فالزموه، وما أنكره فردوه (٤٢٠١)، وقوله –رضي الله عنه–: (واقتدوا بهدي نبيكم ×، فإنه أفضل الهدي واستنوا بسنته، فإنه أفضل السنن) (٤٢٠٢)، وأن يلتزموا بطريقة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– في فهم الأحكام من القرآن الكريم ومعاني الآيات فيلتزموا بظاهر القرآن الكريم، وحمل المجمل على المفسر، والمطلق على المقيد، وأن يراعوا الناسخ والمنسوخ والنظر في لغة العرب، وفهم النص بنص آخر، والسؤال عن مشكله، والعلم بمناسبة الآيات، وتخصيص العام، وأن يتعلموا من أمير المؤمنين علي –رضي الله عنه- كيف يحترمون مقام النبوة، ويتعاملون مع سنة الرسول × وفق هديه الذي بينته في هذا الكتاب، ثم يعرضون رواياتهم التي في كتبهم على العدلين، كتاب الله وسنة رسوله، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله × قبلوه وما خالفها نبذوه، وحذروا أتباعهم منه، وخصوصا تلك الروايات التي تسيء إلى أئمتهم أنفسهم فضلا عن الإسلام.

إن دين الله كمل، قال تعالى: +اليوم أكملت لكم دينكم" [المائدة: ٣]، ورسول الله × بلغ جميع ما أنزل إليه وامتثل أمر ربه في قوله: +يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته" [المائدة: ٦٧].." (١)

"أشبهها من المال لمضر.

وهذا الخباء الأسود وما أشبهه لربيعة.

وهذه الخادم وكانت شمطاء وما أشبهها لإياد.

وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه وقال البلاذري رحمه الله تعالى إنه أوصى له بحمار وفي ذلك قال الشاعر: نزار كان أعلم إذ تولى * * لأي بنيه أوصى بالحمار وقال لهم: إذا أشكل عليكم الأمر في ذلك واختلفتم في القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمي، وكان بنجران.

فلما مات نزار اختلفوا وأشكل عليهم أمر القسمة فتوجهوا إلى الأفعى، فبينما هم في مسيرهم إليه إذ رأى مضر كلأ قد رعى فقال: إن البعير الذي رعى هذا لأعور.

فقال ربيعة: وهو أزور.

---

(١) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، المؤلف غير معروف ٤٧٩/٢

وقال إياد: وهو أبتر.

وقال أنمار وهو شرود.

فلم يسيروا إلا قليلا حتى لقيهم رجل توضع به راحلته فسألهم عن البعير فقال مضر: أهو أعور ؟ قال: نعم.

قال ربيعة: أهو أزور ؟ قال: نعم.

قال إياد: أهو أبتر ؟ قال: نعم.

قال أنمار: أهو شرود ؟ قال: نعم هذه والله صفة بعيري دلوني عليه فحلفوا له أنهم ما رأوه.

فلزمهم وقال كيف أفارقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته ؟ فساروا وسار معهم حتى قدموا نجران فنزلوا بالأفعى الجرهمي، فحاكمهم صاحب الجمل إلى الأفعى وقال: بعيري وصفوا لي صفته ثم قالوا لم نره.

فقال لهم الأفعى: كيف وصفتموه ولم تروه ؟ فقال له مضر: رأيته يرعى جانبا ويترك جانبا فعرفت أنه أعور.

وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة والأخرى فاسدة الأثر فعلمت أنه أفسدها بشدة وطئه وطلبه لازوراره

وقال إياد: عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيالا لمصع

به.

وقال أنمار: عرفت أنه شرود بأنه كان يرعى في المكان الملتف نبته ثم يجوزه إلى مكان أرق منه وأخبث.

وحلفوا أنهم ما رأوه.

فقال الأفعى: ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه.

ثم سألهم من أنتم ؟ فأخبروه فرحب وقال: تحتاجون إلي وأنتم في جزالتكم وصحة عقولكم وآرائكم على ما أرى ؟ !.

ثم خرج عنهم وأرسل إليهم بطعام فأكلوا وبشراب فشربوا فقال مضر: لم أر خمرا أجود منها لولا أنها نبتت على قبر.

وقال ربيعة: لم أر كاليوم لحما أطيب لولا أنه ربي بلبن كلب وقال إياد: لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له.

وقال أنمار: لم أر كاليوم كلاما أنفع في حاجتنا.

وسمع الأفعى كلامهم فقال: ما هؤلاء الشياطين، ثم أتى أمه فسألها فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت أن يذهب الملك فأمكنت رجلا نزل بنا فجئت أنت منه.

وقال للقهرماني: الخمر الذي شربنا ما أمرها ؟ قال: من حبلة غرستها على قبر أبيك.
وسأل الراعي عن اللحم فقال: شاة أرضعناها من لبن كلبة ولم يكن في الغنم غيرها.." (١)

"وأما نزار بن معد واسمه مشتق من النزر وهو القليل فيقال إن أباه معدا لما ولد له نظر إلى نور بين عينيه ففرح لذلك فرحا شديدا ونحر وأطعم وقال إن هذا كله لنزر في حق هذا المولود

وما كان الذي رآه إلا نور النبوة الذي لم يزل ينتقل في الأصلاب حتى انتهى إلى نبينا محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فطبق الأرض نورا وهدى الله به من أراد سعادته من عباده صراطا مستقيما

وكل هذه الأنوار والآثار شاهدة له عليه السلام بعظيم عناية الله وكريم المكانة عنده فلم تزل بركته ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ متعرفة في آبائه الماضين وظاهرة على أسلافه الأكرمين تشير المخايل اللائحة فيهم إليه وتدل الدلائل الواضحة في أوليتهم عليه صلوات الله وبركاته عليه

فولد نزار بن معد مضر وربيعة وأنمارا وإيادا وإليه دفع أبوه حجابة الكعبة فيما ذكر الزبير

وأمهم سودة بنت عك بن عدنان

وقيل هي أم مضر خاصة وأم إخوته الثلاثة أختها شقيقة ابنة عك بن عدنان

وقد قيل إن إيادا شقيق لمضر أمهما معا سودة

فأنمار هو أبو بجيلة وخثعم وقد تيامنت بجيلة إلا من كان منهم بالشام والمغرب فإنهم على نسبهم إلى أنمار بن نزار

وجرير بن عبد الله صاحب رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ من سادات بجيلة وله يقول القائل

لولا جرير هلكت بجيله

نعم الفتى وبئست القبيلة

وكذلك تيامنت الدار أيضا بخثعم وهم بنو أقيل بن أنمار وإنما خثعم جبل تحالفوا عنده فسموا به وهم بالسراة على نسبهم إلى أنمار

وإذا كان بين مضر واليمن فيما هنالك حرب كانت خثعم مع اليمن على مضر

ويروى أن نزارا لما حضرته الوفاة قسم ماله بين بنيه الأربع مضر وربيعة وإياد وأنمار

فقال هذه القبة لقبة كانت له حمراء من أدم وما أشبهها من المال لمضر وهذا الخباء الأسود وما أشبهه لربيعة وهذه الخادم وكانت شمطاء وما أشبهها لإياد وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، المؤلف غير معروف ١/ ٢٩٠

وقال لهم إن أشكل عليكم الأمر في ذلك واختلفتم في القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمي وكان بنجران." (١)

"خلقة،أي:خلقوا مطهرون،فإذا كانوا خلقوا مطهرين فما معنى قوله وتعالى:((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس))[الأحزاب:٣٣] بعد أوامر ونواه قال:يريد أن يذهب عنكم الرجس أي:طهركم وأذهب عنكم الرجس،إذا:ما معنى حديث الكساء،وهو:(أن النبي – صلى الله عليه وسلم – جللهم بالكساء ثم قال:اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) لماذا يدعو وبماذا؟ يدعو بإذهاب الرجس الذي هو أصلا ذاهب عنهم؛ لأنهم مطهرون خلقة؟! فكيف النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطلب من الله أن يذهب عنهم الرجس؟ تحصيل حاصل لا ينبغي أن يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذا:هذه الآية لا تدل على العصمة،كيف تدل على العصمة وعلي رضي الله عنه يقول:[[وإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ،ولا آمن من أن يقع مني ذلك]] يقول ذلك في الكافي الجزء الثامن صفحة:(٢٩٣)،ويقول للحسن ابنه:[[ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم]] وهذا في نهج البلاغة صفحة:(٥٧٦)،وقال له أيضا:[[فاعلم أنك إنما تخبط خبط العشواء وتتورط الظناء]] وهذا في نهج البلاغة صفحة:(٥٧٧)،وقال له كذلك:[[فإن أشكل عليك من ذلك–يعني:أمر–فاحمله على جهالتك به،فإنك أول ما خلقت جاهلا ثم علمت،وما أكثر ما تجهل من الأمر،ويتحير فيه رأيك،ويضل فيه بصرك]] وهذا في نهج البلاغة صفحة:(٥٧٨).

وهذا من يسمونه بالشهيد الثاني:زين الدين بن علي العاملي، يقول:[[فإن كثيرا منهم ما كانوا يعتقدون بعصمتهم لخفائها عليهم،بل كانوا يعتقدون أنهم علماء أبرار]]. وهذا في حقائق الإيمان صفحة:(١٥١).

*معنى الرجس:

يقول الله تعالى:((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس))[الأحزاب:٣٣] ما هو الرجس؟ الرجس:قال أهل اللغة:هو القذر.. الذنب .. الإثم .. الفسق .. الشك ..الشرك .. الشيطان.كل هذا يدخل في مسمى الرجس.." (٢)

"وأعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه وأرضوا بالله جل وعز ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن حكما وإماما

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، المؤلف غير معروف ٩/١

(٢) المهذب في فضائل الخلفاء الراشدين، المؤلف غير معروف ص/٢٧٤

ولما اراد علي الخروج من الربذة إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع فقال يا أمير المؤمنين اي شيء تريد وإلى أين تذهب بنا فقال أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه قال فإن لم يجيبوا إليه قال ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر قال فإن لم يرضوا قال ندعهم ما تركونا قال فإن لم يتركونا قال امتنعنا منهم قال فنعم إذا وقام الحجاج بن غزية الأنصاري فقال لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول وقال ** دراكها دراكها قبل الفوت ** وانفر بنا واسم نحو الصوت ** ** لا وألت نفسي إن هبت الموت **

والله لأنصرن الله عز وجل كما سمانا أنصارا فخرج أمير المؤمنين وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح والراية مع محمد بن الحنفية وعلى الميمنة عبد الله بن عباس وعلى الميسرة عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد وخرج علي وهو في سبعمائة وستين وراجز علي يرجز به ** سيروا أبابيل وحثوا السيرا ** إذا عزم السير وقولوا خيرا ** ** حتى يلاقوا وتلاقوا خيرا ** نغزو بها طلحة والزبيرا **

وهو أمام أمير المؤمنين وأمير المؤمنين علي على ناقة له حمراء يقود فرسا

." (١)

"قال البزار: وقد رواه الثوري عن سالم الافطس، عن سعيد بن جبير مرسلا.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا المعلى بن مهدى الموصلي، قال حدثنا أبو عوانة، عن أبى يونس، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رجلا من عبس يقال له خالد بن سنان قال

لقومه: " إنى أطفئ عنكم نار الحرتين " فقال له رجل من قومه: والله يا خالد ما قلت لنا قط إلا حقا، فما شأنك وشأن نار الحرتين تزعم أنك تطفئها ! فخرج خالد ومعه أناس من قومه، فيهم عمارة بن زياد، فأتوها فإذا هي تخرج من شق جبل، فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال: إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمى.

فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا، فاستقبلها خالد، فجعل يضربها بعصاه وهو يقول: بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أنى لا أخرج منها وثيابى بيدى.

حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم، فقال لهم عمارة بن زياد: والله إن صاحبكم لو كان حيا لقد خرج إليكم بعد.

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل، المؤلف غير معروف ص/١٣٦

قال وا فادعوه باسمه.

قال: فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه.

فدعوه باسمه فخرج وهو آخذ برأسه، فقال ألم أنهكم أن تدعوني باسمى، فقد والله قتلتموني فادفنوني فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني فإنكم تجدونى حيا.

فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقلنا انبشوه فإنه أمرنا أن ننبشه.

فقال لهم عمارة: لا تنبشوه لا والله لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا.

وقد كان قال لهم خالد: إن في عكن امرأته لوحين، فإن **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما فإنكم ستجدون ما تسألون عنه.

قال ولا يمسهما حائض.

فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما إليهم وهى حائض فذهب ما كان فيهما من علم (١).

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب: سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ذاك نبى أضاعه قومه.

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب: إن ابن خالد بن سنان أتى النبي

---

(١) هذه أسطورة ضخمة ليس إلى تصديقها سبيل..(*)." (١)

"لاشك أن هذا القول الذي ذكره أخونا الكاتب قد ذكره بعض المؤرخين ولكن العبرة بثبوت هذا الخبر من عدمه وهل كان هناك نبي بين عيسى -عليه السلام -ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- حيث ذكر من ترجم لخالد بن سنان أنه بعث قبل مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن النبي - صلى الله عليه وسلم — رأى ابنته وسأل عنه فقالوا قد مات فقال (ذاك نبي ضيعه قومه) ومن ذلك ما رواه ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رجلا من بني عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه : أني أطفيء عنكم نار الحدثان . قال : فقال له عمارة بن زياد -رجل من قومه - : والله ما قلت لنا يا خالد قط إلا حقا فما شأنك وشأن نار الحدثان تزعم أنك تطفئها ؟ قال :فانطلق وانطلق معه عمارة بن زياد في ثلاثين من قومه حتى أتوها وهي تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة أشجع فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال : إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي . فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا . قال : فاستقبلها خالد فضربها بعصاه وهو يقول : بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير، المؤلف غير معروف ١/١٠٥

وثناي بيدي . حتى دخل معها الشق قال : فأبطأ عليهم . قال : فقال عمارة بن زياد : والله لو كان صاحبكم حيا لقد خرج إليكم بعد . قالوا : ادعوه باسمه . قال فقالوا : إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه فدعوه باسمه قال : فخرج إليهم وقد أخذ برأسه فقال : ألم أنهكم أن تدعوني باسمي قد والله قتلتموني فادفنوني فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانتبشوني فإنكم ستجدوني حيا . قال : فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقلنا : انبشوه فإنه أمرنا أن ننبشه . قال عمارة بن زياد : لا تحدث مضر إنا ننبش موتانا والله لا ننبشه أبدا . قال : وقد كان أخبرهم إن في عكن امرأته لوحين فإذا أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تسألون عنه . وقال : لا يمسهما حائض . قال : فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما وهي حائض .." (١)

"فأنت ترى في هذا الحديث ، كيف كانت المشورة سببا في القرب من إصابة الحق ، ما في تركها من مقاربة الخطأ والوقوع فيه ، فحري بكل معلم أن يسأل ويشاور من هو أعلم منه فيما أشكل عليه ، ليحصل له بذلك مقاربة الصواب وإصابة الحق ، وليبتعد عن الترفع ، والأنفة ، وتعاظم النفس من سؤال غيره وطلب رأيه ومشورته ، فإن ذلك ترفع في غير محله ، ولو كان ذلك محمودا لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى الناس به ! .

فعليك أيها المعلم أن تسأل عما أشكل عليك فهمه ، أو تعسر عليه حله ، ولا تقل إن هذا تهوين من شأني ، أو نقص من قدري . لا . بل هو دليل على كمال العقل ورجاحته .

الخلاصة :

المشورة معين للمعلم فيما يشكل عليه من المسائل والقضايا التي ترد عليه .

طلب الإستشارة من الغير ليست دليلا على نقص في المرتبة أو في العلم ، بل هو دليل على رجاحة العقل ورزانته .

في المشورة القرب من الحق ، وفي تركها البعد عنه .." (٢)

"وأخرج أحمد عن مكحول قال : قال عيسى بن مريم : يا معشر الحواريين أيكم يستطيع أن يبني على موج البحر دارا قالوا : يا روح الله ومن يقدر على ذلك قال : إياكم والدنيا فلا تتخذوها قرارا.

وأخرج أحمد عن زياد أبي عمرو قال : بلغني أن عيسى عليه السلام قال : إنه ليس بنافعك أن تعلم ما لم

---

(١) ثلاث رسائل في مسائل في السيرة، المؤلف غير معروف ص/٢

(٢) المعلم الأول صلى الله عليه وسلم، المؤلف غير معروف ص/٥٣

تعلم ولما تعمل بما قد علمت إن كثرة العلم لا تزيد إلا كبرا إذا لم تعمل به.

وأخرج أحمد عن إبراهيم بن الوليد العبدي قال : بلغني أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال : الزهد يدور في ثلاثة أيام : أمس خلا وعظت به واليوم زادك فيه وغدا لا تدري ما لك فيه ، قال : والأمر يدور على ثلاثة ، أمر بان لك رشده فاتبعه وأمر بان لك غيه فاجتنبه وأمر **أشكل عليك** فكله إلى الله عز وجل.

وأخرج أحمد عن قتادة قال : قال عيسى عليه الصلام والسلام : سلوني فإن قلبي لين وإني صغير في نفسي.

وأخرج أحمد عن بشير الدمشقي قال : مر عيسى عليه الصلاة والسلام بقوم فقال : اللهم اغفر لنا ثلاثا فقالوا : يا روح الله انا نريد أن نسمع منك اليوم موعظة ونسمع منك شيئا لم نسمعه فيما مضى فأوحى الله إلى عيسى أن قل لهم اني من أغفر له مغفرة واحدة أصلح له بها دنياه وآخرته." (١)

"أبتر فانبشوني فإنكم ستجدوني حيا ، فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقالوا : انبشوه فإنه أمرنا أن ننبشه ، فقال لهم عمارة : لا تحدث مضر أننا ننبش موتانا والله لا تنبشوه أبدا وقد كان خالد أخبرهم أن في عكن امرأته لوحين فإذا **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تساءلون عنه وقال : لا تمسها حائض فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم وقال أبو يونس : قال سماك بن حرب : سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك نبي أضاعه قومه وإن ابنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مرحبا بابن أخي قال

الحاكم : صحيح على شرط البخاري فإن أبا يونس هو حاتم بن أبي صغيرة وقال الذهبي منكر.

وأخرج ابن سعد والزبير بن بكار في الموفقيات ، وابن عساكر عن الكلبي قال : أول نبي بعثه الله في الأرض إدريس وهو أخنوخ بن يرد وهو يارد ابن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ثم انقطعت الرسل حتى بعث نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يارد وقد كان سام بن نوح نبيا ثم انقطعت الرسل حتى بعث الله إبراهيم نبيا وهو إبراهيم بن تارح وتارح هو آزر." (٢)

" الباب الثامن عشر : في مبادئ نسبه و طهارة مولده صلى الله تعالى عليه و سلم

الأنبياء صفوة العباد :

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، المؤلف غير معروف ٣/٥٥٩

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، المؤلف غير معروف ٥/١٣٥

لما كان أنبياء الله صفوة عباده و خيرة خلقه لما كلفهم من من القيام بحقه استخلصهم من أكرم العناصر و أمدهم بأوكد الأواصر حفظا لنسبهم من قدح و لمنصبهم من جرح لتكون النفوس لها أوطأ و القلوب لهم أصفا فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع و لأوامراهم أطوع

و لما تفرع الملك عن إبراهيم و اختصت النبوة بولده انحازت إلى ولد إسحاق دون إسماعيل فصارت في بني إسرائيل لكثرتهم بعد القلة و قوتهم بعد الذلة فبدأت النبوة بموسى و انختمت بعيسى

تكاثر ولد إسماعيل :

و لما كثر ولد إسماعيل و انتشروا في الأرض تميز بعد الكثرة ولد قحطان عن ولد عدنان و استولت قحطان على الملك انحازت النبوة إلى ولد عدنان فأول من أسس لهم مجدا و شيد لهم ذكرا معد بن عدنان حين اصطفاه بختنصر و قد ملك أقاليم الأرض و كان قد هم بقتله حين غزا بلاد العرب فأنذره نبي كان في وقته بأن النبوة في ولده فاستبقاه و أكرمه و مكنه و استولى على تهامة بيد عالية و أمر مطاع و فيه يقول مهلهل الشاعر :

(غنيت دارنا تهامة بالأمس ... و فيها بنو معد حلولا)

عز نزار بن معد :

ثم ازاداد العز بولده نزار و انبسط به اليد و تقدم عند ملوك الفرس و اجتباه [تستشف] ملك الفرس و كان اسمه خلدان و كان مهزول البدن فقال الملك : ما لك يا نزار ؟ و تفسيره في لغتهم : يا مهزول فغلب عليه هذا الاسم و فيه يقول قمعة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان :

(جديسا خلفناه و طسما بأرضه ... فأكرم بنا عند الفخار فخار)

(فنحن بنو عدنان خلدان جدنا ... فسماه تستشف الهمام نزارا)

(فسني نزارا بعدما كان اسمه ... لدى العرب خلدان بنوه خيارا)

أولاد نزار الأربعة :

و كان لنزار أربعة أولاد : مضر و ربيعة و إياد و أنمار فلمل حضرته الوفاة وصاهم فقال : يا بني هذه القبة الحمراء و ما أشبهها لمضر و هذا الخباء الأسود و ما أشبهه لربيعة و هذه الخادمة و ما أشبهها لأياد و هذه الندوة و المجلس و ما أشبهها لأنمار فإن **أشكل عليكم** و اختلفتم فعليكم بالأفعى الجرهمي بنجران فاختلفوا في القسمة فتوجهوا إليه فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كلأ قد رعي فقال : إن البعير الذي رعى هذا الكلأ لأعور و قال لربيعة : هو أزور و قال إياد : هو أبتر و قال أنمار : و هو شرود فلم يسيروا

قليلا حتى لقيهم رجل يوضع على راحلته فسألهم عن البعير فقال مضر : هو أعور قال نعم قال ربيعة : هو أزور قال : نعم و قال إياد : هو أبتر قال نعم و قال أنمار : هو شرود قال نعم و هذه و الله صفة بعيري فدلوني عليه فقالوا : و الله ما رأيناه قال : قد وصفتموه بصفته فكيف لم تروه

و سار معهم إلى نجران حتى نزلوا بالأفعى الجرهمي فناداه صاحب البعير هؤلاء أصحاب بعيري وصفوه لي بصفته و قالوا : لم نره فقال لهم الأفعى الجرهمي : كيف وصفتموه و لم تروه ؟

فقال مضر : رأيته يرعى جانبا و يترك جانبا فعرفت أنه أعور

و قال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر و الأخرى فاسدة الأثر فعرفت أنه أزور

و قال إياد : رأيت بعره مجتمعا فعرفت أنه أبتر

و قال أنمار : رأيته يرعى المكان الملتف ثم يجوزه إلى غيره فعرفت أنه شرود

فقال الجرهمي لصاحب البعير : ليسوا أصحاب بعيرك فاطلب من غيرهم ثم سألهم من هم فأخبروه أنهم بنو نزار بن معد فقال : أتحتاجون إلي و أنتم كما أرى ؟ فدعا لهم بطعام فأكلوا و بشراب فشربوا و شرب فقال مضر لم أر كاليوم خمرا أجود لولا أنها نبتت على قبر و قال ربيعة : لم أر كاليوم لحما أطيب لولا أنه ربي بلبن كلبة و قال إياد : لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا أنه يدعي لغير أبيه و قال أنمار : لم أر كاليوم كلاما أنفع في حاجتنا و سمع الجرهمي الكلام فتعجب لقولهم و أتى أمه فسألها فأخبرته : أنها كانت تحت ملك لا ولد له فكرهت أن يذهب الملك فأمكنت رجلا من نفسها كان نزل بها فوطئها فحملت منه به و سأل القهرمان عن الخمر فقال من كرمة غرستها على قبر أبيك و سأل الراعي عن اللحم فقال : شاة أرضعتها بلبن كلبة لأن الشاة حين ولدت ماتت و لم يكن ولد في الغنم شاة غيرها فقيل لمضر من أين عرفت الخمر و نبا تها على قبر ؟ قال : لأنه أصابني عليها عطش شديد

و قيل لربيعة من أين عرفت أن الشاة ارتضعت على لبن كلبة ؟ قال : لأني شممت منه رائحة الكلب

و قال لإياد : من أين عرفت أن الرجل يدعى لغير أبيه ؟ قال لأبي رأيته يتكلف ما يعمله

ثم أتاهم الجرهمي و قال : صفوا لي صفتكم فقصوا عليه ما أوصاهم به أبوهم نزار فقضى لمضر بالقبة الحمراء و الدنانير و الإبل و هي حمر فسمي مضر الحمراء و قضى لربيعة بالخباء الأسود و الخيل الدهم سمي ربيعة الفرس و قضى لأياد بالخادمة الشمطاء و الماشية البلق و قضى لأنمار بالأرض و الدراهم

مضر و خزاعة يستولون على الحرم :

و هذا الذي ظهر في أولاد نزار من قوة الذكاء و حدة الفطنة تأسيسا لتمييزهم بالفضل و اختصاصهم بوفور العقل مقدمة لما يراد بهم ثم تفرقت القبائل منهم فاختص ولد مضر بن نزار بالحرم فتميزوا بأنسابهم و تناصروا بسيوفهم حتى استولت قريش على الحرم بعد جرهم و خزاعة لأن جرهم كانوا جبابرة فبغوا و تجبروا حتى بعث الله تعالى عليهم الرعاف و النمل فأفناهم و أفضى أمرهم إلى عامر بن الحرث و هم القائلون :

(واد حرام طيره و وحشة ... نحن ولاته فلا تغشه)

فاجتمعت خزاعة و رئيسهم عمرو بن ربيعة بن حارثة على عامر بن ربيعة و بقية جرهم فأخرجوهم من الحرم و استولت عليه خزاعة و ولي البيت عمرو بن ربيعة فقال :

(نحن ولينا البيت بعد جرهم ... نعمره من كل باغ ملحد)

و لما انحاز عامر بن الحرث مع بقية جرهم عن الحرم عند استيلاء خزاعة عليه خرج بغزالي الكعبة و حجر الركن يلتمس التوبة و هو يقول :

(لاهم إن جرهما عبادك ... الناس طرف و هم تلادك)

فلم تقبل توبته فألقى غزالي الكعبة و حجر الركن في زمزم و دفنها و خرج ببقية جرهم و هو يقول :

(كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس و لم يسمر بمكة سامر)

(بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي و الدهور الغواير)

فلما رأى عامر بن الحرث الجرهمي ما صاروا إليه بعد الكثرة و القوة قال :

(يا أيها الناس سيروا إن قصركم ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا)

(كنا أناسا كما كنتم فغيرنا ... دهر فأنتم كما كنا تكونونا)

(خطوا المطى و أرخوا من أزمتها ... قبل الممات و قضوا ما تقضونا)

فوليت خزاعة البيت و الحرم غير أنه كان في مضر من أمره ثلاث خلال

إحداهن : الدفع عن عرفة إلى المزدلفة كان إلى الغوث بن بزمر و هو صرفه

الثانية : الإفاضة من مزدلفة إلى منى للنحر كان لزيد بن عدوان و آخر من أفضى إليه أبو سيارة

الثالثة : النسيء لشهور الحج كان للمتلمس من بني كنانة و آخر من أقضى إليه حتى جاء الإسلام : ثمامة بن عوف فشركت مضر خزاعة في معالم الحج و إن كانت زعامة الحرم لخزاعة و قريش في أوزاع بني كنانة من مضر

زعامة الحج لقريش :

و أفضت معالم الحج من أوزاع من مضر إلى قريش فولاها منهم كعب ابن لؤي بن غالب و كان يجمع الناس في كل يوم جمعة و يخطب فيه على قريش فيأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يقول : حرمكم عظموه و تمسكوا به فسيأتي له نبأ عظيم و سيخرج منه نبي كريم و هو أول من فصح بالنبوة حين شاهد آثارها و عرف أسرارها من انقياد العرب إليهم تدينا بحرمهم و إعظاما لكعبتهم و كان ذلك إلهاما هجست به نفسه و تخيلا صدق فيه حدسه لأن لكل خطب نذيرا و لكل مستقبل بشيرا و انتهضت خزاعة في الحرم إلى خليل بن الحبشية الخزاعي فكان يلي الكعبة و أمر مكة فتزوج إليه قصي بن كلاب فاشتد به قصي و كان اسمه زيد فلما هلك خليل رأى قصي أنه أولى بالولاية على الكعبة و أمر مكة من خزاعة فاستولى عليها

قصي يلي أمر الكعبة و مكة :

و اختلف في سبب استيلائه فقال قوم لأن خليلا أوصى إليه بذلك و قال آخرون بل اشتراه من آل خليل بزق من خمر و قال آخرون بل استنصر على خزاعة بأخيه لأمه رزاح بن ربيعة القضاعي حتى أجلي خزاعة عن مكة فخلصت الرياسة لقصي فجمع قريشا و هم في أوزاع بني كنانة فمنعت بنو كنانة منهم فحاربهم بمن أطاعه حتى أفردهم منهم و جمعهم بمكة فسمي مجمعا و فيه يقول شاعرهم :

(أبونا قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر)

قصي يقسم مكة بين قومه :

فلما اجتمعوا أنزلهم بطحاء مكة في الشعاب و رؤوس الجبال و قسمها بينهم أرباعا بين قومه و أنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها و كانت إليه الحجابة و السقاية و الوفادة و الندوة و اللواء و صارت سنته في قريش كالدين الذي لا يعمل بغيره فزادت القوة بجمعهم حتى عقد الولاية و جدد بناء الكعبة وهو أول من بناها بعد إبراهيم و إسماعيل و بنى دار الندو للتحاكم و التشاجر و التشاور و هي أول دار بنيت بمكة و كانوا بمكة و كانوا يجتمعون في جبالها

ثم بني القوم دورهم بها فتمهدت لهم الرياسة و ظهرت فيهم السياسة فصاروا بها زعماء عبادة أنذرت بطاعة إلهية و ديانة نبوية توطئة لما جدده الله تعالى منها برسوله و تأسيسا لمباديها فقاموا بالكعبة و نزهوا الحرم و تكفلوا بالحج فصاروا دياني العرب و مولاة الحرم و قادة الحجيج و شاع ذلك في الأمم

فحكى قوم من دياني العرب أن جماعة من ملوك الفرس زاروا الكعبة بمكة و عظموها و حملوا إليها صنوف الثياب و أنواع الطيب و زمزموا و من معهم من الفرس عند بئر زمزم فلذلك سميت زمزم و استشهد قائل هذ بقول الشاعر :

(زمزمت الفرس على زمزم ... و ذاك في سالفه الأقدم)

من هم قريش ؟

و قريش هم ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر و قيل : بل هم بنو فهر بن مالك بن النضر فمن نسبهم إلى النضر فلأنه تفرقت قبائل بني كنانة و قيل كان يسمى قريشا و من نسبهم إلى فهر فلأن فهرا في زمانه كان رئيس الناس بمكة و قصدها حسان بن عبد كلال في حمير و قبائل اليمن ليهدم الكعبة و ينقل أحجارها إلى اليمن ليبنيه بيتا باليمن يجعل حج الناس إليه فنزل بنخلة و أغار على سرح مكة فسار إليه فهر في كنانة و أحلافهم من قبائل مضر فانهزمت حمير و أسر الحرث بن فهر حسان بن عبد كلال فبقي في يد فهر ثلاث سنين أسيرا بمكة حتى فدى نفسه و خرج فمات بين مكة و اليمن فعظم بهذا الحرث شأن فهر فأغزت إليه قريش حين حمى مكة و منع من هدم الكعبة و كانت من أشباه عام الفيل

سبب تسمية قريش :

و اختلف في تسميتهم قريشا على أربعة أقاويل أحدها : لتجمعهم بعد التفرق و التقرش التجمع و منه قول الشاعر :

(إخوة قرشوا الذنوب علينا ... في حديث من دهرهم و قديم)

و الثاني : لأنهم كانوا تجارا يأكلون من مكاسبهم و القرش التكسب :

و الثالث : لأنهم كانوا يفتشون الحاجة عند ذي الخلة فيسدون خلته و القرش التفتيش و منه قول الشاعر :

(أيها السامت المقرش عنا ... عند عمرو فهل له إبقاء)

و الرابع أن قريشا اسن دابة في البحر من أقوى دوابه سميت بها قريش لقوتها لأنها تأكل و لا تؤكل و تعلو لا تعلى :

قاله ابن عباس و استشهد بقول الشاعر :

(و قريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا)

(سلطت بالعلو في لجة البحر ... على ساكني البحور جيوشا)
(تأكل الغث و السمين و لا ... تترك يوما لذي الجناحين ريشا)
(هكذا في البلاد حتى قريش ... يأكلون البلاد أكلا كشيشا)
(و لهم آخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم و الخموشا)
(تملأ الأرض خيله و رجال ... يحشرون المطي حشرا كميشا)

سبب تسمية مكة :

و هذا من هواجس النفوس المخبرة و آيات العقول المنذرة

فأما مكة فلها اسمان مكة و بكة و قد جاء القرآن بهما و اختلف في الاسمين هل هما لمسمى واحد أو لمسمين على قولين :

أحدهما : إنه لمسمى واحد لأن العرب تبدل الميم بالباء فيقولون ضربة لازم و لازب لقرب المخرجين

و القول الثاني : و هو أشبه أنهما اسمان لمسميين و اختلف من قال بهذا في السمى منهما على قولين أحدهما أن مكة اسم البلد و بكة اسم البيت و هذا قول إبراهيم النخعي و القول الثاني : أن مكة الحرم كله و هذا قول زيد بن أسلم فأما مكة فمأخوذة من قولهم تمككت المخ إذا استخرجته لأنها تمك الفاجر أي تخرجه قال الشاعر :

(يا مكة الفاجر مكي مكا ... و لا تمكي مذحجا و عكا)

و أما بكة قال الأصمعي سميت بذلك لأن الناس يبك بعضهم بعضا أي يدفع و أنشد قول الشاعر :

(إذا الشريب أخذته بكة ... فخله حتى يبك بكه)

رئاسة قريش تفضي لعبد مناف :

ثم أفضت رئاسة قريش بعد قصي إلى ابنه عبد مناف بن قصي فجاد و زاد و ساد حتى قال فيه الشاعر :

(كانت قريش بيضة فتفقأت ... فالمح خالصه لعبد مناف)

و كان اسمه المغيرة فدفعته أمه إلى مناف و كان أعظم أصنام مكة تعظيما له فغلب عليه عبد مناف و كان يسمى القمر لجماله فاستحكمت رياسته بعد أبيه لجوده و سياسته ثم ببنيه فولد له هاشم و عبد

شمس توأمان في بطن فقيل إنه ابتدأ خروج أحدهما و إصبعه ملصقة بجبهة الآخر فلما ازيلت دمي موضعها فقيل يكون بينهما دم

هاشم يسود قريش :

ثم ولد بعدهما نوفل ثم المطلب و كان أصغرهم فسادوا و تقدمهم هاشم لسخائه و سؤدده و كان اسمه عمرا فسمي هاشما لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في سنة لزبة قحطة رحل فيها إلى فلسطين فاشترى منها الدقيق و قدم به إلى مكة و نحر الجزر و جعلها ثريدا عم به أهل مكة حتى استقلوا فقال فيه الشاعر :

(يا أيها الرجل المحول رحله ... هلا نزلت بآل عبد مناف)

(الآخذون العهد من آفاقها ... و الراحلون لرحلة الإيلاف)

(و الرايشون و ليس يوجد رايش ... و القائلون هلم للأضياف)

(و الخالطون غنيهم ... بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافي)

(عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... و رجال مكة مسنتون عجاف)

هاشم سن رحلتي الشتاء و الصيف :

و هاشم أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء و رحلة الصيف و أراد أمية بن عبد شمس أن يتشبه بهاشم في صنيعة فعجز عنه فشمت به ناس كثير من قريش فقال فيه وهب بن عبد قصي :

(تحمل هاشم ما ضاق عنه ... و أعيا أن يقوم به بريض)

(أتاهم بالغرائر مثقلات ... من الشام بالبر البغيض)

(فأوسع أهل مكة من هشيم ... و شاب اللحم باللحم العريض)

العداوة بين أمية و هاشم :

و نشبت العداوة بين أمية و هاشم و أراد منافرته فكره هاشم ذلك لنسبه و قدره فلم تدعه قريش حتى نافره إلى الكاهن الخزاعي في خمسين ناقه سود الحدق ينحرها ببطن مكة و الجلاء من مكة عشر سنين فنفر الخزاعي هاشما و قال لأمية : تنافر رجلا هو أطول منك قاما و أعظم منك هامة و أحسن منك و سمة و أقل منك لامة و أكثر منك ولدا و أجزل منك صفرا

فقال أمية : من انتكاث الزمان أن جعلناك حكما فأخذ هاشم الإبل فنحرها و أطعمها من حضره و خرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين

فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم و أمية و ملك هاشم الوفادة و السقاية و استقرت له الرياسة و صارت قريش له تابعة تقاد لأمره و تعمل برأيه و تنافرت قريش و خزاعة إليه فخطبها بما أذعن له الفريقان بالطاعة فقال في خطبته :

خطبة هاشم :

أيها الناس نحن آل إبراهيم و ذرية إسماعيل و بنو النضر بن كنانة و بنو قصي بن كلاب و أرباب مكة و سكان الحرم لنا ذروة الحسب و معدن المجد و لكل في كل حلف يجب عليه نصرته و إجابة دعوته إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة و قطع رحم

يا بني قصي أنتم كغصني شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه و السيف لا يصان إلا بغمده و رامي العشيرة يصيبه سهمه و من أمحكه اللجاج أخرجه إلى البغي

أيها الناس الحلم شرف و الصبر ظفر و المعروف كنز و الجود سؤدد و الجهل سفه و الأيام دول و الدهر غير و المرء منسوب إلى فعله و مأخوذ بعمله فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد و دعوا الفضول تجانبكم السفهاء و أكرموا الجليس يعمر ناديكم و حاموا الخليط يرغب في جواركم و أنصفوا من أنفسكم يوثق بكم و عليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة و إياكم و الأخلاق الدنيئة فإنها تضع الشرف و تهدم المجد ألا و إن نهنهة الجاهل أهون من حزيرته و رأس العشير يحمل أثقالها و مقام الحليم عظة لمن انتفع به

فقالت قريش : رضينا بك أبا نضلة و هي كنيته فانظروا إلى ما أمر به من شريف الأخلاق و نهى عنه من مساوئ الأفعال هل صدر إلا عن عزازة فضل و جلالة قدر و علو همة ؟ و ما ذاك إلا لا صطفاء يراد و ذكر يشاد لأن توالي ذلك في الآباء يوجب تناهيه في الأبناء

عبد المطلب يحل محل هاشم :

و مات هاشم بغزة من أرض الشام و هو أول من مات من ولد عبد مناف ثم مات عبد شمس بمكة فقبر بأجياد ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق و مات المطلب بربمان من أرض اليمن و كان هاشم قد تزوج بيثرب من الخزرج بسلمى بنت عمرو النجارية فولدت له بيثرب عبد المطلب و كان اسمه شيبة الحمد و نشأ فيهم حتى مات أبوه هاشم و انتقلت عنه الرياسة و الوفادة و السقاية إلى أخيه المطلب و وصف له شيبة بيثرب فخرج فاستنزل أمه عنه حتى أخذه منها و دخل به مكة مردفا له فقالت قريش من هذا ؟ فقال : عبدي فسمي عبد المطلب إلى أن مات فوثب عليه عمه نوفل بن عبد مناف في ركح كان

له فاغتصبه إياه و الركح الساحة فسأل عبد المطلب رجالات قومه النصرة عى عمه فقالوا : لسنا داخلين بينك و بين عمك فلما رأى عبد المطلب ذلك كتب إلى أخواله من بني النجار يقول :

(يا طول ليلى لأشجاني و أشغالي ... هل من رسول إلى النجار أخوالي)

(يبني عديا و دينارا و مازنها ... و مالكا عصمة الجيران عن حالي)

(و كنت ما كنت حيا ناعما جذلا أمشي الغضية سحابا لأذيالي)

(حتى ارتحلت إلى قومي و أزعجني عن ذاك مطلب عمي بترحالي)

(فغاب مطلب في قعر مظلمة و قام نوفل كي يعدو على مالي)

(أإن رأى رجلا غابت عمومته و غاب أخواله عنه بلا والي)

(أنحى عليه و لم يحفظ له رحما ما أمنع المرء بين العم و الخال)

(فاستنفروا و امنعوا ضيم ابن أختكم ... لا تخذلوه و ما أنتم بخذالي)

(ما مثلكم في بني قحطان قاطبة حي لجار و إنعام بإفضال)

(أنتم كيان لمن لانت عريكته سلم لقوم و سماح الأبلج العالي)

فقدم عليه ثمانون راكبا من بني النجار و نصروه على عمه نوفل و ارتجعوا منه الركح و عادوا و قد اشتد بهم عبد المطلب فدعا ذلك نوفلا أن حالف بني عبد شمس على عبد المطلب و بني هاشم و دعا ذلك عبد المطلب على أن حالف بني هاشم على نوفل و بني عبد شمس فقوي عبد المطلب و ضعف نوفل

و انتقلت السقاية و الوفادة و الرياسة إلى عبد المطلب و أخذ نوفل عهدا من أكاسرة العراق و صارت رحلته إليها و أخذ عبد المطلب عهدا من ملوك الشام و أقيال حمير باليمن و صارت رحلته إليها و حفر عبد المطلب حين قوي و اشتد بئر زمزم و أخرج منها ما كان ألقاه فيها عامر بن الحرث الجرهمي من غزالي الكعبة و حجر الركن فضرب الغزالين صفائح ذهب على باب الكعبة و وضع الحجر في الركن

و صار عبد المطلب سيدا عظيم القدر مطاع الأمر نجيب النسل حتى مر به أعرابي و هو جالس في الحجر و حوله بنوه كالأسد فقال : إذا أحب الله إنشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء فأنشأ الله لهم بالنبوة دولة خلد بها ذكرهم و رفع لها قدرهم حتى سادوا الأنام و صاروا الأعلام

و صار كل من قرب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم من آياته أعظم رياسة و تنوها و أكثر فضلا و تألها

عبد المطلب ينذر نذرا خطيرا :

فحكى الزهري و يزيد بن رومان و صالح بن كيسان أن المطلب بن هاشم نذر أنه متى رزق عشرة أولاد ذكور و رآهم بين يديه رجالا إن ينحر أحدهم للكعبة شكرا لربه حين أعلم أن إبراهيم أمر بذبح ولده تصورا من أنه أفضل قربة فلما استكمل ولده العدد و صاروا له من أظهر العدد قال لهم : يا بني كنت نذرت نذرا علمتموه قبل اليوم فما تقولون ؟ قالوا : الأمر لك و إليك و نحن بين يديك فقال : لينطلق كل واحد منكم إلى قدحه و ليكتب عليه اسمه ففعلوا ثم أتوا بالقداح فأخذها و جعل يرتجز و بقول :

(عاهدته و أنا موف عهده ... و الله لا يحمد شيء حمده)

(إذ كان مولاي و كنت عبده ... نظرت نظرا لا أحب رده)

(و لا أحب أن أعيش بعده)

ثم دعا بالأمين الذي يضرب بالقداح فدفع إليه قداحهم و قال : حرك و لا تعجل و كان أحب ولد عبد المطلب إليه عبد الله فضرب صاحب القداح السهم على عبد الله فأخذ عبد المطلب الشفرة و أتى بعبد الله و أضجعه بين أساف و نائلة و أنشأ مرتجزا يقول :

(عاهدته و أنا موف نذره ... و الله لا يقدر شيء قدره)

(هذا بني قد أريد نحره ... و أن يؤخره يقبل عذره)

و هم بذبحه فوثب إليه ابنه أبو طالب و كان أخا عبد الله لأبيه و أمه و أمسك يد عبد المطلب عن أخيه و أنشأ مرتجزا يقول :

(كلا و رب البيت ذي الأنصاب ... ما ذبح عبد الله بالتلعاب)

(يا شيب إن الريح ذو عقاب ... إن لنا جرة في الخطاب)

(أخوال صدق كأسود الغاب)

فلما سمعت بنو مخزوم هذا من أبي طالب . و كانوا أخواله . قالوا : صدق ابن أختنا و وثبوا إلى عبد المطلب فقالوا : يا أبا الحرث إنا لا نسلم ابن أختنا للذبح فاذبح من شئت من ولدك غيره فقال : إني نذرت نذرا و قد خرج القدح و لا بد من ذبحه قالوا : كلا لا يكون ذلك أبدا و فينا ذو روح و إنا لنفديه بجميع أموالنا من طارف و تالد و أنشأ المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم مرتجزا يقول :

(يا عجبا من فعل عبد المطلب ... و ذبحه ابنا كتمثال الذهب)

(كلا و بيت الله مستور الحجب ... ما ذبح عبد الله فينا باللعب)

(فدون ما يبغي خطوب تضطرب)

ثم وثب السادات من قريش إلى عبد المطلب فقالوا : يا أبا الحرث إن هذا الذي عزمت عليه عظيم و إنك إن ذبحت ابنك لم تتهن بالعيش من بعده و لكن لا عليك أنت على رأس أمرك تثبت حتى نسير معك إلى كاهنة بني سعد فما أمرتك من شيء فامتثله فقال عبد المطلب لكم ذلك و كانوا يرون الكهانة حقا ثم خرج في جماعة من بني مخزوم نحو الشام إلى الكاهنة فلما دخلوا عليها أخبرها عبد المطلب بما عزم عليه من ذبح ولده و ارتجز يقول :

(يا رب إني فاعل لما ترد ... إن شئت ألهمت الصواب و الرشد)

(يا سائق الخير إلى كل بلد ... قد زدت في المال و أكثرت العدد)

فقالت الكاهنة : انصرفوا عني اليوم فانصرفوا و عادوا في الغد فقالت : كم دية الرجل عندكم ؟ قالوا : عشرة من الإبل قالت : فارجعوا إلى بلدكم و قدموا هذا الغلام الذي عزمتم على ذبحه و قدموا معه عشرة من الإبل ثم اضربوا عليه و على الإبل القداح فإن خرج القدح على الإبل فانحروها و إن خرج على صاحبكم فزيدوا في الإبل عشرة عشرة حتى يرضى ربكم

فانصرف القوم إلى مكة و أقبلوا عليه يقولون : يا أبا الحرث إن لك في إبراهيم أسوة فقد علمت ما كان من عزمه في ذبح ابنه إسماعيل و أنت سيد ولد إسماعيل فقدم مالك دون ولدك

فلما أصبح عبد المطلب غدا بابنه عبد الله إلى الذبح و قرب معه عشرة من الإبل ثم دعا بأمين القداح و جعل لابنه قدحا و قال : اضرب ولا تعجل فخرج القدح على عبد الله فجعلها عشرين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثلاثين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها أربعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها خمسين

فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ستين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها سبعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثمانين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها تسعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها مائة و ضرب فخرج القدح على الإبل فكبر عبد الله و كبرت قريش و قالت : يا أبا الحارث إنه قد أنهى رضاء ربك و قد نجا ابنك من الذبح فقال : لا و الله حتى أضرب عليه ثلاثا فضرب الثانية فخرج على الإبل فضرب الثالثة فخرج على الإبل فعلم عبد المطلب أنه قد أنهى رضاء ربه في فداء ابنه فارتجز يقول :

(دعوت ربي مخلصا و جهرايا رب لا تنحر بني نحرا)

(و فاد بالمال تجد لي و فرا أعطيك من كل سوام عشرا)

(عفوا و لا تشمت عيونا حزرا بالواضح الوجه المغشى بدرا)

(فالحمد لله الأجل شكرا ... فلست و البيت المغطى سترا)

(مبدلا نعمة ربي كفرا ... ما دمت حيا أو أزور القبرا)

ثم قربت الإبل و هي مائة من جملة إبل عبد المطلب فنحرت كلها فداء لعبد الله و تركت في مواضعها لا يصد عنها أحد يتناوبها من دب و درج فجرت السنة في الدية بمائة من الإبل إلى يومنا هذا و انصرف عبد المطلب بابنه عبد الله فرحا فكان عبد الله يعرف بالذبيح

محمد ابن الذبيحين :

و لذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه و سلم : [أنا ابن الذبيحين يعني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام و أباه عبد الله بن عبد المطلب] و هذا من صنع الله تعالى لرسوله لما قدره من رسالته و قضاه من آيات نبوته فما يخلو نبي من بلوى منذرة و لا ملك من بلية زاجرة ." (١)

"حدثني عمرو الناقد، ثنا إسحاق الأزرق عن عوف قال: كتب عمر إلى عدي: أن سل الحسن: ما منع من مضي من الأئمة أن يحولوا بين المجوس وبين ما يجمعون من النساء؟ فسأله فأخبره: إن النبي صلى الله عليه وسلم قبل الجزية من مجوس هجر، وأقرهم على مجوسيتهم ومناكحهم، وأقرهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم.

حدثني محمد بن أبان الطحان، ثنا أبو هلال الراسبي، ثنا شهر بن حوشب أنه أستأذن على عدي بن أرطاة فقال الآذن: إن الأمير يقول: لا تأذن له فإنه سبني. فقال له قتادة: إن خادم البيت يخبرك بما في أنفس أهلها، وإن عديا قد أخبرك بما في نفس صاحبه عمر، فلا غفر الله لمن لا يستغفر لهما - يعني عليا وعثمان - .

المدائني عن الفضل بن سويد الضبي قال: كتب عمر إلى عدي: أما بعد فإنه بلغني أن قوما قبلك إذا توضأوا رفعوا الطساس من بين أيديهم واحدا واحدا، وذلك من زي العجم، فلا يرفعن طس قبلك حتى يمتلئ أو يفرغ من آخر القوم.

المدائني عن يزيد بن إبراهيم، عن أيوب قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: مروا أهل الصلاح يتذاكروا السنن في مجالسهم، ومساجدهم، وأسواقهم.

---

(١) أعلام النبوة - الماوردي، المؤلف غير معروف ص/٢١٥

المدائني قال: كتب عدي إلى عمر: إنه قد ذكرت لي امرأة من أهل البصرة أعجبني دينها وموضعها وجمالها، وقد أحببت يا أمير المؤمنين أن تزوجنيها.

فكتب إليه: أن كنت أصبت بعدي مالا، فأهلك الذي صبروا على فقرك أحق بك، وإلا تكن أصبته فإن أجمل بك ألا يكون كما قال ابن دارة: إن الفزاري لا ينفعك. استغفر الله.

المدائني عن إسحاق المالكي قال: كتب عدي إلى عمر يستأذنه في تزوج هند بنت أسماء فكتب إليه عمر: إن الفزاري لا ينفعك، والسلام. يريد قول ابن دارة - :

لا تأمنن فزاريا خلوت به ... على قلوصك واكننها بأسيار

إن الفزاري لا ينفعك مغتلما ... يواصل الدهر تهدارا بتهدار

عباس بن هشام الكلبي عن أبي مخنف قال: كانت الولاة من بني أميه قبل عمر يشتمون عليا ويلعنونه - فلما ولي عمر بن عبد العزيز أمسك عن ذلك. فقال كثير:

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف ... بريئا ولم تتبع مقالة مجرم

تكلمت بالحق المبين وإنما ... تبين آيات الهدى بالتكلم

فصدقت معروف الذي قلت بالذي ... فعلت فأضحى راضيا كل مسلم

ألا إنما يكفي القنا بعد زيغه ... من الأود البادي ثقاف المقوم

فقال عمر حين أنشده هذا الشعر: أفلحنا إذا.

المدائني عن أبي هلال الراسبي عن قتادة قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي: أما بعد فإذا أبردت إلي بريدا فأبرده حسن الاسم حسن المنطق، خفيف اللحية يفهم عني ويفهمني مثل عذام الضبي.

حدثنا عمر بن شبه، ثنا أبو عاصم النبيل عن سفيان عن جعفر بن برقان قال: كتب عمر إلى عدي: أنظر كل قرية ليسوا بأهل عمود، فمرهم أن يجمعوا.

حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن خليد بن دعلج قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله أن اجعلوا أثمان كبول من تسجنونه من بيت المال، وإياكم أن تغرموهم أثمانها.

المدائني عن أبي هلال قال: كتب عمر إلى عدي: إذا **أشكل عليك** أمر فسل عنه الحسن بن أبي الحسن.

المدائني قال: كتب عمر إلى عماله: إن الله يقول: " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " أي لا تقاتل من لا يقاتلك من النساء والصبيان والرهبان.

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا أبان بن جمعة، ثنا بكر بن عبد الله قال: كتب

عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن أم الولد إذا زنت وقد ولدت من سيدها، هل تباع؟ قال: لا تباع وإن بغت.

حدثنا شيبان بن فروخ، ثنا حماد بن سلمة، ثنا قتادة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطاة: إن امرأة المفقود تعتد أربع سنين.

حدثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، أنبانا حميد أن رجلا كاتب عبده واشترط عليه أن له سهما في ميراثه. فسأل عدي إلى عمر بن عبد العزيز بذلك، فكتب إليه: إن قضاء الله قبل شرطه، ليس له شيء.

حدثنا عمر بن شبه عن عفان عن حماد بن سلمة عن حميد أن رجلا أسلم على يد عبيدة بن أبي عاصم السلمي وترك عشرين ألفا فكتب عدي إلى عمر في ذلك، فكتب: إن عبيدة أحق بميراثه.." (١)

"أما ما كان منه بلا مادة فإنما نبذل سوء المزاج فقط وإن كان مع مادة فإنا نستفرغها وربما كفانا الاستفراغ وحده إن لم يتخلف عنه سوء المزاج لتمكنه السالف وربما لم يكفنا ذلك إن ونقول : إن معالجة سوء المزاج أصناف ثلاثة لأن سوء المزاج إما أن يكون مستحكما فيكونا علاجه بالضد على الإطلاق وهذا هو المداواة المطلقة فإما أن يكون في حد الكون وإصلاحه مداواة مع التقدم بالحفظ بمنع السبب ومنه ما يريد أن يكون ويحتاج فيه إلى منع السبب فقط ويسمى التقدم بالحفظ .

مثال المداواة معالجة عفونة حمى الربع بالترياق وسقي الماء البارد في الغب ليطفي .

ومثال المداواة والتقدم بالحفظ الاستفراغ في الربع بالخربق وفي الغب بالسقمونيا إذا أردنا بذلك أن نمنع ابتداء نوبة تقع .

ومقال التقدم بالحفظ مفردا استفراغ المستعد لحمى الربع لغلبة السوداء بالخربق ولحمى الغب لغلبة الصفراء بالسقمونيا .

وإذا **أشكل عليك** شيء من الأمراض سببه حر أو برد وأردت أن تجرب فلا تجربن بمفرط وانظر كي لا يغرك التأثير الذي بالعرض .

واعلم أن التبريد والتسخين مدتهما سواء لكن الخطر في التبريد أكثر لأن الحرارة صديقة الطبيعة وأن الخطر في الترطيب والتيبيس سواء لكن مدة الترطيب أطول والرطوبة واليبوسة كل واحدة منهما يحفظ بتقوية أسبابها وتبذل بتقوية أسباب ضدها .

والحرارة تقوى بالأسباب التي فرغنا من ذكرها ثم بالمنعشات وهي نفض الثفل والامتلاء وتفتيح السدد ثم

---

(١) أنساب الأشراف، المؤلف غير معروف ٦٩/٣

بما يحفظها وهو الرطوبة المعتدلة .

والبرودة تقوى بتقوية أسبابها أوتخنق الحرارة وبما يفرط تحليلها وهو اليبوسة بالذات والحرارة بالعرض .

". (١)

"واعلم أنه لولا تقاضي القوة لكان الأوجب أن يلطف الغذاء أبلغ تلطيف لكن القوة لا تحتمل ذلك وتخور وإذا خارت لم ينفع علاج فإن المعالج كما علمت هو القوة لا الطبيب أما الطبيب فخادم يوصل الآلات إلى القوة وإذا تصورت هذا فيجب أن ينظر فإن كانت العلة حادة جدا وذلك أن يكون منتهاها قريبا وحدست أن القوة لا تخور في مثل مدة ما بين ابتدائها إلى منتهاها خففت الشغل على القوة وسلطتها على المادة ولم تشغلها بالغذاء الكثيف بل لطفت التدبير ولو بترك الطعام أصلا وخصوصا في يوم البحران .

وإن رأيت المرض حادا ليس جدا بل حادا مطلقا فيجب أن يلطف لا في الغاية إلا عند المنتهى وفي يوم البحران خاصة إلا بسبب عظيم وإن رأيت المرض مزمنا أو قريبا من المزمن لم تلطف التدبير فإن القوة لا تسلم إلى المنتهى مع تلطيف التدبير لكنه يلزمك مع ذلك في جميع الأصناف أن يكون أول تدبيرك أغلظ وآخر تدبيرك الموافي للمنتهى ألطف وتتدرج فيما بين ذلك حتى تكون القوة محفوظة إلى قرب المنتهى فهناك ترسل على المادة ولا تشغل بغيرها .

وإذا علمت أن القوة قوية في بما أوجب الحال أن يقتصر على الجلاب ونحوه ولو أسبوعا وخصوصا في حميات الأورام فإن خفت ضعفا اقتصرت على ماء الشعير وإذا **أشكل عليك** الحال في المرض فلم تعرفه فلأن تميل إلى التلطيف أولى من أن تميل إلى الزيادة مع مراعاتك للقوة والاحتمال .

". (٢)

"٣٣٨

لجميع الناس برد الأمانات إلى أهلها ويقال نزلت في شأن اليهود حيث كتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وكانت أمانة عندهم فمنعوها ويقال هذا أمر لجميع المسلمين بأداء الفرائض وجميع الطاعات لأنها أمانة عندهم كقوله تعالى " إنا عرضنا الأمانة على السموات " إلى قوله " وحملها الإنسان "

---

(١) القانون فى الطب . لابن سينا، المؤلف غير معروف ٣٥٢/١

(٢) القانون فى الطب . لابن سينا، المؤلف غير معروف ٤/٥

ثم قال تعالى " وإذا حكمتم بين الناس " يعني بين القوم " أن تحكموا بالعدل " يقول بالحق وقال الضحاك " بين الناس " يعني بين الخصوم " أن تحكموا بالعدل " يعني على بالبينة على المدعي واليمين على المدعى عليه " إن الله نعما يعظكم به " يعني يأمركم بالعدل والنصيحة والاستقامة وأداء الأمانة " إن الله كان سميعا " بمقالة العباس " بصيرا " برد المفتاح إلى أهله قرأ ابن عامر والكسائي وحمزة " نعما " بنصب النون وكسر العين والاختلاف فيه كالاختلاف الذي في سورة البقرة وذلك قوله " إن تبدوا الصدقات فنعما هي "

سورة النساء ٥٩

وقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله " يعني في الفرائض " وأطيعوا الرسول " يعني في السنن ويقال " وأطيعوا الله " فيما فرض " وأطيعوا الرسول " فيما بين ويقال " أطيعوا الله " بقول لا إله إلا الله " وأطيعوا الرسول " بقول محمد رسول الله " وأولي الأمر منكم " قال الكلبي ومقاتل يعني أمراء السرايا وقال الضحاك يعني الفقهاء والعلماء في الدين ويقال الخلفاء والأمراء يجب طاعتهم ما لم يأمروا بالمعصية

ثم قال " فإن تنازعتم في شيء " من الحلال والحرام والشرائع " فردوه إلى الله والرسول " يعني إلى أمر الله فيما يأمر بالوحي وإلى أمر الرسول فيما يخبر عن الوحي ثم بعد النبي صلى الله عليه وسلم لما انقطع الوحي يرد إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويقال معناه إذا **أشكل عليكم** شيء فقول الله ورسوله أعلم وهذا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل وقال الخليل بن أحمد البصري الناس أربعة رجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فهذا أحمق فاجتنبوه ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فهذا جاهل فعلموه ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فهذا نائم فأيقظوه ورجل يدري ويدري أنه يدري فهذا عالم فاتبعوه

ثم قال تعالى " إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر " يعني إن كنتم تصدقون بالله وبالبعث بعد الموت " ذلك خير " يعني الرد إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم خير من الاختلاف " وأحسن تأويلا " يعني وأحسن عاقبه وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال حق على الإمام أن يحكم بالعدل ويؤدي الأمانة فإذا فعل ذلك وجب على." (١)

" صفحة رقم ٢٧

وأثنائها أن للناس يوما يدانون فيه وصلوا بقولهم السابق قوله : (ربنا إنك جامع (قال الحرالي : من الجمع ، وهو ضك ما شأنه الافتراق والتنافر لطفاأو قهرا انتهى .

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣٣٨/١

) الناس) أي كلهم) ليوم) أي يدانون فيه) لا ريب فيه (ثم عللوا نفي الريب بقولهم عادلين عن الخطاب آتين بالاسم الأعظم لأن المقام للجلال : (إن الله) أي المحيط بصفات الكمال) لا يخلف (ولما كان نفي الخلف في زمن الوعد ومكانه أبلغ من نفي خلافه نفسه عبر بالمفعال فقال : (الميعاد (وقال الحرالي : هو مفعال من الوعد ، وصيغ لمعنى تكرره ودوامه ، والوعد العهد في الخير أ انتهى .

وكل ذلك تنبيها على أنه يجب التثبت في فهم الكتاب والإحجام عن مشكله خوفا من الفضيحة يوم الجمع يوم يساقون إليه ويقفون بين يديه ، فكأنه تعالى يقول للنصارى : هب أنه **أشكل عليكم** بعض أفعالي وأقوالي في الإنجيل فهلا فعلتم فعل الراسخين فنزهتموني عما لا يليق بجلالي من التناقض وغيره ، ووكلتم أمر ذلك إلي ، وعولتم في فتح مغلقه علي خوفا من يوم الدين ؟ قال ابن الزبير : ثم لما بلغ الكلام إلى هنا أي إلى آيه التصوير كان كأنه قد قيل : فكيف طرأ عليهم ما طرأ مع وجود الكتب ؟ أخبر تعالى بشأن الكتاب وأنه محكم ومتشابه ، وكذا عيره من الكتب والله سبحانه وتعالى أعلم ، فحال أهل التوفيق تحكيم المحكم ، وحال أهل الزيغ اتباع المتشابه والتعلق به ، وهذا بيان لقوله :

٧٧ ( ) يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ( ) ٧

[البقرة : ٢٦] وكل هذا بيان لكون الكتاب العزيز أعظم فرقان وأوضح بيان إذ قد أوضح أحوال المختلفين ومن أين أتى عليهم مع وجود الكتب ، وفي أثناء ذلك تنبيه العباد على عجزهم وعدم استبدادهم لئلا يغتر الغافل فيقول مع هذا البيان ووضوح الأمر : لا طريق إلى تنكب الصراط ، فنبهوا حين علموا الدعاء من قوله :

٧٧ ( ) وإياك نستعين ( ) ٧

[الفاتحة : ٤] ثم كرر تنبيههم لشدة الحاجة ليذكر هذا أبدا ، ففيه معظم البيلن ، ومن اعتقادا الاستبداد ينشأ الشرك الأكبر إذ اعتقاد الاستبداد بالأفعال إخراج لنصف الموجودات عن يد بارئها

٧٧ ( ) والله خلقكم وما تعلمون ( ) ٧

[الصافات : ٩٦] فمن التنبيه

٧٧ ( ) إن الذين كفروا ( ) ٧

[البقرة : ٦] ومنه :

٧٧ ( ) يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ( ) ٧

[البقرة : ٢٦] ومنه

٧٧ ( ) آمن الرسول ( ) ٧

[البقرة : ٢٨٥] إلى خاتمتها ، هذا من جلي التنبيه ومحكمه ، ومما يرجع إليه ويجوز معناه بعد اعتباره :

٧٧ ( ) وإلهكم إله واحد ( ) ٧

[البقرة : ١٦٣] وقوله :

٧٧ ( ) الله لا إله إلا هوالحي القيوم ( ) ٧

[البقرة : ٢٥٥] ، فمن رأى الفعل أو بعضه لغيره تعالى حقيقة فقد قال بإلهية غيره ، ثم حذروا أشد التحذير لما بين لهم فقال تعالى :

٧٧ ( ) إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد ( ) ٧

[آل عمران : ٤] ثم ارتبطت الآيات إلى آخرها – انتهى." (١)

"وفي التحرير والتحبير قال ابن عباس : ﴿إن علينا جمعه﴾ : أي حفظه في حياتك ، وقراءته : تأليفه على لسانك. وقال الضحاك : نثبته في قلبك بعد جمعه لك. وقيل : جمعه بإعادة جبريل عليك مرة أخرى إلى أن يثبت في صدرك. ﴿فإذا قرأناه﴾ ، قال ابن عباس : أنزلناه إليك ، فاستمع قراءته ، وعنه أيضا : فإذا يتلى عليكك فاتبع ما فيه. وقال قتادة : فاتبع حلاله واجتنب حرامه. وقد نمق الزمخشري بحسن إيراده تفسير هذه الآية فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي ، نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه ، فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضي إليه وحيه ، ثم يعقبه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه. والمعنى : لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل يقرأ. ﴿لتعجل به﴾ : لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ، ثم علل النهي عن العجلة بقوله : ﴿إن علينا جمعه﴾ في صدرك وإثبات قراءته في لسانك. ﴿فإذا قرأناه﴾ : جعل قراءة جبريل قراءته ، والقرآن القراءة ، فاتبع قراءته : فكن مقفيا له فيه ولا تراسله ، وطامن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ ، فنحن في ضمان تحفيظه. ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ : إذا **أشكل عليك** شيء من معانيه ، كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا ، كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ، ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه. انتهى.

وذكر أبو عبد الله الرازي في تفسيره : أن جماعة من قدماء الروافض زعموا أن القرآن قد غير وبدل وزيد فيه

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٢/٢٧

ونقص منه ، وأنهم احتجوا بأنه لا مناسبة بين هذه الآية وما قبلها ، ولو كان التركيب من الله تعالى ما كان الأمر كذلك. ثم ذكر الرازي مناسبات على زعمه يوقف عليها في كتابه ، ويظهر أن المناسبة بين هذه الآية وما قبلها أنه تعالى لما ذكر منكر القيامة والبعث معرضا عن آيات الله تعالى ومعجزاته وأنه قاصر شهواته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه ، ذكر حال من يثابر على تعلم آيات الله وحفظها وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله إياها ، فظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات الله ومن يرغب عنها.

وبضدها تتميز الأشياء

ولما كان عليه الصلاة والسلام ، لمثابرته على ذلك ، كان يبادر للتحفظ بتحريك لسانه أخبره تعالى أنه يجمعه له ويوضحه. كلا بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة. لما فرغ من خطابه عليه الصلاة والسلام ، رجع إلى حال الإنسان السابق ذكره المنكر البعث ، وأن همه إنما هو في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل ثواب الآخرة ، إذ هو منكر لذلك. وقرأ الجمهور : ﴿بل تحبون العاجلة * وتذرون﴾ بتاء الخطاب ، لكفار قريش المنكرين البعث ، و﴿كلا﴾ : رد عليهم وعلى أقوالهم ، أي ليس كما زعمتم ، وإنما أنتم قوم غلبت عليكم محبة شهوات الدنيا حتى تتركون معه الآخرة والنظر في أمرها. وقال الزمخشري : ﴿كلا﴾ ردع ، وذكر في كتابه ما يوقف عليه فيه. وقرأ مجاهد والحسن وقتادة والجحدري وابن كثير وأبو عمرو : بياء الغيبة فيهما.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٨١

ولما وبخهم بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة ، تخلص إلى شيء من أحوال الآخرة فقال : ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ ، وعبر بالوجه عن الجملة. وقرأ الجمهور : ﴿ناضرة﴾ بألف ، وزيد بن علي : نضرة بغير ألف. وقرأ ابن عطية : ﴿وجوه﴾ رفع بالابتداء ، وابتدأ بالنكرة لأنها تخصصت بقوله : ﴿يوماذ﴾ و﴿ناضرة﴾ خبر ﴿وجوه﴾ . وقوله : ﴿إلى ربها ناظرة﴾ جملة هي في موضع خبر بعد

٣٨٨

خبر. انتهى. وليس ﴿يوماذ﴾ تخصيصا للنكرة ، فيسوغ الابتداء بها ، لأن ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ، إنما يكون ﴿يوماذ﴾ معمول لناضرة. وسوغ جواز الابتداء بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل ، و﴿ناضرة﴾ الخبر ، و﴿ناضرة﴾ صفة. وقيل : ﴿ناضرة﴾ نعت لوجوه ، و﴿إلى ربها ناظرة﴾ الخبر ، وهو قول سائغ. ومسألة النظر ورؤية الله تعالى مذكورة في أصول الدين ودلائل الفريقين ، أهل السنة وأهل

الاعتزال ، فلا نطيل بذكر ذلك هنا. ولما كان الزمخشري من المعتزلة ، ومذهبه أن تقديم المفعول يدل على الاختصاص ، قال هنا : ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر في محشر يجمع الله فيه الخلائق ، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال ، فوجب حمله على معنى لا يصح معه الاختصاص ، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس : أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي ، يريد معنى التوقع والرجاء ، ومنه قول القائل :

وإذا نظرت إليك من ملكوالبحر دونك زدتني نعماء

". (١)

"" صفحة رقم ٥٦٠ "

الأمر إليه ؛ لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته : لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل .

) واللائى يئسن من المحيض من نسآئكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن وأولات الا حمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا (

الطلاق : (٤) واللائي يئسن من . . . . .

روي أن ناسا قالوا : قد عرفنا عدة ذوات الأقراء ، فما عدة اللائي لا يحضن ؛ فنزلت : فمعنى) إن ارتبتم (: إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن ، وقيل : إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين ، أهو دم حيض أو استحاضة ؟) فعدتهن ثلاثة أشهر (وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها ، فغير المرتاب بها أولى بذلك) واللائى لم يحضن (هن الصغائر . وارمعنى : فعدتهن ثلاثة أشهر ، فحذف لدلالة المذكور عليه . اللفظ مطلق في أولات الأحمال ، فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن . وكان ابن مسعود وأبي وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون . وعن علي وابن عباس : عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الأجلين . وعن عبد الله : من شاء لاعنته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة ، يعني : أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل . وروت أم سلمة :." (٢)

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ٢٩٢/٨

(٢) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥٦٠/٤

ترجع أمور العباد ، لا يحكم فيها غيره ، كقوله :) لمن الملك اليوم ((غافر : ١٦) ، أو إلى ربك مستقرهم ، أي : موضع قرارهم من جنة أو نار ، أي : مفوض ذلك إلى مشيئته ، من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار) بما قدم (من عمل عمله) و (بما) إلاها ءاخر (منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به ، أو بما أخره فخلفه . وبما قدم من عمل الخير والشر ، وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده . وعن مجاهد : بأول عمله وآخره . ونحوه : فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه) بصيرة (حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز ، كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله :) فلما جاءتهم ءاياتنا مبصرة ((النمل : ١٣) أو عين بصيرة . والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ ، ففيه ما يجزيء عن الإنباء ؛ لأنه شاهد عليها بما عملت ؛ لأن جوارحه تنطق بذلك) يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ((النور : ٢٤) ،) ولو ألقى معاذيره (ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها . وعن الضحاك : ولو أرخى ستوره ، وقال : المعاذير الستور ، واحدها معذار ، فإن صح فلأنه يمنع رؤية المحتجب ، كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب . فإن قلت : أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير ؟ قلت : المعاذير ليس بجمع معذرة ، إنما هو اسم جمع لها ، ونحوه : المناكير في المنكر .

) لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرءانه فإذا قرأناه فاتبع قرءانه ثم إن علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الا خرة وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة (القيامة : (١٦) لا تحرك به . . . . .

الضمير في) به (للقرآن . وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ، ولم يصبر إلى أن يتمها ، مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه ، فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه ، حتى يقضى إليه وحيه ، ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه . والمعنى : لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ) لتعجل به (لتأخذه على عجلة ، ولئلا يتفلت منك . ثم علل النهي عن العجلة بقوله) إن علينا جمعه (في صدرك وإثبات قراءته في لسانك) فإذا قرأناه (جعل قراءة جبريل قراءته : والقرآن القراءة) فاتبع قرءانه (فكن مقفيا له فيه ولا تراسله ، وطأمن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ ، فنحن في ضمان تحفيظه) ثم إن علينا بيانه (إذا **أشكل عليك** شيء من معانيه ، كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا ، كما ترى بعض الحراص على العلم ؛ ونحوه) ولا تعجل

بالقرءان من قبل إن يقضى إليك وحيه ((طه : ١١٤) ،) كلا (ردع لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن عادة العجلة وإنكار لها عليه ، وحث على الأناة." [١]

" نبشه فإنه قد أمرنا أن ننبشه فقال عمارة لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا والله لا تنبشونه أبدا قال وقد كان خالد أخبرهم أن في عكم امرأته لو حين فإذا **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تسألون عنه قال ولا تمسهما حائض فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم قال أبو يونس فقال سماك بن حرب سئل عنه رسول الله & فقال نبي أضاعه قومه قال وقال سماك بن حرب إن ابن خالد بن سنان أو بنت خالد أتى أو أتت النبي & فقال مرحبا بابن أخي أو ابنة أخي

٧٨٨ – حدثنا على بن الصباح قال هشام بن محمد عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدمت المحياة بنت خالد بن سنان على النبي & فقال مرحبا بابنة أخي نبي ضيعة قومه

٧٨٩ – حدثنا الحكم بن موسى قال حدثنا ابن أبي الرجال عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه يقول نبي فرط فيه قومه سالت عليهم نار من حرة النار في ناحية خيبر والناس في وسطها وهي تأتي من ناحيتين جميعا فخافها الناس خوفا شديدا فقال لهم العبسي ابعثوا معي إنسانا حتى أطفئها من أصلها قال فخرج معه راعي غنم هو ابن راعية حتى جاء غارا تخرج منه النار ثم قال العبسي للراعي أمسك ثوبي ثم دخل في الغار فقال هديا هديا كل يهن مؤدى زعم ابن راعية الغنم أني سأخرج وثيابي لا تندى

". [٢]

"وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد النخع، وهم آخر الوفود قدوما عليه، في نصف المحرم سنة إحدى عشرة في مائتي رجل، فنزلوا دار الأضياف، ثم جاؤوا رسول الله مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث معاذا إلى اليمن قبل ذلك هو وأبا موسى الأشعري كل واحد منهما على مخلاف، قالوا: واليمن مخلافان ثم قال: "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تخالفا". وقال لمعاذ: " إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن ألو ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فإن هم أطاعوك بذلك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٦٦٢/٤

(٢) أخبار المدينة، المؤلف غير معروف ٢٣٧/١

صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم. فإن هم أطاعوك بذلك فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن عباس والمخلاف بكسر الميم وسكون المعجمة وآخره فاء بلغة أهلي اليمن الكورة والإقليم.

وروي أنه قال له: "يا معاذ إنك تقدم على قوم أهل كتاب، وإنهم سائلوك عن مفاتيح الجنة، فأخبرهم أن مفاتيح الجنة لا إله إلا الله وأنها تخرق كل شيء حتى تنتهي إلى الله ولا تحجب دونه، من جاء به يوم القيامة مخلصا رجحت بكل ذنب ". فقال معاذ: أرأيت ما سئلت عنه واختصم إلي فيه مما ليس في كتاب الله ولم أسمع منك سنة الله؟ فقال: "تواضع يرفعك الله، ولا تقضين إلا بعلم، فإن **أشكل عليك** أمر فسل ولا تستحي، واستشر ثم اجتهد، فإن الله إن علم من قلبك الصدق يوفقك. فإن التبس عليك فقف حتى تتنبه أو تكتب إلي فيه. واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار. وعليك بالرفق"

وفي رواية أنه قال له لما بعثه إلى اليمن "كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟" قال: أقضي بكتاب الله. قال: "فإن لم تجد في كتاب الله؟" قال: فبسنة رسول الله. قال: "فإن لم تجد في سنة رسول الله؟" قال: اجتهد رأيي ولا آلو. قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال: "الحمد لله الذي سدد رسول رسول الله لما يرضي رسول الله " رواه الترمذي وأبو داود والدارمي.." [١]

"تفسير قوله تعالى: (هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا)

قال تعالى: ﴿هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب﴾ [غافر:١٣].

قوله: (هو الذي يريكم آياته) أي: هو الله سبحانه الذي يريكم أدلة توحيده، وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد سبحانه، فقد أراكم الآيات، وأنزل عليكم الكتب، وأرسل لكم الرسل، وأوضح لكم ما **أشكل عليكم**، فأصررتم على ما أنتم فيه من الكفر والإعراض.

﴿هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا﴾ [غافر:١٣]، ((وينزل)) قراءة الجمهور بالتثقيل، وقراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب بالتخفيف: (وينزل).

فقوله: ﴿وينزل لكم من السماء رزقا﴾ [غافر:١٣] يمن الله عز وجل على عباده بأن رزقكم جاءكم من السماء وأنتم تشاهدون ذلك، وإذا منع عنكم الغيث عطشتم ومتم عطشا، وإذا منع عنكم المطر لم يخرج النبات من الأرض، فرزقكم جاء من السماء.

قوله: ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ [غافر:١٣] أي: وما يتعظ فينتفع بهذه الموعظة إلا الذي ينيب، أي:

---

(١) مختصر سيرة الرسول: عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المؤلف غير معروف ص/٤٩٣

يرجع، فيعمل عقله ويقول: الله الذي رزقني، والله الذي خلقني، والله الذي أعطاني، فهو وحده الذي يستحق أن يعبد سبحانه، فالذي يتذكر هو الذي ينيب ويرجع إلى توحيد وعبادة الله وحده لا شريك له.." (١)

"من صور لطف الله عز وجل بعباده

قال تعالى: ((الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز)) لطف الله عز وجل ذكرنا أنه بمعنى البر، وبمعنى الرفق، وبمعنى الاحتفاء والإكرام لأوليائه سبحانه وتعالى، وكذلك من لطفه سبحانه: العلم بغوامض الأشياء، فالأشياء الغامضة التي يشكل عليك أمرها الله يعلمها تبارك وتعالى، ويفرج عنك ما **أشكل عليك** من ذلك.

كذلك من لطف الله سبحانه: أن ينشر مناقب العباد، وأن يستر مثالبهم، فالله لطيف بعباده، تجد الشيء الخير الذي تفعله الله عز وجل ينشره، وتجد من يقول لك: جزاك الله خيرا على ما فعلت، وقد تستر هذا الشيء، ويشاء الله عز وجل أن يعرف؛ ليشكرك الناس، وأنت لم تطلب ذلك.

والذنوب التي أفعلها بيني وبين ربي من لطفه أنه يسترها سبحانه وتعالى، فالله لطيف بعباده، يستر عليك ذنوبك، فلا أحد يطلع على شيء قد ستره الله سبحانه وتعالى، ولم يؤاخذك بها في الدنيا، ولم يفضحك بها في الدنيا، فلطف بك، ونشر ما تمدح به، وستر ما تذم به من لطفه وكرمه سبحانه وتعالى.

ومن لطفه أن كلف العباد عبادته، وكلفهم بما هو دون طاقتهم، ولم يكلفهم ما هو فوق الطاقة، والله عز وجل كلف عباده بأن يعبدوه بأشياء معينة، وبطرق معينة، قال سبحانه: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ [البقرة:٢٨٦].

ولكن هل كلفنا الله طاقتنا جميعها؟ أبدا والله! بل الله سبحانه رحيم لطيف بعباده، كلفنا أقل من ذلك، كلفنا أن نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة، وموسى عليه الصلاة والسلام استثقلها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقال: إن أمتك لا يطيقون ذلك.

وها نحن نصلي الخمس الصلوات، ونصلي التراويح، ونصلي النوافل، ونقدر عليها، ونقدر على أكثر منها، ولم يكلفنا الله سبحانه إلا ما هو أقل، وكلفنا أن نصوم شهر رمضان، فنحن نصوم رمضان، ونصوم ستا من شوال، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، وقد يصوم البعض ال إثنين والخميس، وغير ذلك.

فعلم الله أنكم تقدرون، ولكنه بفضله كلفكم الشيء الأقل؛ وحتى لا تتعبوا، وحتى لا يشق عليكم، وحتى

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٥/٣٦٩

لا تتركوا العبادة فكلفكم بما تطيقون، وبأقل مما تطيقون أيضا، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فإنه سبحانه لما أمرك أن تنفق قال: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾ [الطلاق:٧] ولم يكلفك الشيء الذي لم يؤتك إياه، وقال: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾ [الطلاق:٧] فكلفك الله بالإنفاق الواجب على زوجتك، وعلى عيالك، وعلى أمك، وعلى أبيك بما أتاك الله، فإذا كنت قليل المال فمن هذا المال القليل، وإذا كنت كثير المال فمن سعتك ومن طاقتك، ومع ذلك يعطيك أكثر مما تنفق، ووعد سبحانه أنه لا ينقص المال من النفقة ومن الصدقة، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ولا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها، هذا رزق الله، وهذا كرم الله سبحانه، فالله لطيف بعباده.

وحين تنزل المصيبة في مكان ويتأمل الإنسان ويقول: يا ترى ماذا سيفعل أهل هذا المكان؟ فمن لطف الله عز وجل أنه يرفع هذه المصيبة، ويرفع هذا البلاء، ويرزق أهله الصبر عليه.

فالإنسان يتوقع لو حصل في شيء فلن أستطيع أن أصبر على هذا الشيء، فيقع عليك وتصبر عليه؛ لأن الذي لطف بك هو الله سبحانه وتعالى، والذي صبرك وقدرك وأعانك على هذا البلاء هو رب العالمين تبارك وتعالى.

فانظر إلى السيدة أم سلمة رضي الله عنها حين توفي زوجها أبو سلمة رضي الله عنه، وكان أبو سلمة خير الناس لها، وهي لا تظن أن أحدا من الناس خير من أبي سلمة رضي الله عنه، فلما مات حزنت عليه حزنا شديدا، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يعلمها أن تدعو وتقول: (اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرا منها)، وأن تقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

فالإنسان قد تنزل به المصيبة، والذي أنزلها هو الله، والذي يكشفها هو الله، والذي يعين عليها ويصبر عليها هو الله، فالله لطيف بعباده سبحانه، فعلمها فقالت ذلك الدعاء، قالت: ولكن كنت أقول: أبو سلمة مات وأقول: اخلف لي خيرا منه، من خير من أبي سلمة؟ وكونها تقول: اخلف لي خيرا منه، قد يخلف لها في الدنيا فيعطيها زوجا آخر، وقد يعطيها صبرا ورزقا ويعطيها ما يشاء تبارك وتعالى، ولا يشترط أن يكون الخير أن يرزقها زوجا، فهي ظنت أنه لا أحد خير من أبي سلمة.

وتمر الأيام والليالي، وتمر عدتها، وإذا بالذي يخطبها هو النبي صلوات الله وسلامه عليه، وهذا شيء ما كان على بالها أبدا، فلم يكن في بالها أن النبي صلى الله عليه وسلم سوف يخطبها، ولذلك قالت: من خير من أبي سلمة؟ فهي تظن أنه لا أحد خير من أبي سلمة لا أبو بكر ولا عمر ولا غيرهما، وكل امرأة

عندها زوجها هو خير ما يكون، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يخطبها ويتزوجها، قالت: (فأبدلني الله خيرا منه)، أبدلها الله خيرا من أبي سلمة بسيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

فالله لطيف بعباده؛ يلطف بك من وجه أنت لا تستشعره، ولا تحسه؛ فإذا بلطف الله يأتي ويخفف عنك البلاء، يكشف البلاء، ويرفع عنك الحرج الذي أنت فيه والهم والغم والمصيبة.

والمسلمون الذين هاجروا إلى الحبشة مرة، وهاجروا مرة أخرى، وهاجروا إلى المدينة، هاجروا وهم لا يدرون إلا أن هناك الجنة، وهناك الأجر من الله سبحانه وتعالى، لكن كم مقدار هذا الأجر؟ هل كانوا يتوقعون أن يخلد الله ذكرهم بأن يذكرهم في القرآن ويصفهم المهاجرين السابقين الأولين لأنهم هاجروا إلى مكان الإيمان؟ وأهل المدينة هل كانوا يتوقعون أن يذكرهم الله سبحانه، ويخلد ذكرهم لأنهم تبوءوا الدار، وتبوءوا الإيمان، وكانوا هم الذين ينصرون الله ورسوله؟ فالمهاجرون الصالحون والأنصار المفلحون ما كانوا يتوقعون أن الله يمدحهم في الدنيا، ويذكر ذلك، فإذا بالله يمدح هؤلاء وهؤلاء بما يدوم إلى يوم القيامة من ذكرهم رضي الله تبارك وتعالى عن جميعهم.

فالإنسان المؤمن يفعل الخير وهو يحسن الظن في الله، وهو يؤمل فضل الله، فالله لطيف بعباده، ((الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز))..." (١)

"تفسير قوله تعالى: (لقد أنزلنا آيات مبينات)

قال تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [النور:٤٦].

قوله: (لقد أنزلنا آيات مبينات) هي آيات بينات، وهي مبينات، والآية البينة: هي الآية الواضحة، فأنزل كتابا واضحا، وجعل لنا في الكون آيات واضحة لكل ذي عينين وبصيرة، فيبصر ويعلم أن الله خلق هذا عبرة لخلقه ليتفكروا.

(مبينات) اسم فاعل، والمعنى: أنها مبينة للإنسان فيما يحتاج إليه، وهذه قراءة ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف، وباقي القراء يقرءونها: (لقد أنزلنا آيات مبينات) أي: قد وضحنا ما **أشكل عليكم** فيها، وهي في نفسها مبينة قد بينها الله سبحانه وتعالى، وبينها لنا النبي صلوات الله وسلامه عليه.

قوله: (والله يهدي من يشاء)، والآيات المبينة لا يفهمها كل إنسان، ولكن ذلك راجع لأمر قضاء الله وقدره سبحانه، وحكمته وعلمه، فهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وكم يمر الإنسان على آيات من آيات رب العالمين في الكون فينظر إلى الآية ولا يعتبر بها، ويقرؤها ولا ينتبه لها! حتى يقول له إنسان: انظر إلى

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٥/٤٢١

هذا الشيء فينتبه؛ لعظيم قدرة الله عز وجل على هذا الأمر، وكم من آيات نراها ولا نتعجب لها! فإذا تفكرنا فيها أو دلنا إنسان عليها كأننا لأول مرة نسمع هذه الآية ونرى مقتضاها في الكون الذي أمامنا، فالله عز وجل هو الذي يهدي سبحانه، فمهما استعان الإنسان بغيره فلا يقدر أن يعينه على الهدى إلا رب العالمين سبحانه، فهو الذي يهدي من يشاء إلى دينه القويم وإلى شريعته ومنهاجه.

وكلمة (يهدي من يشاء) فيها إثبات للقضاء والقدر، وأن الله عز وجل من شاء أن يهديه هداه، ومن شاء أن يضله أضله، فإنه سبحانه يهدي من يشاء ويعافي ويعصم فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً، فالإنسان الذي يضله الله هذا عدل من الله؛ لأنه يستحق غير ذلك، والإنسان الذي يهديه الله فهذا فضل من الله سبحانه وتعالى يتفضل به على من يشاء.

قوله: (إلى صراط مستقيم) الصراط: هو الطريق، أي: إلى طريق مستقيم، وهو طريق شريعة رب العالمين سبحانه.

وكلمة صراط هنا فيها ثلاث قراءات: فتقرأ بالصاد، وتقرأ بالسين، وتقرأ بالزاي المشمة.

فيقرؤها قنبل عن ابن كثير، ورويس: (إلى سراط مستقيم) بالسين.

ويقرؤها خلف عن حمزة بالزاي: (إلى زراط مستقيم).

ويقرؤها باقي القراء: (إلى صراط مستقيم) بالصاد المكسورة.

نسأل الله عز وجل أن يهدينا، ونعوذ به أن يضلنا، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم)

قال الله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير * وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير﴾ [الحج:٧١ - ٧٢].

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما جهلوا وكفروا وعبدوا من دون الله ما لم ينزل به سلطانا، يعني: حجة وبرهانا، كقوله: ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾ [المؤمنون:١١٧]، ولهذا قال هاهنا: ﴿ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم﴾ [الحج:٧١]، أي: ولا علم لهم فيما اختلقوه وائتفكوه، وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٥/٩٧

بلا دليل ولا حجة، وأصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم، ولهذا توعدهم تعالى بقوله: ﴿وما للظالمين من نصير﴾ [الحج:٧١]، أي: من ناصر ينصرهم من الله فيما يحل بهم من العذاب والنكال].

فالواجب على المسلم أن يتبع الحق، ولا يقلد الآباء والأجداد والقبيلة في الباطل، وقد أنكر الله تعالى على المشركين اتباعهم آباءهم وأجدادهم بالباطل، فقال سبحانه: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ [لقمان:٢١]، وفي الآية الأخرى: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ [البقرة:١٧٠]، فاتباع الآباء والأجداد في الباطل طريقة أهل الجاهلية، ولهذا أخبر الله عن كفار قريش أنهم قالوا: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾ [ص:٧].

وهي حجة فرعون عندما قال لموسى: ﴿فما بال القرون الأولى﴾ [طه:٥١]، فاتباع السابقين في الباطل ليس بحجة، وإنما الواجب على الإنسان أن يتبع الدليل والحجة، أما أن يتبع غيره في الباطل فهذا لا يجوز، ولو كان أباه أو جده أو سلفه، ولكن إن كان الأسلاف على الحق فإنه يتبع الحق، ويقتدي بهم في أعمالهم الطيبة، وإن كانوا على الباطل ترك ما هم عليه، ولو كانوا آباء وأجدادا.

فالواجب على المسلم أن يعمل بالحق، ويعمل بالدليل، ولهذا أنكر الله على هؤلاء المشركين بقوله: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا﴾ [الحج:٧١]، يعني: ما ليس لهم به حجة ولا دليل، وتوعدهم بقوله: ﴿وما للظالمين من نصير﴾ [الحج:٧١].

فلا عمل بالنسبة للعبادات إلا بدليل من الكتاب أو من السنة، وقد يكون الدليل قياسا؛ لأن القياس يرجع إلى أصل مأخوذ من دليل من الكتاب أو السنة، وكذلك الإجماع هو مستند إلى نص من الكتاب أو السنة، والقياس الصحيح يرجع إلى النصوص؛ لأنه مبني على النصوص.

أما المعاملات في البيوع والمأكولات فالأصل فيها الإباحة والحل، كما قال تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ [البقرة:٢٩]، فهذا دليل على أن الأصل في الأشياء الحل، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [البقرة:١٧٢]، وهذا دليل على أن الأصل في المآكل والمشارب والملابس والبيوع الحل، أما الذبائح فالأصل فيها التحريم، فإذا **أشكل عليك** شيء في ذبيحة فإنك تتوقف حتى يأتيك الدليل، وكذلك الأبضاع أي: الفروج فالأصل فيها التحريم حتى يأتي الدليل.." (١)

---

(١) شرح تفسير ابن كثير – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١١/١١٥

"الموقف من الأقوال الكفرية المنشورة

Q ذكر بعض العلماء في كتبهم توبة أبي المعالي الجويني والشهرستاني والفخر الرازي وابن عربي، وأن بعضهم صرح بذلك قبل موته ولم يتمكن من الكتابة، وبعضهم تمكن من الكتابة، أي: الرجوع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، فما موقفنا من تلك الأقوال، أنصدقها أم نقول: إنها لم تثبت عنهم، علما أن بعض العلماء ترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة؟

A الأصل المقصود هو بقاؤهم، وهذه كتبهم موجودة، حتى يثبت بنقل صحيح خلافها، فإذا ثبت بنقل صحيح عن الثقات، ووجدنا سندا صحيحا أنه تاب أو كتب فهذا لا بأس به، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الرازي تاب في آخر حياته وترحم عليه، وقد نقض كتابه أساس التقديس في مجلدات عظيمة، وهو بيان تلبيس الجهمية الذي وزع على ثمان رسائل دكتوراة، وكنت مشرفا على الثمان كلها والحمد لله، وهو بيان تلبيس الجهمية في نقض التأسيس للرازي، وهو كتاب مخطوط من أعظم كتب شيخ الإسلام، رد فيه على الرازي، والرازي أشعري ولكنه جهمي ينفي النقيضين، ويقول: لا داخل العالم ولا خارجه، لكن شيخ الإسلام رحمه الله قال: إنه تاب في آخر حياته وترحم عليه، وشيخ الإسلام ثقة وإمام عظيم، فإذا أخبرنا فهو ثقة، وكذلك إذا وجدنا سندا يدل على أنه تاب فلا بأس، أو أعلن ذلك في كتبه، وبعض الناس يقول: ابن سينا تاب، وفلان تاب، وابن عربي تاب.

وعلى كل حال فإن من تاب تاب الله عليه، فإذا **أشكل عليك** الأمر فقل: إن لم يتب، لكن هذا لا يمنع من الرد على آرائه المنتشرة في الكتب وكفرياته وإلحاده وزندقته، فالإلحاد والزندقة والكفر منتشرة في الكتب والمؤلفات، فهل معنى ذلك أن نسكت لأن بعض الناس قالوا: إنه تاب؟ لا، بل يرد عليه، أما الشخص نفسه فقل: إن تاب غفر الله له، وإن لم يتب فعليه من الله ما يستحق.

والمقصود أنه إذا وجد سند صحيح ثابت متصل أنه تاب أو أعلن ذلك في كتبه، أو أخبر عن ذلك إمام وثقة -كشيخ الإسلام ابن تيمية حينما ترحم على الرازي وقال: إنه تاب في آخر حياته- فإنا نقبل ذلك.

وفق الله الجميع لطاعته، ورزق الله الجميع العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.." (١)

"ج: الحفظ والمراجعات والأوقات هذه لا تقلد فيها غيرك، ولا حتى في الكتب المذكورة بعد الفجر وقبله إلى آخره، هذه تختلف من شخص إلى شخص من الزمن إلى زمن، فأنت أعرف بنفسك، أعرف

---

(١) دروس في العقيدة - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٢٤/١٠

بنفسك، أوقات الحفظ كأنواع المأكولات، تشبيه [ها ها] كأنواع المأكولات، أنواع المأكولات هذه لا يقلد الناس بعضهم بعضا، هذا ينفرد عن ذا عن ذا .. إلى آخره، ومثلها المشروبات، فالوقت الذي تستأنس به أنت إذا التزمه، بعض الناس إذا استيقظ ما هو يكلم أحد، ولا يفتح كتاب ولا يقرأ ولا .. إلى آخره قد يجلس ساعة، ساعة ونصف على هذا الحال، إذا هذا لا نقول له بعد الاستيقاظ من النوم، هو ما يستطيع أن يفتح كتاب، وإذا نشط أو جلس أو أو ذهب إلى عمل وأتى ممكن يكون عنده نوع نشاط هذا يختلف، القراءات والحفظ ونحوها والمراجعات والمذاكرة مع الأشخاص كلها تختلف، ولا تلبس ثوب غيرك البتة.
أنا أقول المنهجية كلبس الثياب يعني: الآن أنتم تشتركون في قدر مشترك، فهو ثوب أبيض .. إلى آخره .. ثم قدر مشترك لكن الثوب عند التفصيل والتنزيل يختلف عن غيرك، إذا أردت أن تقلد غيرك في المنهجية كأنك تقول: أعطني ثوبك ألبسه، قد يكون قصيرا، قد يكون طويلا، قد يكون عريضا، المنهجية مثلها، ولذلك مثلا في الزاد، الزاد بعض الطلاب ما يستطيعه، فقد يعلم من نفسه أنه ما يستطيع حفظ الزاد، ثم يغالط نفسه إلا وأحفظ الزاد لأن صاحبي فلان وفلان وأثنى عليه الشيخ و .. إلى آخره فيحاول يحفظ ويرجع، يحفظ ويرجع، يحفظ ويسقط .. إلى آخره فيبقى عشرين سنة وما حفظ الزاد، لكن لو فتح الدليل وحفظه قد يكون أسهل عنده، لو فتح ((عمدة الفقه)) مثلا وحفظه يكون أسهل عنده، لو حفظ ((أخصر المختصرات)) المتون ليست توقيفية ليست بصلاة تكبر وترفع يديك واركع واسجد، لا، قد تختلف، إذا كان المشهور هو الزاد، ثم ثم كتب أخرى أثنى عليها أهل العلم هي موازية أو قريبة من الزاد والنتيجة واحدة، كل الطرق تؤدي إلى التفقه في الدين، حينئذ إذا حفظ الطالب ((أخصر المختصرات)) وما استطاع الزاد هو على خير عظيم، بل قد يستفيد وينفرد عن من ذاك الذي قد جاهد نفسه وحفظ الزاد وهو أكبر منه، فحينئذ نقول: هذه ليست توقيفية. ولا تقلد غيرك في المنهجية البتة، نعم قلده في كونه يحفظ، لكن يحفظ ماذا؟ لا بد من الرجوع إلى أهل العلم، وتصف نفسك أولا ثم أعطيك، ولذلك نقول لمن سأل المنهجية كيف أحفظ إلى آخره. قل لي من أنت؟ أنا أجيبك، لأن أفصل لك الثوب مثل الخياط، تذهب يقيس عليك ثم تأتي وتستلم، أما هكذا تفصل الثوب وتمشي تقول: أريد ثوب ثوبين ثلاثة دون أن تقيس، لا ما ينفع [ها ها].

س: كيف أضبط ثلاثة الأصول؟

ج: أنا الأسئلة الخارجة عن الدرس لا أجيبها، ثم ذكرنا فيما سبق.

س: هل الكتاب المطلوب في درس الخميس ((شرح الممتع)) لابن عثيمين أو ((حاشية ابن القاسم))؟

ج: لو أراد كده توسعتم، أنت تأخذ ((الروض)) نفسه لا المتن، وما **أشكل عليك** تزيده، وإذا استطعت أن تتابع الشرح الذي معي فهو أفيد لك، ولو أردنا أن ترجع للشرح الممتع، الشرح الممتع فقه مقارن نحن لا نذكر هذا، إنما نذكر ما خالف الصحيح في المذهب فقط، ما خالف الصحيح الراجح يعني.." (١)

"ج: هذا ذكرنا في الأسبوع الماضي في الزاد أنه يحفظ سواء من المتن هذا أو ذاك، ثم بعد ذلك إن استطاع أن يسمع الشريط فيفرغ ما يستطيع فهمه، وليس من شرط الطالب أن يحفظوها في هذا الدرس، أو في الأصول أو للزاد أو في غيره، عندي أو عند غيري ليس من شرط الطالب أن يفهم كل ما يقال، واضح؟ ليس من شرط الدرس ولا الانتفاع بالدرس أن تفهم كل ما يقال، بل قد يشكل عليك، وهذا أمر فطري طبيعي، لا يمكن تسمع ساعة، ساعة ونصف، أو تسمع كامل الدرس ثم لا بد أن أنك تفهمه كما هو، لا، هذا ما هو صحيح، وإنما تفهم أشياء في الجملة ثم إذا رجعت إلى بيتك أنت تجاهد نفسك مع العلم ومع السماع ومع الكتابة ومع البحث، قد تشكل عليك وهي مهمة ولا بد من معرفتها، حينئذ لا بد أن تبحث أنت، والأولى أن الطالب يعود نفسه البحث قبل السؤال، ليس كل ما أشبه عليك أمر مثلا هذا من الأولوية للطالب أن يجعله قبل منهجه في الطلب، ليس كل ما **أشكل عليك** لا بد أنك ترفع السماعة وتسأل لتأخذ الجواب جاهزا هكذا، هذا فاتك كثير من العلم، وإنما تجعل في كل درس في الأصول الثلاثة عندنا درس أسبوعي، لو **أشكل عليك** مسألة لا بد من فهمها، الفرق بين الرسول والنبي مثلا تريد أن تفهمها إلا أفهم هذه المسألة، ما في بأس تجعل لك بحث يعني نصف لو كل يوم تبحث في هذه المسألة وتكتب فيها بعض التلخيصات، ثم ما يفهم لا يشترط أن يفهم على الوجه الأتم، وإنما تفهم المسألة في الجملة فحسب، حينئذ لو طالب طبق هذا الكلام يعرف أنه لا يشترط أن يكون الدرس بالنسبة إليه واضحا من أوله لآخره، وإذا اشتكى بعض الطلاب من بعض المسائل التي لا تقلى في الدرس هذا وأراد أن يفهم كل صغيرة وكبيرة في الدرس نقول: هذا ليس بصحيح. العقول متفاوتة والأفهام تختلف، وبعض الكلام قد يكون واضحا عند البعض، وبعضهم يحتاج إلى زيادة إيضاح، وبعضهم يفهم من أول مرة، وبعضهم لا يفهم إلا من مرتين، وبعضهم لا بد أن يفهم أو تكرر له الجملة ثلاث أو أربع أو خمس يختلفون الناس في هذا وإلا لو كان العلم يفهم من أول وهلة لما بقي عامي على وجه الأرض، صحيح؟ لما بقي عامي على وجه الأرض، إذا كان يجلس فيستمع فيفهم ويحفظ في نفس الوقت ما بقي، كل الناس علماء، وهذا خلاف الواقع، إنما

(١) شرح الأصول الثلاثة المختصر، أحمد بن عمر الحازمي ٢٨/٢

الطالب يحفظ الدرس ولا بد وأن يشكل عليه بعض المسائل، قطعا هذا، لذلك بعض أهل العلم يقول: إذا لم يستشكل لم يسأل نعلم أنه ما فهم.." (١)

"وأما شرط قيام الحجة على الخلق (فالحجة على العباد إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به، فأما العاجز عن العلم كالمجنون، أو العاجز عن العمل، فلا أمر عليه ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه، كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله، كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلا، وهذه أوقات الفترات) (١).

٤ – ومما يجدر ذكره هاهنا أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأحوال والأزمان والأشخاص، كما قال ابن القيم: (إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب، ولم يحضر ترجمان يترجم له) (٢).

٥ – كما ينبغي أن يفرق بين قيام الحجة وفهم الحجة، كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (وأصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وفهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا [الفرقان: ٤٤].

وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر، فإن أشكل عليكم ذلك، فانظروا قول صلى الله عليه وسلم في الخوارج: ((أينما لقيتموهم فاقتلوهم)). (٣) مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها) (٤).

ويقول أيضا: (٠من المعلوم أن قيام الحجة ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله، وخلا من شيء يعذر به فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن، مع قول تعالى: وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه [الإسراء: ٤٦] وقوله: إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون [الأنفال: ٢٢]) (٥).

ومقصود الشيخ الإمام من فهم الحجة ها هنا: أي الفهم الذي يقتضي الانتفاع والتوفيق والاهتداء، كما مثل

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٢

له بفهم الصديق رضي الله عنه، وأما قيام الحجة فتقضي الإدراك وفهم الدلالة، والإرشاد، وإن لم يتحقق توفيق أو انتفاع، كما قال الله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى [فصلت: ١٧].

ومما يؤكد ذلك ما سطره تلميذه الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله حيث قال: (وليس المراد بقيام الحجة أن يفهمها الإنسان فهما جليا كما يفهمها من هداه الله ووفقه، وانقاد لأمره، فإن الكفار قد قامت عليه حجة الله مع إخباره بأنه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) (٦). نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز بن محمد بن علي

العبد اللطيف – ص: ٧١

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٠/ ٥٩)، وانظر ((مجموع الفتاوى)) (١٩/ ١٧).

(٢) ((طريق الهجرتين)) (ص: ٤١٤).

(٣) رواه البخاري (٦٩٣١)، ومسلم (١٠٦٦).

(٤) ((مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب)) (٣/ ١٢، ١٣).

(٥) ((الدرر السنية)) (٨/ ٧٩) وانظر كلام الشيخ عبدالله أبا بطين في ((الدرر السنية)) (٨/ ٢١٣، ٢١٤) و ((مجموعة الرسائل والمسائل النجدية)) (٤/ ٥١٥).

(٦) ((مجموعة الرسائل والمسائل النجدية)) (٤/ ٦٣٨) وانظر رسالة ((ضوابط التكفير)) للقرني (ص: ٣٤٤، ٣٤٥).." [(١)]

"ج: ومن قال لك تعمق في الأصول. هل نحن أشرنا في كلامنا السابق أن تتعمق في الأصول؟ لا، نحن قلنا: تدرس، لا يفهم من كلامي السابق أنك تذهب إلى كتب المعتزلة، نحن ذكرنا ((جمع الجوامع))، ((والمراقي))، ((والكوكب الساطع)) ونحوها، هذه ليست كتب معتزلة أولا، وثانيا: أخذ هذه الكتب ليس من التعمق ماذا تريد ((الورقات)) وتكتفي بها؟ أو ((الأصول من علم الأصول)) وتكتفي؟ أو ((مختصر الروضة))؟ لا، وإنما تأخذ الكتب التي هي معتمدة عند المتأخرين وهي ((جمع الجوامع)) وحواشيه، والشروح وحواشيه وفقط، ولذلك الشوكاني في ((أدب الطلب)) قال: من نظر في ((مختصر ابن حاجب)) وشروحه وحواشيه ((جمع الجوامع)) وشروحه وحواشيه فقد رسخت قدمه في هذا الفن. وهذه سهلة جدا ما هو بصعب، إذا حفظت ((المراقي)) اكتفيت بما في الشروحات والحواشي، وإذا حفظت ((الكوكب

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٩٥/٦

الساطع)) فهذا نعمة أتم وأكمل، حينئذ كل ما ذكره ((جمع الجوامع)) من حفظه فهو الأصولي النحرير، لكن بالفهم، وهو كتاب واحد. إذا لماذا توسع الدائرة؟ إلا إذا تريد أننا كما يقول البعض أن دراسة ((الألفية)) هذا من التعمق في النحو؟ التعمق في النحو إذا درست ((ابن عقيل)) أو ((أوضح المسالك))، إذا ماذا تريد سؤال وجواب؟ التي يقرأها الطلاب الآن؟ لا، ((التحفة السنية)) ما تكفي، ((قطر الندى)) لا يكفي، وإنما تأخذ ((الألفية)) بشرح أو شرحين وهذا كما ذكرنا قلنا: في سنة واحدة يستطيع الطالب أن يضبط ما يحتاجه في النحو، حينئذ في سنة واحدة يقرأ ((الآجرومية)) ويقرأ ((الملحة)) أو القطر فإن أخذها بتوسع ((الآجرومية)) مباشرة يبدأ في الألفية ويحفظها ويحفظ ((الآجرومية)) ابتداء، ثم بعد ذلك يعتكف على ((الألفية)) وهي أصله، وحبذا لو كان معه بعد ابن عقيل يقرأ مفردات الألفية يكون معه الأشموني الأصل ((الأشموني)) هو الذي تجعله معك ملازما له، حينئذ إذا أشكل عليك شيء ترجع هل هذا فيه توسع؟ ليس فيه كتاب، ثلاثة كتب ((الآجرومية))، ((ملحة))، ((قطر))، ((الألفية)) نفسها ((ابن عقيل))، ((أشموني)) وإذا احتجت إلى .. ، أشكل عليك شيء # ١,١٨,٥٢تت خمسة كتب في فهم كامل مئات آلاف الكتب اخترنا لك خمسة فقط هذا قليل ليس بتعمق، كذلك في الأصول ((جمع الجوامع)) وشروحه، أو ((الكوكب)) بعض الناس الآن عندهم جهل بالمنهجية الصحيحة في تلقي العلم، يظن أنه إذا قيل: ((جمع الجوامع)) المحلي واضبطه .. إلى آخره، أو احفظ حكم .. قال: توسع. هذا يريد أن يشتت الطلاب أن يدخلوا في البدع، لا، تجديد أصول الفقه وهذا قد بينته في مقدمات ((والكوكب الساطع)) حبذا من أراد أن يدرس الأصول فليرجع إليها، تجديد أصول الفقه الآن الذي يدعى إليه أكثره من باب حذف ما لا نفهمه، يعني يراد أن يستخلص المسائل التي نفهما أو يفهمها الطلاب أبناء الزمان، وحينئذ تكون هي الأصول، ولذلك يعتكفون على: ... ((الأصول من علم الأصول)) و ((الورقات)) وأكثر الدورات والدرس حول هذين الكتابين أو ((مفتاح الأصول)) للتلمساني لأنه سهل وجميل وعبارة توافق الجامعية ونحو ذلك، وأما الكتب الموسعة والتي فيها تعقيد للعبارات هذه مهجورة.." (١)

"- وجاء في ذم الكلام: عن عبد الرحمن بن عابس عن عبد الله قال: لا تختلفوا في القرآن ولا تنازعوا فيه فإنه لا يختلف لكثرة الرد، ألا ترون أن شرائع الإسلام فيه واحدة حدودها وفرائضها وأمر الله فيها؟ فلو كان شيء من الحرفين يأمر بشيء نهى عنه الآخر كان ذلك اختلافا ولكنه جامع ذلك كله. (١) وقال عبد الله: إن للقرآن منارا كمنار الطرق فما عرفتم فتمسكوا به وما أشكل عليكم فردوه إلى عالمه. (٢)

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٦/٢٥

- وعن الشعبي قال: قال ابن مسعود: إياكم وأرأيت أرأيت، فإنما أهلك من كان قبلكم أرأيت، ولا تقيسوا شيئا بشيء فتزل قدم بعد ثبوتها، وإذا سئل أحدكم عما لا يدري فليقل: لا أعلم، فإنه ثلث العلم. (٣)

- وجاء في ذم الكلام: عن معاوية بن سلمة البصري عن ابن مسعود قال: لا تمكن صاحب هوى من أذنيك فيقذف فيهما داء لا شفاء له. قال: وقال مصعب بن سعد: إما يمرض قلبك لتتابعه، وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه. (٤)

- وجاء في السير عن ابن مسعود قال: جاهدوا المنافقين بأيديكم، فإن لم تستطيعوا فبألسنتكم، فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم،

---

(١) ذم الكلام (ص.٦١) والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٢٠ - ٤٢١/ ٢٢٧٠).

(٢) ذم الكلام (ص.٦٤) وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٩) والبيهقي في الشعب (٢/ ٤١٨/٢٢٦٤).

(٣) الطبراني في الكبير (٩/ ١٠٩/٨٥٥٠) وذم الكلام (ص.٨٨) وهو في إعلام الموقعين (١/ ٥٧).

(٤) ذم الكلام (٤/ ٢٤ - ٢٥ طبعة الأنصاري).." [١]

". قد تقررت المسألة لكن تنزيل الحكم يكون ممن؟ ممن علم حكم الله، إذا سمعت بأذنك أن من يستغيث بالنبي - صلى الله عليه وسلم - مباشرة احتمال أنه كافر، لا يحتاج ترفع قضية ومحكمة وتنتظر الدور، ما يحتاج، لماذا؟ لأن هذه الأمور من المعلوم من الدين بالضرورة، لو **أشكل عليك**، هل هذا من الشرك المخرج من الملة أم لا؟ هنا نتوقف، أما مثل الاستغاثة، وتعلم أنت، وطالب علم تسمع من يستغيث يا حسين، يا حسن، يا رسول الله أغثني، هاه؟ هذا مشرك، لا يجوز يقال أنه نتوقف فيه، ومتى يقول عند السماع لا يحتاج أن تثبت الحجة أو تقام الحجة، الصواب أنه لا قيام للحجة فيما علم من الدين بالضرورة

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ١٠١/١

ـ هذه قاعدة ـ إقامة الحجة تكون متى؟ فيما خفي ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء١٥] نقول هذا المراد به البعثة، والبعثة الرسالية حصلت لكل من علم أن ثم قرآنا أو محمدا – صلى الله عليه وسلم – ، إذا علم حصلت الحجة الرسالية، وبذلك يقال بأن هذه الحجة الرسالية تقابل أهل الفترة ـ على القول بوجودهم ـ إن قيل بأن ثم ما يسمى بأهل الفترة ـ لم يدركوا السابق ويلحقهم اللاحق ـ هؤلاء لم تقم عليهم الحجة الرسالية، ما سمعوا برسول، ما بلغهم حجة الرسول السابق وماتوا قبل أن يأتي الرسول اللاحق، هؤلاء ما أدركتهم، إذن ليسوا بمعذبين، فنحتاج إلى دليل للاستثناء، وأما من بلغتهم الرسالة المحمدية، سمع؛ ولذلك علق النبي – صلى الله عليه وسلم – السماع في اليهود والنصارى، بأنه "من سمع ولم يؤمن بي إلا دخل النار ـ أو دخل النار ـ " فحينئذ نقول الحجة الرسالية تحصل بماذا؟ بمجرد السماع، إذا عرف أن ثم قرآن ورسولا اسمه محمد – صلى الله عليه وسلم –، ثم انتسب إلى الإسلام قامت الحجة؛ لأنه يجب عليه أن يطلب العلم ويسعى .. ويسعى، كيف تؤمن بدين ثم لا تسأل عنه، وهذا كما ذكرنا أنه يعتبر إن كان غير مسلم وحكمنا عليه بالكفر ـ يعتبر من كفر الإعراض ـ بمعنى أنه أعرض عن تعلم الدين. وما الواجب علينا في تنزيل حكم .... ؟ كما ذكرناه.

ـ أرجو من فضيلتكم تدبير برادة ماء في المسجد حتى نستطيع الشرب إذا عطشنا؟ طيب، أبشر.

ـ ما هي الآثار المترتبة على قول وحدة الأديان؟ ما بقي، راح الإسلام، صارت القرية الواحدة دينها واحد.

ـ هل يكون غدا الزاد؟ نعم. إن شاء الله غدا الزاد. الاثنين والخميس.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله.." (١)

"التحذير من التنقيب عن نيات الناس ومقاصدهم

بعض الإخوان لما خرجنا من الدرس أمس قال: إن بعض الأسئلة التي أجبت عليها يقصد بها كذا وكذا فلابد أن تنبه، فقلت: أنا أجبت على السؤال ولا أدري من يقصد؟ فقال: هؤلاء يقصدون كذا وكذا، قلت: كيف تدخل هذا الشخص في المقاصد والنيات؟ فمن الذي علمك هذا؟ وهل شققت عن قلبه؟ وهذا يحصل كثيرا، ففي ببعض الأحيان يقول بعضهم: هذا السائل يقصد فلانا من العلماء أو من المحدثين، أو يقصد فلانا من الملوك أو من رؤساء الجمهوريات، فنقول لهذا: كيف تقول هذا الكلام؟ سؤال هذا الأخ واضح ليس فيه أي إشكال وقد أجبنا عليه، فكيف تقول: إن مقصوده كذا وكذا أشققت عن قلبه؟ فهذه من المصائب التي لم تعرف إلا في هذا الزمان، أعني: الدخول في المقاصد والنيات.

---

(١) شرح القواعد الأربع للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٦/٣٣

ف أسامة بن زيد رضي الله عنه لما قتل ذلك الرجل الذي قال: لا إله إلا الله، أنكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وق ال: (أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟ قال: يا رسول الله! إنما قالها متعوذا يخشى الموت، قال: أشققت عن قلبه؟ كيف تفعل بلا إله إلا الله يوم القيامة إذا جاءت؟ فما زال يكرر ذلك عليه حتى تمنى أنه لم يسلم قبل ذلك اليوم)، وقد نبهت في أول يوم وقلت: ينبغي للإنسان ألا يسأل إلا أسئلة مفيدة، وليترك الأسئلة التي فيها تعنت وإحراج للمسئول، والتي فيها دخول في المقاصد والنيات، فاتقوا الله يا إخوان! فهذا لم يعرف إلا في هذا الزمن.

لقد انتشرت الآن التحزبات عند بعض الشباب، فترى بعضهم يقول: هذا جهمي، وهذا سروري، وهذا كذا، وهؤلاء تكفيريون يريدون كذا وكذا، فنقول لهؤلاء: هؤلاء إخوانك وزملاؤك فكيف تقول عنهم: إنهم تكفيريون؟ وما هذه التحزبات، فكلكم طلبة علم، وكلكم إخوان، وكلكم من أهل السنة والجماعة، وكلكم درستم التوحيد، فدرستم العقيدة الواسطية، ودرستم الحموية، فكيف هذه التحزبات؟!! فكيف يقول بعضهم: هذا جامي، وهذا تبليغي، وهذا سروري، وهذا تكفيري؟ فينبغي لكم أن تتحدوا وتكون كلمتكم واحدة، فكلكم أهل سنة وجماعة، وكلكم يقول: أنا على معتقد أهل السنة والجماعة، وعلى معتقد الصحابة والتابعين، وعلى ما دلت عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسوله، وأنا على عقيدة الرسل والأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء، فما هذه التحزبات التي يخشى أن تقضي على كثير من الحسنات؟! فهي سوء ظن واتهامات وتحزبات صرفت الكثير عن طلب العلم.

فبعض الشباب يريد أن يطلب العلم فيذهب إلى بعض الحلقات فيقولون له: أنت إخواني أم سلفي؟ فإذا كان إخوانيا فإنهم يطردونه، والعكس أيضا إذا ذهب إلى آخرين يقولون له: أنت سلفي، ويطردونه، فيبقى في حيرة ولا يدري أين يذهب فهؤلاء ويطردونه وهؤلاء ويطردونه!! فاتقوا الله، وتوبوا إلى الله عز وجل، واتركوا هذه التحزبات، ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات:١٠] فهذه التحزبات دخلت فيها أصابع آثمة أرادت تفريق الشباب، وأرادت قتل الصحوة الإسلامية، وفيها أصابع لأعداء الله يريدون من خلالها أن يفرقوا المسلمين، وأن يفرقوا الشباب ويضيعوهم، ويضيعوا عليهم طلب العلم، فلا يجوز للإنسان أن يقول: إن السائل مقصوده كذا وكذا، أأنت تعلم الغيب؟ أشققت عن قلبه؟ هو سأل سؤالا محددا فأجبناه عنه، فهل أنت أعرف بالسائل؟ وهل شققت عن قلبه حتى تعرف أنه يريد فلانا، وأنه يريد رئيس الجمهورية الفلانية، ويريد الملك الفلاني، ويريد المحدث الفلاني؟ فإنه لم يقل شيئا من هذا في سؤاله.

فالله تعالى يقول في كتابه العظيم: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾

[الحجرات:١٢] ومنه هذا الذي ليس عليه دليل.

وقال بعض السلف: لا تظن بكلمة خرجت من أخيك شرا وأنت تجد لها في الخير محملا، فما دمت تجد لها في الخير محملا فاحملها على ذلك الخير، وأما أن تحملها على الشر بلا دليل فهذا هو ظن الإثم الذي يحاسب عليه الإنسان، وأما إذا كان هناك دليل على ذلك لا بأس.

وأما أن تدخل في هذه التحزبات فهذا هو الذي يضيع العلم، وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، ويذهب بركة العلم، ويجعل الناس شيعا وأحزابا، وقد أراد الله تعالى من المسلمين أن يكونوا إخوة متحابين فقال: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)، وقال: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا).

وإذا **أشكل عليك** شيء، أو اختلفت أنت وأخوك في شيء فاسأل أهل العلم الكبار وقل: ما حكم المسألة الفلانية؟ وأما أن تتهم وتظن ظنا ليس عليه دليل، أو تدخل في المقاصد والنيات بغير دليل فهذا لا يجوز لك وهو حرام عليك، وأنت بذلك آثم، فاتق الله واحذر.

فأرجو ألا يتكلم أحد مثل هذا الكلام، واحذروا هذه التحزبات، فكلكم حزب واحد وهو حزب الله، ومن غلط يرد عليه غلطه، ومن أخطأ يرد عليه خطأه، إلا الشخص الذي يظهر بدعة الخوارج أو بدعة المعتزلة أو بدعة الرافضة أو بدعة المرجئة فهذا يقال له: هذه بدعة، وينصح في ترك هذه البدعة، فنسأل الله للجميع التوفيق والسداد، والسلامة والعافية، فسلامة الصدور لها أثر عظيم.

فقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا بين أصحابه فقال: يمر عليكم رجل من أهل الجنة، فجاء رجل تنطف لحيته، معلقا نعليه بيديه، وفي اليوم الثاني والثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم نفس الكلام فكان يطلع عليهم ذلك الرجل، فصحبه عبد الله بن عمرو وقال: إني لاحيت أبي، وإني أريد أن أبيت عندك إن شئت، فبات عنده ثلاث ليال ولم يجد عنده كثير عمل إلا أنه كان يستيقظ آخر الليل، وكان كلما استيقظ ذكر الله، فلما انتهت الثلاثة الأيام قال: يا أخي! ليس بيني وبين أبي شيء ولكني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت، فأنا أريد أن أعمل مثل عملك، فما هو العمل الذي نلت به هذه المنزلة؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما أراد أن يولي قال: إلا أنني أبيت ولا أجد في نفسي شيئا على أحد من المسلمين.

فسلامة الصدر لها تأثير عظيم، فهل يصلح أن يحمل طالب العلم في صدره غلا لأخيه، فيحقد عليه، ويظن

به ظن السوء، ويسميه تكفيريا، وينزل فيه الألقاب السيئة، ويقول: إنه يريد كذا أو يقصد كذا بدون دليل، فهذا حقد وعداوة وبغضاء لا يتصف بها المؤمن فكيف بطالب العلم؟! نسأل الله للجميع السلامة والعافية.." (١)

"بيان ما يعمله من موطنه وبلاده يكثر فيها الفتن

Q أنا من أهل البلاد التي يكثر فيها الفتن، فما الكتب التي تنصحني بها، والتي تعنى بزيادة الإيمان لدى المسلم؟

A أوصيك بالعناية بكتاب الله عز وجل، وأن تقرأ كتاب الله وتتدبره وتتأمل فيه، فكتاب الله فيه الهدى والنور، اقرأ بتدبر وتمعن واستعن على فهم كتاب الله بالتفاسير المعتبرة عند أهل السنة والجماعة مثل تفسير: الحافظ ابن كثير، وتفسير ابن جرير، وتفسير البغوي، وتفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي وغيرها، وعليك بعد ذلك بقراءة الصحيحين: البخاري ومسلم والعناية بهما، واقرأ كتاب الفتن، وكذلك السنن الأربع وغيرها، تدبر أحاديث أمهات الكتب وفيها كتب الفتن، اقرأ أحاديث كتاب الفتن: في البخاري، ومسلم، وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجة، وتأملها وتدبرها، واقرأ كلام الشراح واسأل عما **أشكل عليك**.

وابتعد عن أسباب الفتن، نسأل الله أن يسلمنا ويعيذنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن.." (٢)

"حكم التعاون مع الجماعات الإسلامية

Q بعض الناس ينتمون لبعض الجماعات الإسلامية، فهل يجوز التعاون معهم في الأعمال الخيرية مثلا، أو غير ذلك من طرق التعاون؟

A عليك أن تنظر في هذه الجماعات فإن كانت الجماعة على حق فتعاون معهم، وإن كانوا على باطل أو على بدعة فلا تتعاون معهم، والميزان في ذلك هو الشرع، فإذا **أشكل عليك** شيء فاسأل أهل العلم، واتصل بلجنة الإفتاء في المملكة العربية السعودية واسألهم عما **أشكل عليك**، أو سل أحد المفتين المعتبرين.." (٣)

"التحذير من كثرة النظر إلى النجوم ومجالسة أهل الكلام

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأقل من النظر في النجوم إلا ما تستعين به على مواقيت الصلاة، واله عما

---

(١) شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٩/٦

(٢) شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٤/١٦

(٣) شرح كتاب السنة للبربهاري - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٢٧/١٠

سوى ذلك فإنه يدعو إلى الزندقة.

وإياك والنظر في الكلام والجلوس إلى أصحاب الكلام، وعليك بالآثار وأهل الآثار، وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس].

(أقل من النظر في النجوم إلا ما تستعين به على مواقيت الصلاة)، أي: لا تنظر في النجوم.

والنظر في النجوم له أحوال ثلاثة: الحالة الأولى: النظر في النجوم معتقدا أنها مؤثرة في الحوادث الأرضية، من الحروب، والأمراض، والأمطار، وغلاء الأسعار، وقيام الدول وزوالها، وهذا شرك أكبر في الربوبية، وهو شرك قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذين بعث فيهم وهم الصابئة، فقد كان يعتقد الواحد منهم أن النجوم هي المؤثرة في الحوادث الأرضية.

الحالة الثانية: أن ينظر في النجوم ويدعي بها علم الغيب، ولا يعتقد أنها مؤثره، بل يعتقد أن المؤثر هو الله، لكن يستدل بها على دعوى الغيب، فإذا اجتمعت النجوم أو افترقت، أو غابت أو طلعت، استدل بذلك على علم الغيب، وقال: إذا طلع النجم الثاني نزل المطر، أو غاب النجم الثاني ارتفعت الأسعار، أو إذا طلع النجم الثاني ولد عظيم أو مات عظيم، وهذه أيضا دعوى بعلم الغيب، وهي كفر.

الحالة الثالثة: أن ينظر في النجوم ليستدل به على معرفة القبلة، وينظر في النجوم حتى يعرف وقت زوال الشمس فيصلي الظهر، ينظر في النجوم ليعرف الطرق في البر أو في البحر، فهذا لا بأس به في أصح أقوال العلماء، ومع ذلك فإن بعض العلماء منع ذلك.

والنوع الأخير يقال له: علم التسيير، فتنظر في النجوم لمعرفة فصول السنة، ومعرفة أوقات البذر للفلاحين والمزارعين، ومعرفة أوقات الصلوات، ومعرفة الطرق التي يهتدى بها في البر أو في البحر، فهذا لا بأس به.

أما النوع الأول والثاني فيقال له: علم التأثير، وهذا هو معنى قول المؤلف: (أقل من النظر في النجوم إلا ما تستعين به على مواقيت الصلاة).

(واله عما سوى ذلك)، أي: تشاغل واترك ما سوى ذلك؛ فإنه يدعو إلى الزندقة، والزندقة هي النفاق.

(وإياك والنظر في الكلام) أي: الخوض في الكلام مثل ما خاض الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فقد تكلموا في الصفات وفي الأسماء.

(والجلوس إلى أصحاب الكلام) فلا تجلس معهم؛ لئلا يضروك ويعدوك.

(وعليك بالآثار وأهل الآثار) أي: النصوص والأحاديث، (وإياهم فاسأل)، أي: اسأل أهل الحديث، فإذا **أشكل عليك** شيء فاسأل أهل الحديث؛ لأن كل مسألة تحتاج إلى دليل من الحديث، (ومعهم فاجلس،

ومنهم فاقتبس).

وقد ذكر المحقق قول الإمام الشافعي قال: لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في علم الكلام.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: لا يفلح صاحب الكلام أبدا.

وقال الإمام أحمد أيضا: لا تجالسوا أصحاب الكلام، وإن ذبوا عن السنة.

وكل هذا فيه تحذير من أهل الكلام.." (١)

"الحساب في الأصل استعمال العدد، يقال: حسبت أحسب حسابا وحسبانا. قال تعالى: ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ [يونس: ٥]. والمراد هنا ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه، وهذا قد جاء نص صريحا في قوله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ [الأنبياء: ٤٧] هذا واضح بين في مقام الحساب، والحساب هنا منفي أو مثبت؟ (بغير حساب) نفي أو لا؟ غير للنفي؟ نعم للنفي قطعا (بغير حساب) ولذلك عطف عليه (لا)، («بغير حساب ولا عذاب») فدل على ماذا؟ على أن المعطوف والمعطوف عليه كلاهما منفيان («بغير حساب ولا عذاب»)، فإذا **أشكل عليك** بغير هل هي للنفي أو لا؟ قل: نعم للنفي، ويؤكد ذلك أنه قال في الحديث («ولا عذاب»). عطف عليه بـ (لا)، و (لا) هنا زائدة، تؤكد النفي السابق (لا)، في قوله: («ولا عذاب») هذه زائدة، فدل على أن المعطوف والمعطوف عليه بمنزلة واحدة. والحساب هنا منفي لكن هل نفي والحساب يستلزم ألا يعذب أم قد لا يحاسب ويعذب.

المصنف باعتبار الترجمة لم يذكر (ولا عذاب) فأتى بالجملة الأولى (بغير حساب) هل نفى الحساب يستلزم أن لا يعذب؟ أم قد لا يحاسب ويعذب؟

إني سائل، قوله: (بغير حساب) هذا نفى للحساب. المصنف ترك (ولا عذاب) هل نفي الحساب يستلزم أن لا يعذب؟ أم قد يعذب؟

[نعم أحسنت] يستلزم أن لا يعذب، ولذلك اقتصر المصنف رحمه الله تعالى على هذا، وإن كان زادها الشراح من باب موافقة النص الحديث فقط، كلهم قالوا: (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) أي ولا عذاب، هكذا في ((التيسير)) و ((فتح المجيد)) و ((إبطال التنديد)) وغيرها، فذكروا: أي ولا عذاب. هذا من باب مطابقة الترجمة للنص، لأنه جاء في الحديث أن الثواب بغير حساب دخلوا الجنة

---

(١) شرح كتاب السنة للبربهاري - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٨/١٢

بغير حساب ولا عذاب مطابقة كعادة المصنف رحمه الله تعالى أن يأتي بالألفاظ كما هي في الكتاب والسنة قالوا: أي ولا عذاب. وإن كان نفي الحساب يستلزم نفى العذاب قطعا بأنه إذا قيل: لا يحاسب مطلقا، لا حساب تقرير ولا نقاش ولا تعذيب حينئذ يلزم منه أن لا يعذب.

إذا هل نفى الحساب يستلزم ألا يعذب؟ أم قد لا يحاسب ويعذب؟

نقول: الجواب قطعا ولا شك أنه إذا نفي الحساب أن لا يعذب، ولا شك أن نفي الحساب أبلغ من نفى العذاب، نفي الحساب أبلغ من نفي العذاب، صحيح هذه؟

وجهه لو قال: بغير عذاب. هل يلزم منه نفى الحساب؟ [أحسنت] لا يلزم منه نفي الحساب. إذا كون المصنف اقتصر على اللفظ الأول دون الثاني لأن اللفظ الأول نفيه يستلزم الثاني الذي هو ولا عذاب، ولم يعكس بأن يقول من حقق التوحيد دخل الجنة بغير عذاب لأن نفى العذاب لا يستلزم نفى الحساب، يعنى قد لا يعذب ويحاسب، وهنا الذي جاء النص في شيئان: " بغير حساب، ولا عذاب ". إذا لا شك أن نفي الحساب أبلغ من نفي العذاب، فنفي الحساب يستلزم أن لا يعذب، فإذا كان لا يحاسب فمن باب أولى ألا يعذب. والعكس صحيح وهو أنه نفي العذاب قلنا: يمكن أن يحاسب. ولهذا قال الشراح: (بغير حساب) أي ولا عذاب. قوله: ... (بغير حساب)، (حساب) هذا نكرة في سياق النفي، ومعلوم أن الحساب قسمان عند أهل السنة والجماعة:

الأول: حساب يسير. وهو الذي جاء فيه النص ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ [الانشقاق: ٨].

الثاني: حساب مناقشة. ففي ((الصحيحين)) من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قوله – صلى الله عليه وسلم –: «من نوقش الحساب عذب». هل هذا هو الذي جاء في ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾؟ قطعا لا، بينهما فرق «من نوقش الحساب عذب». فقلت: يا رسول الله أليس الله جل وعلا يقول: ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾. قال: «ذلك العرض». وهذا في حق المسلم. أما الكافر فشأنه آخر.

أما حساب التعذيب هل ينفى عمن أتى أو حقق التوحيد أو لا؟ الحساب النوع الثاني قال: (بغير حساب). يعنى بغير حساب مناقشة؟ هل هذا مسلم به؟

نعم، «من نوقش الحساب عذب». ونحن ماذا نقول؟ («بغير حساب ولا عذاب»).." (١)

"ج: وهذا قاعدة، المعاني اللغوية أعم من المصطلحات، وذكرنا استثناء فقط هو به بعض الأشياء لكن الإيمان هو الذي يستحضره. إذا قلت: الصلاة في اللغة الدعاء، وفي اصطلاح الشرع أو الحقيقة

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٩/١٣

الشرعية أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، أيهما أعم؟ الدعاء مطلق أو دعاء على هيئة معينة. الثاني مقيد، أيهما أعم نقول: الصلاة بمعنى الدعاء في اللغة أعم، وهذا في كل شي الحج في اللغة القصد، يعني قصد مكة، قصد الغرب، قصد الشرق .. إلى آخره داخل فيه، لكن تعيين مكة على جهة الخصوص قصد مكة لعمل مخصوص أو في زمن مخصوص فهذا خاص بالشرع حقيقة شرعية، حينئذ المعنى اللغوي أعم، وهذه قاعدة، يعنى أحفظها هكذا، دركتها أو لا، المعنى اللغوي أعم من المعنى الاصطلاحي إذا كان في غير الشرعيات، أو المعنى الذي هو الشرع الحقيقي الشرعية، ما هو الفاعل؟ الفاعل ما هو؟ كل من أوجد فعلا فهو فاعل، زيد قائم، زيد أحدث القيام، إذا زيد فاعل، صحيح؟ [نعم صحيح] زيد في المعنى اللغوي يعتبر فاعلا، وأما عند النحاة فالفاعل لا، هو الذي يذكر بعد فعله على هيئة مخصوصة، حينئذ زيد قام زيد ليس بفاعل وإن كان في المعنى اللغوي فاعل لأنه أوجد القيام، وأما عند النحاة المصطلح الخاص فزيد مبتدأ، وقام هذا فعل. إذا فرق بين النوعين.

التوحيد ما هو التوحيد؟ جعل الشيء واحدا، جعل الشيء أي شيء يصدق على الله عز وجل وعلى غيره، وأما في الشرع فهو جعل الله عز وجل واحدا، فأيهما أعم؟ اللغوي أعم لا إشكال في هذا، ما الذي **أشكل عليك**. التوحيد المعنى اللغوي فهو أعم ويشمل الآلهة كلها.

س: كيف ذلك وهو التوحيد في اللغة هو جعله الله واحدا فرضا؟

ج: ها هو هذا الخطأ، أنت ساويت بينهم جعلت المعنى اللغوي هو المعنى الشرعي، ففسرت المعنى اللغوي بالمعنى الشرعي، جعل الله واحد فردا، هذا ترادف صار التوحيد اللغوي هو عين التوحيد الشرعي، نحن ما قلنا هذا، لكن انتبه يا طالب العلم في نسبة الشيء إلى قائله.

هل قلنا المعنى اللغوي هو جعل الله واحدا؟ لا، فلا بد من الرجوع.

س: وهل هذا التعريف يقتضي دخول آلهة أخرى؟

ج: نقول: لا يختص بالشرك وحسب، جعل الشيء واحدا مطلقا، إذا وحدت المزور وأنت قد زرته حينئذ جعلت الشيء واحدا وهو مزورك واحدا، وحدت المشروب حينئذ جعلت المشروب شيئا واحدا، وحدت المأكول المطعوم لا يختص، ويشمل أيضا كذلك تعدد الآلهة.

س: ثم تقولون يا شيخ النسبة في التوحيد هو نسبة، وليس بجعل كيف ذلك وتذكون يا شيخ في التصريف أنه جعل؟

ج: على كل أظنك تسمع الشريط مرة ثانية أحسن لك.

س: أشكل علي النسبة والجعل في التوحيد ...

ج: أنتم ما حضرتكم الدروس ولا إيش، على كل هذه المسألة، مسألة حساسة تحتاج إلى تأمل، ولا تنسب إلي شيء قبل أن تسمع الشريط مرتين وثلاث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:." (١)

"لكن لو نظرنا في حقيقته وعندنا حقيقة الشرك الأكبر فنظرنا فيه فإذا به متلبس بالشرك الأكبر فنحكم عليه بكونه مخرجا من الملة. لكن بدليل خارجي، فالأصل فيه التحريم تحتاج إلى دليل يدل على أنه شرك أكبر، إذا (في أمتي) المراد به أمة الإجابة، (من أمر الجاهلية) الأمر هنا بمعنى الشأن أي من شأن الجاهلية ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ [هود: ٩٧] وبعضهم عبر بالأقوال والأفعال التي تكون معاصي، وهو كذلك ﴿وما أمر فرعون﴾ أي فعله وقوله وشأنه وحاله ﴿برشيد﴾ لأن الذي ينفى عنه بأنه رشيد أو لا هو الفعل وهو القول، وهو الذي يحكم به على الشخص، ولا تحكم على الشخص بأنه عاقل حكيم إلا إذا رأيت فعله وسمعت قوله. إذا المراد بـ ... (أمر الجاهلية) شأنهم وأقوالهم وأفعالهم التي نقلت عنهم، والمراد بالجاهلية هنا ما قبل بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم -، ما قبل المبعث سموا بذلك لفرط جهلهم وكل ما يخالف ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهو جاهلية. فقوله: (من أمر الجاهلية) أي من أفعال الجاهلية، وإضافة أمر إلى الجاهلية خرج مخرج الذم نسبة إلى الجهل للتمثيل والتقبيح. قوله: (لا يتركوهن) ومر معنا في ما يتعلق بمسائل الجاهلية بحث حول كلمة الجاهلية بحثا مطولا درسا خاصا بذلك فليرجع إليه. قوله: (لا يتركوهن)، (لا) ما نوعها؟ نافية، و (يتركوهن) هذا فعل مضارع مرفوع، ورفعه [ثبوت النون] والنون هذه؟ (لا يتركوهن) مفعول به؟ طيب ضمير مفعول به؟ والنون؟ وإلا [هن] كل ضمير، وإلا يجوز الوجهان؟ وإلا نعطيكم اختبار فيه؟ نون التوكيد؟ والهاء؟

النون الأولى أصلها يتركون لا يتركون، الواو هذا فاعل، والنون علامة الرفع، إذا ثبت أنها علامة الرفع إذا (لا) ليست ناهية، طيب تأكد أنها نافية، لا يتركون ها، لا يتركونهن، لو قال للنساء: طلقتهن [الحمد لله ما عندنا] نسائي طلقتهن. النساء أو بناتي ضربتهن؟ هذه نون الإناث ... ﴿والمطلقات يتربصن﴾ [البقرة:

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٣

٢٢٨] [ن] يتربصن، لا، ... ﴿يتربصن﴾ نون إناث خفيفة، بناتي ضربتهن أعرب؟

مبتدأ، ضربتهن.

.

أي.

.

أي.

.

حرف، ليست نون الإناث، حرف يدل على ماذا؟ على أن المفعول به أو مرجع الضمير مؤنث، لو قلت: إنها نون الإناث صارت فاعل، صحيح؟ نون الإناث لا تقع إلا فاعل، ﴿والمطلقات يتربصن﴾ [البقرة: ٢٢٨] ما الفرق بين ضربتهن ولا يتركونهن ما الفرق؟ لا فرق، إذا الهاء هذه ضمير، دائما إذا أشكل عليه شيء ايت بنظيره في الإعراب ايت بنظيره، إذا حفظت الصحيح المعتل دائما تأتي بنظيره إذا **أشكل عليك** وما الفرق يتركونهن هذا أشكل علينا مثلا حينئذ ضربتهن قتلتهن رميتوهن طلقتهن مثل يتركونهن ما الفرق؟ لا فرق بينهما، فتعرب ضربتهن لأنها محفوظة ضرب زيد عمرا دائما هذه، فأنت تحفظها فتقيس عليها.

والنحو قياس يتبع ... وبه في كل فن ينتفع." (١)

"قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله: ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضآلون﴾) من هذه اسم استفهام لأن الفعل بعدها مرفوع أو مجزوم؟ مرفوع، وليس بمجزوم، لو كان مجزوما لقلنا ماذا؟ لقلنا: شرطية، لكنه ليس بمجزوم فهو مرفوع، فكونه مرفوعا يدل على أنها استفهامية، وهي مضمنة معنى النفي (﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضآلون﴾) لا يقنط أحد إلا الضالون. وقوله: (﴿من رحمة ربه﴾) رحمة مضافة هنا إلى الفاعل، من رحمة ربه إياه، [من الذي] رحمة هذا مصدر، ومر معنا مرارا المصدر يضاف إلى الفاعل أو يضاف إلى المفعول، إن أضيف إلى أحدهما وكان يتعدى حينئذ تقدر المحذوف، رحمة يرحم، الرب فاعل الرحمة. إذا المفعول محذوف، هكذا تفسره، إذا **أشكل عليك** تأتي بفعل مضارع في محل المصدر، ثم منزلة ما بعده، يرحم ربه، إذا الرب هو الذي يرحم. يرحم من؟ إياه، ومن يقنط من رحمة ربه إياه، إياه الضمير يعود إلى من. قوله: ({إلا الضآلون﴾) إلا أداة حصر لأن الاستفهام في قوله: (﴿ومن يقنط﴾) المراد به النفي كما ذكرنا، و (﴿الضآلون﴾) فاعل يقنط، كذلك يقنط الضالون، والضالون فاعل يقنط،

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٨/٦٨

والمعنى لا يقنط من رحمة الله إلا الضالون، نبه المصنف بهذه الآية على الجمع بين الرجاء والخوف، يعني الدليل هنا على كون في شأن هذا الباب وإلا مر معنا: ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ [الإسراء: ٥٧] في دليل واحد، لكن هنا يكون مركبا من الآيتين، نبه المصنف بهذه على الجمع بين الرجاء والخوف فإذا خاف فلا يقنط من رحمة الله بل يرجوها مع العمل الصالح، لا رجاء إلا بعمل كما قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله﴾ ... [البقرة: ٢١٨] ذكر كم عمل؟ آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ... ﴿أولئك﴾ المذكورون الموصوفون بما ذكر ﴿يرجون رحمت الله والله غفور رحيم﴾ أولئك الذين فعلوا الإيمان وفعلوا الجهاد وفعلوا الهجرة ... ﴿أولئك يرجون رحمت الله﴾، أما الذي لا يفعل فلا يرجوا كالآية التي ذكرناها في سورة الكهف فذكر سبحانه أنهم يرجون رحمة الله مع الاجتهاد في الأعمال الصالحة، فأما الرجاء مع الإصرار على المعاصي فذاك من غرور الشيطان، وهو الرجاء المذموم الذي ذكره ابن القيم فيما سبق، وأما القنوط فمعناه -كما مر - اليأس من الخير، وفسره بعضهم باستبعاد الفرج واليأس منه، فرجه بعيد والمغفرة بعيدة والرحمة بعيدة وقل ما شت من أفعال الله تعالى المحمودة وكلها محمودة فيستبعدها حينئذ يكون قد وقع في القنوط، فلا يرجو كرم الله وجوده ورحمته ومغفرته، بل كل هذه يستبعدها ويستبعد الفرج نقول: هذا يسمى قنوطا، فهو استبعاد الفرج واليأس منه وسوء الظن بالله تعالى، وهو يقابل الأمن من مكر الله تعالى وكلاهما ذنب عظيم منافيان لكمال التوحيد الواجب، وقد ينافيان أصل التوحيد، لأنه قد يصل به الحال إلى أن يسلب الباري جل وعلا عن هذه الأوصاف حينئذ يقع في الإلحاد، فإذا وقع في الإلحاد.." (١)

"قوله: (بعمله) أي بأعماله، مفرد مضاف فيعم، والجار والمجرور متعلق بقوله: (إرادة)، (باب من الشرك إرادة الإنسان) أراد بعمله لو جعلته فعلا لأن المصادر أشكلت في الإعراب أجعلها فعلا، بعض الشرك أن يريد الإنسان (بعمله)، (بعمله) متعلق بـ (يريد) حينئذ الإنسان في أصل التركيب فاعل، ولذلك الإرادة هنا مصدر مضاف إلى فاعله أين مفعوله؟ (الدنيا) هكذا قل: يريد الإنسان بعمله الدنيا، أراد الدنيا، إذا الدنيا مفعول به، حينئذ إرادة هنا مصدر أضيف إلى الفاعل، وأين المفعول؟ ... (الدنيا) **أشكل عليك** رده إلى فعل مضارع ومعه (أن) المصدرية (بعمله) أراد به ماذا؟ أراد به الطاعات، لأن العمل هنا مفرد مضاف فيعم لجميع أعماله، والمراد به أعماله الظاهرة، والمراد به أعماله التي هي طاعات وقربات وعبادات، وأما عمله الذي هو عمل دنيوي هذا أراد الدنيا قطعا، ولا يشترط فيه أن ينوي فيه ماذا؟ أن يريد وجه الله

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٣/٧٦

تعالى والدار الآخرة وإنما الشأن في ماذا؟ في الطاعات التي هي عبادات التي يشترط فيها الإخلاص. إذا (بعمله) أي بأعماله الظاهرة متعلق بـ (إرادة) لأنها مصدر، والمراد به الطاعات والعبادات والقربات، وإرادة الإنسان من إضافة المصدر إلى فاعله، و (الدنيا) مفعول للمصدر. قوله: من الشرك الأصغر أن يريد الإنسان (بعمله الدنيا) ما المراد بالدنيا هنا الدنيا نقيض الآخرة ولذلك قال تعالى: ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ [الحج: ١١] متقابلتان، لكن الدنيا بذاتها أم أراد به ثواب الدنيا؟ الثاني، ولذلك جاء في قوله تعالى: ﴿ثواب الدنيا نؤته منها﴾ [آل عمران: ١٤٥] إذا ليس المراد به الدنيا، فحينئذ المراد به الثواب، فإما أن تجعل الدنيا مجازا بمعنى أنه أطلق السبب فأراد به ما يترتب عليه، أو إن شئت قل بأنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، والسياق يدل على ذلك، لأنه لم يرد الدنيا من حيث هي، وإنما أراد ثوا ب الدنيا يعني ما يكون نتيجة أو من أعمال الدنيا. إذا الدنيا أي ثواب الدنيا ولا يريد بها الآخرة.." (١)

"(الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله). وهذا واضح بين، ولذلك عم هذا التعريف وهو قول الإمام مالك رحمه الله، كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت، ثم قد يكون طاغوتا بالفعل متى؟ إذا رضي ودعا غيره، طاغوت بالفعل تقول: هذا طاغوت. أو لا يكون داعيا أو راضيا حينئذ يطلق عليه بأنه طاغوت باعتبار عابديه، ولكن نقيد هذا حتى لا يساء الظن بمثل عيسى عليه السلام أو النبي - صلى الله عليه وسلم - يقال طاغوت عند العامة، لا، وإنما يفصل عند طلاب العلم لأنهم يدركون معنى هذا، وإلا لو قيل: بأن الصوفية مثلا الذين عبدوا النبي - صلى الله عليه وسلم - وجعلوه شريكا لله عز وجل في الخلق والأمر نقول: هؤلاء جعلوا النبي - صلى الله عليه وسلم - طاغوتا في اعتقادهم، لماذا؟ لأن كل من صرف العبادة كلها أو بعضها لغير الله فذلك الغير طاغوت، سواء كان مسلما به أو لا؟ والنبي - صلى الله عليه وسلم - لا يرضى الشرك، لا يرضى أن يشرك هو عليه الصلاة والسلام مع الله عز وجل في شيء من العبادة حينئذ لا إشكال، نقول: الطاغوت عام، وإلا لو قيل بأنه ليس بطاغوت، إذا ماذا عبد هذا؟ لو قلنا: أن الذي صرف العبادة طاف بقبر النبي - صلى الله عليه وسلم - واستغاث به .. إلى آخره، هذا مشرك عبد غير الله عز وجل، نقول: هذا هل اجتنب الطاغوت؟ إذا لم نصحح أنه جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - طاغوتا نقول: نعم اجتنب الطاغوت، لماذا لأنه لم يرض، فلا نشترط في إطلاق لفظ الطاغوت رضا صاحبه، ولذلك أرجو أن يكون واضحا وقد فصلناه فليرجع إليه إذا أشكل عليكم شيء على الأصل، لأن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله سواء كان راضيا أو لا، وإذا لم يكن راضيا حينئذ يكون

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٧/٧٩

طاغوتا باعتبار العابد ولا إشكال فيه، لأن الطاغوت فعلوت مأخوذ من الطغيان، وهذا قد جاوز، كما أنه جاوز بـ هبل مثلا حده وجعله معبودا من دون اللہ تعالى، كذلك هذا اعتقد في النبي – صلى الله عليه وسلم – وتجاوز به حده وجعله معبودا، ما الفرق بينهما؟ واحد كلاهما واحد.

(التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف). المحكمات يعني التي لم يدخلها نسخ (في سورة الأنعام عند السلف)، وهذا أخذها من قول ابن مسعود: (من أراد أن ينظر إلى وصية محمد – صلى الله عليه وسلم –) جعلها وصية للنبي – صلى الله عليه وسلم –. (وفيها عشر مسائل) – يعني هذه الآيات الثلاث –:

(أولها النهي عن الشرك) وهي مقتضية للتوحيد كما ذكرناه.

(العاشرة – المسألة العاشرة –: الآيات المحكمات في سورة الإسراء). انظر هنا قدم ما تعلق بسورة الإسراء مع أنها مقدمة هنا، هناك قدم ما تعلق بسورة الأنعام على ما تعلق بسورة الإسراء مع كونه عكس الترتيب فيما سبق، يدل ذلك على أن المصنف لم يراع الترتيب في المسائل على ما ذكره سابقا، الآيات المحكمات في سورة الإسراء وهي قوله (﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا﴾) .. إلى قوله: ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ [الإسراء: ٣٩] وهذه اشتملت على أوامر ونواهي، وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله: ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا﴾ [الإسراء: ٢٢] ﴿مذموما﴾ يعني عند الله تعالى وعند أوليائه، ﴿مخذولا﴾ من الخدلان وهو عدم النصرة لا في الدنيا ولا في الآخرة. إذا بدأها بماذا؟ بالنهي عن الشرك، وختمها بقوله: ﴿ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾ [الإسراء: ٣٩] ويعني يلومه أهل النار وغيرهم ﴿مدحورا﴾ يعني مبعودا مبعدا، إذا بدأها بالنهي عن الشرك، وختمها بالنهي عن الشرك، وهذا يدل على عظم هذه الجريمة، ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾.

(الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾). أحق الحقوق حق الله عز وجل وغيره مبني عليها لأنها لا تصح العبادة إلا بذلك.." (١)

"على أسبابها، فالشقاوة سببها الكفر والعصيان والشرك والظلم والفسق والعدوان، فلا يدخل النار أحد إلا بالأسباب الموجبة لدخولها، ولا يدخل الجنة أحد إلا بالأسباب المقتضية لدخولها، والكل قد سبق به علم الله وقضاؤه وكتابه، فلا بد من استحضار هذه الحقائق، فالشقاوة لا تكون بلا سبب، فمن سبق قضاء

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٧/٨

الله في شقاوته فلا بد أن تقوم به أسباب الشقوة، ومن سبق قضاء الله بسعادته؛ فلا بد أن تقوم به أسباب السعادة.

ومقام الكلام في القدر من المقامات العظيمة التي تموج فيها الأفكار والأقوال موجا؛ ولكن المعتصم الذي به النجاة من الزلل في هذه المسالك، وهذه المتاهات التي ضل فيها أكثر الخلق هو كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، فإذا أشكل عليك أمر ولم تدركه بعقلك الناقص القاصر؛ فاعتصم بالله وبكتابه، وحسبك.

وهذا الأصل العظيم مع ما يذكر فيه من تفاصيل بعض المسائل يقوم على المراتب الأربعة المتقدمة، ولا بد مع الإيمان بالقدر من الإيمان بالشرع والإيمان بحكمة الرب، فهذه ثلاثة أصول لا بد من التحقق بها، الإيمان بالقدر بمراتبه الأربع، والإيمان بشرع الله كما تقدم أن المؤلف ذكر الأصلين: الإيمان بالشرع والقدر بعدما ذكر بعض الجوانب في القدر قال: (ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته) (١).

(١) ص ٧٤.." (١)

"[تفويض العلم فيما خفي على العبد إلى الله]

وقوله: (ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه).

من منهج أهل السنة: تفويض علم ما لا علم لهم به، هذا تفويض واجب، وليس مثل تفويض المعطلة الذين ينفون الصفات، ثم يفوضون معاني النصوص فذاك مذهب باطل، وهذا التفويض الذي ذكره الطحاوي هو الذي أمر الله به نبيه – صلى الله عليه وسلم – في مثل قوله تعالى: ((سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل)) [الكهف: ٢٢]، وقوله: ((ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا * قل الله أعلم بما لبثوا)) [الكهف: ٢٥ – ٢٦]، ولما سئل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أولاد المشركين قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». (١) وهكذا الواجب على المسلم ألا يخوض فيما لا علم له به، قال تعالى: ((ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)) [الإسراء: ٣٦] بل فوض علم ما لا علم لك به، وما أشكل عليك إلى الله، وقل: الله أعلم، وهذا من وقوف الإنسان عند حده، فلا يتجاوزه

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/١٦٨

فيدعي علم ما لا علم له به، وإن قال: لا أدري فقد أحسن، فإن الذي يدعي أو يخبر أو يجيب بما لا يعلم يكون كاذبا، فمن يخبر بالشيء قد يخبر بما يعلم كذبه، وهذا المتعمد للكذب، ومن يخبر

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩٧)، ومسلم (٢٦٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.." [١]

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [النساء: ٩٤] يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ [البقرة: ١٠٤] يا أيها الذين صدقوا الله وصدقوا رسوله ، فيما جاءهم به من عند ربهم ﴿إذا ضربتم في سبيل الله﴾ [النساء: ٩٤] يقول: " إذا سرتم مسيرا لله في جهاد أعدائكم ﴿فتبينوا﴾ [النساء: ٩٤] يقول: " فتأنوا في قتل من **أشكل عليكم** أمره ، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره ، ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره ، ولا تتقدموا على قتل أحد إلا على قتل من علمتموه يقينا حربا لكم ولله ولرسوله. ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام﴾ [النساء: ٩٤] يقول: " ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم ، مظهرا لكم أنه من أهل ملتكم ودعوتكم ﴿لست مؤمنا﴾ [النساء: ٩٤] فتقتلوه ابتغاء عرض الحياة الدنيا ، يقول: طلب متاع الحياة الدنيا ، فإن عند الله مغانم كثيرة من رزقه وفواضل نعمه ، فهي خير لكم إن أطعتم الله فيما أمركم به ونهاكم عنه." [٢]

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾ [المائدة: ١٩] يقول جل ثناؤه لهؤلاء اليهود الذين وصفنا صفتهم: قد أعذرنا إليكم ، واحتججنا عليكم برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم إليكم ، وأرسلناه إليكم ، ليبين لكم ما **أشكل عليكم** من أمر دينكم ، كيلا تقولوا لم يأتنا من عندك رسول يبين لنا ما نحن عليه من الضلالة ، فقد جاءكم من عندي رسول ، يبشر من آمن بي وعمل بما أمرته ، وانتهى عما نهيته عنه ، وينذر من عصاني وخالف أمري ، وأنا القادر على كل شيء ، أقدر على عقاب من عصاني وثواب من أطاعني ، فاتقوا عقابي على معصيتكم إياي وتكذيبكم رسولي ،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك، عبد الرحمن بن ناصر البراك ص/٢٧٧

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٥١/٧

واطلبوا ثوابي على طاعتكم إياي ، وتصديقكم بشيري ونذيري ، فإني أنا الذي لا يعجزه شيء أراده ولا يفوته شيء طلبه." (١)

"وقال الفراء في قوله جل وعز: ﴿ (وغساق وءاخر من شكله أزواج﴾ (ص: ٥٨) قرأ الناس وآخر إلا مجاهدا فإنه قرأ: (وأخر من شكله) .

وقال الزجاج: من قرأ: ﴿ (وغساق وءاخر من شكله أزواج﴾ فآخر عطف على قوله: ﴿فليذوقوه حميم﴾ أي وعذاب آخر من شكله أي من مثل ذلك الأول.

ومن قرأ (وأخر من شكله) فالمعنى وأنواع أخر من شكله، لأن معنى قوله أزواج: أنواع.

وقال الليث: الشكل: غنج المرأة وحسن دلها.

يقال: إنها شكلة مشكلة: حسنة الشكل.

قال: الشكل: المثل، تقول هذا على شكل هذا أي على مثاله، وفلان شكل فلان أي مثله في حالاته.

وأخبرني المنذري عن أبي العباس أنه قال: الشكل: المثل، والشكل: الدل، ويجوز هذا في هذا، وهذا في هذا.

قال، وقال ابن الأعرابي: الشكل: ضرب من النبات أصفر وأحمر.

وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ (الإسراء: ٨٤) .

قال: الشاكلة: الناحية والطريقة والجديلة.

وقال الزجاج: يقال: هذا طريق ذو شواكل، أي تتشعب منه طرق جماعة.

وقال الأخفش: (على شاكلته) أي على ناحيته وخليقته.

قال، ويقال: هذا من شكل هذا أي من ضربه ونحوه.

وأما الشكل للمرأة: فما تتحسن به من الغنج.

(سلمة عن الفراء) قال: الشوكلة: الرجالة، والشوكلة: الناحية، والشوكلة: العوسجة.

وقال الليث: الأشكل في ألوان الإبل والغنم ونحوه: أن يكون مع السواد غبرة وحمرة، كأنه قد **أشكل عليك** لونه، وتقول في غير ذلك من الألوان إن فيه لشكلة من لون كذا وكذا، كقولك أسمر فيه شكلة من سواد، والأشكل في سائر الأشياء: بياض وحمرة قد اختلطا. قال ذو الرمة:

ينفحن أشكل مخلوطا تقمصه

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٧٦/٨

مناخر العجر فيات الملاجيج

جمع ملجاج تلج في هديرها.

وقال جرير ينكر الدماء:

فما زالت القتلى تمور دماؤها

بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

وقال أبو عبيدة: الأشكل فيه بياض وحمرة.." (١)

"فاتبعه، وأمر استبان غيه فاجتنبه، وأمر **أشكل عليك** فكله إلى عالمه، وقد كان من دعاء علي رضى الله عنه: اللهم إني أعوذ بك أن أقول في العلم بغير علم فنعمة الله سبحانه تعالى في كشف الباطل باطلا وبيان الضلال ضلالا مثل نعمه في إظهار الحق وبيان الصدق لأنه باب من اليقين،، ولذلك تجمل الله به على نبيه صلى الله عليه وسلم وجعله من تفصيل آياته في قوله سبحانه وتعالى: (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) الأنعام: ٥٥ فنصب سبيل على إضمار اسمه ورفعه على كشف دلالاته وتبيان طرقه وقد وعد الله ذلك للمتقين وقدمه على تكفير السيئات والمغفرة وأخبر أن ذلك من الفضل العظيم في قوله عز وجل: (يأأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم) الأنفال: ٢٩ أي نورا في قلوبكم تفرقون به بين الشبهات ومثله، ومن يتق الله يجعل له مخرجا أي من كل أمر أشكل على الناس ورزقه من حيث را يحتسب علم بغير تعليم بل إلهام وتوفيق من لدن الخبير العليم، وقد وعد ذلك المؤمنين عند اختلاف العلماء للبغي بينهم وهو الكبر والحسد، وحرم ذلك المنافقين الذين لايصدقون بالآيات والقدر والغائبات فقال عز وجل في ذلك: (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم) البقرة: ٢١٣ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فصنع الهداية للحق أن يكشف الحق إذا هدي التقى له ما يبدئ الباطل للابتلاء وما يعيد على العبد من الأحكام، وقد يكون الباطل اسما للعدو ويكون وصفا للنفس ألم تسمع قوله عز وجل: (قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) سبأ: ٤٩ أي: لما جاء الحق أبدى الباطل وأعاده فأظهر حقيقة الأمر بدءا وعودا وقد قيل إن الباطل يعني به إبليس ههنا فتدبروا وقال: (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) النحل: ١٠٤ وكما أن الله عز وجل في البيان نعمة رأنه لاتقع إلا بقدرة كما قال: فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فكذلك على العبد فيه شكر وقد يكون سببا للإنعام بالبيان وعلى الله المزيد على الشكر، كما قال:

---

(١) تهذيب اللغة الأزهري ١٠/١٥

(كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) المائدة: ٩٨، وقال في تحقيق الشكر بالمزيد للشاكرين على التصريف: (كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) الأعراف: ٥٨ فإذا وقف العبد في الشبهات عن الإمضاء وأوقف الخاطر على الابتداء حتى يكشفه الله عز وجل له بمزيد علم أو قوة يقين أو كشف حجاب الهوى فقد وفق للصواب وهو من معنى قوله عز وجل: (آتيناه الحكمة وفصل الخطاب) ص: ٢٠ وداخل في قوله: (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) البقرة: ٢٦٩ هذا إذا لم يرد بالطلب ولم يجعل لعالم آخر فيه مكان كشفه للعبد بوصفه فإذا أراده بالطلب لأوليائه وجعل للعلماء مكانا للدلالة عليه اضطره أن يسأل عالما بالله وبباطن أحكامه عارفا بلطيف حجابه وخفي كشفه فيكشف له على لسانه إذا لم يكن العبد ممن يكاشف بقلبه." (١)

"الملك: ما لك يا نزار، وتفسيره في لغتهم يا مهزول، فغلب عليه هذا الاسم فسمي نزارا، وفيه يقول قمعة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان:

جديسا خلفناه وطسما بأرضه ... فأكرم بنا عند الفخار فخارا

فنحن بنو عدنان خلدان جدنا ... فسماه تستشف الهمام نزارا

فسمى نزارا بعد ما كان اسمه ... لدى العرب خلدان بنوه خيارا

وكان لنزار أربعة أولاد: مضر وربيعة وأياد وأنمار، فلما حضرته الوفاة وصاهم فقال: يا بني هذه القبة الحمراء وما أشبهها لأياد وهذه الندوة والمجلس وما أشبهه لأنمار فإن **أشكل عليكم** واختلفتم فعليكم بالأفعى الجرهمي بنجران، فاختلفوا في القسمة فتوجهوا إليه فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كلأ قد رعي، فقال: إن البعير الذي رعى هذا الكلأ لأعور، وقال ربيعة: هو أزور، وقال أياد: هو أبتر، وقال أنمار: هو شرود، فلم يسيروا قليلا حتى لقيهم رجل يوضع على راحلته فسألهم عن البعير، فقال مضر: هو أعور؟ قال: نعم، وقال ربيعة: هو أزور؟ قال: نعم، وقال أياد: هو أبتر؟ قال: نعم، وقال أنمار: هو شرود؟ قال: نعم، وهذه والله صفة بعيري فدلوني عليه، فقالوا:

والله ما رأيناه، قال: قد وصفتموه بصفته فكيف لم تروه، وسار معهم إلى نجران حتى نزلوا بالأفعى الجرهمي، فناداه صاحب البعير: هؤلاء أصحاب بعيري وصفوه لي بصفته وقالوا لم نره، فقال لهم الأفعى الجرهمي: كيف وصفتموه ولم تروه؟ فقال مضر: رأيته يرعى جانبا ويترك جانبا فعرفت أنه أعور، وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر فعرفت أنه أزور، وقال أياد: رأيت بعره مجتمعا فعرفت أنه أبتر،

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١/١٤٣

وقال أنمار:

رأيته يرعى المكان الملتف ثم يجوز إلى غيره فعرفت أنه شرود، فقال الجرهمي لصاحب البعير: ليسوا أصحاب بعيرك فاطلب من غيرهم، ثم سألهم من هم؟ فأخبروه أنهم بنو نزار بن معد، فقال: أتحتاجون إلي وأنتم كما أرى، فدعا لهم لطعام فأكلوا وأكل، وبشراب فشربوا وشرب، فقال مضر:

لم أر كاليوم خمرا أجود لولا أنها نبتت على قبر، وقال ربيعة: لم أر كاليوم لحما أطيب لولا أنه ربي بلبن كلبة، وقال أياد: لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا أنه." (١)

"(أشك ا ؟ لمطا وأوجع البخيسا)

ــ الأصمعي المنسم طرف الخف أبو عبيد نسم به ينسم نسما والأظل ما تحت المناسم ابن دريد الحذاء ما يطأ عليه البعير من خفه وقد تقدم في الخيل ابن السكيت الأرض فراسن البعير والدابة مذكر غير واحد بعير أرح عريض الخف ساحب العين ناقة خثماء مستديرة الخف قصيرة المناسم غيره الدنع ما يطرحه الجازر من البعير ٣

ألوان الإبل

٣ – أبو عبيد بعير أحمر إذا لم يخالط حمرته شيء فإن خالط حمرته قنوء فهو كميت والناقة كميت وقد كمت كمتا وكماتة وقد تقدم تعليل الكميت في الخيل فإن خالط الحمرة صفاء فهو مدمى فإن اشتدت الكمتة حتى يدخلها سواد فتلك الرمكة بعير أرمك وناقة رمكاء ابن دريد هي الرمكة والرمك وكل شيئ خالطت غبرته سوادا كدرا فهو أرمك وأنشد

(منها الدجوجي ومنها الأرمك)

ــ ومنه اشتقاق الرامك أبو عبيد فإن خالط الكمتة مثل صدإ الحديد فهو الجؤوة وقد تقدم ذلك في الخيل أبو عبيد فإن خالط الحمرة صفرة كالورس قيل أحمر رادني وناقة رادنية صاحب العين الراداني من الإبل ما جعد وبره وهو كريم يضرب إلى سواد قليل أبو زيد الأصفر من الإبل الذي يسود أبضه وتنفذه شعرة بيضاء أبو عبيد فإن كان أسود يخالط سواده بياض كدخان الرمث فتلك الورقة وبعير أورق ابن دريد الغتمة شبيهة بالورقة بعير أغتم أبو عبيد فإن اشتدت ورقته حتى يذهب البياض الذي فيه فهو أدهم وناقة دهماء أبو زيد

---

(١) أعلام النبوة للماوردي الماوردي ص/١٨٦

الأدهم منها نحو الأصفر إلا أنه أقل سوادا غيره ناقة جرشية حمراء أبو عبيد فإذا اشتد السواد عن ذلك فهو جون ابن دريد ناقة دجواء سابغة الوبر في سواد أبو زيد الأدكن الذي تحسبه من بعيد أسود ابن دريد شوم الإبل سودها وجضارها بيضها لا واحد لها وأنشد

(بنات المخاض شومها وحضارها)

ــ ابن جني يروى شيمها وشومها فأما شيمها فجمع أشيم وشيماء ولا نظر فغيه وأما شومها فذهب الأصمعي إلى أنه لا واحد له وإذا كان ذلك فقد كفيت وجه تصريفه وأما من جعل شوما جمع أشيم فعلى أنه أقر الضمة بحالها ولم يبدلها كسرة لتصح الياء فتكون كبيض وهيم فآثر إخراج الفاء مضمومة على الأصل فانقلبت الياء واوا ونظيره عائط وعيط وعوط وأصله الياء لقولهم تعيطت الناقة علي ويجوز أن يكون واحد الحضار حضارا على ما حكاه سيبويه من قولهم درع دلاص وأدرع دلاص صاحب العين الأشكل من الإبل والغنم الذي يخلط سواده حمرة أو غبرة كأنه قد **أشكل عليك** لونه والأشكل من سائر الأشياء الذي فيه حمرة وبياض قد اختلط واسم اللون الشكلة ومنه الشكلة في العين وقد تقدم وفيه شكلة من سمرة وشكلة من سواد ابن دريد المغص البيض من الإبل الخالصة البياض والجمع أمغاص وقل هو جمع لا واحد له يقال إبل مغص وناقة مغص والأول أعلى وقد تقدم المغص في أوجاع البطن أبو عبيد الآدم من الإبل الأبيض وقد تقدم أنه الشديد السمرة في الناس وذكر تصريف فعله وبناء مصدره فإن خالطته حمرة فهو." (١)

"٩٢٨ – وبهذا الإسناد قال السري: " الأمور ثلاثة: أمر بان لك رشده، فاتبعه، وأمر بان لك غيه، فاجتنبه، وأمر **أشكل عليك** فقف عنه وكله إلى الله تعالى، وليكن الله دليلك، واجعل فقرك إليه تستغن به عمن سواه "." (٢)

"لا تبرمن مريضا في عيادته ... يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وللشافعي الفقيه رضي الله عنه وقد اشتكى بمصر شكوى عاده فيها بعض إخوانه، فلمسوا جبينه، وقالوا له: أنت بخير ونحو هذا، فقال:

أقول لعائدي وشجعوني ... وغرهم فتور حمى جبيني

تعزوا بالتصبر عن أخيكم ... فضجوا بالبكاء وودعوني

---

(١) المخصص ابن سيده ٢/١٥٦

(٢) الزهد الكبير للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٣٤١

فلم أدع الأنين لقل سقمي ... ولكني ضعفت عن الأنين
سأصبر للحمام وقد أتاني ... وإلا فهو آت بعد حين
وإن أسلم يمت قبلي حبيب ... وموت أحبتي قبلي يسوني
قال المدائني: سقط عبد الله بن شبرمة القاضي عن دابته، فوثئت رجله، فدخل عليه يحيى بن نوفل الشاعر عائدا له ومادحا، وكان جاره فأنشده:
أقول غداة أتانا الخبير ... ود س أحاديثه هينمه
لك الويل من مخبر ماتقول؟ ... أبن لي وعد عن الجمجمه
فقال خرجت وقاضي القضا ... ة منفكة رجله مؤلمه
فقلت وضاقت علي البلاد ... وخفت المجللة المعظمه
فغزوان حر وأم الوليد ... إن الله عافى أبا شبرمه
جزاء لمعروفه عندنا ... وما عتق عبد له أو أمه
قال: وفي المجلس جار ليحيى بن نوفل يعرف ما في منزله، فلما خرج تبعه، فقال له: ياأبا معمر! رحمك الله من غزوان وأم الوليد؟ قال: سنوران في البيت فاستر علي.
باب الحجاب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من ولي من أمور الناس شيئا فاحتجب عن حاجتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة وعن حاجته، وخلته وفاقته ".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من رفع حاجة ضعيف إلى ذي سلطان لا يستطيع رفعها، ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة ".
حجب معاوية أبا الدرداء يوما وحبسه عند بابه، فقيل له: يا أبا الدرداء! ويفعل هذا بك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: من يأت أبواب السلطان يقم ويقعد.
قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي:؟ دخلت على معاوية بن صخر على حين يئست من الدخول
وما نلت الدخول عليه حتى ... حللت محلة الرجل الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها ... ولم أنظر إلى قال وقيل
فأدركت الذي أملت منه ... بمكث والخطا زاد العجول
حجب أعرابي عند باب سلطان فقال:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ... ولن يكرم النفس الذي لا يهينها

حدثني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبيد الله الصيدلاني، قال:حدثنا علي بن سليمان الأخفش، قال: أنشدني بعض أصحابنا:

في كل يوم لي ببابك وقفة ... أطوى إليها سائر الأبواب

فإذا جلست وغبت عنك فإنه ... ذنب عقوبته على البواب

استأذن أبو سفيان على عثمان رضي الله عنه، فأبطأ إذنه، فقيل حجبك أمير المؤمنين؟ فقال: لا عدمت من قومي من إذا شاء حجب.

قال معاوية لحضين بن المنذر: يا أبا ساسان كأنك لا تحسن إذنك. فأنشأ يقول:

كل خفيف الرأي يمشي مشمرا ... إذا فتح البواب بابك إصبعا

ونحن الجلوس الماكثون رزانة ... وحلما إلى أن يفتح الباب أجمعا

قال زياد لحاجبه: يا عجلان! إني وليتك ما وراء بابي، وعزلتك عن أربعة: طارق الليل فشر ما جاء به، وخبر رسول صاحب الثغر فإنه إن تأخر ساعة أبطل عمل سنة، وهذا المنادي الصلاة وصاحب الطعام فإن الطعام إذا أعيد عليه التسخين فسد.

قال مروان لابنه عبد العزيز - حين ولاه مصر - يا بني مر حاجبك يخبرك من حضر بابك كل يوم، فتكون أنت تأذن وتحجب، وآنس من دخل عليك بالحديث فينبسط إليك، ولا تعجل بالعقوبة إذا **أشكل عليك** الأمر، فإنك على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها.

كان يقال: لا تقم على باب حتى تدعى إليه.." (١)

"١٧٠ - أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد الصرام أخبرنا محمد بن الحسين بن محمد بن حاتم أخبرنا محمد بن محمد بن الحسن حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا ابن نمير حدثنا أبي ويعلى عن إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد قال قال عبد الله رضي الله عنه إن للقرآن منارا كمنار الطرق فما عرفتم فتمسكوا به وما **أشكل عليكم** فردوه." (٢)

"بعينه إلى الشيء وأريه كرامتي في كل ساعة وأقربه من نور وجهي إن مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وإن عطش أرويته وأذيقه طعم ذكري فإذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٥٥

(٢) ذم الكلام وأهله الهروي، أبو إسماعيل ١٢/٢

ولم أحببها إليه لا يفتر عن الاشتغال بي يستعجلني القدوم وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا أرى غيره فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه إذا سمع بذكرى أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لأقعدنه في الفردوس ولأشفين صدره من النظر إلي حتى يرضى وفوق الرضا

وفي أخبار داود أيضا قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ما ضركم إذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق إذا التمستم رضائي

وفي أخبار داود أيضا إن الله تعالى أوحى إليه تزعم أنك تحبني فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب

يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به وأما ما **أشكل عليك** فقلدنيه حقا على أني أسارع إلى سياستك وتقويمك وأكن قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد وإني قد حلفت على نفسي أني لا أثيب إلا عبدا قد عرفت من طلبته وإرادته إلقاء كنفه بين يدي وأنه لا غنى به عني

فإذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكن الغنى قلبك فإني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبد لي إلى نفسه ينظر إلى فعالها إلا وكلته إليها أضف الأشياء إلي لا تضاد عملك فتكون متعنيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة أعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم أعلم بنى إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي أبح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر إلي ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك إلى الذين حجبت عقولهم عنى فأمر جوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فإني حلفت بعزتي وجلالي لا أفتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها

يا دواد لأن تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فأكتبك عندي جهيدا ومن كتبته عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين

يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب عنك محنتي لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فإنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها

تنقص حلاوة مناجاتي وإنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل إليهم أن أحجب عقولهم عني فإني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها

يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بإدمان الصوم وإياك والتجربة في الإفطار فإن محبتي للصوم إدمانه

يا داود تحبب إلي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات أنظر إليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة إنما أداريك مداراة لتقوى على ثوابي إذا مننت عليك به وإني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي

أوحى الله تعالى إلى داود يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلي وتقطعت أوصالهم من محبتي

يا داود هذه إرادتي في المدبرين عنى فكيف إرادتي في المقبلين علي." (١)

"السلام الأمور ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر **أشكل عليك** فكله إلى عالمه (١) وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم (٢) فأعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتنانا على عبده ﴿وكان فضل الله عليك عظيما﴾ وأراد به العلم وقال تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وقال تعالى ﴿إن علينا للهدى﴾ وقال ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ وقال ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾

وقال علي كرم الله وجهه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب إلى كل جميل وأوثق العرا التقوى واوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته أتاك وإن كنت جازعا على ما أصيب مما في يديك فلا تجزع على ما لم يصل إليك واستدل على ما لم يكن بما كان فإنما الأمور أشباه والمرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت

وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة فإذن النظر الأول للمراقب نظره في الهم

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٣٢٦

والحركة أهي لله أم للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا (٣) وأكثر ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه (٤)

النظر الثاني للمرقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في إتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب فإن كان قاعدا مثلا فينبغى أن يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة (٥) ولا يجلس متربعا إذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم أجلس بعد ذلك متربعا وإن كان ينام

فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في موضعها فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة

فإذن لا يخلو العبد إما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح

فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات

---

(١) حديث قال عيسى الأمور ثلاثة الحديث أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف

(٢) حديث اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم لم أجده

(٣) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم الحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وقد تقدم

(٤) حديث من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه تقدم

(٥) حديث خير المجالس ما استقبل به القبلة أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس وقد تقدم." [١]

"[سورة الطلاق (٦٥) : الآيات ٤ الى ٥]

واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤٠٢/٤

أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا (٤) ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا (٥)

روى أن ناسا قالوا: قد عرفنا عدة ذوات الأقراء، فما عدة اللائي لا يحضن، فنزلت: فمعنى إن ارتبتم: إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن، وقيل: إن ارتبتم في ذم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين، أهو دم حيض أو استحاضة؟

فعدتهن ثلاثة أشهر وإذا كانت هذه عدة المرتاب بها، فغير المرتاب بها أولى بذلك واللائي لم يحضن هن الصغائر. والمعنى: فعدتهن ثلاثة أشهر، فحذف لدلالة المذكور عليه. اللفظ مطلق في أولات الأحمال، فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن. وكان ابن مسعود وأبى وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون. وعن على وابن عباس: عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الأجلين «١» . وعن عبد الله: من شاء لا عنته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة «٢» ، يعنى: أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل. وروت أم سلمة أن سبيعة الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: قد حللت فانكحي «٣» يجعل له من أمره يسرا ييسر له من أمره ويحلل له من عقده بسبب التقوى ذلك أمر الله يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات. والمعنى: ومن يتق الله في العمل بما أنزل الله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الإسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وإيتاء أجر المرضعات وغير ذلك: استوجب تكفير السيئات والأجر العظيم.

[سورة الطلاق (٦٥) : الآيات ٦ الى ٧]

أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضآروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى (٦) لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا (٧)

---

(١) . رواه البخاري في صحيحه قال: «جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة عنده. فقال: أفتنى في امرأة ولدت بعد وفاة زوجها بأربعين ليلة. فقال ابن عباس آخر الأجلين وفيه قصة سبيعة. وفيه مخالفة أبى هريرة له في ذلك رواه ابن أبى شيبة عن وكيع عن إسماعيل عن الشعبي قال قال عبد الله «أجل كل حامل حتى تضع» وكان على يقول «آخر الأجلين» وله طريق أخرى عنده موصولة من طريق عبيد بن الحسن عن عبد

الرحمن بن معقل قال «شهدت عليا رضى الله عنه ... فذكره نحوه.
(٢) . أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجة من طريق مسروق لم يذكر البخاري أوله. وزاد عبد الرزاق أنه قال ذلك لما بلغه أن عليا قال «هي في آخر الأجلين» .
(٣) . متفق عليه وله طرق وألفاظ. وفي رواية البخاري «فوضعت بعد موته بأربعين ليلة» . [.....]."[1]
"الجنة ومن شاء أدخله النار بما قدم

من عمل عمله

وبما أخر

منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به، أو بما أخره فخلفه. وبما قدم من عمل الخير والشر، وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده. وعن مجاهد: بأول عمله وآخره. ونحوه: فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه بصيرة

حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز، كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة. والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ، ففيه ما يجزئ عن الإنباء، لأنه شاهد عليها بما عملت، لأن جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، ولو ألقى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها. وعن الضحاك: ولو أرخى ستوره، وقال: المعاذير الستور، واحدها معذار، فإن صح فلأنه يمنع رؤية المحتجب، كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب. فإن قلت: أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير؟ قلت: المعاذير ليس بجمع معذرة، إنما هو اسم جمع لها، ونحوه: المناكير في المنكر.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ١٦ الى ٢٥]

لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨) ثم إن علينا بيانه (١٩) كلا بل تحبون العاجلة (٢٠)

وتذرون الآخرة (٢١) وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة (٢٣) ووجوه يومئذ باسرة (٢٤) تظن أن يفعل بها فاقرة (٢٥)

الضمير في به

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٥٧/٤

للقرآن، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحى نازع جبريل القراءة، ولم يصبر إلى أن يتمها، مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه، فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه، حتى يقضى إليه وحيه، ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه. والمعنى: لا تحرك لسانك بقراءة الوحى ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ لتعجل به

لتأخذه على عجلة، ولئلا يتفلت منك. ثم علل النهى عن العجلة بقوله إن علينا جمعه

في صدرك وإثبات قراءته في لسانك فإذا قرأناه

جعل قراءة جبريل قراءته: والقرآن: القراءة فاتبع قرآنه

فكن مقفيا له فيه ولا تراسله، وطأ من نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ، فنحن في ضمان تحفيظه ثم إن علينا بيانه إذا **أشكل عليك** شيء من معانيه، كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا، كما ترى بعض الحراص على العلم، ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه، كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وإنكار لها عليه، وحث على الأناة والتؤدة، وقد بالغ في ذلك بإتباعه قوله." (١)

"بكر بن لال، حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان، قال: حدثنا محمد بن يزيد بن ماجه، قال: حدثنا الحسن بن حماد، قال: حدثني يحيى بن سعيد الأموي، عن محمد بن سعيد بن حسان، عن عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل، قال: لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، قال: «لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم، فإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه» .

هذا حديث غريب حسن

١٠٣ - أخبرنا محمد بن طاهر، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب، أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، قال: حدثنا أبو القاسم البغوي، قال:." (٢)

"الأصمعي قال سمعت أعرابيا يقول

إذا **أشكل عليك** أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما إلى هواك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٦٦١

(٢) الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير الجورقاني ١/٢٤٧

١٦ - وقال الأصمعي

سمعت أعرابيا يقول

الصبر المحمود أن يكون للنفس الفجوج غلوبا وللأمور المعضلة محتملا وللهوى عند الرأي مرفضا وللحزم عند الهوى مؤثرا فإن آفة الرأي الهوى فكن للهوى عند نازلة الأمور تاركا

١٧ - سمعت أبا محمد سعد الله بن علي بن الحسين بن أيوب البزار البغدادي يقول سمعت أبا المظفر هناد بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن إسماعيل بن عصمة بن صالح النسفي قال." (١)

"أخبرنا عبد الخالق بن أحمد قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال أنبأنا محمد بن علي بن الفتح قال أنبأنا محمد بن عبد الله بن أخي ميمي قال أنبأنا الحسين بن صفوان قال حدثنا عبد الله بن محمد القرشي قال حدثني العباس بن الفضل قال حدثنا السري بن يحيى قال سمعت مالك بن دينار يقول بئس العبد عبد همه هواه وبطنه

قال القرشي وحدثني أبو علي المروزي قال أنبأنا عبدان بن عثمان قال أنبأنا عبد الله قال أنبأنا سعيد بن أبي أيوب قال حدثني بكر بن عمرو عن صفوان بن سليم قال ليأتين على الناس زمان تكون همة أحدهم فيه بطنه ودينه هواه

أنبأنا علي بن عبيد الله قال أنبأنا عبد الواحد بن علي بن فهد قال أنبأنا أبو الفتح بن أبي الفوارس قال أنبأنا عمر بن أحمد قال حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا زكريا بن يحيى قال حدثنا الأصمعي قال سمعت أعرابيا يقول إذا **أشكل عليك** أمران لا تدري أيهما أرشد فخارف أقربهما من هواك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى

أخبرنا أبو المعمر الأنصاري قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال أنبأنا الحسن ابن أحمد الباقلاني قال أنبأنا أبو الحسين محمد بن أحمد المحاملي قال حدثنا أبو جعفر بن بريه قال حدثنا محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني قال قال ابن السماك إن شئت أخبرتك بدائك وإن شئت أخبرتك بدوائك داؤك هواك ودواؤك ترك هواك

وبالإسناد حدثنا ابن خلف قال حدثنا أبو محمد التميمي قال حدثنا أبو الحسن المدائني قال قال رجل للحسن يا أبا سعد أي الجهاد أفضل قال جهادك

---

(١) فتيا وجوابها في ذكر الاعتقاد أبو العلاء الهمذاني ص/٦٤

هواك أخبرنا ابن حبيب قال حدثنا ابن أبي صادق قال أنبأنا ابن باكويه قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال مررت بأعرابي به رمد شديد ودموعه." (١)

"أنفوا من مزاحمة الخلق في أسواق الهوى، وقوي شوقهم فلم يحتملوا حصر الدنيا، فخرجوا إلى فضاء العز في صحراء التقوى، وضربوا مخيم المجد في ساحة الهدى، وتخيروا شواطىء أنهار الصدق، فشرعوا فيها مشارع البكاء، وانفردوا بقلقهم فساعدهم ريم الفلا، وترنمت بلابل بلبالهم في ظلام الدجى، فلو رأيت حزينهم يتقلب على جمر الغضا.

فيا محصورا عنهم في حبس الجهل والمنى، إن خرجت من سجنك لترويح شجنك من غم البلاء، عرج بذلك الوادي. تلمح القوم الوجود ففهموا المقصود، فجمعوا الرحل قبل الرحيل، وشمروا في سواء السبيل، فالناس يخوضون في وحل الإكتساب، وهم في ظل القناعة، ومرض الهوى يستغيثون في مارستان البلاء، وهم في قصور السلامة، وكسالى البطالة على فراش التواني وهم في حلبات السباق (يرجون تجارة لن تبور) يجرون خيل العزائم في ميادين المبادرة، ويضربون الدنيا بصولجان الأنفة، فما مضت إلا ايام حتى عبروا الققنطرة، وقد سلموا من المكس. غناهم في قلوبهم (سيماهم في وجوههم) ما ضرهم ما عزهم، أعقبهم ما سرهم، هان عليهم طول الطريق لعلمهم بشرف المقصد، وحلت لهم مرارات البلاء لتعجيل السلامة، فيابشراهم يوم (هذا يومكم) .

شقينا في الهوى زمنا فلما ... تلاقينا كأنا ما شقينا

سخطنا عندما جنت الليالي ... فما زالت بنا حتى رضينا

سعدنا بالوصال وكم سقينا ... بكاسات النعيم وكم شقينا

فمن لم يحي بعد الموت يوما ... فإنا بعد ميتتنا حيينا

الفصل الثاني والعشرون

دموع المذنبين

سبحان من يرسل رياح المواعظ فتثير من قلوب المتيقظين غيم الغم على ما سلف، فتسوقه إلى بلد الطبع المجدب برعد الوعيد، وبريق الخشية، فترقأ دموع الأحزان من قعر بحر القلب إلى أوج الرأس، فتسيل ميازيب الشؤون على نطوع الوجنات، فإذا أعشب السر تهتز فرحا بالإجابة.

سلي عنه تخبر باليقين دموعه ... ولا تسألي عن قلبه أين يمما

---

(١) ذم الهوى ابن الجوزي ص/٢٣

وفجعة " عمرو " مثل هرعة " مالك " ... ويقبح بي أن لا أموت متيما

إذا أرعدت سحائب التخويف انزعج لها قلب المذنب فانفتحت صحائف أصداف سره كانفتاح أصداف البحر لتلقي قطر نيسانن فقطرت فيها قطرات عزائم عقدها لؤلوا، ربيع العرفان التوبة الصادقة، كيمياء السعادة إذا وضعت منها حبة صافية على جبال من أكدار الذنوب دكتها كهيبة التجلي قبل المباشرة، فصارت كحلا مصلحا لأحداق البصائر.

رب ذنب أدخل صاحبه الجنة، إذا صدق التائب قلبت الأمارة مطمئنة، لما أخذ الخليل عليه السلام في طريق الصبر فتبعه الذبيح واستسلما، ألقي على السكين السكون، إذا جالس التائب رفيق الفكر، أعاد عليه حديث الزلل، وندمه على ركوب الخطل، فرأيت العين التي كانت فجرت قد انفجرت، وسمعت لسان الأسى يعيد لفظة: لا أعود وعانيت عامل اليقظة قد بث عمال الجد في رستاق القلب للعمارة، فيا أيها المذنب: إذا **أشكل عليك** أمر فليفصح لك دمعك.

إذا أعجمت أطلال هند على البلا ... فدمعك في بث الغرام فصيح

يا مطلقا في وصالنا راجع، يا حالفا على هجرنا كفر، إنما أبعدنا إبليس لأنه لم يسجد لك.

فواعجبا!! كيف صالحته وهجرتنا!!؟ ويحك لك من عندنا من القدر ما لا تعرفه لليلة القدر.

رعى الله من نهوى وإن كان ما رعى ... حفظنا له الود القديم وضيعا

وصالحت قوما كنت أنهاك عنهم ... وحقك ما أبقيت للصلح موضعا

الفصل الثالث والعشرون

في ترك الشهوات

حبال الدنيا خيال تعز العز، انقطعت منذ الصلة اتصلت بعزة " فرعون " الهوى. إذا ألقى موسى الزهد عصا الشهوات إذا هي تتلقف.

الدنيا سوق فيها ضجيج الشهوات، فإذا اشتغلت بها فمن يسمع المواعظ، نادى بالصالحين أمير " نمل " التوفيق، عند ممر " سليمان " البلاء، كفوا أكف الطباع عن تناول لقم الهوى (لا يحطمنكم سليمان وجنوده).. " (١)

"[سورة الطلاق (٦٥) : الآيات ٤ الى ٥]

واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال

---

(١) اللطائف ابن الجوزي ص/١٤

أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا (٤) ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا (٥)

قوله: واللائي يئسن من المحيض الآية، ذكر الله تعالى في سورة البقرة عدة ذوات الأقراء والمتوفى عنها زوجها وذكر عدة سائر النسوة اللائي لم يذكرن هناك في هذه السورة،

وروي أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله قد عرفنا عدة التي تحيض، فما عدة التي لم تحض فنزل: واللائي يئسن من المحيض

وقوله:

إن ارتبتم أي إن أشكل عليكم حكمهن «١» في عدة التي لا تحيض، فهذا حكمهن، وقيل: إن ارتبتم في دم «٢» البالغات مبلغ الإياس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر فلما نزل قوله تعالى: فعدتهن ثلاثة أشهر قام رجل فقال: يا رسول الله فما عدة الصغيرة التي لم تحض؟ فنزل: واللائي لم يحضن أي هي بمنزلة الكبيرة التي قد يئست عدتها ثلاثة أشهر، فقام آخر وقال، وما عدة الحوامل يا رسول الله؟ فنزل: وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن معناه أجلهن في انقطاع ما بينهن وبين الأزواج وضع الحمل، وهذا عام في كل حامل، وكان علي عليه السلام يعتبر أبعد الأجلين، ويقول:

والذين يتوفون منكم [البقرة: ٢٣٤] لا يجوز أن يدخل في قوله: وأولات الأحمال وذلك لأن أولات الأحمال إنما هو في عدة الطلاق، وهي لا تنقض عدة الوفاة إذا كانت بالحيض، وعند ابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين. وأما ابن مسعود فقال: يجوز أن يكون قوله: وأولات الأحمال مبتدأ خطاب ليس بمعطوف على قوله تعالى: واللائي يئسن ولما كان مبتدأ يتناول العدد كلها، ومما يدل عليه خبر سبيعة بنت الحرث أنها وضعت حملها بعد وفاة زوجها بخمسة عشر يوما، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتزوج، فدل على إباحة النكاح/ قبل مضي أربعة أشهر وعشر، على أن عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل في جميع الأحوال. وقال الحسن: إن وضعت أحد الولدين انقضت عدتها، واحتج بقوله تعالى: أن يضعن حملهن ولم يقل: أحمالهن، لكن لا يصح، وقرئ (أحمالهن) ، وقوله: ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا أي ييسر الله عليه في أمره، ويوفقه للعمل الصالح. وقال عطاء: يسهل الله عليه أمر الدنيا والآخرة، وقوله: ذلك أمر الله أنزله إليكم يعني الذي ذكر من الأحكام أمر الله أنزله إليكم، ومن يتق الله بطاعته، ويعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يكفر عنه سيئاته من الصلاة إلى الصلاة، ومن

الجمعة إلى الجمعة، ويعظم له في الآخرة أجرا، قاله ابن عباس، فإن قيل قال تعالى: أجلهن أن يضعن حملهن ولم يقل: أن يلدن، نقول: الحمل اسم لجميع ما في بطنهن، ولو كان كما قاله، لكانت عدتهن بوضع بعض حملهن، وليس كذلك. ثم قال تعالى:

[سورة الطلاق (٦٥) : الآيات ٦ الى ٧]

أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضآروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى (٦) لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا (٧)

---

(١) في مطبوع التفسير الكبير للرازي (حملهن) والمثبت من الكشاف للرازي (٤/ ١٢١ ط. دار الفكر) .

(٢) في مطبوع التفسير الكبير للرازي (في البالغات) والمثبت من المرجع السابق.." (١)

"فإنمار هو أبو بجيلة وخثعم، وقد تيامنت بجيلة إلا من كان منهم بالشام والمغرب، فإنهم على نسبهم إلى أنمار بن نزار.

وجرير بن عبد الله «١» صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سادات بجيلة وله يقول القائل:

لولا جرير هلكت بجيلة ... نعم الفتى وبئست القبيلة

وكذلك تيامنت الدار أيضا بخثعم، وهم بنو أقيل بن أنمار، وإنما خثعم جبل تحالفوا عنده فسموا به، وهم بالسراة على نسبهم إلى أنمار.

وإذا كان بين مضر واليمن فيما هنالك حرب، كانت خثعم مع اليمن على مضر «٢» .

ويروى أن نزارا لما حضرته الوفاة، قسم ماله بين بنيه الأربع: مضر وربيعة وإياد وأنمار.

فقال: هذه القبة لقبة كانت له حمراء من أدم، وما أشبهها من المال لمضر، وهذا الخباء الأسود وما أشبهه لربيعة، وهذه الخادم، وكانت شمطاء، وما أشبها لإياد. وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه.

وقال لهم: إن **أشكل عليكم** الأمر فى ذلك واختلفتم فى القسمة، فعليكم بالأفعى الجرهمى. وكان بنجران. فاختلفوا بعده وأشكل أمر القسمة عليهم، فتوجهوا إلى الأفعى. فبينا هم فى مسيرهم إليه إذ رأى مضر كلأ

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٦٣/٣٠

قد رعى، فقال: إن البعير الذى رعى هذا لأعور.

فقال ربيعة: وهو أزور. وقال إياد: وهو أبتر. وقال أنمار: وهو شرود.

فلم يسيروا إلا قليلا، حتى لقيهم رجل توضع به راحلته، فسألهم عن البعير، فقال له مضر: أهو أعور؟ قال: نعم. قال ربيعة: أهو أزور؟ قال: نعم. قال إياد: أهو أبتر؟ قال نعم. قال أنمار: وهو شرود؟ قال: نعم، هذه والله صفة بعيرى دلونى عليه. فحلفوا له ما

---

(١) انظر ترجمته فى: الاستيعاب الترجمة رقم (٣٢٦) ، الإصابة الترجمة رقم (١١٣٩) ، أسد الغابة الترجمة (٧٣٠) ، طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢) ، طبقات خليفة (١١٦، ١٣٨) ، تاريخ خليفة (٢١٨) ، التاريخ الكبير (٢/ ٢١١) ، الجرح والتعديل (٢/ ٥٠٢) ، تهذيب الكمال (١٩١) ، تاريخ الإسلام (٢/ ٤٢٧) ، العبر (١/ ٥٧) ، تهذيب التهذيب (٢/ ٧٣) ، خلاصة تذهيب الكمال (٦١) ، شذرات الذهب (١/ ٥٧، ٥٨) .

(٢) انظر: السيرة (١/ ٧٨) .." [(١)]

"بمعروف أو نهي عن منكر فيوهمك أنك مراء بذلك فتتركه فيوهمك أنك مراء بالصمت وأن يقال إنما صمت خيفة من الرياء فتغيب عن الناس خوفا من الرياء فيوهمك أنك مراء بالهروب منهم والاعتزال عنهم وأنهم يقولون إنما فر بدينه خوفا من الرياء فتستحلي النفس أن تقول الناس إنما فر بدينه خوف الرياء ولا خلاص لك من مثل ذلك إلا بالكراهة والإباء

فإن **أشكل عليك** أمرك فإن وجدت نفسك مائلة إليه من غير كراهة ولا إباء فقد صدقك الشيطان فيما أخبرك به من أنك مراء فإن لم تنفك عن خطرة الرياء ولم يجد من نفسك الكراهة والإباء فإن كان ذلك العمل نفلا فدعه وإن كان فرضا لزمك أن تجاهد نفسك على حسب إمكانك في استحضار نفسك الكراهة والإباء

وإن دخلت في الفرض على الإخلاص فأوهمك أنك مراء فلا تصغ إليه ولا تلتفت عليه لأنك تحققت الإخلاص وشككت في الرياء واليقين لا يزال بالشك

٣٤ - فصل في بيان أوقات الخطرات بالرياء والتسميع

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء أبو الربيع الكلاعي ١٢/١

لا يكون التسميع إلا بعد انقضاء العمل على الإخلاص فيسمع العبد." (١)

"وأن الأدلة والواقع يشهدان بكذب هذا المفتري وعظم جرأته على الله وقلة حيائة من الله ومن الناس فهؤلاء أمم كثيرة لم يكتبوها فلم تسود وجوههم وهاهنا جم غفير لا يحصهم إلا الله قد كتبوها مرات كثيرة فلم يقض دينهم ولم يزل فقرهم فنعوذ بالله من زيغ القلوب ورين الذنوب وهذه صفات وجزاءات لم يأت بها الشرع الشريف لمن كتب أفضل كتاب وأعظمه وهو القرآن الكريم فكيف تحصل لمن كتب وثية مكذوبة مشتملة على أنواع من الباطل وجمل كثيرة من أنواع الكفر سبحان الله ما أحلمه على من اجترأ عليه بالكذب الأمر الرابع من الأمور الدالة على أن هذه الوصية من أبطل الباطل وأوضح الكذب قوله فيها ومن يصدق بها ينجو من غذاب النار ومن كذب بها كفر وهذا أيضا من أعظم الجرأة على الكذب ومن أقبح الباطل يدعو هذا المفتري جميع الناس الى أن يصدقوا بفريته ويزعم أنهم بذلك ينجون من عذاب النار وأن من كذب بها يكفر لقد أعظم والله هذا الكذاب على الله الفرية وقال والله غير الحق إن من صدق بها هو الذي يستحق أن يكون كافرا لا من كذب بها لأنها فرية وباطل وكذب لا أساس له من الصحة

ونحن نشهد الله على انها كذب وأن مفتريها كذاب يريد أن يشرع للناس ما لم يأذن به الله ويدخل في دينهم ما ليس منه والله قد أكمل الدين وأتمه لهذه الأمه من قبل هذه الفرية بأربعة عشر قرنا فأنتبهوا أيا القراء والإخوان

وإياكم والتصديق بأمثال هذه المفتريات وأن يكون لها رواج فيما بينكم فإن الحق عليه نور لا يلتبس على طالبه فأطلبوا الحق بدليله وأسألوا أهل العلم عما أشكل عليكم ولا تغتروا بحلف الكذابين فقد حلف إبليس اللعين لأبويكم على أنه لهما من الناصحين وهو أعظم الخائنين وأكذب الكذابين كما حكى الله عنه ذلك في سورة الأعراف حيث قال سبحانه ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾." (٢)

"الإنجيل غير مرة: "إن الأنبياء كلهم [معلمون] ١ لدواب الله"٢.

فكيف صرتم تضربون عما في الإنجيل من دلائل نبوته وتتعلقون بأدنى خيال ف محاولة ربوبيته؟!.

فإن أشكل عليكم لفظ الإنجيل - وليس بمشكل - فارجعا القهقرى إلى التوراة كتاب موسى والأنبياء من بعده، فهل تجدون فيها ما تنتحلونه من عبادة رجل من بني آدم؟! وإنا نجد غير ذلك في التوارة، وقد

---

(١) مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل ابن عبد السلام ص/٧٤

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث أبو شامة المقدسي ص/١١٩

حذرت من الشرك بالله ومجانبة توحيد الله حتى قالت: "متى سمعتم بذلك في بلد أو قرية فأهلكوا جميع من في تلك القرية / (١/٢٤/ب) والبلد بحد السلاح، ولا ترحموهم، الله ربكم هو إله واحد غيور عظيم مرهوب فاتقوه وخافوه، واحفظوا سننه وأحكامه وأزيلوا الشر من بينكم"٣.

وكرر ذلك في أسفار التوراة مرة بعد أخرى، فالاعتماد في ذلك على التوراة المقولة بلسان الإجماع عندكم، وذل أولى من الاعتماد على كتاب، إنما نقله أربعة أنفس وفيهم اثنان ليسا من أصحاب المسيح بل من التابعين لهم، فلا جرم لما نقل هذا الكتاب بلفظ الآحاد وقع فيه من الغلط ما ستقفون عليه إن شاء الله في الباب الرابع من هذا الكتاب. وحينئذ تتحققون أنه ليس هو الإنجيل المنزل من عند الله.

---

١ في ص معلمين والصواب ما أثبته.

٢ لم أجد في الأناجيل النص الذي ذكره المؤلف، ولكن ورد في إنجيل يوحنا ٤٥/٦، ما يؤدي نفس المعنى كالآتي: "أنه مكتوب في الأنبياء ويكون الجميع متعلمين من الله". ولعل الناسخ زاد كلمة لداوب في النص الذي أورده المؤلف.

٣ خروج ٢٣/٢٣، ١٢/٢٤-١٦.." (١)

"٥- وانتزع النصارى من التوراة: "أن ثلاثة من الملائكة مروا بإبراهيم عليه السلام فسجد لهم وخاطبهم بـ:"يا رب" ١، قالوا: فهذا إبراهيم يعتقد التثليث الذي نحن نقول به٢.

فيقال لهم: غلطتم أيها القوم غلطا عظيما، وحدتم عن صوب الصواب، **وأشكل عليكم** غير المشكل، وذلك أن التوراة تقول في السفر الأول منها: "إن الله سبحانه كان متجليا لإبراهيم قبل رؤيته الملائكة الثلاثة"٣. فقوله: "يا رب"، خطاب٤ لله وحده. ويؤيد ما قلته قول / (٢/٨/ب) التوراة: "ومضى الملائكة نحو سدوم وبقي إبراهيم قائما بين يدي الله تعالى يشفع في القوم، ويقول: بخطيئة واحدة تهلك الأبرار مع الفجار، حاشاك من ذلك يا حاكم الأرض أن٥ يكون هذا من صنيعك"٦. فهذا وجه حسن مقبول.

ووجه آخر: وهو أنه يحتمل أن يكون إبراهيم أضمر (يا رسل رب) ، والإضمار في التوراة كثير جدا: "كقول الملك لهاجر رآها ومعها ولدها إسماعيل: شدي يديك بهذا الغرام فإني سأكثر نسله كثيرا"٧. فأضمر الملك: "يقول لك الله: إني سأكثر نسل ولدك". إذ الملك لا يقدر على ذلك، وهو صادق لا يكذب.

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل صالح الجعفري ١٤٦/١

١ ورد النص في تكوين ١٨/٢، ٣، كالآتي: "وسجد إلى الأرض وقال: يا سيد ... "

٢ نقل ذلك عنهم أيضا الإمام ابن حزم في كتابه: (الفصل في الملل والنحل ١/٢٢٠) ، وقال: "وقد رأيت في بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية في إثبات التثليث". اهـ.

٣ تكوين ١٢/٧، ١٨/١.

٤ في م: [خطابا] .

٥ في م: (أن) ساقطة.

٦ تكوين ١٨/٢٢-٢٥.

٧ تكوين ٢١/١٧، ١٨.." (١)

"بمشيئتي بل بمشيئة من أرسلني"١. كما تقدم فهذا تعليم المسيح الذي دعا إليه وعلمه، فمن أقام عليه فهو مؤمن بالمسيح، ومن راغمه فهو الضال المضل كما / (٢/١٨٣/ب) أخبر المسيح عليه السلام.

قال المؤلف - عفا الله عنه -:واعلم أنه لو جاز أن يتمسك بنهي عيسى في الإنجيل عن الأنبياء الكذبة في رد محمد صلى الله عليه وسلم لجاز أن يتمسك بنهي موسى في التوراة عن الأنبياء الكذبة في رد عيسى، فقد قال الله في السفر الخامس من التوراة بعد ذكر النبي الصادق: "فأما الذي يقول ما لم آمره به ويدعو باسم آلهة أخرى فليقتل ذلك قتلا فإنما يريد أن يضلكم عن الطريق - ثم قال -:إن أشكل عليكم معرفة ما لم أقله مما قلته فانظروا فإني لا أتم قول الكاذب ولا أكمل فعله، لأنه قال ما لم أقله وإن ما تقوله كذب وجرأة وصفاقة وجه، فلا تخافوه ولا تفزعوا منه"٢.

ولما لم يقدح ذلك في حق عيسى لم يقدح مثله من الإنجيل في حق محمد صلى الله عليه وسلم.

فإن قيل: فمن هم الكذبة الذين ذكروا في توراة موسى وإنجيل عيسى؟

قلنا: لا يلزمنا بيانهم ولكنا نتبرع بذلك ونقول: قد نجم كذابون ونبغ متمحلون وقد أخبر بمجيئهم بطرس صاحب / (٢/١٨٤/أ) المسيح، فقال: "اعلموا أنه ما [جاءت] ٣ قط نبوة من مشيئة البشر بل من روح القدس سيق بها قوم عند الله مطهرون، وقد كانت أيضا في الشعب أنبياء كذبة كما أنه

---

١ ورد النص في نجيل متى ٦/٢٩، ٣٨، ٣٩، كالآتي: "هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله ... ، لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشية الذي أرسلني".

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل صالح الجعفري ١/٤٦٠

٢ تكوين ١٨/١٥-٢٢.

٣ في ص، م (خاب) والتصويب من النص.." (١)

"وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء أو الطلوع من المغرب، ولا ينافيه الخسوف فإنه مستعار للمحاق، ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة في الذهاب، أو بوصوله إلى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس، وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف.

يقول الإنسان يومئذ أين المفر أي القرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني، وقرئ بالكسر وهو المكان.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ١١ الى ١٣]

كلا لا وزر (١١) إلى ربك يومئذ المستقر (١٢) ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر (١٣)

كلا ردع عن طلب المفر. لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل.

إلى ربك يومئذ المستقر

إليه وحده استقرار العباد، أو إلى حكمه استقرار أمرهم، أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار.

ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر

بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله، أو بما قدم من عمل عمله وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة عمل بها بعده، أو بما قدم من مال تصدق به وبما أخر فخلفه، أو بأول عمله وآخره.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ١٤ الى ١٩]

بل الإنسان على نفسه بصيرة (١٤) ولو ألقى معاذيره (١٥) لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨)

ثم إن علينا بيانه (١٩)

بل الإنسان على نفسه بصيرة

حجة بينة على أعمالها لأنه شاهد بها، وصفها بالبصارة على المجاز، أو عين بصيرة فلا يحتاج إلى الإنباء.

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل صالح الجعفري ٢/٨٨٩

ولو ألقى معاذيره

ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر، أو جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فإن قياسه معاذر وذلك أولى وفيه نظر.

لا تحرك

يا محمد، به

بالقرآن. لسانك

قبل أن يتم وحيه. لتعجل به

لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك.

إن علينا جمعه

في صدرك. وقرآنه

وإثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي.

فإذا قرأناه

بلسان جبريل عليك. فاتبع قرآنه

قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك.

ثم إن علينا بيانه بيان ما **أشكل عليك** من معانيه، وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب، وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور وأصل الدين فكيف بها في غيره، أو بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات. وقيل الخطاب مع الإنسان المذكور والمعنى أنه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا، فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فإن علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من أعمالك وقراءته، فإذا قرأناه فاتبع قراءته بالإقرار أو التأمل فيه، ثم إن علينا بيان أمره بالجزاء عليه.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ٢٠ الى ٢٣]

كلا بل تحبون العاجلة (٢٠) وتذرون الآخرة (٢١) وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة (٢٣)

كلا ردع لـلرسول عن عادة العجلة أو للإنسان عن الاغترار بالعاجل. بل تحبون العاجلة.

وتذرون الآخرة تعميم للخطاب إشعارا بأن بني آدم مطبوعون على الاستعجال وإن كان الخطاب." (١)

"واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا (٤)

﴿واللائى يئسن من المحيض من نسائكم﴾ روي أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الإقراء فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت ﴿إن ارتبتم﴾ أي **أشكل عليكم** حكمهن وجهلتم كيف يعتددن ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر﴾ أي فهذا حكمهن وقيل إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أن استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر واذا

كانت هه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك ﴿واللائي لم يحضن﴾ هن الصغائر وتقديره واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها ﴿وأولات الأحمال أجلهن﴾ عدتهن ﴿أن يضعن حملهن﴾ والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما عدة الحامل المتوفي عنها زوج١ أبعد الأجلين ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ ييسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى." (٢)

"ثم إن علينا بيانه (١٩)

﴿ثم إن علينا بيانه﴾ إذا **أشكل عليك** شيء من معانيه." (٣)

"آخر من شكله أي من مثل ذلك الأول، ومن قرأ

وأخر

فالمعنى وأنواع أخر من شكله لأن معنى قوله أزواج أنواع. والشكل: المثل، تقول: هذا على شكل هذا أي على مثاله. وفلان شكل فلان أي مثله في حالاته. ويقال: هذا من شكل هذا أي من ضربه ونحوه، وهذا أشكل بهذا أي أشبه. والمشاكلة: الموافقة، والتشاكل مثله. والشاكلة: الناحية والطريقة والجديلة. وشاكلة الإنسان: شكله وناحيته وطريقته. وفي التنزيل العزيز: قل كل يعمل على شاكلته

؛ أي على طريقته وجديلته ومذهبه؛ وقال الأخفش: على شاكلته أي على ناحيته وجهته وخليقته. وفي

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢٦٦/٥

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٩٩/٣

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٥٧٢/٣

الحديث:

فسألت أبي عن شكل النبي، صلى الله عليه وسلم

، أي عن مذهبه وقصده، وقيل: عما يشاكل أفعاله. والشكل، بالكسر: الدل، وبالفتح: المثل والمذهب. وهذا طريق ذو شواكل أي تتشعب منه طرق جماعة. وشكل الشيء: صورته المحسوسة والمتوهمة، والجمع كالجمع. وتشكل الشيء: تصور، وشكله: صوره. وأشكل الأمر: التبس. وأمور أشكال: ملتبسة، وبينهم أشكلة أي لبس. وفي حديث

علي، عليه السلام: وأن لا يبيع من أولاد نخل هذه القرى ودية حتى تشكل أرضها غراسا

أي حتى يكثر غراس النخل فيها فيراها الناظر على غير الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه أمرها. والأشكلة والشكلاء: الحاجة. الليث: الأشكال الأمور والحوائج المختلفة فيما يتكلف منها ويهتم لها؛ وأنشد للعجاج:

وتخلج الأشكال دون الأشكال

الأصمعي: يقال لنا عند فلان روبة وأشكلة وهما الحاجة، ويقال للحاجة أشكلة وشاكلة وشوكلاء بمعنى واحد. والأشكل من الإبل والغنم: الذي يخلط سواده حمرة أو غبرة كأنه قد **أشكل عليك** لونه، وتقول في غير ذلك من الألوان: إن فيه لشكلة من لون كذا وكذا، كقولك أسمر فيه شكلة من سواد؛ والأشكل في سائر الأشياء: بياض وحمرة قد اختلطا؛ قال ذو الرمة:

ينفحن أشكل مخلوطا تقمصه ... مناخر العجرفيات الملاجيج

وقول الشاعر:

فما زالت القتلى تمور دماؤها ... بدجلة، حتى ماء دجلة أشكل

قال أبو عبيدة: الأشكل فيه بياض وحمرة. ابن الأعرابي: الضبع فيها غثرة وشكلة لونان فيه سواد وصفرة سمجة. وقال شمر: الشكلة الحمرة تختلط بالبياض. وهذا شيء أشكل، ومنه قيل للأمر المشتبه مشكل. وأشكل علي الأمر «٢» إذا اختلط، وأشكلت علي الأخبار وأحكلت بمعنى واحد. والأشكل عند العرب: اللونان المختلطان. ودم أشكل إذا كان فيه بياض وحمرة؛ قال ابن دريد: إنما سمي الدم أشكل للحمرة والبياض المختلطين فيه. قال ابن سيده: والأشكل من سائر الأشياء الذي فيه حمرة وبياض قد اختلط، وقيل: هو الذي فيه بياض يضرب إلى حمرة وكدرة؛ قال:

(٢). قوله [وأشكل علي الأمر] في القاموس: وأشكل الأمر التبس كشكل وشكل." (١)

"يقع فيما قبل الهاء؛ وقال: كان أبو جعفر قارئ أهل المدينة يخفض ويرفع لغير تمام؛ وقال أنشدني أبو حزام العكلي:

لي والد شيخ تهضه غيبتي، ... وأظن أن نفاد عمره عاجل

فخفف في موضعين، وكان حمزة وأبو عمرو يجزمان الهاء في مثل

يؤده إليك

ونؤته منها

ونصله جهنم

، وسمع شيخا من هوازن يقول: عليه مال، وكان يقول: عليهم وفيهم وبهم، قال: وقال الكسائي هي لغات يقال فيه وفيهي وفيه وفيهو، بتمام وغير تمام، قال: وقال لا يكون الجزم في الهاء إذا كان ما قبلها ساكنا. التهذيب: الليث هو كناية تذكير، وهي كناية تأنيث، وهما للاثنين، وهم للجماعة من الرجال، وهن للنساء، فإذا وقفت على هو وصلت الواو فقلت هوه، وإذا أدرجت طرحت هاء الصلة. وروي عن أبي الهيثم أنه قال: مررت به ومررت به ومررت بهي، قال: وإن شئت مررت به وبه وبهو، وكذلك ضربه فيه هذه اللغات، وكذلك يضربه ويضربه ويضربهو، فإذا أفردت الهاء من الاتصال بالاسم أو بالفعل أو بالأداة وابتدأت بها كلامك قلت هو لكل مذكر غائب، وهي لكل مؤنثة غائبة، وقد جرى ذكرهما فزدت واوا أو ياء استثقالا للاسم على حرف واحد، لأن الاسم لا يكون أقل من حرفين، قال: ومنهم من يقول الاسم إذا كان على حرفين فهو ناقص قد ذهب منه حرف، فإن عرف تثنيته وجمعه وتصغيره وتصريفه عرف الناقص منه، وإن لم يصغر ولم يصرف ولم يعرف له اشتقاق زيد فيه مثل آخره فتقول هو أخوك، فزادوا مع الواو واوا؛ وأنشد:

وإن لساني شهدة يشتفى بها، ... وهو على من صبه الله علقم

كما قالوا في من وعن ولا تصريف لهما فقالوا مني أحسن من منك، فزادوا نونا مع النون. أبو الهيثم: بنو أسد تسكن هي وهو فيقولون هو زيد وهي هند، كأنهم حذفوا المتحرك، وهي قالته وهو قاله؛ وأنشد:

وكنا إذا ما كان يوم كريهة، ... فقد علموا أني وهو فتيان

فأسكن. ويقال: ماه قاله وماه قالته، يريدون: ما هو وما هي؛ وأنشد:

---

(١) لسان العرب ابن منظور ٣٥٧/١١

دار لسلمى إذه من هواكا

فحذف ياء هي. الفراء: يقال إنه لهو أو الحذل «٢» عنى اثنين، وإنهم لهم أو الحرة دبيبا، يقال هذا إذا أشكل عليك الشيء فظننت الشخص شخصين. الأزهري: ومن العرب من يشدد الواو من هو والياء من هي؛ قال:

ألا هي ألا هي فدعها، فإنما ... تمنيك ما لا تستطيع غرور

الأزهري: سيبويه وهو قول الخليل إذا قلت يا أيها الرجل فأي اسم مبهم مبني على الضم لأنه منادى مفرد، والرجل صفة لأي، تقول يا أيها الرجل أقبل، ولا يجوز يا الرجل لأن يا تنبيه بمنزلة التعريف في الرجل ولا يجمع بين يا وبين الألف واللام،

---

(٢). قوله [أو الحذل] رسم في الأصل تحت الحاء حاء أخرى إشارة إلى عدم نقطها وهو بالكسر والضم الأصل، ووقع في الميداني بالجيم وفسره بأصل الشجرة.." (١)

"فإذا قرأناه

: أي الملك المبلغ عنا، فاتبع

: أي بذهنك وفكرك، أي فاستمع قراءته، قاله ابن عباس. وقال أيضا هو قتادة والضحاك: فاتبع في الأوامر والنواهي. وفي كتاب ابن عطية، وقرأ أبو العالية: فإذا قرته فاتبع قرته، بفتح القاف والراء والتاء من غير همز ولا ألف في الثلاثة، ولم يتكلم على توجيه هذه القراءة الشاذة، ووجه اللفظ الأول أنه مصدر، أي إن علينا جمعه وقراءته، فنقل حركة الهمزة إلى الراء الساكنة وحذفها فبقي قرته كما ترى. وأما الثاني فإنه فعل ماض أصله فإذا قرأته، أي أردت قراءته فسكن الهمزة فصار قرأته، ثم حذف الألف على جهة الشذوذ، كما حذفت في قول العرب: ولو تر ما الصبيان، يريدون: ولو ترى ما الصبيان، وما زائدة. وأما اللفظ الثالث فتوجيهه توجيه اللفظ الأول، أي فإذا قرأته، أي أردت قراءته، فاتبع قراءته بالدرس أو بالعمل. ثم إن علينا بيانه، قال قتادة وجماعة: أن نبينه لك ونحفظكه. وقيل: أن تبينه أنت. وقال قتادة أيضا:

أن نبين حلاله وحرامه ومجمله ومفسره.

وفي التحرير والتحبير قال ابن عباس: إن علينا جمعه

: أي حفظه في حياتك، وقراءته: تأليفه على لسانك. وقال الضحاك: نثبته في قلبك بعد جمعه لك. وقيل:

---

(١) لسان العرب ابن منظور ٤٧٨/١٥

جمعه بإعادة جبريل عليك مرة أخرى إلى أن يثبت في صدرك. فإذا قرأناه

، قال ابن عباس:

أنزلناه إليك، فاستمع قراءته، وعنه أيضا: فإذا يتلى عليك فاتبع ما فيه. وقال قتادة: فاتبع حلاله واجتنب حرامه. وقد نمق الزمخشري بحسن إيراده تفسير هذه الآية فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي، نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه، فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضى إليه وحيه، ثم يعقبه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه. والمعنى: لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل يقرأ. لتعجل به

: لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك، ثم علل النهي عن العجلة بقوله: إن علينا جمعه

في صدرك وإثبات قراءته في لسانك. فإذا قرأناه

: جعل قراءة جبريل قراءته، والقرآن القراءة، فاتبع قراءته: فكن مقفيا له فيه ولا تراسله، وطامن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ، فنحن في ضمان تحفيظه. ثم إن علينا بيانه: إذا **أشكل عليك** شيء من معانيه، كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا، كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه، ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه. انتهى.

وذكر أبو عبد الله الرازي في تفسيره: أن جماعة من قدماء الروافض زعموا أن القرآن." (١)

"سألت أبا عبد الله عن الاستئذان فقال إذا استأذن ثلاثا رجع والاستئذان السلام، فظاهره كهذا القول ومن قال بالأول حمل الحديث على من لم يظن.

وحجب معاوية أبا الدرداء - رضي الله عنهما - يوما وأجلسه عند بابه فقيل يا أبا الدرداء يفعل هذا بك وأنت صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقال من يأتي أبواب السلطان يقم ويقعد.

واستأذن أبو سفيان على عثمان - رضي الله عنهما - فأبطأ إذنه فقيل: حجبك أمير المؤمنين، فقال لا عدمت من قومي من إذا شاء حجب.

وقال مروان لابنه عبد العزيز حين ولاه مصر: يا بني مر حاجبك يخبرك من حضر بابك كل يوم فتكون أنت تأذن وتحجب، وآنس من دخل إليك بالحديث فينبسط إليك، ولا تعجل بالعقوبة إذا **أشكل عليك** الأمر فإنك على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها.

وأقام رجل على باب كسرى فلم يؤذن له فقال له الحاجب اكتب كتابا وخففه أوصله لك فقال لا أزيد على

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٤٩/١٠

أربعة أسطر فكتب في السطر الأول الضرورة والأمل أقدماني على الملك، وفي السطر الثاني ليس لي صبر على الطلب، وفي السطر الثالث الرجوع بلا إفادة شماتة الأعداء، وفي السطر الرابع أما " نعم " مثمرة وأما " لا " مؤيسة فوضع كسرى تحت كل سطر " ز " فانصرف بستة عشر ألف درهم.

قال الشاعر:

يزدحم الناس على بابه ... والمشرب العذب كثير الزحام

وقال آخر:

وإني لأرثي للكريم إذا غدا ... على طمع عند اللئيم يطالبه

وأرثي له من وقفة عند بابه ... كمرثيتي للطرف والعلج راكبه

كتب رجل إلى أبي عبد الله بن طاهر:

إذا كان الجواد له حجاب ... فما فضل الجواد على البخيل

فأجابه عبد الله بن طاهر:

إذا كان الجواد قليل مال ... ولم يعلل تعذر بالحجاب." (١)

"[فصل مجيء اسم المفعول بمعنى المصدر]

(فصل) يجيء اسم المفعول بمعنى المصدر نحو المشتري والمعقول والمنقول والمكرم بمعنى الشراء والعقل والنقل والإكرام ويقال أنظره من معسوره إلى ميسوره أي من عسره إلى يسره قال شيخنا أبو حيان أبقاه الله تعالى ويأتي اسم المصدر والزمان والمكان من الفعل المزيد أيضا كاسم مفعوله فمكرم يصح أن يكون مصدرا وظرف زمان ومكان ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ [سبأ: ١٩] أي كل تمزيق وهو مطرد قال فإن لم يكن له اسم مفعول بأن كان لازما جعل كأنه متعد وبني منه اسم المفعول نحو اغدودن البعير مغدودنا أي اغديدانا.

وقال ابن بابشاذ كل فعل **أشكل عليك** مصدره فابن المفعل منه بفتح الميم في الثلاثي وضمها في الرباعي وما زاد على ذلك فحكم مصدره حكم اسم مفعوله وإنما يختلف الحكم في تقديره لا في لفظه.

وفي التنزيل ﴿ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر﴾ [القمر: ٤] أي: ازدجار ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾ [الإسراء: ٨٠] أي إدخال صدق وإخراج صدق،

-[٦٩٩]- وقال ﴿بأييكم المفتون﴾ [القلم: ٦] أي الفتنة.

وقال الشاعر (١) :

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣٩٥/١

ألم تعلم مسرحي القوافي

أي تسريحي، وقال زهير:

وذبيان هل أقسمتم كل مقسم (٢)

أي كل أقسام وذلك كثير الاستعمال ونقل بعضهم عن سيبويه أنه منع مجيء المصدر موازن مفعول وأنه تأول ما ورد من ذلك فتقدير معسوره وميسوره عنده من وقت يعسر فيه إلى وقت يوسر فيه (٣) والأول هو المشهور في الكتب قال أبو عبيد في باب المصادر وعلى مثال مفعول حلفت محلوفا مصدر وماله معقول أي عقل ومثله المعسور والميسور والمجلود هذا لفظه وقد يأتي اسم الفاعل بمعنى المصدر سماعا نحو قم قائما أي قياما.

---

(١) جرير- وعجز البيت- فلا عيا بهن ولا اجتلابا

(٢) وصدر البيت- فمن مبلغ الأحلاف عنى رسالة- والبيت من معلقته.

(٣) قال سيبويه ٢/ ٢٥٠- وأما قوله دعه إلى ميسوره ودع معسوره فإنما يجئ هذا على المفعول كأنه قال دعه إلى أمر يوسر فيه أو يعسر فيه وكذلك المرفوع والموضوع كأنه يقول له ما يرفعه وله ما يضعه وكذلك المعقول كأنه قال عقل له شئ أى حبس له لبه وشدد ويستغنى بهذا عن المفعل الذى يكون مصدرا لأن فى هذا دليلا عليه.." [(١)]

"قال البزار: وقد رواه الثوري عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير مرسلا.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا المعلى بن مهدي الموصلي، قال حدثنا أبو عوانة، عن أبي يونس، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رجلا من عبس يقال له خالد بن سنان قال

لقومه: " إنى أطفئ عنكم نار الحرتين " فقال له رجل من قومه: والله يا خالد ما قلت لنا قط إلا حقا، فما شأنك وشأن نار الحرتين تزعم أنك تطفئها! فخرج خالد ومعه أناس من قومه، فيهم عمارة بن زياد، فأتوها فاذا هي تخرج من شق جبل، فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها فقال: إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي.

فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا، فاستقبلها خالد، فجعل يضربها بعصاه وهو يقول: بدا بدا بدا كل هدى زعم ابن راعية المعزى أنى لا أخرج منها وثيابى بيدى.

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير الفيومي ٦٩٨/٢

حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم، فقال لهم عمارة بن زياد: والله إن صاحبكم لو كان حيا لقد خرج إليكم بعد.

قالو ا فادعوه باسمه.

قال: فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه.

فدعوه باسمه فخرج وهو آخذ برأسه، فقال ألم أنهكم أن تدعوني باسمي، فقد والله قتلتموني فادفنوني فاذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني فإنكم تجدوني حيا.

فدفنوه فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فقلنا انبشوه فإنه أمرنا أن ننبشه.

فقال لهم عمارة: لا تنبشوه لا والله لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا.

وقد كان قال لهم خالد: إن في عكن امرأته لوحين، فإن **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما فإنكم ستجدون ما تسألون عنه.

قال ولا يمسهما حائض.

فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فأخرجتهما إليهم وهي حائض فذهب ما كان فيهما من علم (١) .

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب: سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ذاك نبي أضاعه قومه.

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب: إن ابن خالد بن سنان أتى النبي

---

(١) هذه أسطورة ضخمة ليس إلى تصديقها سبيل.. (*)."[١]

"في العسر واليسر مجهول، وأحبت أن ينظر لها في فرض النفقة عليه ولزومها لها إن ظهر مليا فيشهد لها السلطان، لئن كان فلان زوج فلانة مليا اليوم موسرا في غيبته هذه فقد أوجبنا عليه لامرأته فريضة مثلها من مثله، وإن كان معسرا فلا شيء عليه، ويكتب التاريخ ثم تكون الفريضة لازمة له إلا أن يثبت عدمه في غيبته كلها حتى قدم فلا يلزمه شيء.

[القسم الثاني في بيان المدعي من المدعى عليه]

اعلم أن علم القضاء يدور على معرفة المدعي من المدعى عليه؛ لأنه أصل مشكل، ولم يختلفوا في حكم ما لكل واحد منهما، وأن على المدعي البينة إذا أنكر المطلوب، وأن على المدعى عليه اليمين إذا لم تقم

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ابن كثير ١/١٠٥

البينة، وقد اختلفت عبارات الفقهاء في تحديد المدعي والمدعى عليه، قال القرافي: المدعي من كان قوله على خلاف أصل أو عرف، والمدعى عليه من كان قوله على وفق أصل أو عرف.

وقال ابن شاس المدعي من تجردت دعواه عن أمر يصدقه أو كان أضعف المتداعيين أمرا في الدلالة عن الصدق، أو اقترن بها ما يوهنها عادة، وذلك كالخارج عن معهود والمخالف لأصل، وشبه ذلك ومن ترجح جانبه بشيء من ذلك فهو المدعى عليه. فإذا ادعى أحدهما ما يوافق العرف وادعى الآخر ما يخالفه فالأول المدعى عليه والثاني هو المدعي، وكذلك كل من ادعى وفاء ما عليه أو رد ما عليه من غير أمر يصدق دعواه فإنه مدع، واختصر ذلك ابن الحاجب فقال المدعي من تجرد قوله عن مصدق والمدعى عليه من ترجح بمعهود أو أصل، قال ابن عبد السلام: والمعهود هو شهادة العرف، والأصل استصحاب الحال.

وقال أبو عمر ابن عبد البر: إذا أشكل عليك المدعي من المدعى عليه فواجب الاعتبار فيه أن ينظر هل هو آخذ أو دافع وهل يطلب استحقاق شيء من غيره أو ينفيه، فالطالب أبدا مدع والدافع المنكر مدعى عليه، فقف على هذا الأصل.

وقال غيره: كل من يريد الأخذ أو يطلب البراءة من شيء وجب عليه فهو مدع.

وكلامهم وتحويمهم على شيء واحد وهو أن المتمسك بالأصل هو المدعى عليه ومن أراد النقل عنه فهو المدعي غير أنه يتعارض النظر في كثير من المسائل من هو المتمسك بالأصل من الخصمين، كما لو ادعى الزوج أن." (١)

"عليك في آخرتك وأدلاك فإن اعتدلت وعدلت فقد فزت وغنمت وإن تجانفت واعوججت فقد خسرت وندمت والأولى بك عند أمير المؤمنين مع مغرسك الزاكي ومنبتك النامي وعودك الأنجب وعنصرك الأطيب أن تكون لظنه فيك محققا ولمخيلته فيك مصدقا وأن تستزيد بالأثر الجميل قربا من رب العالمين وثوابا يوم الدين وزلفى عند أمير المؤمنين وثناء حسنا ٢٠٢ أمن المسلمين فخذ ما نبذ إليك أمير المؤمنين من معاذيره وأمسك بيدك على ما أعطى من مواثيقه واجعل عهده مثالا تحتذيه وإماما تقتفيه واستعن بالله يعنك واستهده يهدك وأخلص إليه في طاعته يخلص لك الحظ من معونته ومهما أشكل عليك من خطب أو أعضل عليك من صعب أو بهرك من باهر أو بهظك من باهظ فأكتب إلى أمير المؤمنين منهيا وكن إلى ما يرد عليك منتهيا إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته." (٢)

---

(١) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ابن فرحون ١/١٤٠

(٢) مآثر الإنافة في معالم الخلافة القلقشندي ٣/٣٨

"(ويرزقه من حيث لا يحتسب) وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما: من طلق وراجع كما أمره الله، جعل الله له من الكرب -سيما عند الموت- مخرجا، ورزقه من حيث لا يرجو، وأكثر العلماء على أنها نزلت حين جاء صحابي أسر ابنه، وشكا إليه عليه السلام هذا والفاقة. فقال عليه السلام: " اتق واصبر، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله "، ففعل الرجل إذ جاء ابنه بإبل وغنم، وعن بعض إن فيها تسلية ووصية للنساء عند الفراق، فإنهن مضطرات غالبا للغيرة والاحتياج والعجز (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) كافيه (إن الله بالغ أمره) يبلغ ما يريد لا يعجزه مطلوب فهو منفذ أمره (قد جعل الله لكل شيء قدرا) تقديرا [وتوقيتا] فتوكلوا عليه (واللائي يئسن) للكبر (من المحيض من نسائكم إن ارتبتم) إن **أشكل عليكم** حكمهن (فعدتهن ثلاثة أشهر) أي: فهذا حكمهن (واللائي لم يحضن) بعد كذلك وهن الصغائر

(١) في الأصل [وتوفيقا] اهـ (مصحح النسخة الإلكترونية).." [١]

"(كلا)، ردع عن طلب الفرار، (لا وزر): لا ملجأ، (إلى ربك): وحده، (يومئذ المستقر): استقرار العباد، (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر): بأعمال أوائل عمره وأواخره، أو بما عمله وما تركه، أو بأعمال عملها، وبأعمال أخرها فعمل بها كسنة حسنة وسيئة، (بل الإنسان على نفسه بصيرة): حجة بينة تشهد جوارحه عليه نحو: لما جاءت آياتنا مبصرة أو عين بصيرة يعني لا يحتاج إلى الإنباء، (ولو ألقى معاذيره): ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه جمع معذار، وهو العذر، أي: لا ينفعه عذره؛ لأن من نفسه من يكذبه، وعن بعض: ولو ألقى الستور وأخفى الذنب كل الإخفاء، وأهل اليمن يسمون الستر معذارا، (لا تحرك): يا محمد، (به): بالقرآن، (لسانك لتعجل به): لتأخذه على عجلة قد صح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره: إنه إذا نزل جبريل بالوحي قرأ النبي - عليه السلام - قبل فراغه مسارعة إلى الحفظ، وخوفا من الانفلات. فنزل: (إن علينا جمعه): في صدرك، (وقرآنه): إثبات قراءته في لسانك، (فإذا قرأناه): بلسان الملك عليك، وأصغيته، (فاتبع قرآنه): فاتبع قراءته، وكن مقفيا له فيه، (ثم إن علينا بيانه): بيان ما **أشكل عليك**، (كلا)، ردع لإلقاء المعاذير، (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة): تختارون الدنيا على العقبى، ولا تعملون للعقبى، والخطاب لجنس الإنسان؛ لأن فيهم من." [٢]

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣٢٧/٤

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤١٢/٤

"أشبهها من المال لمضر. وهذا الخباء الأسود وما أشبهه لربيعة. وهذه الخادم وكانت شمطاء وما أشبهها لإياد. وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه وقال البلاذري رحمه الله تعالى إنه أوصى له بحمار وفي ذلك قال الشاعر:

نزار كان أعلم إذ تولى ... لأي بنيه أوصى بالحمار

وقال لهم: إذا **أشكل عليكم** الآمر في ذلك واختلفتم في القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمي، وكان بنجران. فلما مات نزار اختلفوا وأشكل عليهم أمر القسمة فتوجهوا إلى الأفعى، فبينما هم في مسيرهم إليه إذ رأى مضر كلأ قد رعى فقال: إن البعير الذي رعى هذا لأعور. فقال ربيعة: وهو أزور. وقال إياد: وهو أبتر. وقال أنمار وهو شرود. فلم يسيروا إلا قليلا حتى لقيهم رجل توضع به راحلته فسألهم عن البعير فقال مضر: أهو أعور؟ قال: نعم. قال ربيعة: أهو أزور؟ قال: نعم.

قال إياد: أهو أبتر؟ قال: نعم. قال أنمار: أهو شرود؟ قال: نعم هذه والله صفة بعيري دلوني عليه فحلفوا له أنهم ما رأوه. فلزمهم وقال كيف أفارقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته؟ فساروا وسار معهم حتى قدموا نجران فنزلوا بالأفعى الجرهمي، فحاكمهم صاحب الجمل إلى الأفعى وقال:

بعيري وصفوا لي صفته ثم قالوا لم نره.

فقال لهم الأفعى: كيف وصفتموه ولم تروه؟ فقال له مضر: رأيته يرعى جانبا ويترك جانبا فعرفت أنه أعور. وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة والأخرى فاسدة الأثر فعلمت أنه أفسدها بشدة وطئه وطلبه لازوراره وقال إياد: عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيالا لمصع به. وقال أنمار: عرفت أنه شرود بأنه كان يرعى في المكان الملتف نبته ثم يجوزه إلى مكان أرق منه وأخبث. وحلفوا أنهم ما رأوه. فقال الأفعى: ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه.

ثم سألهم من أنتم؟ فأخبروه فرحب وقال: تحتاجون إلي وأنتم في جزالتكم وصحة عقولكم وآرائكم على ما أرى؟!.

ثم خرج عنهم وأرسل إليهم بطعام فأكلوا وبشراب فشربوا فقال مضر: لم أر خمرا أجود منها لولا أنها نبتت على قبر. وقال ربيعة: لم أر كاليوم لحما أطيب لولا أنه ربي بلبن كلب وقال إياد: لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له. وقال أنمار: لم أر كاليوم كلاما أنفع في حاجتنا. وسمع الأفعى كلامهم فقال: ما هؤلاء الشياطين، ثم أتى أمه فسألها فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت أن يذهب الملك فأمكنت رجلا نزل بنا فجئت أنت منه. وقال للقهرماني: الخمر الذي شربنا ما أمرها؟ قال: من حبلة

غرستها على قبر أبيك. وسأل الراعي عن اللحم فقال: شاة أرضعناها من لبن كلبة ولم يكن في الغنم غيرها.." (١)

"على عسكر موسى عليه السلام فدعا عليهم فلم يجب فيهم ثلاث مرات فقال يا رب دعوتك على قوم فلم تجبنى فيهم بشيء فقال يا موسى دعوتنى على قوم منهم خيرتى فى آخر الزمان* وأما نزار بن معد فلم تدر ملته وفيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سمى نزارا بكسر النون من النزر وهو القليل لان معدا نظر الى نور رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه فقرب له قربانا عظيما وقال لقد استقللت لك هذا القربان وانه نزر قليل فسمى نزار او خرج أجمل أهل زمانه وأكثرهم عقلا* وفى الوفاء يقال ان قبر نزار بن معد وقبر ابنه ربيعة بن نزار بذات الجيش قرب المدينة وتزوج امرأة يقال لها عبيدة فولدت له مضر وكان مسلما على ملة ابراهيم وفيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سمى مضر لانه أخذ بالقلب ولم يكن يراه أحد الا أحبه يقال انه هو أول من سن الحداء للابل وكان من أحسن الناس صوتا وقيل بل أول من سن الحداء للابل عبد له ضرب مضر يده ضربا وجيعا فقال يا يداه يا يداه فشرع يحدو وكان حسن الحداء* وفى الاكتفاء ولد نزار بن معد أربعة بنين مضر وربيعة وأنمارا وايادا واليه دفع أبوه حجابة الكعبة فيما ذكره الزبير وأمهم سودة بنت عك بن عدنان وقيل هى أم مضر خاصة وأم اخوته الثلاثة اختها شقيقة بنت عك بن عدنان وقد قيل ان ايادا شقيق لمضر أمهما معا سودة فأنمار هو أبو بجيلة وخثعم وقد تيامنت بجيلة الا من كان منهم بالشام والمغرب فانهم على نسبهم الى أنمار بن نزار وجرير بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد من سادات بجيلة وله يقول القائل

لولا جرير هلكت بجيله ... نعم الفتى وبئست القبيله

وكذا تيامنت الدار أيضا بخثعم وهم بنو قيل بن أنمار وانما خثعم جبل تحالفوا عنده فسموا به وهم بالسراة على نسبهم الى أنمار ولذا لما كانت بين مضر واليمن فيما هنالك حرب كانت خثعم مع اليمن على مضر

قصة الافعى الجرهمى

ويروى أن نزارا لما خضرته الوفاة قسم ماله بين بنيه الاربعة مضر وربيعة واياد وانمار فقال هذه القبة لقبة كانت له حمراء من أدم وما أشبهها من المال لمضر وهذا الخباء الاسود وما أشبهه لربيعة وهذه الخادم وكانت شمطاء وما أشبهها لاياد وهذه البدرة والمجلس لانمار يجلس فيه وقال لهم ان **أشكل عليكم** الامر

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحي الشامي ١/ ٢٩٠

في ذلك واختلفتم فى القسمة فعليكم بالافعى الجرهمى وكان بنجر ان فلما مات نزار اختلفوا بعده وأشكل أمر القسمة عليهم فتوجهوا الى الافعى فبينما هم فى مسيرهم اليه اذر أى مضر كلأ قدرعى فقال ان البعير الذى رعى هذا لأعور وقال ربيعة وهو أزور وقال اياد وهو أبتر وقال أنمار وهو شرود فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل توضع به راحلته فسألهم عن البعير فقال مضر أهو أعور قال نعم قال ربيعة أهو أزور قال نعم قال اياد أهو أبتر قال نعم قال أنمار أهو شرود قال نعم هذه والله صفة بعيرى دلونى عليه فحلفوا له أنهم ما رأوه فلزمهم وقال كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته فساروا حتى وصلوا نجران ونزلوا بالافعى الجرهمى فنادى صاحب البعير هؤلاء أصابوا بعيرى فانهم وصفوا لى صفته ثم قالوا لم نره أيها الملك فقال الافعى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانبا ويدع جانبا فعرفت انه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة الاثر فعلمت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره وقال اياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيالا لمصع به وقال أنمار عرفت انه شرود لانه كان يثوى فى المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان أرق منه وأخبث قال الافعى للشيخ ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فأخبروه فرحب بهم وقال تحتاجون الى وأنتم كما أرى ثم خرج عنهم وأرسل لهم طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا فقال مضر لم أر كاليوم خمرا أجود لولا انها نبتت على قبر وقال ربيعة لم أر كاليوم لحما أطيب لولا انه ربى بلبن كلبة وقال اياد لم أر كاليوم خبزا اجود لولا ان التى عجنته حائض وقال أنمار لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا انه ليس لابيه الذى يدعى له وكان الافعى وكل بهم من يسمع كلامهم فأعلمه بما سمع منهم فطلب." (١)

"وحيث كانوا رواه أحمد* وفى رواية قال يا معاذ انك تقدم على قوم أهل كتاب وانهم سائلوك عن مفاتيح الجنة فأخبرهم ان مفاتيح الجنة لا اله الا الله وانها تخرق كل شئ حتى تنتهى الى الله عز وجل ولا تحجب دونه من جاء بها يوم القيامة مخلصا رجحت بكل ذنب فقال معاذ أرأيت ما سئلت عنه واختصم الى فيه مما ليس فى كتاب ولم أسمع منك عنه فقال تواضع لله يرفعك الله ولا تقضين الا بعلم فان **أشكل عليك** أمر فسل ولا تستحى واستشر ثم اجتهد فان الله عز وجل ان يعلم منك الصدق يوفقك فان التبس عليك فقف حتى تثبته أو تكتب الى فيه واحذر الهوى فانه قائد الاشقياء الى النار وعليك بالرفق* وعن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن قال كيف تقضى اذا عرض لك قضاء قال أقضى بكتاب الله قال فان لم تجد فى كتاب الله قال فبسنة رسول الله قال فان لم تجد فى سنة رسول الله قال أجتهد رأيى ولا آلو قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال الحمد لله الذى

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس الديار بكري ١٤٨/١

وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله رواه الترمذى وأبو داود والدارمى كذا فى المشكاة* وعن ابن عباس بعث معاذا الى اليمن فقال انك تأتى قوما أهل كتاب فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة فان هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب رواه البخارى كذا فى المواهب اللدنية* قال ثم ودعه وانصرف ومضى معاذ حتى أتى صنعاء اليمن فصعد على منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قرأ عليهم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزل فأتاه صناديد صنعاء فقالوا يا معاذ هذا نزل قد هيأنا لك ومنزل قد فرغنا لك فقال معاذ ما بهذا أوصانى حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فمكث معاذ بن جبل أربعة عشر شهرا فبينما هو ذات ليلة على فراشه اذا هو بهاتف يهتف به عند رأسه ويقول له يا معاذ كيف يهنأ لك العيش ومحمد صلى الله عليه وسلم فى سكرات الموت فوثب معاذ فزعا ما ظن الا أن القيامة قد قامت فلما رأى السماء مصحية والنجوم ظاهرة استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم نودى فى الليلة الثانية يا معاذ كيف يهنأ لك العيش ومحمد بين أطباق التراب فوثب معاذ ووضع يده على أم رأسه وجعل ينادى بأعلى صوته يا محمداه يا محمداه فخرج العواتق من النساء والشباب من الرجال فجعلوا يقولون ما الذى جاءك وما الذى دهاك فجعل يبكى وينادى بأعلى صوته يا محمداه حتى أصبح فلما أصبح شد على راحلته فأخذ جرابا فيه سويق وأخذ أداوة من ماء ثم قال لا أنزل عن ناقتى هذه ان شاء الله الا لوقت صلاة أو لوقت قضاء حاجة حتى اذا كان على ثلاث مراحل من المدينة فاذا هو بهاتف يهتف عن يسار الطريق وهو يقول يا محمداه فعلم معاذ بأن محمدا قد ذاق الموت وفارق الدنيا فقال معاذ أيها الهاتف فى هذا الليل الغاوى من أنت يرحمك الله فقال له أنا عمار بن ياسر فقال له معاذ وأين تريد يرحمك الله فقال ان معى كتابا من أبى بكر الصديق الى معاذ بن جبل باليمن يعلمه بأن محمدا قد ذاق الموت وفارق الدنيا قال له فان كان محمد قد فارق الدنيا فمن للارامل واليتامى والضعفاء من بعده صلى الله عليه وسلم ثم سار وهو يقول يا عمار كيف تركت أصحاب محمد قال يا معاذ تركتهم كالغنم لا راعى لها ثم قال يا عمار كيف تركت المدينة قال تركتها وهى على أهلها أضيق من الخاتم قال فوضع معاذ يده على أم رأسه وجعل يبكى ويقول يا محمداه يا محمداه حتى ورد المدينة نصف الليل وستجىء وفاة معاذ فى الخاتمة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأرضاه

*

ذكر أبى موسى الاشعرى

ذكر أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه* فى الصفوة أبو موسى الاشعرى عبد الله بن قيس بن سليم أسلم بمكة وهاجر الى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينتين." (١)

"ثم إن علينا بيانه أي بيان ما **أشكل عليك** من معانيه وأحكامه." (٢)

"النار " فإن قوله (فليتبوأ) للنسبة الاستقبالية فإنه بمعنى يتبوأ مقعده من النار]

وإذا **أشكل عليك** أمر الفعل فصله بتاء المتكلم أو المخاطب، فما ظهر فهو أصله، ألا يرى أنك تقول في (رمى) و (هدى) : رميت، وهديت وفي (عفا) ، و (دعا) : عفوت، ودعوت (كما ذكرنا في أول الكتاب) وإذا أشكل أمر الاسم فانظر إلى تثنيته، فما ظهر فهو أصله، ألا يرى أنك تقول في الفتى والهدى: فتيان وهديان والفعل إذا نسب إلى ظرف الزمان بغير (في) يقتضي كون ظرف الزمان معيارا له، فإن امتد الفعل امتد المعيار فيراد باليوم النهار وإن لم يمتد الفعل لم يمتد المعيار فيراد باليوم حينئذ مطلق الوقت اعتبارا للتناسب وإذا اسند الفعل إلى ظاهر المؤنث غير الحقيقي جاز إلحاق علامة التأنيث بالفعل وتركه

وكذا إذا أسند الى ظاهر الجمع مطلقا، أي سواء كان جمع سلامة أو جمع تكسير، وسواء كان واحد المكسر حقيقي التذكير أو التأنيث ك (رجال) و (نسوة) أو مجازي التذكير أو التأنيث ك (أيام) و (دور) ، وكذا واحد الجموع بالألف والتاء ينقسم إلى هذه الأقسام الأربعة نحو: الطلحات، والزينبات، والحبليات، والغرفات، فحكم المسند إلى ظاهر هذه الجموع حكم المسند إلى ظاهر المؤنث غير الحقيقي في جواز إلحاق علامة التأنيث وتركه وأما إلحاق ضمير الجمع به مع كونه مسندا إلى الظاهر فغير صحيح إلا على لغة طيئ نحو: (أكلوني البراغيث)

وكذا أسماء الفاعلين إذا أسندت إلى الجماعة جاز فيها التوحيد مع التذكير نحو: (خاشعا أبصارهم)

وجاز أيضا التوحيد مع التأنيث نحو: ﴿خاشعة أبصارهم﴾

وجاز الجمع أيضا على لغة طيئ نحو: ﴿خشعا أبصارهم﴾

وإسناد الفعل إلى ظاهر جمع المذكور والعاقلين يكون بإلحاق التاء وتركه نحو: (فعلت الرجال) ، (وفعل

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس الديار بكري ١٤٣/٢

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦٧/٩

الرجال) ، إسناده إلى ضمير هذا الجمع يكون بإلحاق التاء أو الواو لا غير مثل (الرجال فعلت أو فعلوا) ، وكذا حكم ما هو في معنى هذا الجمع كالقوم

والفعل متى اتصل بفاعله ولم يحجز بينهما حاجز لحقت العلامة، ولا يبالي أكان التأنيث حقيقيا أو مجازيا فتقول: (جاءت هند) ، (وطابت الثمرة) إلا أن يكون الاسم المؤنث في معنى اسم آخر مذكر ك (الأرض) و (المكان) وإذا انفصل عن فاعله فكلما بعد عنه قوي حذف العلامة، وكلما قرب قوي إثباتها، وإن توسط توسط، ومن هنا كان إذ تأخر الفعل عن الفاعل وجب ثبوت التاء، طال الكلام أم قصر لفرط الاتصال، وإذا تقدم الفعل متصلا بفاعله الظاهر كان حذف التاء أقرب إلى الجواز، وإن حجز بين الفعل وفاعله حاجز كان حذف التاء حسنا." (١)

"(إلى نفسك السامي أضفت مناديا ... لماذا هجرت الوصل حتى كسرتني)

جمع القلة ليس بأصل في الجمع لأنه لا يذكر إلا حيث يراد بيان القلة، ولا يستعمل لمجرد الجمعية والجنسية كما استعمل له جمع الكثرة.

يقال: (كم عندك من الثوب ومن الثياب) ولا يحسن (من الأثواب) .

يكررون أسماء الأجناس والأعلام كثيرا ولا سيما إذا قصدوا التفخيم، وعلى ذلك ورد قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾ وقوله: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ .

إذا أضيف اسم معرب إلى مبني بني على الفتح عند قوم وترك معربا عند قوم أخر كقوله تعالى: ﴿ومن خزي يومئذ﴾ .

إذا احتاج الكلام إلى حذف مضاف يمكن تقديره مع أول الجزأين ومع ثانيهما، فتقديره مع الثاني أولى نحو: ﴿الحج أشهر﴾ .

حذف المضاف إليه أكثر من حذف المضاف، وإنه معتنى به، ألا يرى أن تنوين العوض كلمة موضوعة لتكون عوضا عن المضاف إليه.

قد يجري الظرف مجرى الشرط فيصدر بالفاء بعده، نص عليه سيبويه في نحو: حين لقيته فأنا أكرمه.

يجوز جعل المنكر صفة للمعرفة بنية حذف اللام، وللمضاف بتأويل فك الإضافة كما في:

(كأن مزاجها عسل وماء ...)

---

(١) الكليات أبو البقاء الكفوي ص/٦٨٢

أي: مزاجا لها، كما يجوز جعل المعرف حالا بنية طرح اللام.

دخول الباء على المقصور عليه عادة عرفية، والعربي أن تدخل على المقصور، ومختار الشريف أن دخولها على المقصور وهو الاستعمال الأصلي.

قال ثعلب: إذا **أشكل عليك** فعل ولم تدر من أي باب هو فاحمله على (يفعل) بالكسر، وباب اللازم يجيء على (يفعل) بالضم، وقد يجيء هذا في هذا وهذا في هذا.

المشهور بين الجمهور أن المعرف يجب أن يكون مساويا للمعرف في العموم والخصوص كما هو مذهب المتأخرين أو مساويا له في الجملة كما هو مذهب المتقدمين.

قد يجعل الفعل المتوسط بين خبره المذكر واسمه المؤنث بمنزلة الضمير المتوسط بين مذكر ومؤنث لذات واحدة فيجوز تأنيثه وتذكيره.

الاستغراق: معنى مغاير للتعريف لوجوده حيث لا يتوهم هناك تعريف نحو: (كل رجل، وكل رجال، ولا رجل، ولا رجال) .

اللفظ الحامل لمعنيين: قد يجرد لأحدهما ويستعمل فيه وحده كما في صيغة النداء فإنها كانت للاختصاص الندائي فجردت لمطلق الاختصاص.

اعتبار تأنيث الجماعة إنما هو في الجمع المكسر وإلا لصح أن يقال ثلاث مسلمين.." (١)

"أو هضبة بين نجد والبصرة قاله أبو زياد، وقال أيضا: النميرة: من مياه عمرو بن كلاب. وقال الراعي:

(لها بحقيل فالنميرة منزل ... ترى الوحش عوذات به ومتاليا)

أو هضبتان قرب الحوأب على فرسخين منه، وهما النميرتان. وأنمار بن نزار بن معد بن عدنان، ويقال له أنمار الشاة، وذكر في حمر. وقال ابن الجواني النسابة في المقدمة الفاضلية: وأما قولهم: ربيعة الفرس، ومضر الحمراء، فزعم بعض النسابين أن نزارا لما توفي اقتسم بنوه ميراثه واستهموا عليه، فذكرهم إلى أن قال: وكان لنزار قدح كبير يسقي فيه الضيوف اللبن فأصابه أنمار، ثم قال: وقيل: إن نزارا لما حضرته الوفاة قسم ميراثه على بنيه المذكورين وقال: إن **أشكل عليكم** الأمر فعليكم بالأفعى الجرهمي حكم العرب فلما مات نزار واختلفوا مضوا إليه، فذكر القصة إلى أن قال: وقضى لأنمار بالدراهم والأرض. قال سيبويه: النسب إلى أنمار أنماري، لأنه اسم للواحد. والنمرانية، بالضم: ة بالغوطة من دمشق من ناحية الوادي، كان معاوية بن

(١) الكليات أبو البقاء الكفوي ص/١٠٣٣

أبي سفيان أقطعها نمران بن يزيد بن عبيد المذحجي، حكى عنه ابنه عبد الله بن نمران وابنه يزيد بن نمران. خرج مع مروان لقتال الضحاك الفهري بمرج راهط. والنمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة، ككتف: أبو قبيلة، أعقب من تيم اللات وأوس مناة، ومن تيم اللات بنو الضحيان، وهو عامر بن سعد بن الخزرج بن سعد بن تيم اللات، وإليه كانت الرياسة." (١)

"وقيل: الأشكل عند العرب: اللونان المختلطان، ودم أشكل: فيه بياض وحمرة مختلطان، قال جرير:

(فما زالت القتلى تمور دماؤها ... بدجلة حتى ماء دجلة أشكل)

والأشكل: السدر الجبلي، قال العجاج: معج المرامي عن قياس الأشكل وقال أبو حنيفة: أخبرني بعض العرب: أن الأشكل شجر مثل شجر العناب في شوكه، وعقف أغصانه، غير أنه أصغر ورقا، وأكثر أفنانا، وهو صلب جدا، وله نبيقة حامضة شديدة)

الحموضة، منابته شواهق الجبال، تتخذ منه القسي، الواحدة بهاء، قال:

(أو وجبة من جناة أشكلة ... إن لم يرغها بالقوس لم ينل)

يعني سدرة جبلية. والأشكل من الإبل، والغنم: ما يخلط سواده حمرة، أو غبرة، كأنه قد **أشكل عليك** لونه، وقال ابن الأعرابي: الضبع فيها غبرة وشكلة، لونان فيه سواد وصفرة سمجة.

واسم اللون: الشكلة، بالضم، ومنه الشكلة في العين، وهي كالشهلة، ويقال: فيه شكلة من سمرة، وشكلة من سواد، وعين شكلاء: بيية الشكل، ورجل أشكل العين، وقد أشكلت، وقال أبو عبيد: الشكلة كهيئة الحمرة، تكون في بياض العين، فإذا كانت في سواد العين فهي شهلة، وأنشد:

(ولا عيب فيها غير شكلة عينها ... كذاك عتاق الطير شكل عيونها)

عتاق الطير: هي الصقور والبزاة،." (٢)

"جميع المذاهب الأربعة في سائر الأقطار والأمصار، فلم يحصل منهم انزجار، بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار. وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم من ذلك. وبين أهل العلم أن أمثال هذا هو الشرك الأكبر.

وأنت ذكرت في كتابك تقول: يا أخي، ما لنا والله دليل إلا من كلام أهل العلم؛ وأنا أقول: كلام أهل العلم رضى، وأنا أنقله لك، وأنبهك عليه؛ فتفكر فيه، وقم لله ساعة ناظرا ومناظرا، مع نفسك ومع غيرك. فإن

---

(١) تاج العروس الزبيدي، مرتضى ٢٩٧/١٤

(٢) تاج العروس الزبيدي، مرتضى ٢٧٢/٢٩

عرفت أن الصواب معي، وأن دين الإسلام اليوم من أغرب الأشياء، أعني دين الإسلام الصرف، الذي لا يمزج بالشرك والبدع، وأما الإسلام الذي ضده الكفر، فلا شك أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم آخر الأمم، وعليها تقوم الساعة، فإن فهمت أن كلامي هو الحق فاعمل لنفسك.

واعلم أن الأمر عظيم، والخطب جسيم. فإن **أشكل عليك** شيء، فسفرك إلى المغرب في طلبه غير كثير. واعتبر لنفسك حيث قلت لي فيما مضى: إن هذا هو الحق الذي لا شك فيه، لكن لا نقدر على تغييره، وتكلمت بكلام حسن؛ فلما غربلك الله بولد المويس، ولبس عليك، وكتب لأهل الوشم يستهزئ بالتوحيد، ويزعم أنه بدعة، وأنه خرج من خراسان، ويسب دين الله ورسوله، لم تفطن لجهله وعظم ذنبه، وظننت أن كلامي فيه من باب الانتصار للنفس. وكلامي هذا لا يغيرك، فإن مرادي أن تفهم أن الخطب جسيم، وأن أكابر أهل العلم يتعلمون هذا ويغلطون فيه، فضلا عنا وعن أمثالنا. فلعله إن **أشكل عليك** تواجهني؛ هذا إن عرفت أنه حق وإن كنت إذا نقلت لك عبارات العلماء، عرفت أني لم أفهم معناها، وأن الذي نقلت لك كلامهم أخطؤوا، وأنهم خالفهم أحد من أهل العلم، فنبهني على الحق، وأرجع إليه إن شاء الله تعالى.." (١)

"الرسالة السادسة والثلاثون: رسالة إلى الأخوان

...

-٦- الرسالة السادسة والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخوان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، ما ذكرتم من قول الشيخ: كل من جحد كذا وكذا، وقامت عليه الحجة، وأنكم شاكون في هؤلاء الطواغيت وأتباعهم، هل قامت عليهم الحجة، فهذا من العجب؛ كيف تشكون في هذا وقد أوضحته لكم مرارا؟

فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية، مثل الصرف والعطف، فلا يكفر حتى يعرف؛ وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه، فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة. ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة؛ فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين لم يفهموا حجة الله مع قيامها

---

(١) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء السادس) محمد بن عبد الوهاب ص/٦٦

عليهم، كما قال تعالى: ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ ١.

وقيام الحجة نوع، وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها. إن أشكل عليكم ذلك فانظروا قوله: صلى الله عليه وسلم في الخوارج: " أينما لقيتموهم فاقتلوهم " ٢، وقوله: " شر قتلى تحت أديم السماء " ٣، مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع إجماع الناس أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والغلو والاجتهاد، وهم يظنون

---

١ سورة الفرقان آية: ٤٤.

٢ صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٦١١) وكتاب فضائل القرآن (٥٠٥٧) وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٩٣٠) ، وصحيح مسلم: كتاب الزكاة (١٠٦٦) ، وسنن النسائي: كتاب تحريم الدم (٤١٠٢، ٤١٠٣) ، وسنن أبي داود: كتاب السنة (٤٧٦٧) ، وسنن ابن ماجة: كتاب المقدمة (١٧٥) ، ومسند أحمد (١/٨١، ١/١١٣، ١/١٣١، ٤/٤٢٤، ٥/٣٦) .

٣ الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٠) ، وابن ماجة: المقدمة (١٧٦) .." [(١)]

"أصلح من الجميع وأعلم أصحاب محمد١ لما مروا بشجرة فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾ ٢.

ففي هذا عبرتان عظيمتان:

(الأولى) : أن النبي صلى الله عليه وسلم صرح أن من اعتقد في شجرة أو تبرك بها أنه متخذها إلها، وإلا فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون أنها لا تخلق ولا ترزق، وإنما ظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم بالتبرك بها صار فيها بركة.

(والعبرة الثانية) : أن الشرك قد يقع ممن هو أعلم الناس وأصلحهم وهو لا يدري، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الشرك أخفى من دبيب النمل" ٣ بخلاف قول الجاهل: هذا بين نعرفه.

فإذا أشكل عليك من هذا شيء، وأردت بيانه من كلام أهل العلم، وإنكار جنس الشرك الذي حرمه الله فهو موجود، وابحث عن كلام العلماء في هذا، إن أردت من الحنابلة، وإن أردت من غيرهم. والله أعلم.

---

(١) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء السادس) محمد بن عبد الوهاب ص/٢٤٤

١كان ينبغي أن يقال بعض أصحاب محمد _ صلى الله عليه وسلم – من أهل مكة، فإن الذين قالوا هذا ليسوا أعلمهم كالخلفاء والعبادلة مثلا، وإنما هم الطلقاء الذين كانوا حديثي عهد بالشرك، بل كان بعضهم لا يزال على شركه كما ظهر في غزوة حنين فتنبه. وكتبه محمد رشيد.
٢سورة الأعراف آية: ١٣٨.
٣أحمد (٤/٤٠٣) .." (١)

"ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة التي هي علم الشرائع، أو معرفة الحق لذاته، والعلم للعمل به.

ولا تجعل مع الله إلها آخر، كرره، للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه، وأنه رأس الحكمة وملاكها، ومن عدمه لم تنفعه علومه وحكمه، ولو جمع أساطير الحكماء، ولو بلغت عنان السماء. والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، والمراد: غيره ممن يتصور منه ذلك. ورتب عليه، أولا: ما هو عاقبة الشرك في الدنيا، وهو: الذم والخذلان، وثانيا:

ما هو نتيجته في العقبى. فقال: فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك، وتلومك الملائكة والناس، مدحورا مطرودا من رحمة الله.

ثم قبح رأيهم في الشرك، فقال: أفأصفاكم ربكم بالبنين، وهو خطاب لمن قال: الملائكة بنات الله.

والهمزة للإنكار، أي: أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد، وهم البنون، واتخذ من الملائكة إناثا بنات لنفسه، إنكم لتقولون قولا عظيما أي: عظيم النكر والشناعة، لا يقدر قدره في إيجاب العقوبة لخرمه لقضايا العقول، بحيث لا يجترئ عليه أحد حيث تجعلونه تعالى من قبيل الأجسام المتجانسة السريعة الزوال، ثم تضيفون إليه ما تكرهونه، وتفضلون عليه أنفسكم بالبنين، ثم جعلتم الملائكة، الذين هم أشرف الخلق، أدونهم، تعالى الله عن قولكم علوا كبيرا.

الإشارة: ينبغي للإنسان الكامل أن يكون في أموره كلها على بينة من ربه، فيحكم على ظاهره الشريعة المحمدية، وعلى باطنه الحقيقة القدسية، فإذا تجلى في باطنه شيء من الواردات أو الخواطر فليعرضه على الكتاب والسنة، فإن قبلاه أظهره وفعله، وإلا رده وكتمه، كان ذلك الأمر قوليا أو فعليا، أو تركا او عقدا فقد انعقد الإجماع على أنه لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وإليه الإشارة بقوله:

(١) الجواهر المضية محمد بن عبد الوهاب ص/٢٣

ولا تقف ما ليس لك به علم، فإن لم يجد نصا في الكتاب أو السنة فليستفت قلبه، إن صفا من خوض الحس، وإن لم يصف فليرجع إلى أهل الصفاء، وهم أهل الذكر. قال تعالى: فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون «١» ، ولا يستفت أهل الظنون، وهم أهل الظاهر، قال تعالى: إن الظن لا يغني من الحق شيئا «٢» .

وقال القشيري في تفسير الآية هنا: ولا تقف ما ليس لك به علم أي: جانب محاذاة الظنون، وما لم يطلعك الله عليه، فلا تتكلف الوقوف عليه من غير برهان. فإذا **أشكل عليك** شيء في حكم الوقت، فارجع إلى الله،

---

(١) من الآية ٤٣ من سورة النحل، ومن الآية ٧ من سورة الأنبياء.

(٢) من الآية ٣٦ من سورة يونس.." (١)

"بصيرتكم وبصركم لأن نور البصيرة إذا استولى على البصر، بعد فتح البصيرة، غطى نوره، فلا يرى البصر إلا ما تراه البصيرة من أسرار الذات الأزلية القديمة. فمن بلغ هذا المقام كان خليفة الله في أرضه، يملكه الوجود بأسره، وما ذلك على الله بعزيز.

ثم ذكر نوعا آخر من دلائل توحيده، فقال:

[سورة النمل (٢٧) : آية ٦٣]

أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون (٦٣)

يقول الحق جل جلاله: أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ليلا، وبعلامات في الأرض نهارا؟.

أو: أمن يهديكم إلى سلوك الطريق التي توصلكم إلى مقصدكم، وأنتم في ظلمات الليل، سواء كنتم في البر أو البحر؟ فلا هادي إلى ذلك إلا الله تعالى. ومن يرسل الرياح، أو بالإفراد. نشرا «١» بالنون- أي: تنشر السحاب إلى الموضع الذي أمر الله بإنزال المطر فيه، أو بشرا- بالباء- أي: مبشرة بالمطر، بين يدي رحمته قدام المطر، علامة عليه، أإله مع الله يفعل ذلك؟ تعالى الله عما يشركون. وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار للإشعار بعلية الحكم، أي: تعالى الله وتنزه بذاته المنفردة بالألوهية، المقتضية لكون كل المخلوقات

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٢٠٠

مقهورا تحت قدرته، عن وجود ما يشركونه به تعالى.

الإشارة: أمن يهديكم إلى حل ما أشكل عليكم، وأظلمت منه قلوبكم، من علم بر الشرائع. وبحر الحقائق، فيهديكم في الأول إلى كشف الحق والصواب، وفي الثاني إلى كشف الغطاء ورفع الحجاب، أو: في الأول إلى علم البيان، وفي الثاني إلى عين العيان بالذوق والوجدان. أو: في الأول إلى علم اليقين، وفي الثاني إلى عين اليقين وحق اليقين. ومن يرسل رياح الواردات الإلهية، بشارة بين يدي رحمته بالوصول إلى حضرته، وهو التوحيد الخاص. ولذلك ختمه بقوله: تعالى الله عما يشركون من رؤية وجود السوى.

---

(١) قرأ عاصم «الرياح» بالجمع و «بشرا» بالباء المضمومة مع إسكان الشين، وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، بالجمع، و «نشرا» بضم النون والشين. وقرأ ابن كثير بإفراد الريح، وضم النون والشين من «نشرا» . راجع الإتحاف (٢/ ٣٣٢) .." (١)

"ثم قال الورتجبي: قال أبو بكر النقاش: سألت الجنيد عن الأخ الحقيقي؟ فقال: هو أنت في الحقيقة، غير أنه غيرك في الهيكل. قلت: يعني أن الناس في الحقيقة ذات واحدة، وما افترقوا إلا في الهياكل، فكلهم أخوة. وقال أبو عثمان الحيري: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تقطع بمخالفة النسب. هـ. وتقدم لنا شروط الأخوة في قوله تعالى: الأخلاء يومئذ ... الآية «١» .

وقال القشيري هنا: ومن حق الأخوة ألا تلجأه إلى الاعتذار، بل تبسط عذره، أي: تذكر عذره قبل أن يعتذر، فإن أشكل عليك وجهه عدت بالملامة على نفسك في خفاء عذره عليك، وتتوب عليه إذا أذنب، وتعوده إذا مرض، وإذا أشار عليك بشيء فلا تطالبه بالدليل وإيراد الحجة، كما أنشدوا:

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لأية حرب أم لأي مكان «٢» . هـ.

ومن أوكد شروطها «٣» : التعظيم، كما أبان ذلك بقوله تعالى:

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١١]

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٢١٠

الظالمون (١١)

يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم أي: عسى أن يكون المسخور منهم خيرا عند الله- تعالى- من الساخرين لأن الناس لا يطلعون إلا على الظواهر، وهو تعليل للنهي، والقوم خاص بالرجال لأنهم القوامون على النساء، وهو في الأصل: جمع قائم، كصوم وزور، فى جمع صائم وزائر، واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية إذ لو كانت النساء داخلة في الرجال، لم يقل:

ولا نساء من نساء، وحقق ذلك زهير في قوله:

وما أدري وسوف إخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء؟ «٤»

وأما قولهم في قوم فرعون، وقوم عاد: هم الذكور والإناث. فليس لفظ القوم شاملا لهم، ولكن قصد ذكر الذكور، والإناث تبع لهم.

---

(١) الآية ٦٧ من سورة الزخرف.

(٢) البيت ينسب إلى وداك بن ثميل المازني. كما فى العقد الفريد (٥/ ٢٠٢) ، ونهاية الأرب (٣/ ٢٢٩)
.

(٣) أي: الأخوة.

(٤) حيث أراد بالقوم الرجال دون النساء. والبيت من الوافر. انظر ديوان زهير (١٢) والمغني (١/ ٤١) .." [١]

"عدة التي لم تحض؟ فنزلت. وقوله: ﴿إن ارتبتم﴾ أي: إن **أشكل عليكم** حكمهن كيف يعتددن، ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر﴾ أو: إن ارتبتم في حيضها، هل انقطع أو لم ينقطع، فعدتها بالأشهر، وهي المرتابة التي غابت حيضتها، وهي في سن من يحيض، واختلف فيها، فقيل: ثلاثة أشهر على ظاهر الآية، وقيل: تسعة، وتستبرىء بثلاثة، وهو المشهور في مذهب مالك، وقدوته في ذلك عمر بن الخطاب، لأن مذهبه عمري، وقيل: تعتد بالأقراء، ولو بلغت ثلاثين سنة، حتى تبلغ سن من لا يحيض، وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة. ﴿واللائي لم يحضن﴾ من صغر، فعدتهن ثلاثة أشهر، حذف لدلالة ما قبله، ﴿وأولات الأحوال أجلهن﴾ أي: عدتهن ﴿أن يضعن حملهن﴾ سواء كن مطلقات، أو متوفى عنهن أزواجهن، عند مالك

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٢٦/٥

والشافعي وأبي حنيفة وسائر العلماء. وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما: إنما هذا في المطلقات الحوامل، وأما المتوقى عنهن فعدتهن أقصى الأجلين، إما الوضع، أو انقضاء أربعة أشهر وعشر، وحجة الجمهور: حديث سبيعة، أنها لما مات زوجها، ووضعت، أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتزوج، وقد روي أن ابن عباس رجع إليه، ولو بلغ عليا لرجع، فهذه الآية مخصصة لما في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ... ﴾ [البقرة: ٢٣٤] .

تنبيه: وضع الحمل إنما يبرىء الرحم إذا كان من نكاح صحيح، وأما من الزنى فلا يبرئ، باتفاق، فمن حملت من زنى وهي متزوجة فلا تحل للهارب الذي حملت منه إذا طلقت بوضع حملها منه، بل لا بد من ثلاثة قروء بعد الوضع، نعم من لا زوج لها من حرة أو أمة إذا حملت من زنى تم استبراؤها بوضع حملها. ﴾

ومن يتق الله﴾ في شأن أحكام العدة ومراعاة حقوقها ﴿يجعل له من أمره يسرا﴾ أي: يسهل عليه أمره. ويتحلل عليه ما تعقد ببركة التقوى، ﴿ذلك﴾ أي: ما علمكم من الأحكام ﴿أمر الله أنزله إليكم﴾ لتعملوا به. وإفراد الكاف مع أن المشار إليهم جماعة؛ لأنها لتعيين الفرق بين البعد والقرب، لا لتعيين خصوصية المخاطبين ﴿ومن يتق الله﴾ بالمحافظة على أحكامه ﴿يكفر عنه سيئاته﴾ فإن الحسنات يذهبن السيئات، ﴿ويعظم له أجرا﴾ بالمضاعفة والتكثير.

الإشارة: والنفوس التي يئسن من المساوىء والميل إلى الدنيا، ثم شككتم في تحقق طهارتها، تنتظر ثلاثة أشهر، فإذا مضت هذه المدة ولم يظهر منها ميل، فالغالب طهارتها، وكذلك النفوس الزكية، الباقية على الفطرة، التي لم يظهر منها خلل، تنتظر هذه المدة، فإن ظهرت سلامتها فلا مجاهدة عليها، والنفوس الحوامل بكثرة الأشغال عدة تمام فتحها أن تضع كل ما يثقل عليها ويمنعها من السير، ولقد سمعت شيخنا البوزيدي رضي الله عنه." (١)

"ذلك قادر على إحياء الموتى وجمع عظامها، وتسوية بنانها. ونقل الطيبي عن الإمام الفخر: أنه تعالى لما أخبر عن الكفار أنهم يحبون العاجلة، وذلك قوله: ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ بين أن العجلة مذمومة، ولو فيما هو أهم الأمور وأصل الدين، بقوله: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ فاعترض به، ليؤكد التوبيخ على حب العاجلة بالطريق الأولى. هـ. وقيل: اعترض نزولها في وسط السورة قبل أن تكمل، فوضعت في ذلك المحل، كمن كان يسرد كتابا ثم جاء سائل يسأل عن نازلة، فيطوي الكتاب حتى يجيبه، ثم يرجع

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧١/٧

إلى تمام سرده. انظر الإتقان.

يقول الحق جل جلاله: ﴿لا تحرك به﴾ ؛ بالقرآن ﴿لسانك لتعجل به﴾ ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يأخذ في القراءة قبل فراغ جبريل، كراهة أن يتفلت منه، فقيل له: لا تحرك لسانك بقراءة الوحي، ما دام جبريل يقرأ، ﴿لتعجل به﴾ ؛ لتأخذه على عجلة، لئلا يتفلت منك، ثم ضمنه له بقوله: ﴿إن علينا جمعه﴾ في صدرك، ﴿وقرآنه﴾ ؛ وإثبات قراءته في لسانك، فالمراد بالقرآن هنا: القراءة، وهذا كقوله: ﴿ولآ تعجل بالقرءان من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ [طه: ١١٤] ، ﴿فإذا قرأناه﴾ على لسان جبريل ﴿فاتبع قرآنه﴾ أي: قراءته، ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ إذا **أشكل عليك** شيء من معانيه وأحكامه.

الإشارة: لا تحرك بالواردات الإلهية لسانك لتعجل به حين الإلقاء، بل تمهل في إلقائه ليفهم عنك، إن علينا جمعه وقرآنه، أي: حفظه وقراءته، فإذا قرأناه على لسانك في حال الفيض فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه. وفي الحكم: " الحقائق ترد في حال التجلي جملة، وبعد الوعي يكون البيان، ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه إن علينا بيانه﴾ ". ولا شك أن الواردات في حال الفيض تبرز مجملة، لا يقدر على حصرها ولا تفهمها، فإذا فرغ منها قولا وكتابة فتدبرها وجدها صحيحة المعنى، واضحة المبنى، لا نقص فيها ولا خلل، لأنها من وحي الإلهام، وكان بعض المشايخ يقول لأصحابه: إني لأستفيد مني كما تستفيدون أنتم، وكان الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه إذا فاض بالمواهب يقول: هلا من يكتب عنا هذه الأسرار. إلى غير ذلك مما هو مدون عند أهل الفن. والله تعالى أعلم.." (١)

"أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك) .

تدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد١ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك) ٢﴾ .

قال القائل في ذم التقليد:

لا فرق بين مقلد وبهيمة ... تنقاد بين جداول ودعاثر

تبا لقاض أو لمفت لا يرى ... عللا ومعنى للمقال السائر

فإذا اقتديت فبالكتاب وسنة ... المبعوث بالدين الحنيف الظاهر٣

وقال عمر بن عبد العزيز- رحمه الله تعالى-: "لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم"٤ قال معاذ بن جبل- رضي الله عنه-: لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال: "

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٨٩/٧

لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم، وإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبين أو تكتب إلي فيه (٥ وقال الحاكم:

---

١ هذا من"الأصل"و"المؤلفات"، وهو الصواب، وقد صحفت في بقية النسخ إلى (أراد) ولا معنى لها.
٢ ذكر في"تيسير العزيز الحميد": (ص ٥٤٥) ، و"فتح المجيد": (ص ٤٥٩) عن شيخ الإسلام أنه قد رواه عن الإمام أحمد الفضل بن زياد وأبو طالب، وقد بحثت عنه في مظانه مما لدي من كتب شيخ الإسلام فلم أجده.
٣ انظر: كتاب"الرد على من أخلد إلى الأرض"للسيوطي: (ص ١٢١) ، وقد نسب الأبيات لابن المعتز.
٤"الإبانة"لابن بطة: (١ / ٢٦٢- ٢٦٣، رقم ١٠٠) ،"الشريعة"للآجري: (ص ٥٣) ،"أعلام الموقعين": (١ / ٧٤) .
٥"سنن ابن ماجه": (١ / ٢١، ح ٥٥) ، المقدمة، باب ٨. وانظر:"سلسلة الأحاديث الضعيفة": (٢ / ٢٧٥- ٢٧٦) . والحديث حكم عليه الألباني بالوضع، انظر:"ضعيف = = سنن ابن ماجه": (ص ٦، ح ٨ / ٥٥) ، وأحال على"سلسلة الأحاديث الضعيفة"المتقدم ذكره.." [١]

"المسلمين مرارا عديدة مع عريعر وأولاده منها نزولهم على الدرعية وهي شعاب لا يمكن تحصينها بالأبواب والبناء وقد أشار إلى ذلك العلامة حسين بن غنام رحمه الله: حيث يقول.

وجاؤا بأسباب من الكيد مزعج مدافعهم يزجي الوحوش رنينها فنزلوا البلاد وأجتمع من أجتمع من اهل نجد حتى من يدعي أنه من العلماء ولما قيل لرجل منهم وهو من أمثل علمائهم وعقلائهم كيف **أشكل عليكم** أمر عريعر وفساده وظلمه وأنتم تعينونه وتقاتلون معه فقال لوأن الذي حاربكم إبليس كنا معه والمقصود أن الله تعالى رد لهم بغيضهم لم ينالوا خيرا وحمى الله تلك القرية فلم يشربوا من آبارها وأما وزير العراق فمشى مرارا عديدة بما يقدر عليه من الجنود والكيد الشديد وأجرى الله تعالى عليهم من الذل مالا يخطر ببال قبل أن يقع بهم ما وقع من ذلك أن ثويني في مرة من المرار مشى بجنوده إلى الإحساء بعدما دخل أهلها في الإسلام في حال حداثتهم بالشرك والاضلال فلما قرب من تلك البلاد أتاه رجل مسكين لا يعرف من غير ممالات أحد من المسلمين فقتله فمات فنصر الله هذا الدين برجل لا يعرف وذلك مما به يعتبر فانفلت تلك الجنود وتركوا مامعهم من المواشي والأموال خوفا من المسلمين ورعبا فغنمها من حضر وقد قال الشيخ

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ٢/٣٩٠

حسين ابن غنام في ذلك.

تقاسمتم الاحساء قبل منالهاه ... فللروم شطر والبوادي لها شطر

ثم جددوا أسبابا لحرب المسلمين وساروا بدول عظيمة يتبع بعضها بعضها وكيد عظيم فنزلوا الاحساء وقائدهم علي كيخيا فتحصن من ثبت على دينه في الكوت وثغر صاهود فنزل بهم وصار يضربهم بالمدافع والقنابل وصفر اللغوب فأعجزه الله ومن معه ممن إرتد عن الإسلام فولى مدبرا." (١)

"ومنهم من قال: رأى ثلاث آيات هي البرهان.

ومنهم من قال: لم يهم يوسف بسوء لوجوب عصمته حتى قبل النبوة، وقوله: ﴿وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ . [يوسف:٢٤] معلق على عدم الرؤية، وقد ثبتت فلا هم، نقول: هلك١ زيد لولا عمر.

وهذا معنى ما قال بعضهم: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: لولا أن رأى برهان ربه هم بها.

وهذا يذهب إليه من يقول بعصمة الأنبياء قبل النبوة.

وهو الراجح عن من اعتمد أقوالهم هذا العراقي فيما وصل إلينا في علم مسألة٢ الغيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهنا٣ خالفهم ظنا منه أن إثبات الكرامة يقتضي إباحة الدعاء مع الله.

قال بعض السلف: "أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به".

ومن العجب أنه يكرر في هذه "الرسالة": سلوني سلوني إن **أشكل عليكم** شيء، وعندي من النسخ، وعندي كذا وكذا، ويطري نفسه إطراء لا يصدر عمن له دين وعقل، أو دراية بشيء من الآداب والنقل، حتى أنشد في مدح نفسه قول الشاعر:

---

١ في ط: آل ثاني: "ملك".

٢ سقطت: "مسألة" من ط: آل ثاني.

٣ في ط: آل ثاني: "وهذا".." (٢)

"إذا عرفت هذا فإن **أشكل عليك** كون الدعاء عبادة فاطلب الأدلة على ذلك من القرآن الكريم١، فإن لم يكفك – لا كفاك الله – فاطلبها من السنة، فإن لم تكفك فقد تم خسرانك.

---

(١) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٨

(٢) تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس عبد اللطيف آل الشيخ ص/٨٠

قال تعالى: ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ [الأنعام – ٥٦] في سورة الأنعام والمؤمن، وقال تعالى: ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾ [الرعد – ١٤] الآية. وهذه الآية في دعاء المسألة دلت على أنه مختص بالله دون من سواه، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، ثم قال: ﴿والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾ [الرعد – ١٤] بين أن دعاء غيره لا يحصل لداعيه غرضه، وهذا جنس الشرك في الإلهية.

وفي حديث أنس الذي في السنن والمسانيد مرفوعا: "الدعاء مخ العبادة "٢ وفي السنن مرفوعا في حديث النعمان بن بشير: "الدعاء هو العبادة" ثم تلا: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ .

وتقرير هذا في كتاب الله تعالى: فإن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بدعائه ورغبهم فيه، ووعدهم الإجابة فقال تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان

---

١ سقطت: "الكريم" من الطبعة الثانية.

٢ حديث أنس رواه الترمذي في سننه، وسنده ضعيف، ويغني عنه حديث النعمان بن بشير بعده، وهو حديث صحيح الإسناد، وقد تقدم الكلام عليهما.." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن سحمان إلى الأخ عبد الله بن الشيخ حسن بن حسين سلمه الله تعالى وهداه آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد

فقد وقفت على جواب حسين الذي أرسل إليكم وتأملته فلم يكن فيه شيء مما وقع النزاع فيه بل حاد عن ذلك وصدر كلامه بالكذب على محمد بن حسن المرزوقي وأنا أذكر لك ما في كلام أخيك من الكذب على المرزوقي وما فيه من الخطأ والغلط والوهم فإن بان لك ما ذكرته واتضح لديك كذبه على المرزوقي وغلطه ووهمه فالواجب الرجوع إلى الحق وعدم التعدي على المرزوقي وبهته بما ليس فيه وتبيين غلط أخيك

---

(١) الرد على شبهات المستعينين بغير الله أحمد بن عيسى ص/٣٨

وإن أشكل عليك شيء من كلامي ولم يتضح لك فأعرضه على المشايخ فإن كان حقا فالواجب قبول الحق وإن كان خطأ رجعت إلى الحق." (١)

"وجاءوا بأسباب من الكيد مزعج ... مدافعهم يزجي الوحوش رنينها

فنزلوا البلاد، واجتمع من اجتمع من أهل نجد حتى قال من يدعي أنه من العلماء –وهو من أمثل علمائهم وعقلائهم– لما سئل: كيف أشكل عليكم أمر عريعر، وفساده وظلمه، وأنتم تعينونه وتقاتلون معه؟ فقال: لو أن الذي حاربكم إبليس كنا معه.

والمقصود أن الله تعالى ردهم بغيظهم لم ينالوا خيرا، وحمى الله تلك القرية فلم يشربوا من آبارها.

وأما وزير العراق فمشى مرارا عديدة بما يقدر عليه من الجنود والكيد الشديد، وأجرى الله تعالى عليهم من الذل ما لا يخطر ببال، قبل أن يقع بهم ما وقع، من ذلك أن ثويني في مرة من المرار مشى بجنوده إلى الإحساء، بعدما دخل أهلها في الإسلام في حال حداثتهم بالشرك والضلال، فلما قرب من تلك البلاد أتاه رجل مسكين لا يعرف –من غير ممالات لأحد من المسلمين– فقتله فمات، فنصر الله هذا الدين برجل لا يعرف، وذلك مما به يعتبر، فانقلبت تلك الجنود، وتركوا ما معهم من المواشي والأموال خوفا من المسلمين، ورعبا، فغنمها من حضر، وقد قال الشيخ حسين بن غنام في ذلك:." (٢)

"بأن هؤلاء الجهمية، وعباد القبور، والإباضية حكمهم وما يقال فيهم حكم أهل الفترات، ومن ليس عندهم من آثار الرسالة والنبوات ما يعرفون به الهدى، ممن لم تقم عليه الحجة ببلوغ الدعوة، وحكم من أخطأ في المسائل التي تنازع فيها أهل القبلة مما قد يخفى دليله فقد لبس الحق بالباطل وفتح باب المغالطة، وأوقع العامة في الشر، فالواجب عليكم أن تقوموا لله مثنى وفرادى، وأن تنظروا بعين البصيرة في كلام أئمة الإسلام، وأن لا تأخذكم العزة بالإثم، وتنظروا وتناظروا، فإن من شأن المسلمين والمؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا، فإن أشكل عليكم شيء مما ذكرناه فاطلبوا الدليل وعلينا أن نجيبكم إلى ذلك، والحق ضالة المؤمن.

وأما الإباضية فهم فيما نعلم أنهم من جنس الخوارج أو طائفة منهم أتباع عبد الله بن أباض، وأتباع حفص بي أبي المقدام، وأتباع يزيد بن نسية، وأتباع أبي الحارث، فعقيدتنا فيهم ما ذكره الإمام أحمد في كتاب السنة.

---

(١) تميز الصدق من المين في محاورة الرجلين سليمان بن سحمان ص/١٢٣

(٢) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق سليمان بن سحمان ص/٤٨

وأما هؤلاء فأظن أنهم ليسوا على مذهب أوائلهم وأسلافهم، بل قد بلغنا عنهم أفعال في الصلاة وغيرها لا يفعلها يؤمن بالله واليوم الآخر، وهم مع ذلك فيما بلغنا أنهم ممن يعتقد بالأولياء والصالحين فيكونون من جملة عباد القبور، وهم يكفرون بالذنوب، وينفون الحوض، والشفاعة، ويفسقون الصدر الأول من الصحابة، ويعتقدون." (١)

"آخر وكفرهم الله ببلوغهم إياها مع كونهم لم يفهموها وإن **أشكل عليكم** ذلك فانظروا قوله صلى الله عليه وسلم في الخوارج (أينما لقيتموهم فاقتلوهم) مع كونهم في عصر الصحابة ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم ومع إجماع الناس أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والغلو والاجتهاد وهم يظنون أنهم مطيعون الله وقد بلغتهم الحجة ولكن لم يفهموها وكذلك قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذين اعتقدوا فيه الإلهية وحرقهم بالنار مع كونهم تلاميذ الصحابة ومع عبادتهم وهم أيضا يظنون أنهم على حق وكذلك إجماع السلف على تكفير أناس من غلاة القدرية وغيرهم مع كثرة علمهم وشدة عبادتهم وكونهم يظنون أنهم." (٢)

"الكاتب: محمد رشيد رضا

هلال الصوم والفطر

من سواكن السودان

س ٤٤: عن هلال الصوم والفطر من سواكن (السودان) .

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي مستجدا بعده.

حضرة الأستاذ الفاضل: رب العلوم، ومعدن الفهوم، الحسيب النسيب، السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الغراء - حفظه الله - وتولاه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

فقد أشكلت علينا مسألة منذ أعوام، وكثر الهرج لأجلها، فأحببت أن أقدمها لجنابكم؛ سائلا حلها، وإجابتي عنها جوابا شافيا وافيا على صفحات المنار ليهتدي كل من استهدى به. وذلك عند حلول رمضان وإثبات الصوم أو الفطر، حتى افترق أهل

---

(١) كشف الشبهتين سليمان بن سحمان ص/٦٢

(٢) كشف الأوهام والإلتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس سليمان بن سحمان ص/١١٥

البلدة لثلاث فرق. وإليك نبأهم بالتفصيل:

(الفرقة الأولى) : تحتج بظهور هلال رمضان، أو الفطر عيانا في قطرها

وثبوته بالتواتر، كما هو محرر بالكتب الفقهية، فإذا ثبت هلاله صامت، وكذا

أفطرت، وإذا غم أكملت عدة شعبان ثلاثين يوما، وهؤلاء هم فقهاء البلدة ومشايخهم.

(الفرقة الثانية) : تعتمد في صومها وإفطارها على قنابل الحكومة المطلقة؛

إيذانا بحلول رمضان أو الفطر؛ محتجة بأن هذه القنابل لا تطلق إلا بإذن شيخ الإسلام

بعد ثبوت هلال الشهر لديه، ويصل إلى البلاد الأخرى على لسان البرق.

(الفرقة الثالثة) : تعول في صومها وإفطارها على قاعدة منسوبة للإمام

جعفر الصادق - رضي الله عنه -، وهي في كتاب عجائب المخلوقات للقزويني

ونصها: قال جعفر الصادق - رضي الله عنه -: إذا **أشكل عليك** أول شهر

رمضان فعد الخامس من الشهر الذي صمته في العام الماضي، فإنه أول يوم من شهر

رمضان الذي في العام المقبل وقد امتحنوا ذلك خمسين سنة فكان صحيحا) .

اهـ من عجائب المخلوقات.

فأرجو الأستاذ إفادتي عن المسألة هذه، مبينا وجه الحق في الاتباع، وأرجو

أن لا تحيلونا على ما مضى، إذا سبق في هذا الموضوع جواب؛ ليحق الله الحق،

ويخرجنا من ظلمة التقليد بساطع أنوار الحق التليد والسلام.

... ... كتبه الفقير

... ... ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٥

... ... عبد القادر ملاقلندر البخاري

(ج) كتبنا في باب الأخبار النبوية الواردة في الصيام، فصلا فيما يثبت به

الصيام والفطر، هذا نصه (ص٨١٤م٦) ، وعدد الأحاديث فيه تابع لما قبله.

***

فصل فيما يثبت به الصوم والفطر

(٧) جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (إني رأيت هلال

رمضان فقال: (أتشهد أن لا إله إلا الله؟) قال: نعم. قال: (أتشهد أن محمدا

رسول الله؟) قال: نعم، قال: (يا بلال أذن في الناس أن يصوموا غدا) . رواه الشيخان، وأصحاب السنن عن عكرمة عن ابن عباس.
وفي رواية لأبي داود (فأمر بلالا فنادى في الناس أن يصوموا وأن يقوموا) .
وفي حديث آخر عند أبي داود: (أن النبي عليه السلام اكتفى مرة بشهادة ابن عمر في الصيام) ؛ وهو حجة على ثبوت الصوم بشهادة رجل واحد.
(٨) عن ربعي بن خراش عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (اختلف الناس في آخر يوم من رمضان، فقدم أعرابيان فشهدا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالله لأهلا الهلال أمس عشية، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يفطروا) رواه أحمد وأبو داود وزاد في رواية: (وأن يغدو إلى مصلاهم) .
(٩) قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فافطروا، فإن غم عليكم فاقدروا له) رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر.
وفي رواية البخاري وغيره: (الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين) وفي رواية لمسلم وغيره: (الشهر هكذا وهكذا) ، وأشار بالعقد إلى ٢٩ و٣٠، وفي لفظ الشيخين: (صوموا لرؤيته فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين) ؛ وظاهر أن الكلام في رؤية الهلال وعدمها.
ومعنى اقدروا له: احسبوا، وقدروا، يقال قدره (من بابي ضرب ونصر) وأقدره وقدر له، وغبي هنا بمعنى غم في الروايات الأخرى؛ أي: لم يظهر. والأحاديث نص في أن العبرة برؤية الهلال، لا بحساب الحاسبين، وتقاويم المنجمين؛ وذلك أن هذا الدين عام للبدو والحضر، فوجب أن تكون مواقيت عباداته معروفة عند عامة المكلفين، غير مخصوصة بطائفة الحاسبين، وجاء في بعض الروايات (وانسكوا له) ، فمواقيت الحج تعرف برؤية الهلال أيضا.
(١٠) عن كريب: أن أم الفضل بعثته إلى معاوية بالشام، قال: فقدمت فقضيت حاجتها، واستهل علي رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم

قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة، فقال: أنت رأيته؟ فقلت نعم، ورآه الناس، وصاموا وصام معاوية، فقال: ولكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم، حتى نكمل ثلاثين أو نراه: فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه، قال: لا، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه أحمد ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة.

الأظهر أن المشار إليه بقوله: هكذا أمرنا رسول الله؛ هو قوله: لكنا رأيناه ليلة السبت ... إلخ، فإنه هو المنطوق الموافق للمروي، وقيل: إنه أشار إلى ما يفهم من قوله من عدم اعتداد أهل بلد برؤية أهل بلد آخر، وهو غير مروي في المرفوع، ولا هو صرح به، فنكتفي بروايته، فالراجح إذا حمل قوله على المروي المعروف.

وقد اختلف علماء السلف فى المسألة، فقيل: يعتبر كل أهل بلد رؤيتهم بعدت البلاد أو قربت. وقيل: لا يلزم أهل بلد العمل برؤية أهل بلد آخر، إلا إذا ثبت عند الإمام الأعظم فبلغه؛ لأن أمره نافذ في جميع البلاد. وقيل: إن تقاربت البلاد كان حكمها واحد. وإن تباعدت عمل كل برؤيته، واختلفوا في حد البعد، فبعضهم ناطه باختلاف المطالع وهو الوجه العلمي، وبعضهم ناطه بمسافة القصر وهو قياس فقهي، وقد رجح النووي وغيره من الشافعية كل واحد من القولين، وقطع بكل منهما جماعة من الفقهاء.

ونقول: إذا اختلفت الرؤية في البلاد المتقاربة، فإن كان هناك حاكم شرعي ورجح شهادة ، وبلغها للناس، وجب أن يعتمدوا عليها، ولا يلتفتوا إلى رؤية الآخرين؛ لينضبط الأمر، ولا يكونوا فوضى في إقامة ركن من أركان دينهم، هذا صائم وهذا مفطر، وإن اختلفت في البلاد المتباعدة، فهناك النظر والاجتهاد، وقد رأيت أن بعضهم اعتبر البعد باختلاف مطالع القمر، وبعضهم اعتبره بمسافة القصر والأول: يستلزم تحكيم علماء الفلك.

وقد ذكرنا أن غرض الشرع؛ أن يجعل ما تعرف به مواقيت العبادة عاما، يعرفه العوام والخواص، حتى لا يتحكم الكبراء في المسائل الدينية، كما فعلوا في

الأمم السالفة.

والثاني: يمكن أن يتجه لو ورد حديث يذكر فيه اختلاف الحكم ببعد البلاد، فيقال حينئذ: إن مسافة القصر هي البعد الشرعي الذي تختلف به الأحكام.

وهناك وجه آخر في البعد والقرب، ربما كان أجد بالاعتبار، وهو أن البلاد المتصلة التي بين أهلها امتزاج وتعامل؛ كالبلاد المصرية كلها تعد بلادا متقاربة، ولا ينبغي أن يكون بعض أهلها مفطرا وبعضهم صائما؛ بحجة اختلاف الرؤية، فإذا ثبتت الرؤية في بعضها، يصوم الجميع، وإلا أكملوا عدة شعبان ثلاثين، وصاموا متفقين، وما يفعلونه الآن في الأقطار الإسلامية من الإثبات في مكان، وإعلام الآخرين به حسن في ذاته، وغير حسن ما يحتف به من البدع.

وأما البلاد التي لا صلة بينها قوية سهلة، ولا تعامل بينها إلا بمهاجرة بعض أهلها من إحداها إلى الأخرى، فلا بأس باعتبار كل ما يثبت عنده، وإن تيسر إعلام كل قطر الآخر بنبأ البرق الذي يؤمن تزويره، ولو كان للمسلمين إمام أعظم ينفذ حكمه الشرعي في جميع بلادهم، وتيسر له إعلامهم بما يثبت عنده من الرؤية وصاموا بذلك لكان له وجه من الحسن. واتجه قال ابن الماجشون) . اهـ ما في المجلد السادس، وقد سقط من آخره شيء وأصله ، واتجه ما قاله ابن الماجشون: من أنه لا يلزم أهل بلد برؤية غيرهم، إلا أن ثبت ذلك عند الإمام الأعظم؛ لأن البلاد في حقه، كالبلد الواحد، لنفوذ حكمه فيها. وجملة القول أن العبرة بالرؤية أو إكمال العدة، فإذا ثبتت عند الحاكم وأعلم بها الناس، عملوا بإعلامه.

________." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا

____

التقريظ

(كتاب دلائل التوحيد)

____

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٥٣٠/١٠

لقد من الله تعالى على دمشق الشام بالشيخ محمد جمال الدين القاسمي؛ ليكون فيها واسطة من وسائط الانتقال، وحلقة من حلقات الاتصال، بين الماضي الذي قد تدهور فيه المسلمون من عدة قرون، وبين المستقبل الذي ينشده المتبصرون، ويسعى إليه المصلحون، فهو بصير في العلوم الإسلامية المتداولة في العصر، متطلع إلى ما يتجدد من المطبوعات العربية في كل مصر، مجيد في الانتقاء من رديئها والانتقاء من جيدها حريص على الاستفادة منها والإفادة بها، وهو يدرس ويطالع وينسخ ويصحح ويصنف وينشر.

وآخر ما وصل إلينا من مؤلفاته المطبوعة كتاب (دلائل التوحيد) في الكلام، ألفه في سنة ١٣٢٥ وطبع في سنة ١٣٢٦، وهو في أسلوبه ومباحثه مصدق لما قلناه آنفا في وصف مؤلفه، لم يقلد فيه المتكلمين كالسنوسي، وواضعي الشروح والحواشي لعقائده، ومن حاكاهم من المتأخرين الذين صارت كتبهم كالمتعبد بتلاوتها على علاتها وعدم كفايتها، ولم يستقل بجميع مسائله بنفسه، ويجعله خلوا من كلام غيره، بل أورد فيه زبدة مما طالعه في كتب أساطين المتقدمين من الفلاسفة والمتكلمين: كابن مسكويه والنصير الطوسي والفارابي وابن رشد والراغب والغزالي والعز بن عبد السلام وابن حزم وابن تيمية وابن القيم والقاضي عياض والماوردي وجمال الدين الخوارزمي والمرتضى اليماني صاحب إيثار الحق، والمتأخرين كالأستاذ الإمام، ولكنه لا يذكره باسمه ولا بهذا اللقب الذي اشتهر به، وإنما يشير إليه بكلمة (حكيم) أو حكيم من المتأخرين، وقد نقل أيضا عن المنار ولم يسمه ولا ذكر اسم صاحبه، بل يشير إليه ببعض الألقاب كما فعل في هذا الهامش بعد سوق الدليل العشرين. وما ذلك إلا لأن اسم الشيخ محمد عبده أو محمد رضا أو المنار، كانت في زمن السلطان عبد الحميد تخرب الديار، وتسوق إلى البوار، أما مقاصد الكتاب بالإجمال فهي كما كتب المؤلف في طرته:

(الخطبة في فضل إقامة البراهين؛ لتأييد أصول الدين، ثم تمهيدات في سر معرفة التوحيد، وما يتقاضاه الإيمان من الإيقان، وفي تمثيل انمحاء الباطل لظهور

آية الحق، وفي أن النظر قانون الاستدلال وفي غير ذلك، ثم مطالب الكتاب وهي أربعة: المطلب الأول في الأدلة الواضحة على (وجود الله تعالى) وهي خمسة وعشرون دليلا وفي طيها فوائد جمة، المطلب الثاني في تحقيق مسائل من العلم الإلهي: كاستحالة اكتناه ذات الخالق تعالى وبطلان الحلول والاتحاد وغيرهما، المطلب الثالث في المادة، وشبه الماديين وإبطالها جميعها بالحجج القاطعة، وفيه مقالات من الطبيعيين تقرب من الثلاثين، المطلب الرابع في مسائل من علم النبوات: كآيات النبوة وإثبات الخوارق علما، وبيان المنة على العالمين ببعثة خاتم النبيين، وكون القرآن أعظم الخوارق، وبيان خصائصه عليه السلام وفضائله وشرف أخلاقه وشمائله المؤيدة لنبوته والمبرهنة على عموم رسالته، ثم الخاتمة في فائدتين) اهـ.

وصفحات الكتاب مائتان بل تزيد، ولم يتيسر لنا إلا مطالعة القليل منه؛ فعسى أن يكون مزلزلا لتقليد المقلدين، ومرقاة لاستقلال المستعدين، وثمن النسخة منه ثمانية قروش.

***

(العقائد الدينية للناشئة الإسلامية)

كتيب وجيز للشيخ محمد عبد اللطيف خضير من علماء دمياط طبعه في هذا العام، وأهدانا نسخة منه، ورغب إلينا فيه شيئا من المعنى الذي أشرنا إليه في تقريظ الكتاب الذي قبله؛ من حيث عدم التزام أسلوب وترتيب العقائد المتداولة: كسرد الصفات العشرين (التي جعل السنوسي مدار عقيدته عليها) ونحو ذلك، ولكنه على عدم التزام ذلك لم يخرج عنه بالمرة، راعى السهولة فيما استقل فيه، فسدد وقارب، وجاء ببعض مسائل ودلائل نظرية تعلو على أفهام الناشئين الذين وضعه لهم، ولولا رجوعه في ذلك إلى بعض الكتب المتداولة لكان يسهل عليه أن يأتي بما هو أسهل منها وأنفع، أو ليت اقتباسه من كتب المتقدمين كان كله: كاقتباسه من رسالة التوحيد، وجملة القول: إنه من أحسن ما كتب لتعليم المبتدئين، وثمن النسخة منه قرش واحد، وهو يطلب من المكتبة العمومية بدمياط؛ فعسى أن ينال ما

يستحقه من الرواج والانتشار.

***

(تحفة الأنام في مختصر تاريخ الإسلام)

ألف هذا التاريخ في أواخر حياته الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت رحمه الله، تعالى. وهو يشتمل على مقدمة وجيزة في أصل العرب وجزيرتها وظهور النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى أربعة أبواب في الخلفاء الراشدين، وفي الأمويين والعباسيين والعثمانيين، وفي الكلام على سلطنة محمود الثاني يذكر حادثة إبراهيم باشا المصري وغيرها من الحوادث الكبيرة ومسألة الوهابية، كما يذكر في أخبار سلطنة عبد المجيد حرب القرم، وحادثة جدة، وحادثة لبنان، وهو مختصر ليس في الأيدي مثله ولا ما يغني عنه، فعسى أن يعم نشره، ويباع في مصر بمكتبة المنار مجلدا تجليدا بيروتيا بثمانية قروش مصرية، ومن أراد عددا كثيرا منه فليطلبه من المكتبة الأهلية ببيروت.

وإننا ننقل ههنا كلامه في الوهابية، قال رحمه الله تعالى ما نصه:

(ثم في غضون ذلك ظهرت الطائفة الوهابية في بلاد نجد، واستولوا على مكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي بلاد الحجاز، حتى قاربوا بلاد الشام من جهة دمشق.

وهم قوم كثيرون من عرب نجد؛ اتبعوا طريقة الشيخ عبد الوهاب (؟) وهو رجل ولد في الدرعية بأرض العرب من بلاد الحجاز، طلب أولا العلم على مذهب أبى حنيفة في بلاده، ثم سافر إلى أصفهان وأخذ من علمائها، حتى اتسعت معلوماته في فروع الشريعة وتفسير القرآن الكريم، ثم عاد إلى بلاده سنة (١١٧٠) ، ثم أدته ألمعيته إلى الاجتهاد، فأنشأ مذهبا مستقلا وقرره لتلامذته، وشاع أمره في (نجد) و (الإحساء) و (القطيف) و (عمان) و (بني عتبة) من أرض (اليمن) ، ولم يزل أمرهم شائعا، ومذهبهم متزايدا، وجماعتهم تكثر، إلى أن صدرت الإرادة السنية إلى محمد علي باشا عزيز مصر بقتال وردع هذه الطائفة؛ خوفا من انتشار شرهم في البلاد الإسلامية، فأطفأ سراجهم، وبدد شملهم،

وأخفى ذكرهم، وقد توفي زعيمهم سعود سنة (١٢٢٩) فساد الأمن في طريق الحج، وبهذه السنة حج محمد علي باشا بعد أن لم يكن أحد يتمكن من أداء هذه الفريضة.

وهاك رسالة من كلامهم تدل على مذهبهم واعتقادهم:

اعلموا – رحمكم الله – أن الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله مخلصا له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم له، كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦) فإذا عرفت أن الله – تعالى – خلق العباد للعبادة، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد؛ كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، كما قال تعالى: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون﴾ (التوبة: ١٧) . فمن دعا غير الله؛ طالبا منه ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب خير أو دفع ضر، فقد أشرك في العبادة، كما قال تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ (الأحقاف: ٥-٦) وقال تعالى: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ (فاطر: ١٣-١٤) فأخبر تبارك وتعالى: أن دعاء غير الله شرك، فمن قال يا رسول الله، أو يا ابن عباس، أو يا عبد القادر؛ زاعما أنه باب حاجته إلى الله، وشفيعه عنده، ووسيلته إليه – فهو المشرك الذي يهدر دمه وماله إلى أن يتوب من ذلك، وكذلك الذين يحلفون بغير الله أو الذي يتوكل على غير الله، أو يستعين بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهو أيضا مشرك، وما ذكرنا من أنواع الشرك؛ هو الذي قاتل رسول الله المشركين عليه، وأمرهم بإخلاص العبادة كلها لله تعالى، ويصح ذلك أي: التشنيع عليهم بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله في كتابه.

(أولها) أن يعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقرون أن الله هو: الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور؛ والدليل على ذلك قوله

تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ (يونس: ٣١) ، وقوله تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ (المؤمنون: ٨٤-٨٩) إذا عرفت هذه القاعدة **وأشكل عليك** الأمر، فاعلم أنهم بهذا أقروا، ثم توجهوا إلى غير الله يدعونه من دون الله فأشركوا.

(القاعدة الثانية) أنهم يقولون: ما نرجوهم إلا لطلب الشفاعة عند الله، نريد من الله لا منهم، ولكن بشفاعتهم. وهو شرك، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (يونس: ١٨) وقال الله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ (الزمر: ٣) وإذا عرفت هذه القاعدة فاعرف:

(القاعدة الثالثة) وهي أن منهم من طلب الشفاعة من الأصنام، ومنهم من تبرأ من الأصنام وتعلق بالصالحين مثل: عيسى وأمه والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ (الإسراء: ٥٧) ورسول الله لم يفرق بين من عبد الأصنام ومن عبد الصالحين في كفر الكل، وقاتلهم حتى يكون الدين كله لله، وإذا عرفت هذه القاعدة فاعرف.

(القاعدة الرابعة) وهي أنهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (العنكبوت: ٦٥) ، وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله، فإذا عرفت هذا فاعرف أن المشركين في زمان النبي

أخف شركا من عقلاء مشركي زماننا؛ لأن أولئك يخلصون لله في الشدائد، وهؤلاء يدعون مشايخهم في الشدائد والرخاء، والله أعلم بالصواب اهـ.

وهذه الرسالة والقواعد التي أسسها ذلك الشيخ لا شبهة فيها؛ لأن هذا هو الدين الذي جاء به النبي والأنبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين لكن هذا الشيخ لم يتحقق ولم يحقق هذه المسألة، واتبعه قومه من بعده؛ فأفرطوا وفرطوا وقصروا، حتى تولد منهم بسبب هذه القواعد تنقيص وتحقير ما عظمه الله وأمرنا بتعظيمه ومحبته وتوقيره، وقاسوا المسلمين المخلصين في التوحيد بالمشركين، حتى قاتلوا المسلمين في أفضل البقاع، واستحلوا دماءهم وأموالهم، كما وأن أكثر العوام من جهلة المسلمين قد تغالوا وأفرطوا وابتدعوا بدعا تخالف المشروع في الدين القويم، فصاروا يعتمدون على الأولياء الأحياء منهم والأموات، معتقدين أن لهم التصرف، وبأيديهم النفع والضر، ويخاطبونهم بخطاب الربوبية، وهذا غلو في الدين القويم وخروج عن الصراط المستقيم، وقد ورد في الحديث المرفوع: (دين الله تعالى بين المغالي والمقصر) .

وهنا شيء لا بد لك من معرفته؛ وهو أن الحب لله وفي الله، والحب مع الله بينهما فرق من أهم الفروق، وعنه تعلم جهل وخطأ الوهابية وشيخهم، فإن الحب لله وفي الله هو من كمال الإيمان في الله، والحب مع الله هو الشرك المنهي عنه، وقاتلهم عليه النبي صلوات الله وسلامه عليه، والفرق بينهما أن الحب في الله ولله تابع لما يحبه الله: كحب الرسل والملائكة والأولياء والعلماء والكعبة والمدينة وبيت المقدس؛ لأن الله يحبهم ويحب من يحبهم ويعظمهم، والحب مع الله على نوعين: نوع يقدح في أصل التوحيد وهو شرك: كعبادة الأوثان والأصنام والأنداد من المشركين؛ لأنهم عظموا وأحبوا مع الله ما يبغضه الله، والنوع الثاني يقدح في كمال الإخلاص والتوحيد ومحبة الله، ولا يخرجه عن الإسلام: كمحبة ما زينه الله للنفوس في النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث؛ فإن محبتها طبيعية ومحبة شهوة: كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، فإن أحبها لله ليتوصل بها إليه، واستعانته على مرضاته وطاعته كانت من قسم الحب لله، وفي

الحديث: (حبب إلي من دنياكم النساء والطيب) ، وإن أحبهما لموافقة طبعه وشهوته وهواه كانت من المباحات. لكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة فيه. وإن كان حبه لها مراده ومقصوده، وقدمها على ما يحبه الله ورضاه منه كان ظالما لنفسه متبعا لهواه، فالأول محبة السابقين، والثانية محبة المقتصدين والثالثة محبة الظالمين، فتأمل ذلك وما فيه، فإنه معترك النفس الأمارة والمطمئنة والله تعالى يوفقنا وإياك والسلام اهـ، ولم يذكر مثالا للحب مع الله، وكأنه اكتفى بما عزاه منه إلى أكثر عوام المسلمين من الغلو في الصالحين وحبهم لهم: كحب الله، وهو عين ما ينكره الوهابية، وما أظن أنهم كانوا يتهمون بذلك جميع أفراد المسلمين وإلا كانوا مجانين.

________." (١)

"الكاتب: أبو إسحاق الشاطبي

____

تابع لمقالة

الفرق بين البدع

والمصالح المرسلة والاستحسان

فصل [*]

فهذه أمثلة عشرة توضح لك الوجه العلمي في المصالح المرسلة وتبين لك اعتبار أمور.

(أحدها) : الملاءمة لمقاصد الشرع بحيث لا تنافي أصلا من أصوله ولا دليلا من دلائله.

و (الثاني) : أن عامة النظر فيها إنما هو فيما عقل منها وجرى على دون المناسبات المعقولة التي إذا عرضت على العقول تلقتها بالقبول، فلا مدخل لها في التعبدات ولا ما جرى مجراها من الأمور الشرعية؛ لأن عامة التعبدات لا يعقل لها

____

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ١٢/٣٨٧

معنى على التفصيل، كالوضوء والصلاة والصيام في زمان مخصوص دون غيره، والحج، ونحو ذلك.

فليتأمل الناظر الموفق كيف وضعت على التحكم المحض المنافي للمناسبات التفصيلية.

ألا ترى أن الطهارات على اختلاف أنواعها قد اختص كل نوع منها بتعبد مخالف جدا لما يظهر لبادي الرأي؟ فإن البول والغائط خارجان نجسان يجب بهما تطهير أعضاء الوضوء دون المخرجين فقط، ودون جميع المخرج فقط، ودون أعضاء الوضوء [١] .

ثم إن التطهير واجب مع نظافة الأعضاء، وغير واجب في قذارتها بالأوساخ والأدران، إذا فرض أنه لم يحدث.

ثم التراب – ومن شأنه التلويث – يقوم مقام الماء الذي من شأنه التنظيف.

ثم نظرنا في أوقات الصلوات فلم نجد فيها مناسبة لإقامة الصلوات فيها لاستواء الأوقات في ذلك.

وشرع للإعلام بها أذكار مخصوصة لا يزاد فيها ولا ينقص منها، فإذا أقيمت ابتدأت إقامتها بأذكار أيضا، ثم شرعت ركعاتها مختلفة باختلاف الأوقات، وكل ركعة لها ركوع واحد وسجودان دون العكس، إلا صلاة خسوف الشمس فإنها على غير ذلك، ثم كانت خمس صلوات دون أربع أو ست وغير ذلك من الأعداد؛ فإذا دخل المتطهر المسجد أمر بتحيته بركعتين دون واحدة كالوتر، أو أربع كالظهر، فإذا سها في صلاة سجد سجدتين دون سجدة واحدة، وإذا قرأ سجدة سجد واحدة دون اثنتين.

ثم أمر بصلاة النوافل ونهي عن الصلاة في أوقات مخصوصة، وعلل النهي بأمر غير معقول المعنى، ثم شرعت الجماعة في بعض النوافل كالعيدين والخسوف والاستسقاء، دون صلاة الليل ورواتب النوافل.

فإذا صرنا إلى غسل الميت وجدناه لا معنى له معقولا؛ لأنه غير مكلف، ثم أمرنا بالصلاة عليه بالتكبير دون ركوع أو سجود أو تشهد، والتكبير أربع تكبيرات

دون اثنتين أو ست أو سبع أو غيرها من الأعداد.
فإذا صرنا إلى الصيام وجدنا فيه من التعبدات غير المعقولة كثيرا، كإمساك النهار دون الليل، والإمساك عن المأكولات والمشروبات، دون الملبوسات والمركوبات، والنظر والمشي والكلام وأشباه ذلك؛ وكان الجماع - وهو راجع إلى الإخراج - كالمأكول وهو راجع إلي الضد؛ وكان شهر رمضان - وإن كان قد أنزل فيه القرآن - ولم يكن أيام الجمع، وإن كانت خير أيام طلعت عليها الشمس، أو كان الصيام أكثر من شهر أو أقل ثم الحج أكثر تعبدا من الجميع.
وهكذا تجد عامة التعبدات في كل باب من أبواب الفقه ما عملوا (؟) إن في هذا الاستقراء معنى يعلم من مقاصد الشرع أنه قد قصده ونحا نحوه واعتبرت جهته، وهو أن ما كان من التكاليف من هذا القبيل فإن قصد الشارع أن يوقف عنده ويعزل عنه النظر الاجتهادي جملة، وأن يوكل إلى واضعه ويسلم له فيه، سواء علينا أقلنا: إن التكاليف معللة بمصالح العباد، أم لم نقله، اللهم إلا قليلا من مسائلها ظهر فيها معنى فهمناه من الشرع فاعتبرنا به أو شهدنا في بعضها بعدم الفرق بين المنصوص عليه والمسكوت عنه، فلا حرج حينئذ. فإن أشكل الأمر فلا بد من الرجوع إلى ذلك الأصل، فهو العروة الوثقى للمتفقه في الشريعة والوزر الأحمى.
ومن أجل ذلك قال حذيفة رضي الله عنه: كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالا، فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا بطريق من كان قبلكم. ونحوه لابن مسعود أيضا وقد تقدم من ذلك كثير.
ولذلك التزم مالك في العبادات عدم الالتفات إلى المعاني، وإن ظهرت لبادي الرأي، وقوفا مع ما فهم من مقصود الشارع فيها من التسليم على ما هي عليه، فلم يلتفت في إزالة الأخباث، ورفع الأحداث، إلى مطلق النظافة التي اعتبرها غيره، حتى اشترط في رفع الإحداث النية، ولم يقم غير الماء مقامه عنده -
وإن حصلت النظافة - حتى يكون بالماء المطلق، وامتنع من إقامة غير التكبير والتسليم والقراءة بالعربية مقامها في التحريم والتحليل والإجزاء، ومنع من إخراج

القيم في الزكاة، واختصر في الكفارات على مراعاة العدد، وما أشبه ذلك.

ودورانه في ذلك كله على الوقوف مع ما حده الشارع دون ما يقتضيه معنى مناسب – إن تصور – لقلة ذلك في التعبدات وندوره، بخلاف قسم العادات الذي هو جار على المعني المناسب الظاهر للعقول، فإنه استرسل فيه استرسال المدل العريق في فهم المعاني المصلحية، نعم مع مراعاة مقصود الشارع أن لا يخرج عنه ولا يناقض أصلا من أصوله، حتى لقد استشنع العلماء كثيرا من وجوه استرساله، زاعمين أنه خلع الربقة، وفتح باب التشريع. وهيهات ما أبعده من ذلك! رحمه الله؛ بل هو الذي رضي لنفسه في فقهه بالاتباع بحيث يخيل للبعض أنه مقلد لمن قبله؛ بل هو صاحب البصيرة في دين الله حسبما بين أصحابه في كتاب سيره.

بل حكي عن أحمد بن حنبل أنه قال: إذا رأيت الرجل يبغض مالكا فاعلم أنه مبتدع. وهذه غاية في الشهادة بالاتباع، وقال أبو داود: أخشى عليه البدعة. (يعني المبغض لمالك) قال ابن مهدي: إذا رأيت أحدا يتناوله فاعلم أنه على خلاف السنة وقال إبراهيم بن يحيى بن هشام: ما سمعت أبا داود لعن أحدا قط إلا رجلين: أحدهما رجل ذكر له أنه لعن مالكا، والآخر بشر المريسي.

وعلى الجملة فغير مالك أيضا موافق له في أن أصل العبادات عدم معقولية المعنى، وإن اختلفوا في بعض التفاصيل، فالأصل متفق عليه عند الأكمة، ما عدا الظاهرية، فإنهم لا يفرقون بين العبادات والعادات؛ بل الكل تعبد غير معقول المعنى، فهم أحرى بأن لا يقولوا بأصل المصالح فضلا عن أن يعتقدوا المصالح المرسلة.

و (الثالث) : أن حاصل المصالح المرسلة يرجع إلى حفظ أمر ضروري ورفع حرج لازم في الدين، أيضا مرجعها إلى حفظ الضروري، من باب: (ما لا يتم الواجب إلا به) فهي إذا من الوسائل لا من المقاصد. ورجوعها إلى رفع الحرج راجع إلى باب التخفيف لا إلى التشديد. أما رجوعها إلى ضروري فقد ظهر من الأمثلة المذكورة وكذلك رجوعها إلى دفع حرج لازم، وهو إما لاحق

بالضروري وأما من الحاجي، وعلى كل تقدير فليس فيها ما يرجع إلى التقبيح والتزيين ألبتة. فإن جاء من ذلك شيء: فإما من باب آخر منها، كقيام رمضان في المساجد جماعة – حسبما تقدم – وإما معدود من قبيل البدع التي أنكرها السلف الصالح – كزخرفة المساجد والتثويب بالصلاة – وهو من قبيل ما يلائم.

وأما كونها في الضروري من قبيل الوسائل، و (ما لا يتم الواجب إلا به ...) إن نص على اشتراطه، فهو شرط شرعي فلا مدخل له في هذا الباب؛ لأن نص الشارع فيه قد كفانا مؤنة النظر فيه.

وإن لم ينص على اشتراطه فهو إما عقلي أو عادي، فلا يلزم أن يكون شرعيا، كما أنه لا يلزم أن يكون على كيفية معلومة، فإنا لو فرضنا حفظ القرآن والعلم بغير كتب مطردا لصح ذلك، وكذلك سائر المصالح الضرورية يصح لنا حفظها، كما أنا لو فرضنا حصول مصلحة الإمامة الكبرى بغير إمام على تقدير عدم النص بها لصح ذلك، وكذلك سائر المصالح الضرورية – إذا ثبت هذا – لم يصح أن يستنبط من بابها شيء من المقاصد الدينية التي ليست بوسائل.

وأما كونها في الحاجي من باب التخفيف فظاهر أيضا، وهو أقوى في الدليل الرافع للحرج، فليس فيه ما يدل على تشديد ولا زيادة تكليف، والأمثلة مبينة لهذا الأصل أيضا.

إذا تقررت هذه الشروط علم أن البدع كالمضادة للمصالح المرسلة لأن موضوع المصالح المرسلة ما عقل معناه على التفصيل، والتعبدات من حقيقتها أن لا يعقل معناها على التفصيل، وقد مر أن العادات إذا دخل فيها الابتداع فإنما يدخلها من جهة ما فيها من التعبد لا بإطلاق.

وأيضا فإن البدع في عامة أمرها لا تلائم مقاصد الشرع، بل إنما تتصور على أحد وجهين: إما مناقضة لمقصوده – كما تقدم في مسألة المفتي للملك بصيام شهرين متتابعين – وإما مسكوتا عنه فيه كحرمان القاتل ومعاملته بنقيض مقصوده على تقدير عدم النص به، وقد تقدم نقل الإجماع على اطراح القسمين، وعدم اعتبارهما، ولا يقال: إن السكوت عنه يلحق بالمأذون فيه؛ إذ يلزم من ذلك خرق

الإجماع لعدم الملاءمة؛ ولأن العبادات ليس حكمها حكم العادات في أن المسكوت عنه كالمأذون فيه إن قيل بذلك، فهي تفارقها؛ إذ لا يقدم على استنباط عبادة لا أصل لها؛ لأنها مخصوصة بحكم الإذن المصرح به بخلاف العادات، والفرق بينهما ما تقدم من اهتداء العقول للعاديات في الجملة، وعدم اهتدائها لوجوه التقربات إلى الله تعالى وقد أشير إلى هذا المعني في كتاب الموافقات وإلى هذا (؟) .

فإذا ثبت أن المصالح المرسلة ترجع إما إلى حفظ ضروري من باب الوسائل، أو إلى الخفيف، فلا يمكن إحداث البدع من جهتها ولا الزيادة في المندوبات؛ لأن البدع من باب الوسائل؛ لأنها متعبد بها بالفرض، ولأنها زيادة في التكليف، وهو مضاد للتخفيف.

فحصل من هذا كله أن لا تعلق للمبتدع بباب المصالح المرسلة إلا القسم الملغى باتفاق العلماء، وحسبك به متعلقا، والله الموفق.

وبذلك كله يعلم من قصد الشارع أنه لم يكل شيئا من التعبدات إلى آراء العباد، فلم يبق إلا الوقوف عند ما حده، والزيادة عليه بدعة، كما أن النقصان منه بدعة وقد مر لهما أمثلة كثيرة. وسيأتي آخرا في أثناء الكتاب بحول الله.

***

فصل

وأما الاستحسان، فلأن لأهل البدع أيضا تعلقا به: فإن الاستحسان لا يكون إلا بمستحسن، وهو إما العقل أو الشرع.

أما الشرع فاستحسانه واستقباحه قد فرغ منهما؛ لأن الأدلة اقتضت ذلك فلا فائدة لتسميته استحسانا، ولا لوضع ترجمة له زائدة على الكتاب والسنة والإجماع، وما ينشأ عنها من القياس والاستدلال. فلم يبق إلا العقل هو المستحسن، فإن كان بدليل فلا فائدة لهذه التسمية، لرجوعه إلى الأدلة لا إلى غيرها، وإن كان بغير دليل فذلك هو البدعة التي تستحسن.

ويشهد [٢] قول من قال في الاستحسان أنه يستحسنه [٣] المجتهد بعقله، ويميل إليه برأيه (قالوا) : وهو عند هؤلاء من جنس ما يستحسن في العوائد، وتميل

إليه الطباع، فيجوز الحكم بمقتضاه إذا لم يوجد في الشرع ما ينافي هذا الكلام ما بين (؟) إن ثم من التعبدات ما لا يكون عليه دليل، وهو الذي يسمى بالبدعة، فلا بد أن ينقسم إلى حسن وقبيح؛ إذ ليس كل استحسان حقا.

وأيضا فقد يجري على التأويل الثاني للأصوليين في الاستحسان، وهو أن المراد به دليل ينقدح في نفس المجتهد لا تساعده العبارة عنه ولا يقدر على إظهاره.

وهذا التأويل، فالاستحسان يساعده لبعده، لأنه يبعد في مجاري العادات أن يبتدع أحد بدعة من غير شبهة دليل ينقدح له؛ بل عامة البدع لا بد لصاحبها من متعلق دليل شرعي؛ لكن قد يمكنه إظهاره وقد لا يمكنه - وهو الأغلب - فهذا مما يحتجون به.

وربما ينقدح لهذا المعنى وجه بالأدلة التي استدل بها أهل التأويل الأولون، وقد أتوا بثلاثة أدلة:

(أحدها) : قول الله سبحانه: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم﴾ (الزمر: ٥٥) وقوله: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ (الزمر: ٢٣) وقوله: ﴿فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ (الزمر: ١٧-١٨) هو ما تستحسنه عقولهم.

(والثاني) : قوله عليه السلام: (ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن) .

وإنما يعني بذلك ما رأوه بعقولهم، وإلا لو كان حسنه بالدليل الشرعي لم يكن من أحسن ما يرون؛ إذ لا مجال للعقول في التشريع على ما زعمتم، فلم يكن للحديث فائدة، فدل على أن المراد ما رأوه برأيهم.

و (الثالث) : أن الأمة قد استحسنت دخول الحمام من غير تقدير أجرة ولا تقدير مدة اللبث ولا تقرير الماء المستعمل، ولا سبب لذلك إلا أن المشاحة في مثله قبيحة في العادة، فاستحسن الناس تركه، مع أنا نقطع أن الإجارة المجهولة [٤] أو مدة الاستئجار أو مقدار المشترى إذا جهل فإنه ممنوع، وقد استحسنت إجارته مع مخالفة الدليل، فأولى أن يجوز إذا لم يخالف دليلا.

فأنت ترى أن هذا الموضع مزلة قدم أيضا لمن أراد أن يبتدع، فله أن يقول:
إن استحسنت كذا وكذا فغيري من العلماء قد استحسن.
وإذا كان كذلك فلا بد من فضل اعتناء بهذا الفصل؛ حتى لا يغتر به جاهل أو زاعم أنه عالم، وبالله التوفيق، فنقول:
إن الاستحسان يراه معتبرا في الأحكام مالك وأبو حنيفة، بخلاف الشافعي فإنه منكر له جدا حتى قال: (من استحسن فقد شرع) والذي يستقرى من مذهبهما أنه يرجع إلى العمل بأقوى الدليلين، هكذا قال ابن العربي (قال) فالعموم إذا استمر، والقياس إذا أطرد، فإن مالكا وأبا حنيفة يريان تخصيص العموم بأي دليل كان من ظاهر أو معنى (قال) ويستحسن مالك أن يخص بالمصلحة، ويستحسن أبو حنيفة أن يخص بقول الواحد من الصحابة الوارد بخلاف القياس (قال) ويريان معا تخصيص القياس ونقص العلة، ولا يرى الشافعي لعلة الشرع إذا ثبتت تخصيصا.
هذا ما قال ابن العربي ويشعر بذلك تفسير الكرخي أنه العدول عن الحكم في المسألة بحكم نظائرها إلى خلافه لوجه أقوى. وقال بعض الحنفية: إنه القياس الذي يجب العمل به؛ لأن العلة كانت علة بأثرها، سموا الضعيف الأثر: قياسا، والقوي الأثر: استحسانا، أي: قياسا مستحسنا، وكأنه نوع من العمل بأقوى القياسين.
وهو يظهر من استقراء مسائلهم في الاستحسان بحسب النوازل الفقهية.
بل قد جاء عن مالك أن الاستحسان تسعة أعشار العلم، ورواه أصبغ عن ابن القاسم عن مالك، قال أصبغ في الاستحسان: قد يكون أغلب من القياس. وجاء عن مالك أن المفرق في القياس يكاد يفارق السنة [٥] .
وهذا الكلام لا يمكن أن يكون بالمعنى الذي تقدم قبل، وأنه ما يستحسنه المجتهد بعقله، أو أنه دليل ينقدح في نفس المجتهد تعسر عبارته عنه؛ فإن مثل هذا لا يكون تسعة أعشار العلم، ولا أغلب من القياس الذي هو أحد الأدلة.
وقال ابن العربي في موضع آخر: الاستحسان إيثار ترك مقتضى الدليل،

على طريق الاستثناء والترخص، لمعارضة ما يعارض به في بعض مقتضياته.
وقسمه أقساما عد منها أربعة أقسام، وهي ترك الدليل للعرف وتركه للمصلحة، وتركه لليسير، لرفع المشقة، وإيثار التوسعة [٦] .
وحده غير ابن العربي من أهل المذهب بأنه عند مالك: استعمال مصلحة جزئية في مقابلة قياس كلي. (قال) فهو تقديم الاستدلال المرسل على القياس.
وعرفه ابن رشد فقال: الاستحسان الذي يكثر استعماله حتى يكون أعم من القياس هو أن يكون طرحا لقياس يؤدي إلى غلو في الحكم ومبالغة فيه، فعدل عنه في بعض المواضع لمعنى يؤثر في الحكم يختص به ذلك الموضع.
وهذه تعريفات قريب بعضها من بعض.
وإذا كان هذا معناه عن مالك وأبي حنيفة فليس بخارج عن الأدلة ألبتة؛ لأن الأدلة يقيد بعضها ويخصص بعضها بعضا، كما في الأدلة السنية مع القرآنية، ولا يرد الشافعي مثل هذا أصلا فلا حجة في تسميته استحسانا لمبتدع [٧] على حال.
ولا بد من الإتيان بأمثلة تبين المقصود بحول الله، ونقتصر على عشرة أمثلة:
(أحدها) : أن يعدل بالمسألة عن نظائرها بدليل الكتاب، كقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ (التوبة: ١٠٣) فظاهر اللفظ العموم في جميع ما يتمول به، وهو مخصوص في الشرع بالأموال الزكوية خاصة، فلو قال قائل: مالي صدقة. فظاهر لفظه يعم كل مال، ولكنا نحمله على مال الزكاة، لكونه ثبت الحمل عليه في الكتاب. قال العلماء: وكأن هذا يرجع إلى تخصيص العموم بعادة فهم خطاب القرآن وهذا المثال أورده الكرخي تمثيلا لما قاله في الاستحسان.
و (الثاني) : أن يقول الحنفي: سؤر سباع الطير نجس، قياسا على سباع البهائم، وهذا ظاهر الأثر، ولكنه ظاهر استحسانا؛ لأن السبع ليس بنجس العين؛ ولكن لضرورة تحريم لحمه، فثبتت نجاسته بمجاورة رطوبات لعابه. وإذا كان كذلك فارقه الطير؛ لأنه يشرب بمنقاره وهو طاهر بنفسه، فوجب الحكم بطهارة

سؤره؛ لأن هذا أثر قوي وإن خفي، فترجح على الأول، وإن كان أمره جليا، والأخذ بأقوى القياسين متفق عليه.
و (الثالث) : أن أبا حنيفة قال: إذا شهد أربعة على رجل بالزنا ولكن عين كل واحد غير الجهة التي عينها (الآخر) فالقياس أن لا يحد، ولكن استحسن حده ووجه ذلك أنه لا يحد إلا من شهد عليه أربعة. فإذا عين كل واحد دارا، فلم يأت على كل مرتبة بأربعة لامتناع اجتماعهم على رتبة واحدة فإذا عين كل واحد زاوية فالظاهر تعدد الفعل، ويمكن التزاحف.
فإذا قال: القياس أن لا يحد فمعناه أن الظاهر أنه لم يجتمع الأربعة على زنا واحد، ولكنه يقول [٨] في المصير إلى الأمر الظاهر تفسيق العدول؛ فإنه إن لم يكن محدودا صار الشهود فسقة، ولا سبيل إلى [٩] ما وجدنا إلى العدول عنه سبيلا.
فيكون حمل الشهود على مقتضى العدالة عند الإمكان يجر ذلك الإمكان البعيد، فليس هذا حكما بالقياس، وإنما [١٠] تمسك باحتمال تلقي الحكم من القرآن، وهذا يرجع في الحقيقة إلى تحقيق مناطه.
و (الرابع) : أن مالك بن أنس من مذهبه أن يترك الدليل للعرف؛ فإنه رد الأيمان إلى العرف، مع أن اللغة تقتضي في ألفاظها غير ما يقتضيه، كقوله: والله لا دخلت مع فلان بيتا، فهو يحنث [١١] بدخول كل موضع يسمى بيتا في اللغة، والمسجد يسمى بيتا فيحنث على ذلك، إلا إن كان عرف الناس أن لا يطلقوا هذا اللفظ عليه، فخرج بالعرف على [١٢] مقتضى اللفظ فلا يحنث.
و (الخامس) : ترك الدليل لمصلحة، كما في تضمين الأجير المشترك وإن لم يكن صانعا، فإن مذهب مالك في هذه المسئلة على قولين، كتضمين صاحب الحمام الثياب، وتضمين صاحب السفينة، وتضمين السماسرة المشتركين، وكذلك حمال الطعام – على رأي مالك فإنه ضامن، ولا حق عنده بالصناع. والسبب في ذلك عين السبب في تضمين الصناع.
فإن قيل: فهذا من باب المصالح المرسلة لا من باب الاستحسان.
قلنا: نعم: إلا أنهم صوروا الاستحسان تصور الاستثناء [١٣] من القواعد،

بخلاف المصالح المرسلة. ومثل ذلك يتصور في مسئلة التضمين، فإن الأجراء مؤتمنون بالدليل لا بالبراءة الأصلية، فصار تضمينهم في حيز المستثنى من ذلك الدليل، فدخلت تحت معنى الاستحسان بذلك النظر.

و (السادس) : أنهم يحكون الإجماع على إيجاب الغرم على من قطع ذنب بغلة القاضي، يريدون غرم قيمة الدابة لا قيمة النقص الحاصل فيها.

ووجه ذلك ظاهر، فإن بغلة القاضي لا يحتاج إليها إلا للركوب، وقد امتنع ركوبه لها بسبب فحش ذلك العيب، حتى صارت بالنسبة إلى ركوب مثله في حكم العدم، فألزموا الفاعل غرم قيمة الجميع. وهو متجه بحسب الغرض الخاص، وكان الأصل أن لا يغرم إلا قيمة ما نقصها القطع خاصة؛ لكن استحسنا ما تقدم.

وهذا الإجماع مما ينظر فيه، فإن المسئلة ذات قولين في المذهب وغيره، ولكن الأشهر في المذهب المالكي ما تقدم حسبما نص عليه القاضي عبد الوهاب.

و (السابع) : ترك مقتضى الدليل في اليسير لتفاهته ونزارته لرفع المشقة، وإيثار التوسعة على الخلق، فقد أجازوا التفاضل اليسير في المراطلة الكثيرة، وأجازوا البيع بالصرف إذا كان أحدهما تابعا للآخر، وأجازوا بدل الدرهم الناقص بالوازن [١٤] لنزارة ما بينهما. والأصل المنع في الجميع، لما في الحديث من أن الفضة بالفضة والذهب بالذهب مثلا بمثل سواء بسواء، وأن من زاد أو ازداد فقد أربى، ووجه ذلك أن التافه في حكم العدم؛ ولذلك لا تنصرف إليه الأغراض في الغالب، وأن المشاحة في اليسير قد تؤدي إلى الحرج والمشقة، وهما مرفوعان عن المكلف.

و (الثامن) : أن في التبعية من سماع أصبغ في الشريكين يطآن الأمة في طهر واحد فتأتي بولد فينكر أحدهما الولد دون الآخر - أنه يكشف منكر الولد عن وطئه الذي أقر به، فإن كان في صفته ما يمكن معه الإنزال لم يلتفت إلى إنكاره، وكان كما لو اشتركا فيه، وإن كان يدعي العزل من الوطء الذي أقر به، فقال أصبغ:

إني أستحسن هاهنا أن ألحقه بالآخر والقياس أن يكونا سواء، فلعله غلب ولا

يدري، وقد قال عمرو بن العاص في نحو هذا: (إن الوكاء قد ينقلب) قال والاستحسان هاهنا أن ألحقه بالآخر. والقياس أن يكونا في العلم قد يكون أغلب من القياس (؟) ثم حكي عن مالك ما تقدم.

ووجه ذلك ابن رشد بأن الأصل: من وطئ أمته فعزل عنها وأتت الآخر الذي لم يعزل عنها أن يكون الحكم في ذلك بمنزلة ما إذا كانا جميعا يعزلان أو ينزلان. والاستحسان – كما قال – أن يلحق الولد بالذي ادعاه وأقر أنه كان ينزل، وتبرأ منه الذي أنكره وادعى أنه كان يعزل؛ لأن الولد يكون مع الإنزال غالبا، ولا يكون مع العزل إلا نادرا، فيغلب على الظن أن الولد إنما هو للذي ادعاه وكان ينزل، لا الذي أنكره وهو يعزل، والحكم بغلبة الظن أصل في الأحكام، وله في الحكم تأثير، فوجب أن يصار إليه استحسانا – كما قل أصبغ – وهو ظاهر فيما نحن فيه.

و (التاسع) : ما تقدم أولا من أن الأمة استحسنت دخول الحمام من غير تقدير أجرة ولا تقدير مدة اللبث ولا تقدير الماء المستعمل. والأصل في هذا المنع؛ إلا أنهم أجازوا – لا كما قال المحتجون على البدع، بل لأمر آخر هو من هذا القبيل الذي ليس بخارج عن الأدلة، فأما تقدير العوض فالعرف هو الذي قدره، فلا حاجة إلى التقدير، وأما مدة اللبث وقدر الماء المستعمل فإن لم يكن ذلك مقدرا بالعرف أيضا؛ فإنه يسقط للضرورة إليه. وذلك لقاعدة فقهية، وهي أن نفي جميع الغرر في العقود لا يقدر عليه، وهو يضيق أبواب المعاملات، وهو تحسيم أبواب المفاوضات (؟) ونفي الضرر إنما يطلب تكميلا ورفعا لما عسى أن يقع من نزاع، فهو من الأمور المكملة، والتكميلات إذا أفضى اعتبارها إلى إبطال المكملات سقطت جملة، تحصيلا للمهم – حسبما تبين في الأصول – فوجب أن يسامح في بعض أنواع الغرر التي لا ينفك عنها؛ إذ يشق طلب الانفكاك عنها، فسومح المكلف بيسير الغرر، لضيق الاحتراز مع تفاهة ما يحصل من الغرض [١٥] ولم يسامح في كثيره إذ ليس في محل الضرورة، ولعظيم ما يترتب عليه من الخطر، لكن الفرق بين القليل والكثير غير منصوص عليه في جميع الأمور، وإنما نهي عن بعض أنواعه مما يعظم فيه الغرر، فجعلت أصولا يقاس عليها غير القليل

أصلا في عدم الاعتبار وفي الجواز، وصار الكثير في [١٦] المنع، ودار في الأصلين فروع تتجاذب العلماء النظر فيها، فإذا قل الغرر وسهل الأمر وقل النزاع ومست الحاجة إلى المسامحة فلا بد من القول بها، ومن هذا القبيل مسألة التقدير في ماء الحمام ومدة اللبث.

قال العلماء: ولقد بالغ مالك في هذا الباب وأمعن فيه، فجوز أن يستأجر الأجير بطعامه وإن كان لا ينضبط مقدار أكله، ليسار أمره وخفة خطبه وعدم المشاحة، وفرق بين تطرق يسير الغرر إلى الأجل فأجازه، وبين تطرقه للثمرة فمنعه، فقال: يجوز للإنسان أن يشتري سلعة إلى الحصاد أو إلى الجذاذ، وإن كان اليوم بعينه لا ينضبط، ولو باع سلعة بدرهم أو ما يقاربه لم يجز، والسبب في التفرقة المضايقة في تعيين الأثمان وتقديرها ليست في العرف، ولا مضايقة في الأجل؛ إذ قد يسامح البائع في التقاضي الأيام، ولا يسامح في مقدار الثمن على حال.

يعضده ما روى عمرو بن العاص – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عيه وسلم أمر بشراء الإبل إلى خروج المصدق، وذلك لا يضبط يومه ولا يعين ساعته؛ ولكنه على التقريب والتسهيل.

فتأملوا كيف وجه الاستثناء من الأصول الثابتة بالحرج والمشقة، وأين هذا من زعم الزاعم أنه استحسان العقل بحسب العوائد فقط؟ فتبين لك بون ما بين المنزلتين.

(العاشر) : أنهم قالوا إن من جملة أنواع الاستحسان مراعاة خلاف العلماء، وهو أصل في مذهب مالك ينبني عليه مسائل كثيرة.

(منها) أن الماء اليسير إذا حلت فيه النجاسة اليسيرة ولم تغير أحد أوصافه أنه لا يتوضأ به؛ بل يتيمم ويتركه، فإن توضأ به وصلى أعاد ما دام في الوقت ولم يعد بعد الوقت، وإنما قال: (يعيد في الوقت) مراعاة لقول من يقول إنه طاهر مطهر.

ويروى جواز الوضوء به ابتداء، وكان قياس هذا القول أن يعيد أبدا، إذ لم يتوضأ إلا بماء يصح له تركه والانتقال عنه إلا التيمم.

(ومنها) قولهم في النكاح الفاسد الذي يجب فسخه: إن لم يتفق على فساده فيفسخ بطلاق، ويكون فيه الميراث، ويلزم فيه الطلاق على حده في النكاح الصحيح، فإن اتفق العلماء على فساده فسخ بغير طلاق، ولا يكون فيه ميراث ولا يلزم فيه طلاق.

(ومنها) مسألة من نسي تكبيرة الإحرام وكبر للركوع وكان مع الإمام [١٧] أن يتمادى، لقول من قال: إن ذلك يجزئه فإذا سلم الإمام أعاد هذا المأموم. وهذا المعنى كثير جدا في المذهب، ووجهه أنه راعى دليل المخالف في بعض الأحوال؛ لأنه ترجح عنده، ولم يترجح عنده في بعضها فلم يراعه.

ولقد كتبت في مسئلة مراعاة الخلاف إلى بلاد المغرب وإلى بلاد إفريقية لإشكال عرض فيها من وجهين: أحدهما مما يخص هذا الموضع على فرض صحتها، وهو ما أصله من الشريعة وعلى ما تبنى من قواعد أصول الفقه؟ فإن الذي يظهر الآن أن الدليل هو المتبع فحيثما صار صير إليه، ومتى رجح للمجتهد أحد الدليلين على الآخر - ولو بأدنى وجوه الترجيح - وجب التعويل عليه وإلغاء ما سواه، على ما هو مقرر في الأصول، فإذا رجعوه - أعني المجتهد - إلى قول الغير إعمال لدليله المرجوح عنده، وإهمال للدليل الراجح عنده الواجب عليه اتباعه، وذلك على خلاف القواعد.

فأجابني بعضهم بأجوبة منها الأقرب والأبعد، إلا أني راجعت بعضهم بالبحث، وهو أخي ومفيدي أبو العباس ابن القباب رحمة الله عليه، فكتب إلى بما نصه.

(وتضمن الكتاب المذكور عودة السؤال في مسألة مراعاة الخلاف، وقلتم إن رجحان إحدى الأمارتين على الأخرى أن تقديمها على الأخرى [١٨] اقتضى ذلك عدم المرجوحة مطلقا واستشنعتم أن يقول المفتي: (هذا لا يجوز) ابتداء، وبعد الوقوع يقول بجوازه؛ لأنه يصير الممنوع إذا فعل جائزا. وقلتم إنه إنما يتصور الجمع في هذا النحو في منع التنزيه لا منع التحريم - إلى غير ذلك مما أوردتم في المسألة) .

وكلها إيرادات شديدة صادرة عن قريحة قياسية منكرة لطريقة الاستحسان، وإلى هذه الطريقة ميل فحول من الأئمة والنظار، حتى قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: من استحسن فقد شرع.

ولقد ضاقت العبارة عن معنى أصل الاستحسان -كما في علمكم - حتى قالوا: أصح عبارة فيه: إنه معنى ينقدح في نفس المجتهد تعسر العبارة عنه فإذا كان هذا أصله الذي ترجع فروعه إليه، فيكف ما يبني عليه؟ فلا بد أن تكون العبارة عنه أضيق.

ولقد كنت أقول بمثل ما قال هؤلاء الأعلام في طرح الاستحسان وما بني عليه. لولا أنه اعتضد وتقوى لوجدانه كثيرا في فتاوى الخلفاء وأعلام الصحابة وجمهورهم مع عدم النكير، فتقوى ذلك عندي، وسكنت إليه النفس، وانشرح إليه الصدر، ووثق به القلب، للأمر باتباعهم والاقتداء بهم، رضي الله عنهم.

فمن ذلك المرأة يتزوجها رجلان ولا يعلم الآخر بتقدم نكاح غيره إلا بعد البناء، فأبانها عليه بذلك عمر ومعاوية والحسن رضي الله عنهم. وكل ما أوردتم في قضية السؤال وارد عليه، فإنه إذا تحقق أن الذي لم يبن هو الأول فدخول الثاني بها دخول بزوج غيره، وكيف يكون غلطه على زوج غيره مبيحا على الدوام، ومصححا لعقده الذي لم يصادف محلا، ومبطلا لعقد نكاح مجمع على صحته؛ لوقوعه على وفق الكتاب والسنة ظاهرا وباطنا؟ وإنما المناسب أن الغلط يرفع عن الغالط الإثم والعقوبة، لا إباحة زوج غيره دائما، ومنع زوجها منها.

ومثل ذلك ما قاله العلماء في مسألة امرأة المفقود: أنه إن قدم المفقود قبل نكاحها فهو أحق بها، وإن كان بعد نكاحها والدخول بها بانت؛ وإن كانت بعد العقد وقبل البناء فقولان، فإنه يقال: الحكم لها بالعدة من الأول إن كان قطعا لعصمته فلا حق له فيها ولو قدم قبل تزوجها، أو كان ليس بقاطع للعصمة، فكيف تباح لغيره وهي في عصمة المفقودة؟

وما روي عن عمر وعثمان في ذلك أغرب، وهو أنهما قالا: إذا قدم المفقود يخير بين امرأته أو صداقها، فإن اختار صداقها بقيت للثاني. فأين هذا من

القياس؟ وقد صحح ابن عبد البر هذا النقل عن الخليفتين عمر وعثمان رضي الله عنهما، ونقل عن علي رضي الله عنه أنه قال بمثل ذلك، أو أمضى الحكم به، وإن كان الأشهر عنه خلافه، ومثله في قضايا الصحابة كثير من ذلك.

قال ابن المعدل: لو أن رجلين حضرهما وقت الصلاة فقام أحدهما فأوقع الصلاة بثوب نجس مجانا (؟) وقعد الآخر حتى خرج الوقت ولا يغاربه (؟) [١٩] مع نقل غير واحد من الأشياخ الإجماع على وجوب النجاسة (؟) عامدا جمع الناس أن لا يساوي مؤخرها على وجوب النجاسة حال الصلاة [٢٠] وممن نقله اللخمي والمازري، وصححه الباجي، وعليه مضى عبد الوهاب في تلقينه.

وعلى الطريقة التي أوردتم - أن المنهي عنه ابتداء غير معتبر - أحرى بكون أمر هذين الرجلين بعكس ما قال ابن المعدل؛ لأن الذي صلى بعد الوقت قضى ما فرط فيه، والآخر لم يعمل كما أمر، ولا قضى شيئا، وليس كل منهي عنه ابتداء غير معتبر بعد وقوعه.

وقد صحح الدارقطني حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها، فإن الزانية هي التي تزوج نفسها) وأخرج أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها: (أيما امرأة نكحت بغير إذن مواليها فنكاحها باطل - ثلاث مرات - فإن دخل بها فالمهر لها بما أصاب منها) . فحكم أولا ببطلان العقد وأكده بالتكرار ثلاثا، وسماه زنا، وأقل مقتضياته عدم اعتبار هذه العقد جملة لكنه صلى الله عليه وسلم عقبه بما اقتضى اعتباره بعد الوقوع بقوله: (ولها مهرها بما أصاب منها) ومهر البغي حرام.

وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ (المائدة: ٢) الآية، فعلل النهي عن استحلاله بابتغاءهم فضل الله ورضوانه مع كفرهم بالله تعالى، الذي لا يصح معه عبادة، ولا يقبل عمل، إن كان هذا الحكم الآن منسوخا، فذلك لا يمنع الاستدلال به في هذا المعنى.

من ذلك قول الصديق رضي الله عنه: وستجد أقواما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، ولهذا لا يسبى الراهب

ويترك له ماله أو ما قل منه، على الخلاف في ذلك، وغيره ممن لا يقاتل يسبى ويمتلك، وإنما ذلك لما زعم أنه حبس نفسه له، وهي عبادة الله تعالى. وإن كانت عبادته أبطل الباطل. فكيف يستبعد اعتبار عبادة مسلم على وفق دليل شرعي لا يقطع بخطأ فيه؟ وإن كان يظن ذلك ظنا وتتبع مثل هذا يطول.

وقد اختلف فيما تحقق فيه نهي من الشارع: هل يقضي فساد المنهي عنه؟

وفيه بين الفقهاء والأصوليين ما لا يخفى عليكم، فكيف بهذا؟

وإذا خرجت المسألة المختلف فيها إلى أصل مختلف فيه؛ فقد خرجت عن حيز الإشكال، ولم يبق إلا الترجيح لبعض تلك المسائل، ويرجح كل أحد ما ظهر له بحسب ما وفق له، ولنكتف بهذا القدر في هذه المسألة) .

انتهى ما كتب لي به وهو بسط أدلة شاهدة لأصل الاستحسان، فلا يمكن مع هذا التقرير كله أن يتمسك به من أراد من يستحسن بغير دليل أصلا.

***

فصل

فإذا تقرر هذا فلنرجع إلى ما احتجوا به أولا: فأما من حد الاستحسان بأنه:

(ما يستحسنه المجتهد بعقله ويميل إليه برأيه) فكان هؤلاء يرون هذا النوع من جملة أدلة الأحكام، ولا شك أن العقل يجوز أن يرد الشرع بذلك؛ بل يجوز أن يرد بأن ما سبق إلى أوهام العوام – مثلا – فهو حكم الله عليهم، فيلزمهم العمل بمقتضاه، ولكن لم يقع مثل هذا ولم يعرف التعبد به لا بضرورة ولا بنظر ولا بدليل من الشرع قاطع ولا مظنون، فلا يجوز إسناده لحكم الله؛ لأنه ابتداء تشريع من جهة العقل.

وأيضا فإنا نعلم أن الصحابة – رضي الله عنهم – حصروا نظرهم في الوقائع التي لا نصوص فيها في الاستنباط [٢١] والرد إلى ما فهموه من الأصول الثابتة. ولم يقل أحد منهم: إني حكمت في هذا بكذا لأن طبعي مال إليه، أو لأنه يوافق محبتي ورضائي ولو قال ذلك لاشتد عليه النكير، وقيل له: من أين لك أن تحكم على عباد الله بمحض ميل النفس وهوى القلب، هذا مقطوع ببطلانه.

بل كانوا يتناظرون ويعترض بعضهم بعضا على مأخذ بعض، ويحصرون ضوابط الشرع.

وأيضا فلو رجع الحكم إلى مجرد الاستحسان لم يكن للمناظرة فائدة؛ لأن الناس تختلف أهواؤهم وأغراضهم في الأطعمة والأشربة واللباس وغير ذلك، ولا يحتاجون إلى مناظرة بعضهم بعضا: لم كان هذا الماء أشهى عندك من الآخر، والشريعة ليست كذلك.

على أن أرباب البدع العملية أكثرهم لا يحبون أن يناظروا أحدا. ولا يفاتحون عالما ولا غيره فيما يبتغون، خوفا من الفضيحة أن لا يجدوا مستندا شرعيا. وإنما شأنهم إذا وجدوا عالما أو لقوه أن يصانعوه، وإذا وجدوا جاهلا عاميا ألقوا عليه في الشريعة الطاهرة إشكالات، حتى يزلزلوهم ويخلطوا عليهم، ويلبسوا دينهم فإذا عرفوا منهم الحيرة والالتباس، ألقوا إليهم من بدعهم على التدريج شيئا فشيئا، وذموا أهل العم بأنهم أهل الدنيا المكبون عليها، وإن هذا الطائفة هم أهل الله وخاصته. وربما أوردوا عليهم من كلام غلاة الصوفية شواهد على ما يلقون إليهم، حتى يهووا بهم في نار جهنم. وأما أن يأتوا الأمر من بابه ويناظروا عليه العلماء الراسخين فلا.

وتأمل ما نقله الغزالي في استدراج الباطنية غيرهم إلى مذهبهم، تجدهم لا يعتمدون إلا على خديعة الناس من غير تقرير علم، والتحيل عليهم بأنواع الحيل، حتى يخرجوهم من السنة أو من الدين جملة، ولولا الإطالة لأثبت كلامه، فطالعه في كتابه (فضائح الباطنية) .

وأما الحد الثاني فقد رد بأنه لو فتح هذا الباب لبطلت الحجج وادعى كل من شاء ما شاء، واكتفى بمجرد القول. فألجأ الخصم إلى الإبطال، وهذا يجر فسادا لا خفاء له، وإن سلم: فذلك الدليل إن كان فاسدا فلا عبرة به، وإن كان صحيحا فهو راجع إلى الأدلة الشرعية فلا ضرر فيه.

وأما الدليل الأول فلا متعلق به، فإن أحسن الاتباع إلينا الأدلة الشرعية وخصوصا القرآن فإن الله يقول: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها﴾ (الزمر: ٢٣) ، الآية.

وجاء في صحيح الحديث - خرجه مسلم - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته: (أما بعد فأحسن الحديث كتاب الله) فيفتقر أصحاب الدليل أن يبينوا أن ميل الطباع أو أهواء النفوس مما أنزل إلينا، فضلا عن أن يكون من أحسنه.
وقوله: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ (الزمر: ١٨) ... الآية
يحتاج إلى بيان أن ميل النفوس يسمى قولا وحينئذ ينظر إلى كونه أحسن القول كما تقدم وهذا كله فاسد.
ثم إنا نعارض هذا الاستحسان بأن عقولنا تميل إلى إبطاله، وأنه ليس بحجة، وإنما الحجة الأدلة الشرعية المتلقاة من الشرع.
وأيضا فيلزم عليه استحسان العوام، ومن ليس من أهل النظر، إذا فرض أن الحكم يتبع مجرد ميل النفوس وهوى الطباع، وذلك محال، للعلم بأن ذلك مضاد للشريعة، فضلا عن أن يكون من أدلتها.
وأما الدليل الثاني: فلا حجة فيه من أوجه:
(أحدها) : أن ظاهره يدل على أن ما رآه المسلمون حسنا فهو حسن، والأمة لا تجتمع على باطل. فاجتماعهم على حسن شيء يدل على حسنه شرعا؛ لأن الإجماع يتضمن دليلا شرعيا، فالحديث دليل عليكم لا لكم.
و (الثاني) : أنه خبر واحد في مسألة قطعية فلا يسمع.
و (الثالث) : أنه إذا لم يرد به أهل الإجماع وأريد بعضهم فيلزم عليه استحسان العوام، وهو باطل بإجماع، لا يقال: إن المراد استحسان أهل الاجتهاد، لأنا نقول: هذا ترك للظاهر، فيبطل الاستدلال. ثم إنه لا فائدة في اشتراط الاجتهاد؛ لأن المستحسن بالفرض لا ينحصر في الأدلة، فأي حاجة إلى اشتراط الاجتهاد.
فإن قيل: إنما يشترط حذرا من مخالفة الأدلة فإن العامي لا يعرفها. قيل: بل المراد استحسان ينشأ عن الأدلة، بدليل أن الصحابة - رضي الله عنهم - قصروا أحكامهم على اتباع الأدلة وفهم مقاصد الشرع فالحاصل أن تعلق المبتدعة بمثل هذه الأمور تعلق بما لا يغنيهم ولا ينفعهم ألبتة، لكن ربما يتعلقون في آحاد

بدعتهم بآحاد شبه ستذكر في مواضعها إن شاء الله ومنها ما قد مضى.

***

فصل

فإن قيل: أفليس في الأحاديث ما يدل على الرجوع إلى ما يقع في القلب ويجري في النفس، وإن لم يكن ثم دليل صريح على حكم من أحكام الشرع، ولا غير صريح، فقد جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة) .

وخرج مسلم عن النواس بن سمعان – رضي الله عنه – قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال: (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه) وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: (إذا سرتك حسناتك وساءتك سيئاتك فأنت مؤمن) قال: يا رسول الله، فما الإثم؟ قال: (إذا حاك شيء في صدرك فدعه) وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) وعن وابصة رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال: يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك) وخرج البغوي في معجمه عن عبد الرحمن بن معاوية: أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: ما يحل لي مما يحرم علي؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فردد عليه ثلاث مرات، كل ذلك يسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال أين السائل؟ فقال: أنا ذا يا رسول الله فقال ونقر بأصبعه: (ما أنكر فوك فدعه) .

وعن عبد الله قال: الإثم حواز القلوب، فما حاك من شيء في قلبك فدعه، وكل شيء فيه نظرة فإن للشيطان فيه مطمعا. وقال أيضا: الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، وعن أبي الدرداء –

رضي الله عنه -: إن الخير طمأنينة، وإن الشر ريبة؛ فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فوالله ما وجدت فقد شيء تركته ابتغاء وجه الله.

فهذه ظهر من معناها الرجوع في جملة من الأحكام الشرعية لي ما يقع بالقلب ويهجس بالنفس ويعرض بالخاطر، وأنه إذا اطمأنت النفس إليه فالإقدام عليه صحيح، وإذا توقفت أو ارتابت فالإقدام عليه محظور، وهو عين ما وقع إنكاره من الرجوع إلى الاستحسان الذي قع بالقلب ويميل إليه الخاطر، وإن لم يكن ثم دليل شرعي، فإنه لو كان هناك دليل شرعي أو كان هذا التقرير مقيدا بالأدلة الشرعية لم يحل به على م‍ا في النفوس ولا على ما يقع بالقلوب، مع أنه عندكم عبث وغير مفيد، كمن يحيل بالأحكام الشرعية على الأمور الوفاقية، أو الأفعال التي لا ارتباط بينها وبين شرعية الأحكام - فدل ذلك على أن لاستحسان العقول وميل النفوس أثرا في شرعية الأحكام، وهو المطلوب.

والجواب: إن هذه الأحاديث، وما كان في معناها قد زعم الطبري في تهذيب الآثار أن جماعة من السلف قالوا بتصحيحها، والعمل بما دل عليه ظاهرها ، وأتى بالآثار المتقدمة عن عمر، وابن مسعود ، وغيرهما، ثم ذكر عن آخرين القول بتوهينها، وتضعيفها، وإحالة معانيها.

وكلامه وترتيبه بالنسبة إلى ما نحن فيه لائق أن يؤتى به على وجهه،

فأتيت به على تحري معناه دون لفظه لطوله فحكى عن جماعة أنهم قالوا: لا شيء من أمر الدين إلا وقد ينه الله - تعالى - بنص عليه، أو بمعناه، فإن كان حلالا فعلى العامل به إذا كان عالما تحليله، أو حراما فعليه تحريمه، أو مكروه‍ا غير حرام عليه اعتقاد التحليل، أو الترك تنزيها.

فأما العامل بحديث النفس، والعارض في القلب فلا، فإن الله حظر ذلك على نبيه فقال: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ (النساء: ١٠٥) فأمره بالحكم بما أراه الله لا بما رآه، وحدثته به نفسه، فغيره من

البشر أولى أن يكون ذلك محظورا عليه ، وأما إن كان جاهلا فعليه مسألة العلماء دون ما حدثته نفسه.

ونقل عن عمر – رضي الله عنه – أنه خطب فقال: أيها الناس، قد سنت لكن السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة، أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا [٢٢] . وعن ابن عباس – رضي الله عنهما –: ما كان في القرآن من حلال، أو حرام فهو كذلك، وما سكت عنه فهو مما عفي عنه.

وقال مالك: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تم هذا الأمر واستكمل؛ فينبغي أن تتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولا يتبع الرأي، فإنه من اتبع الرأي جاءه رجل آخر أقوى في الرأي منه فاتبعه، فكلما غلبه رجل اتبعه، أرى أن هذا بعد لم يتم ، واعملوا من الآثار بما روي عن جابر – رضي الله عنه –: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي إذا اعتصمتم به: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض) [٢٣] .

وروي عن عمرو بن.. .. . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهم يجادلون في القرآن، فخرج وجهه أحمر كالدم فقال [٢٤] : (يا قوم! على هذا هلك من كان قبلكم، جادلوا في القرآن، وضربوا بعضه ببعض، فما كان من حلال فاعملوا به، وما كان من حرام فانتهوا عنه، وما كان من متشابه فآمنوا به) .

وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – يرفعه قال: ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فيه فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئا ﴿وما كان ربك نسيا﴾ (مريم: ٦٤) .

قالوا: فهذه الأخبار وردت بالعمل بما في كتاب الله، والإعلام بأن العامل به لن يضل، ولم يأذن لأحد في العمل بمعنى ثالث غير ما في الكتاب والسنة، ولو كان ثم ثالث لم يدع بيانه، فدل على أن لا ثالث؛ ومن ادعاه فهو مبطل.

قالوا: فإن قيل: فإنه عليه السلام قد سن لأمته وجها ثالثا، وهو قوله: (استفت قلبك) وقوله (الإثم حوار القلوب) إلى غير ذلك – قلنا: لو صحت هذه الأخبار لكان ذلك إبطالا لأمره بالعمل بالكتاب والسنة إذا صحا معا؛ لأن أحكام الله ورسوله لم ترد بما استحسنته النفوس واستقبحته، وإنما كان يكون وجها ثالثا لو

خرج شيء من الدين عنهما، وليس بخارج، فلا ثالث يجب العمل به.
فإن قيل: قد يكون قوله: (استفت قلبك) ونحوه أمرا لمن ليس في مسألته
نص من كتاب ولا سنة، واختلفت فيه الأمة، فيعد وجها ثالثا – قلنا: لا يجوز ذلك
لأمور:
(أحدها) : أن كل ما لا نص فيه بعينه قد نصت على حكمه دلالة، فلو
كان فتوى القلب ونحوه دليلا، لم يكن لنصب الدلالة الشرعية عليه معنى، فيكون
عبثا، وهو باطل.
(والثاني) : أن الله – تعالى – قال ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله
والرسول﴾ (النساء: ٥٩) فأمر المتنازعين بالرجوع إلى الله والرسول دون
حديث النفوس وفتيا القلوب.
(والثالث) : أن الله – تعالى – قال ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (النحل: ٤٣) فأمرهم بمسألة
أهل الذكر ليخبروهم بالحق فيما اختلفوا فيه من
أمر محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يأمرهم أن يستفتوا في ذلك أنفسهم.
(والرابع) أن الله – تعالى – قال لنبيه احتجاجا على من أنكر وحدانيته
﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ (الغاشية: ١٧) إلى آخرها فأمرهم
بالاعتبار بعبرته، والاستدلال بأدلته على صحة ما جاءهم به ، ولم يأمرهم أن
يستفتوا فيه نفوسهم، ويصدروا عما اطمأنت إليه قلوبهم، وقد وضع الأعلام والأدلة،
فالواجب في كل ما وضع الله عليه الدلالة أن يستدل بأدلته على ما دلت، دون
فتوى النفوس، وسكون القلوب من أهل الجهل بأحكام الله.
هذا ما حكاه الطبري عمن تقدم، ثم اختار إعمال تلك الأحاديث، إما لأنها
صحت عنده، أو صح منها عنده ما تدل عليه معانيها، كحديث (الحلال بين
والحرام بين) إلى آخر الحديث فإنه صحيح خرجه الإمامان ، ولكنه لم يعمله في
كل من أبواب الفقه، إذ لا يمكن ذلك في تشريع الأعمال، وإحداث التعبدات؛ فلا
يقال بالنسبة إلى إحداث الأعمال: إذا اطمأنت نفسك إلى هذا العمل فهو بر، أو:
استفت قلبك في إحداث هذا العمل، فإن اطمأنت إليه نفسك فاعمل به وإلا فلا.

وكذلك في النسبة إلى التشريع التركي، لا يتأتى تنزيل معاني الأحاديث عليه
بأن يقال: إن اطمأنت نفسك إلى ترك العمل الفلاني فاتركه، وإلا فدعه، أي فدع
الترك واعمل به. وإنما يستقيم إعمال الأحاديث المذكورة فيما أعمل فيه قوله
عليه السلام (الحلال بين والحرام بين) الحديث.
وما كان من قبيل العادات من استعمال الماء، والطعام، والشراب، والنكاح،
واللباس، وغير ذلك مما في هذا المعنى، فمنه ما هو بين الحلية، وما هو بين
التحريم، وما فيه إشكال – وهو الأمر المشتبه الذي لا يدرى أحلال هو أم حرام –
فإن ترك الإقدام أولى من الإقدام مع جهله بحاله نظير قوله – عليه السلام – (إني
لأجد التمرة ساقطة على فراشي، فلولا أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها [٢٥])
فهذه التمرة لا شك أنها لم تخرج من إحدى الحالين: إما من الصدقة، وهي
حرام عليه، وإما من غيرها وهي حلال له، فترك أكلها حذرا من أن تكون من
الصدقة في نفس الأمر.
قال الطبري: فكذلك حق الله على العبد فيما اشتبه عليه مما هو في سعة من
تركه والعمل به، أو مما هو غير واجب – أن يدع ما يريبه فيه إلى ما لا يريبه، إذ
يزول بذلك عن نفسه الشك، كمن يريد خطبة امرأة فتخبره امرأة أنها قد أرضعته
وإياها، ولا يعلم صدقها من كذبها، فإن تركها أزال عن نفسه الريبة اللاحقة له
بسبب إخبار المرأة، وليس تزوجه إياها بواجب بخلاف ما لو أقدم، فإن النفس لا
تطمئن إلى حلية تلك الزوجة.
وكذلك قول عمر إنما هو فيما أشكل أمره في البيوع فلم يدر حلال هو أم
حرام؟ ففي تركه سكون النفس وطمأنينة القلب، كما في الإقدام شك: هل هو إثم
أو لا؟ وهو معنى قوله – عليه السلام – للنواس ووابصة –رضي الله عنهما –
ودل على ذلك حديث المشتبهات لا ما ظن أولئك من أنه أمر للجهال أن يعملوا بما
رأته أنفسهم، ويتركوا ما استقبحوه دون أن يسألوا علماءهم.
قال الطبري: فإن قيل: إذا قال الرجل لامرأته: أنت علي حرام. فسأل
العلماء فاختلفوا عليه، فقال بعضهم: قد بانت منك بالثلاث ، وقال بعضهم: إنها

حلال غير أن عليك كفارة يمين ، وقال بعضهم: ذلك إلى نيته إن أراد الطلاق فهو طلاق، أو الظهار فهو ظهار، أو يمينا فهو يمين، وإن لم ينو شيئا فليس بشيء

أيكون هذا اختلافا في الحكم، كإخبار المرأة بالرضاع فيؤمر هنا بالفراق، كما يؤمر هناك أن لا يتزوجها خوفا من الوقوع في المحظور؟ أو لا؟ قيل: حكمه في مسألة العلماء أن يبحث عن أحوالهم، وأمانتهم، ونصيحتهم، ثم يقلد الأرجح ، فهذا ممكن ، والحزازة مرتفعة بهذا البحث، بخلاف ما إذا بحث مثلا عن أحوال المرأة فإن الحزازة لا تزول، وإن أظهر البحث أن أحوالها غير حميدة، فهما على هذا مختلفان، وقد يتفقان في الحكم إذا بحث عن العلماء فاستوت أحوالهم عنده، لم يثبت له ترجيح لأحدهم، فيكون العمل المأمور به من الاجتناب كالمعمول به في مسألة المخبرة بالرضاع سواء، إذ لا فرق بينهما على هذا التقدير انتهي معنى كلام الطبري.

وقد أثبت في مسألة اختلاف العلماء على المستفتي أنه غير مخير، بل حكمه حكم من التبس عليه الأمر فلم يدر أحلال هو أم حرام، فلا خلاص له من الشبهة إلا باتباع أفضلهم والعمل بما أفتى به، وإلا فالترك، إذ لا تطمئن النفس إلا بذلك، حسبما اقتضته الأدلة المتقدمة.

***

فصل

ثم يبقى في هذا الفصل الذي فرغنا منه إشكال على كل من اختار استفتاء القلب مطلقا أو بقيد، وهو الذي رآه الطبري ، وذلك أن حاصل الأمر يقتضي أن فتاوى القلوب، وما اطمأنت إليه النفوس معتبر في الأحكام الشرعية، وهو التشريع بعينه، فإن طمأنينة النفس وسكون القلب مجردا عن الدليل: إما أن تكون معتبرة، أو غير معتبرة شرعا، فإن لم تكن معتبرة فهو خلاف ما دلت عليه تلك الأخبار، وقد تقدم أنها معتبرة بتلك الأدلة، وإن كانت معتبرة فقد صار ثم قسم ثالث غير الكتاب والسنة، وهو غير ما نفاه الطبري وغيره.

وإن قيل: إنها تعتبر في الإحجام دون الإقدام ، لم تخرج تلك عن الإشكال الأول؛ لأن كل واحد من الإقدام والإحجام فعل لابد أن يتعلق به حكم شرعي، وهو

الجواز وعدمه، وقد علق ذلك بطمأنينة النفس، أو عدم طمأنينتها ، فإن كان ذلك عن دليل، فهو ذلك الأول بعينه باق على كل تقدير.
والجواب أن الكلام الأول صحيح، وإنما النظر في تحقيقه:
فاعلم أن كل مسألة تفتقر إلى نظرين: نظر في دليل الحكم، ونظر في مناطه ،
فأما النظر في دليل الحكم فلا يمكن أن يكون إلا من الكتاب والسنة، أو ما يرجع إليهما من إجماع، أو قياس، أو غيرهما، ولا يعتبر فيه طمأنينة النفس، ولا نفي ريب القلب، لا من جهة اعتقاد كون الدليل دليلا، أو غير دليل [٢٦] ولا يقول أحد إلا أهل البدع الذين يستحسنون الأمر بأشياء لا دليل عليها، أو يستقبحون كذلك من غير دليل إلا طمأنينة النفس (؟) أن الأمر كما زعموا، وهو مخالف لإجماع المسلمين.
وأما النظر في مناط الحكم، فإن المناط لا يلزم منه أن يكون ثابتا بدليل شرعي فقط، بل يثبت بدليل غير شرعي، أو بغير دليل، فلا يشترط فيه بلوغ درجة الاجتهاد، بل لا يشترط فيه العلم فضلا عن درجة الاجتهاد ، ألا ترى أن العامي إذا سأل [٢٧] عن الفعل الذي ليس من جنس الصلاة إذا فعله المصلي: هل تبطل به الصلاة أم لا؟ فقال العامي: إن كان يسيرا فمغتفر، وإن كان كثيرا فمبطل - لم يغتفر في اليسير إلى أن يحققه له العالم، بل العاقل يفرق بين الفعل اليسير والكثير ، فقد انبنى هاهنا الحكم، وهو البطلان، أو عدمه على ما يقع بنفس العامي، وليس واحدا من الكتاب أو السنة؛ لأنه ليس ما وقع بقلبه دليلا على حكم، وإنما هو مناط الحكم، فإذا تحقق له المناط بأي وجه تحقق فهو المطلوب، فيقع عليه الحكم بدليله الشرعي، وكذلك إذا قلنا بوجوب الفور في الطهارة، وفرقنا بين اليسير والكثير في التفريق الحاصل أثناء الطهارة، فقد يكتفي العامي بذلك حسبما يشهد قلبه في اليسير أو الكثير، فيبطل طهارته أو تصح بناء على ذلك الواقع في القلب؛ لأنه نظر في مناط الحكم.
فإذا ثبت هذا فمن ملك لحم شاة ذكية حل له أكله، لأن حليته ظاهرة عنده إذا حصل له شرط الحلية لتحقق مناطها بالنسبة إليه، أو ملك لحم شاة ميتة لم يحل له

أكله؛ لأن تحريمه ظاهر من جهة فقده شرط الحلية، فتحقق مناطها بالنسبة إليه.

وكل واحد من المناطين راجع إلى ما وقع بقلبه، واطمأنت إليه نفسه، لا بحسب الأمر في نفسه، ألا ترى أن اللحم قد يكون واحدا بعينه فيعتقد واحد حليته بناء على ما تحقق له من مناطها بحسبه، ويعتقد آخر تحريمه بناء على ما تحقق له من مناطه بحسبه، فيأكله أحدهما حلالا، ويجب على الآخر الاجتناب لأنه حرام؟

ولو كان ما يقع بالقلب يشترط فيه أن يدل عليه دليل شرعي لم يصح هذا المثال وكان محالا؛ لأن أدلة الشرع لا تتناقض أبدا، فإذا فرضنا لحما أشكل على المالك تحقيق مناطه لم [٢٨] ينصرف إلى إحدى الجهتين، كاختلاط الميتة بالذكية، واختلاف الزوجة بالأجنبية.

فها هنا قد وقع الريب والشك والإشكال والشبهة ، وهذا المناط محتاج إلى دليل شرعي يبين حكمه. وهي تلك الأحاديث المتقدمة، كقوله: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) وقوله (البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في صدرك)

كأنه يقول: إذا اعتبرنا [٢٩] باصطلاحنا: ما تحققت مناطه في الحلية أو الحرمة فالحكم فيه من الشرع بين، وما **أشكل عليك** تحقيقه فاتركه وإياك والتلبس به، وهو معني قوله – إن صح – (استفت قلبك وإن أفتوك) فإن تحقيقك لمناط مسألتك أخص بك من تحقيق غيرك له إذا كان مثلك ، ويظهر ذلك فيما إذا **أشكل عليك** المناط، ولم يشكل على غيرك؛ لأنه لم يعرض له ما عرض لك ، وليس المراد بقوله: (وإن أفتوك) أي إن نقلوا لك الحكم الشرعي فاتركه وانظر ما يفتيك به قلبك، فإن هذا باطل وتقول على التشريع الحق ، وإنما المراد ما يرجع إلى تحقيق المناط.

نعم قد لا يكون ذلك دربة [٣٠] أو أنسا بتحقيقه فيحققه لك غيرك، وتقلده فيه، وهذه الصورة خارجة عن الحديث، كما أنه قد يكون تحقيق المناط أيضا موقوفا على تعريف الشارع، كحد الغنى الموجب للزكاة، فإنه يختلف باختلاف الأحوال، فحققه الشارع بعشرين دينارا ومائتي درهم وأشباه ذلك، وإنما النظر هنا فيما وكل تحقيقه إلى المكلف.

فقد ظهر معني المسألة، وأن الأحاديث لم تتعرض لاقتناص الأحكام الشرعية

من طمأنينة النفس أو ميل القلب، كما أورده السائل المستشكل، وهو تحقيق بالغ ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(*) تابع لما نشر في ص ٨٣٣.

(١) روي عن بعض علماء السلف مثل هذا، وعد الطهارتين على خلاف القياس أو العقل، وأخذ الناس ذلك بالقبول مع أن حكمة الطهارتين معقولة، فإن خروج المني ودم الحيض يحدث من الفتور والضعف في البدن كله ما لا يحدث مثله بخروج البول والغائط، فشرع الغسل من الأولين ليعود به للبدن نشاطه وللعصب فيه تنبهه، فيقوى على العبادة، واكتفى بالوضوء من الآخرين لضعف تأثيرهما، وثم حكمة أخرى وهي جعل الطهارة الخفيفة لما يتكرر كل يوم، والطهارة الشاقة لما لا يتكرر إلا في الأسابيع أو الشهور، وللأمثلة الأخرى التي سيذكرها حكم أيضا بينا بعضها في مجلة المنار وفي (تفسير القرآن الحكيم) ولا ينكر مع ذلك أن في كل عبادة معني التعبد الذي يؤخذ بالتسليم، كعدد الركعات والركوع والسجود فيها.

(٢) لعل أصله (ويشهد لذلك) أوله.

(٣) لعل أصله (ما يستحسنه) .

(٤) لابد أن يكون سقط من هنا شيئ ولعله (المنفعة) .

(٥) كانت العبارة في صلب النسخة هكذا: (إن المفرق في القياس، يكاد يفرق الناس) ووضع فوق (يفرق الناس) خط وكتب بإزائه في الحاشية (يفارق السنة) على أن معني العبارة المصححة ظاهر.

(٦) إذا كان قوله: (لرفع المشقة) إلخ تعليلا لتركه في (لليسير) (وهو القليل التافه) فأين القسم الرابع، وإن كان قسما برأسه فلماذا لم يقل (وتركه لرفع المشقة) وليراجع المثال السابع في ص ٩٢٧.

(٧) قوله: (لمبتدع) خبر قوله: (فلا حجة) .

(٨) لعل أصله (يؤول) فإن الزنا إذا لم يثبت بشهادة من شهدوا به يؤول الأمر إلى قذفهم للمشهود عليه وهو فسق، والعبارة كما ترى لا تفهم إلا بتكلف.

(٩) لعله سقط من هنا لفظ (التفسيق) .

(١٠) لعله سقط من هنا كلمة (هو) .

(١١) نص نسختنا (فلا يحنث) وهو غلط حتما.

(١٢) لعله عن.

(١٣) الظاهر أن يقول: صوروا الاستحسان بصورة الاستثناء – أو تصوروا الاستحسان تصور الاستثناء إلخ.
(١٤) الوازن ما وزن فعرف أنه تام يقال: درهم وزن ووازن وموزون.
(١٥) لعله الغرر أو الضرر.
(١٦) لعل أصله (في حكم المنع، أو: في حيز المنع) .
(١٧) سقط من هنا ما يكون به قوله (أن يتمادى) جملة مفيدة، ولعل أصله: وجب، أو: فعليه أن يتمادى.
(١٨) ينظر.
(١٩) كذا في الأصل وفيه حذف وتحريف ظاهر وقد وضع فوق ألف (مجانا) ثلاث نقاط، وكلمة (يغاربه) يحتمل أن تكون (يقاربه) .
(٢٠) لا تزال العبارة مضطربة تدل على الحذف والبتر و التصحيف والتحريف.
(٢١) قوله: (في الوقائع) متعلق بـ (نظرهم) وقوله: (في الاستنباط) متعلق بـ (حصروا) .
(٢٢) أي: كراهة أن تضلوا، أو: اتقاء أن تضلوا.
(٢٣) لا أعرف الحديث بهذا اللفظ عن جابر، وهو مروي عنه بألفاظ أقربها إلى ما هنا ما رواه ابن أبي شيبة ، والخطيب في المتفق والمفترق عنه وهو (تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به: كتاب الله وعترتي أهل بيتي) ورواه الترمذي والنسائي عنه بلفظ (يا أيها لناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتى أهل بيتي) والحديث مروي بلفظ العترة بدل السنة عن كثير من الصحابة منهم زيد بن ثابت ، وزيد بن أرقم ، وأبو سعيد الخدري ، وروي عن أبي هريرة بلفظ السنة بدل العترة، وفي كلا السياقين لفظ (لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) والجمع بينهما في المعنى أن عترته أهل بيته يحافظون على سنته، أي: لا يخلو الزمان عن قدوة منهم يقيمون سنته لا يثنيهم عنها التقليد، ولا الابتداع، ولا الفتن.
(٢٤) كذا في الأصل، والحديث أخرجه نصر المقدسي في الحجة عن ابن عمر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وراء حجرته قوم يتجادلون بالقرآن، فخرج محمرة وجنتاه كأنما تقطران دما فقال: (يا قوم لا تجادلوا بالقرآن، فإنما ضل من قبلكم بجدالهم، إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا، ولكن نزل يصدق بعضه بعضا فما كان من محكمه فاعملوا به، وما كان من متشابهه فآمنوا به) .
(٢٥) كان الحديث محرفا تحريفا مغيرا للمعني.
(٢٦) يظهر أنه سقط من هذا الموضع مقابل (لا) فإن اعتقاد كون الدليل دليلا، أو غير دليل أمر واحد، أو جهة واحدة، وليتأمل قوله (ولا يقول أحد) إلخ، ولعله قد سقط منه شيء أيضا.

(٢٧) لعله (سئل) .
(٢٨) هذا جواب (فإذا) وكان في الأصل مقرونا بالفاء.
(٢٩) لعل أصله (عبرنا) من التعبير.
(٣٠) في الأصل (ذريعة) وقد جعل فوقها علامة الترميج، وأصلحت فصارت (درية) والدرية أصلها دريئة وهي الحلقة التي يتعلم بها الطعن، وما يختل الصائد به الصيد، والأظهر أن يكون أصله: قد لا يكون لك دراية، أو أنس بتحقيقه.." (١)
"الكاتب: محمد رشيد رضا

ذات بين الحجاز ونجد أو الخرمة
والوهابية والمتدينة

في هذا الصيف كثر خوض الجرائد الأوربية والعربية المصرية والسورية في المسألة العربية، وذكرت أنه وقع بين الوهابيين التابعين لابن سعود أمير نجد والحجازيين، حرب سببها الخلاف في المذهب، انتصر فيها الأولون انتصارا فاصلا في (تربة) فنكلوا بجيش الأمير عبد الله نجل ملك الحجاز ، وأخذوا جميع ما كان معه من المدافع والسلاح والذخائر، ثم أذيع أنهم احتلوا مكة المكرمة ، وإن ملكها لما شعر بقرب وصولهم إليها أخلاها لهم وسافر إلى جدة ، فأقام فيها واستجار بحليفته بريطانية العظمى، وكثر حديث الناس في هذا المعنى، وكان مما ذكرته هذه الجرائد أن الوهابية مصلحون في الإسلام، وتربة هذه (بضم ففتح) قرية في الشرق الجنوبي من مكة والطائف ، وفي الغرب من وادي تربة الشهير الذي قال فيه صاحب معجم البلدان: إنه واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها.
أما أخذ النجديين مكة المكرمة فهو كذب، صرح بتكذيبه كل من الوكالة العربية الهاشمية بمصر ، ودار الحماية الانكليزية، وأما وقوع القتال وانكسار

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٩١٣/١٧

جيش الأمير عبد الله في (تربة) وأخذ جميع أسلحته، فقد ثبت رسميا كما فصل في برقية وردت من عدن.

وأما ما علمناه في المسألة من ثقات الضباط الذين كانوا في الحجاز وغيرهم، فهو أن النزاع والقتال كان بين حكومة مكة وبين الشريف خالد صاحب (الخرمة) وهي قرية في الشرق الشمالي من مكة قريبة من وادي تربة، والشريف خالد هذا من شرفاء مكة وعشيرة الإمارة فيها، وكان قد استنجد لمساعدة الشريف علي على فتح المدينة المنورة فلبى، وهو الذي أسر أشرف بك أشقى الفدائيين الاتحاديين إذ كان مرسلا بمبلغ كبير من الجنيهات المجيدية إلى الأمير ابن الرشيد ، ثم وقع الخلاف والنفور بين الشريف علي قائد الجيش العربي المحاصر للمدينة المنورة، وبين الشريف خالد، فعاد الثاني إلى الخرمة، وصار ملك الحجاز يرسل الحملة بعد الحملة لقتاله فيظفر بها، وينضم إليه الكثير من بدوها ويدخلون في جماعة الإخوان المتدينة الذين نذكر خبرهم قريبا، ولما سلم الترك المدينة المنورة إلى جيش الأمير علي بعد عقد الهدنة بين الدولة العثمانية والحلفاء، ألف الشريف عبد الله حملة من الجيش النظامي الذي كان محاصرا لها فيها عشرات من الضباط زيدت مرتباتهم، وجهزت بأنواع الأسلحة الجديدة من المدافع الجبلية والرشاشة وغيرها وبالديناميت.

قال بعض الضباط الذين كانوا في الحجاز: إن هذه أعظم حملة يمكن لحكومة الحجاز أن تكافح بها الشريف خالدا، فإذا كسرها تيسر له الاستيلاء على مكة المكرمة إذا شاء، ثم بلغنا ما تقدم من أن جيش ابن سعود هو الذي كسر الحملة، ثم نقل إلينا أن الحملة المنظمة استظهرت على الشريف خالد، فأمرها ملك الحجاز بالزحف على نجد، فعند ذلك أرسل الأمير ابن سعود بجيوشه لقتالها فظفرت بها، ثم زحفت تقصد مكة حتى قيل: إنها وصلت إلى وادي الليمون وأن ملك الحجاز استنجد بالحكومة الانكليزية على ابن سعود، فسألت الأمير ابن سعود عما يريده من الحجاز، فأجاب بأنه هو أحق بحكم الحجاز من شرفاء مكة، وأن أكثر أهله يفضلونه عليهم لعلمهم بعدله، وشكواهم من ظلم جميع الشرفاء واستبدادهم مع ما كان من سيطرة الترك

عليهم، وأنه مع هذا لا يبغي الاستيلاء عليه، وإنما يطلب أن يكون (وادي تربة) هو الحد الفاصل بينه وبين نجد، وأن تعترف به الحكومتان حتى لا تعتدي واحدة منهما على ما وراءه، وأن يكون لحكومة نجد معتمد في مكة ينظر في مصالح رعاياها، ويراجع حكومتها في شأنهم، فإن شريف مكة كثيرا ما يظلمهم، وفي بعض السنين يصدهم عن أداء فريضة الحج فلا يسمح لهم بها، فرأى الإنكليز أن هذين المطلبين حق، فوعدوا ابن سعود بأن يتوسطوا بينه وبين ملك الحجاز فيهما بشرط أن يمتنع هو وجميع أتباعه من المتدينة من التعدي على الحجاز. وبلغنا أيضا أنهم خاطبوا ملك الحجاز في ذلك، فأبى أن يعترف لنجد لها بحدود، أو يقبل منها معتمدا، والظاهر أن الإنكليز يظاهرونه لإعلانه موافقته لسياستهم في بلاد العرب.

المتدينة والوهابية

يعلم الملايين من البشر - بعضهم بالمشاهدة والاختبار، وبعضهم بالروايات الثابتة بالتواتر - أن الأعراب (البدو) في الحجاز وغير الحجاز قد عادوا إلى شر مما كانوا عليه في الجاهلية من الغزو والسلب والنهب والقتل حتى للحجاج المحرمين في أرض الحرم والأشهر الحرم، وأنهم يستحلون ذلك ويسمونه كسبا، وأن لهم شرائع وأحكاما عرفية مخالفة للشرع لا يرضون الحكم بدونها، وأن أكثرهم لا يصلون ولا يصومون، ومن يحج منهم لا يلتزم أحكام الشرع في الحج ولا يعرفها، ولا يمنعه الإحرام بالحج عن القتل والسلب والنهب إن قدر عليه، ولا شك في أن من كان كذلك، فهو ليس بمسلم ولا ذي دين، هذا ما هو مشهور عنهم ويظن كثير من الناس أنهم كلهم على ذلك، وهذا خطأ عظيم، فإنه يصدق عليهم في هذا العصر ما بينه الله - عز وجل - من حال أسلافهم في عصر التنزيل، وهو أن منهم الكافر والمنافق والمؤمن الصادق، ولكن كفر الكافرين منهم كله - أو جله - عن جهل بضروريات الدين التي لا يعذر أحد بجهلها، ولعله لا يوجد فيهم شيء من كفر العناد والجحود.

وأما الذين عادوا إلى الدين من أعراب الحجاز وما حوله، فالفضل في هدايتهم لشيوخ السنوسية ودعاة علماء نجد. أما السنوسيون فقد كان لهم في نشر طريقتهم شرة (أي: نشاط وقوة) تلتها فترة، وأما النجديون فقد بلغنا أن شرتهم ونشاطهم بلغا

أشدهما في هذه السنين الأخيرة، ويسمون من يستجيب لهم: المتدينة، ويقابلهم من لا دين لهم يهتدون به، وهم الذين لا يعرفون عقيدة الإسلام ولا شرائعه، ويستبيحون الغزو والسلب والنهب لمجرد الكسب، وبلغنا أن الدعاة يبينون في دعوتهم هذه الحقيقة لكشف غرور من يظن من أولئك الأعراب أن تسمية أنفسهم مسلمين يغني عنهم شيئا، فيذكرون لهم أن الإسلام علم وعمل، فمن لا علم له بحقيقة عقيدته - وأساسها التوحيد الخالص وتنزيه الله تعالى ووصفه بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم - ولا بأحكام أركانه وشرائعه، وأن من لا يذعن لأحكامه بعد العلم بها، فليس منه في شيء، وأن من مات من آبائهم وأجدادهم غير عالم بذلك ولا مذعن له بالعمل من مستبيحي القتل والسلب، فقد مات كافرا.

حال المتدينة

واشتراكيتهم الاختيارية

وبلغنا أن من استجاب لدعوة هؤلاء الدعاة من الأعراب يتوب عن الكسب بالغزو والنهب، ويتحولون عن البداوة، فيبنون البيوت ويغرسون الشجر ويزرعون، ويأخذون بتعلم القراءة والكتابة حتى قبل التحضر، فتراهم يحملون ألواح الكتابة على ظهور الإبل يتعلمون بها، ولا يبعد أن تجد فيهم من يقول، كما قال أحد أعراب شنقيط:

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة ... بها نبين دين الله تبيانا

وإن التعاطف والتعاون بينهم يشبه ما كان في صدر الإسلام بين المهاجرين والأنصار - رضي الله تعالى عنهم - فقد روينا عن أحد المختبرين من أهل مكة المكرمة أن الرجل منهم إذا كان عنده ألف شاة وكان يكفيه لنفسه وعياله نصفها أو ربعها مثلا، فإنه يبذل الباقي كله لمصلحة الإخوان.

ولا يمكن حملهم على قتل أحد إلا بحجة دينية، فإذا قنعوا بأن القتال واجب شرعا وشرعوا فيه، فإنهم يندفعون بشجاعة واستبسال، وينفق كل في سبيله كل ما تصل إليه يده من المال، على حين نرى غيرهم لا يقاتل إلا مأجورا، فإذا وجد من يزيد في أجره على من يقاتل معه ليقاتله، فعل.

وبلغنا أن دعوتهم تغلغلت في جميع قبائل نجد والحجاز وعسير ، وأطراف هذه البلاد وما جاورها، حتى إن قبيلتي غامد وزهران الحضريتين طلبتا مرشدين من علمائهم.

ما ينتقد على المتدينة

هذا مجمل ما بلغنا من خبرهم من المختبرين المعجبين بنهضتهم، الذين يرجون تجديد الإسلام في الجزيرة بهذه الحركة، ولا نجد بدا من ذكر انتقاد بعض رواة خبرهم غلوهم في كثير المسائل، وتشديدهم فيها إلى أنهم يحرمون بعض المباحات، ويجزون على بعض الذنوب بأشد العقوبات، وآفة ذلك جهل بعض الدعاة بالأحكام الشرعية تفصيلا، وهو جهل لا يرجى تلافيه إلا بالتوسع في العلم الشرعي، فإن الذي يأخذ الدين بقوة يرجع إلى ما يعلم من أحكامه وهدايته.

وخصوم هؤلاء المتدينة ينبزونهم بلقب الوهابية الذي وضعته السياسة لأهل نجد وسمته مذهبا، وقد حدثني ثقة عن عالم من أهل الحديث رآه في مكة، وكان في نجد أن علماءِ نجد ينتقدون على المتدينة غلوهم في الدين والجهل بكثير من أحكامه التي لا غنى لمسلم يقيم دينه عنها، وسبب ذلك أنه لا يوجد في نجد من الدعاة والمعلمين الراسخين في علم السنة ومذهب الإمام أحمد من يكفي لتعليم هذه القبائل الكثيرة التي تركت تقاليد الجاهلية، وانتظمت في سلك المتدينة، وإننا رأينا أكثر الذين ينصفون الوهابية في الأمصار الإسلامية يقولون: لا شك في أنهم مجددون للإسلام في بلاد العرب، ولكنهم غلاة متشددون، ولشدة تمسكهم بظواهر النصوص وأخذها بقوة بدوية، لا يشعرون بأنهم غلاة متشددون.

***

حقيقة الوهابية ومذهبهم

ترى في كتب التاريخ الحديث أن لفظ (الوهابية) يطلق على أتباع الشيخ محمد ابن عبد الوهاب العالم السني الشهير – الآتي ذكره – المجدد للنهضة الدينية في نجد، وقد اتخذ أمير نجد تلك النهضة في إبان ظهورها وسيلة للاستيلاء على بلاد الحجاز التي طال عليها عهد الظلم والجهل، ولم يظهر فيها مصلح علمي ولا إداري.

فانبرت حكومة الآستانة لمناهضته وإخراجه من الحجاز الذي هو مناط عظمتها وسلطتها الإسلامية، واستعانت على ذلك بحكومة محمد علي باشا الفتاة؛ إذ كانت عاجزة عن تولي ذلك بنفسها. وأرادت أن تشوه تلك الحركة الإصلاحية فأذاعت أنها عبارة عن إحداث مذهب جديد مبتدع في الإسلام مخالف لمذاهب أهل السنة، وأغرت أنصارها من العلماء الرسميين والمفتين بالرد على هذا المذهب وتضليل أهله أو تكفيرهم.

وهم ينكرون كل مذهب في الأصول غير مذهب السلف الصالح، ويتبعون في الفروع مذهب الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه، ولكن الدولة العثمانية والحكومة المصرية كانتا أقدر منهم على إقناع أكثر أهل بلادهما بأنهم يتبعون مذهبا جديدا، وأن محمد علي باشا كان مجاهدا ناصرا للإسلام بقتالهم، وإن كان أصدق مؤرخي عصره، وهو الشيخ عبد الرحمن الجبرتي يثبت ضد ذلك في سيرته، وفي وصف جيشه وجيشهم، فأما كلامه في سيرته فكثير، وأما ما رواه عن المقارنة والمقاتلة بين الجيشين، فحسبك منه ما ذكره في أول حوادث سنة ١٢٢٧ عند ذكر الذين انهزموا من عسكر محمد علي، ورجعوا إلى مصر، وهو:

رواية الجبرتي في الوهابية
وعسكر محمد علي

(ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع: أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة، وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا؟ وصحبتنا صناديق المسكرات، ولا يسمع في عرضينا أذان ولا تقام به فريضة، ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين، والقوم (يعني الوهابية) إذا دخل الوقت أذن المؤذنون، وينتظمون صفوفا خلف إمام واحد بخشوع وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف، فتتقدم طائفة للحرب، وتتأخر الأخرى للصلاة، وعسكرنا يتعجبون من ذلك؛ لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته، وينادون في معسكرهم: هلموا إلى حرب المشركين المحلقين الذقون، المستبيحين الزنا واللواط، الشاربين الخمور،

التاركين للصلاة، الآكلين الربا، القاتلين الأنفس، المستحلين المحرمات، وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غير مختونين) اهـ.

نظرة في أقوال الناس في الوهابية

لا يزال كثير من مسلمي الحجاز ومصر وسورية والآستانة والأناضول والروملي يظنون أن لأهل نجد مذهبا مخالفا لمذاهب أهل السنة؛ لأن بعض الذين كتبوا عنهم قالوا: إنهم يكفرون غيرهم من المسلمين، ويقولون في النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ما يعد إهانة، وإنهم عند الاستيلاء على المدينة المنورة أخذوا الكوكب الدري من الحجرة النبوية مع غيره من الجواهر والذخائر، وإنهم ربطوا الخيل في المسجد الشريف، وهم لا يحققون هذه التهم، ولا ما يصح أن يعد منها كفرا وما لا يعد، وهي تهم خصوم سياسيين، والسياسة تستحل الكذب والبهتان والتحريف وكل منكر يوصلها إلى غايتها، ثم إنهم يغفلون عما في قوانين حكومتهم من المخالفة لأصول الدين وفروعه القطعية المجمع عليها، المعلومة من الدين بالضرورة التي يكفر جاحدها باتفاق مذاهبهم، كإباحة الزنا والربا والقتل لأسباب عسكرية وسياسية مخالفة للشرع، وعن قول علمائهم: إن الرضا بالكفر كفر، وعما يسمعون من الأقوال ويرون من الأفعال التي يعدها فقهاؤهم كفرا أو فسقا يكفر مستحله، ولا يقولون: لعل ما يقال عن أهل نجد – إن صح – يكون من جهل بعض أفرادهم لا من مذهبهم، كما أن ما في بلادنا من أحكام القوانين وأعمال الكثير من الفساق والمرتدين هو من جهل بعض الناس بالدين أو ترك الاهتداء، وليس عملا بمذهب أبي حنيفة الذي هو مذهب الحكومة وأكثر الولايات التركية، ولا بمذهبي مالك والشافعي اللذين ينتمي إليهما أكثر أهل هذه الولايات العربية.

أهل نجد الذين يسمون وهابية كلهم حنابلة، يتلقون من كتب السنة المشهورة، وكتب مذهب الإمام أحمد رابع الأئمة الأربعة المشهورين، وأوسعهم علما بالسنة، كما يعلم ذلك أهل الحديث في كل بلاد الإسلام، وهو أستاذ أشهر مدوني كتب السنة كالبخاري ومسلم صاحبي الصحيحين اللذين هما أصح كتب الإسلام بعد كتاب الله تعالى، وحكومة نجد لا تحكم إلا بفقه الإمام أحمد، فلا يوجد فيها قوانين غيره،

ولا أحد هنالك يعمل أو يحكم بقول للشيخ محمد بن عبد الوهاب قاله باجتهاده، ولا يوجد أحد في تلك البلاد يجاهر بمعصية من المعاصي الكبائر.

فهم باستمساكهم بمذهب الإمام أحمد يشبهون أهل أفغانستان في شدة استمساكهم بمذهب الحنفية والتعصب له وشدة الإنكار على مخالفه، ولكنهم يفضلون سائر المنتمين إلى المذاهب الأخرى بتقديم نصوص الكتاب والسنة على أقوال علماء مذهبهم عملا بقوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (النساء: ٥٩) ويعذرون من يأخذ بأقوال أي إمام من المجتهدين، ولكنهم ينكرون على من يأخذ بقول أي مؤلف منسوب إلى مذهبه فيما يخالف فيه السنة الصحيحة الصريحة، وذلك كثير، وأما الأفغانيون فيعاقبون من يخالف مذهبهم، ولو إلى قول مجتهد أرجح، أو عملا بحديث صحيح.

فمن المنقول عنهم أن يعاقبون من يقول: (آمين) بعد الفاتحة حتى إن بعضهم سمع رجلا يصلي بجانبه في الصف قال: (آمين) مع تأمين الإمام، فضربه بمجموع يده على صدره ضربة وقع بها على قفاه!! وينقل عنهم أنهم إذا رأوا مصليا رفع سبابته عند التشهد، فإنهم يعاقبونه بقطعها، وقد سألت عن هذا بعض طلبة العلم منهم في مسجد لاهور الأثري الكبير بالهند فقالوا: إنه صحيح، وأرادوا أن يحتجوا عليه، فقصرت الكلام معهم متلطفا في الإنكار عليهم.

وأخبار تعصب أهل المذهب بعضهم على بعض مشهورة مسطورة في كتب التاريخ، وكل ما كان ينكره على الحنابلة أهل الكلام في العقائد وأهل الرأي في الفقه، هو الاعتصام بظواهر نصوص الكتاب والسنة وترجيح ما كان عليه السلف الصالح على ما جاء به أذكياء أهل النظر من بعدهم، لذلك كانوا هم أحق بلقب أهل السنة من الذين ينتحلونه لأنفسهم دونهم.

وأميرهم لهذا العهد من العقلاء المعتدلين، لا من الغلاة المشددين، فقد بلغنا أن الإنكليز اجتهدوا في أول العهد بالحرب الأخيرة في استمالته لقتال الترك، فاعتذر عن ذلك بأنهم مسلمون، وأن ما كان من حرب أهل بلاده لهم من قبل، فإنما هو دفاع لا اعتداء، وكبار علمائهم أولى بالاعتدال وإنصاف المخالف، فلم يبق إلا أن

خصومهم يجعلون شذوذ بعض الغلاة منهم قاعدة متبعة ومذهبا لهم كافة.
وإنني أذكر لهم شاهدا على مبالغتهم في سوء الظن بدين أهل البلاد التي فشت فيها الأقوال الشركية، كدعاء غير الله تعالى، ولا سيما في وقت الشدة، وعلى كونهم مع هذا يتبعون الدليل إذا ظهر لهم ويقنعون به.
زارني في مكة شاب نجدي يظهر أنه من طلاب العلم، فقال: إنني أريد أن أسألك عن شيء أشكل علي من عملك، وإنما أسألك عنه لأنك من علماء الحديث وأنصار السنة ومقاومي البدع، قلت: سل، قال: إنني رأيتك تصلي مقتديا بأئمة الحرم، وقد فشا فيهم دعاء غير الله تعالى فيما لا يطلب من غيره، والاستعانة بسواه فيما هو خارج عن الأسباب التي يتعاون الناس فيها، وغير ذلك من الشرك الجلي.....، قلت: إنني لم أصل مقتديا بأحد سمعت منه مثل ذلك أو علمته عنه، وإنه لا يوجد عمل أدل على إسلام المرء وإيمانه من الصلاة، فأنا أصلي مع كل من رأيته يصلي إذا لم يكن عندي علم بأنه على عقيدة باطلة، وإذا كان الله تعالى يقول: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا﴾ (النساء: ٩٤) والسلام أضعف الأمارات على الإيمان، فهل يصح أن أقول بكفر المصلي والصلاة أقوى أمارات الإيمان؟ فرأيته قنع بهذا الدليل ورضي به، ولكنني رأيت من المتعذر إقناع أولئك الطلاب الأفغانيين في لاهور بخطأ قومهم فيما ذكرت آنفا، ومثلهم من يقلد شيوخ السوء المفرقين في تكفير من يسمونهم الوهابية.
لا يوجد عالم سني ولا شيعي ولا خارجي يدعي العصمة لأهل مذهبه، فكل فرد من أفراد كل فرقة عرضة للخطأ، وإن بلغ من سعة العلم ما بلغ، وكان الإمام مالك يقول: كل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر، ويشير إلى قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم، وخير المخطئين من يكون خطأه عن اجتهاد وحسن نية، سواء كان في تنقيح المناط أو في تحقيقه، وآيته أنه إذا ظهر له الدليل على خطأه رجع عنه إلى الصواب، وشر المخطئين من يتبع في خطأه من ليس معصوما ويصر عليه وإن ظهر له الدليل من الكتاب والسنة على خلافه فما أضاع الدين وروج بضاعة الجاهلين والدجالين إلا هذا التقليد الأعمى من الشيع والفرق لكل

من ينسب إلى مذهب من يسمونه إمامهم من غير علم ولا بصيرة، حتى إنهم يقلدونهم فيما يخالف نصوص الأئمة الذين يدعون اتباع مذاهبهم، والشواهد على ذلك كثيرة في المنتسبين إلى كل مذهب من المذاهب، ولكنهم يتخذون أسماء الأئمة دروعا يدفعون بها حجج كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، المثبتة إعراضهم عنهما واتباعهم سنن من كان قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع مصداقا للحديث المشهور،
وإنما أرادوا أن يسلبوا أهل نجد مثل هذا الدفاع عن أنفسهم فسلبوهم اسم الحنابلة وسموهم الوهابية، وإلا فليأتوا بمسألة واحدة مما عليه جمهور أهل نجد لا أصل لها في الكتاب والسنة ولا في كتب مذهب الإمام أحمد بن حنبل، كما يأتيهم هؤلاء بكثير من المسائل المخلة بعقيدة الإسلام وأحكامه التعبدية والقضائية الفاشية في بلادهم مما ليس له أصل في الكتاب والسنة ولا كلام الأئمة.
تلك حقيقة من يسمون الوهابية، والمتدينة ونسبتهم إلى غيرهم من المنتمين إلى المذاهب المشهورة لخصناها مما قرأناه في كتبهم، ومما وقفنا عليه بالروية والاختبار، ومن كتب التاريخ التي خلطت الحق بالباطل، وجمعت بين ما كتبه المسلمون والإفرنج على اختلاف الروايات والأهواء، كدأب الناس في كل ما تدخل فيه السياسة وتتنازع فيه الأحزاب والشيع، وإننا ننقل ما كتبه مؤرخ من أهل العلم الذين صدقوا - كما كنا نصدق - ما أذاعته السياسة من تأسيس الشيخ محمد عبد الوهاب لمذهب جديد، وما ذاك إلا رجوعه إلى مذهب السلف الذي رجع إليه أكبر حذاق الطرق من أهل الكلام في أواخر أعمارهم، كالأشعري والغزالي والرازي ، وأضرابهم على تفاوت بينهم في معرفة السنة وآثار السلف والتدرج في الرجوع، وهو:

مذهب الوهابية وعقائدهم

كتب المرحوم الشيخ عبد الباسط الفاخوري الذي كان مفتي بيروت في عهد السلطان عبد الحميد في ترجمة السلطان محمود الثاني العثماني من كتابه (تحفة الأنام، مختصر تاريخ الإسلام) الذي ألف وطبع في بيروت سنة ١٣٢٥ ما نصه:
(ثم في غضون ذلك ظهرت الطائفة الوهابية في بلاد نجد، واستولوا على

مكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي بلاد الحجاز، حتى قاربوا بلاد الشام من جهة دمشق) .

(وهم قوم كثيرون من عرب نجد اتبعوا طريقة الشيخ عبد الوهاب، وهو رجل ولد في (الدرعية) بأرض العرب من بلاد الحجاز، طلب أولا العلم على مذهب أبي حنيفة في بلاده، ثم سافر إلى أصفهان وأخذ عن علمائها حتى اتسعت معلوماته في فروع الشريعة وتفسير القرآن الكريم، ثم عاد إلى بلاده سنة (١١٧٠) ثم أدته ألمعيته إلى الاجتهاد [١] ، فأنشأ مذهبا مستقلا، وقرره لتلامذته وشاع أمره في (نجد) و (الأحساء) و (القطيف) و (عمان) و (بني عتبة) من أرض (اليمن) ولم يزل أمرهم شائعا ومذهبهم متزايدا وجماعتهم تكثر إلى أن صدرت الإرادة السنية إلى محمد علي باشا عزيز مصر بقتال وردع هذه الطائفة؛ خوفا من انتشار شرهم في البلاد الإسلامية، فأطفأ سراجهم [١] وبدد شملهم وأخفى ذكرهم، وقد توفي زعيمهم سعود سنة (١٢٢٩) فساد الأمن في طريق الحج، وأتى الناس أفواجا لتأدية فريضة الحج، وبهذه السنة حج محمد علي باشا بعد أن لم يكن أحد يتمكن من أداء هذه الفريضة، وهاك رسالة من كلامهم تدل على مذهبهم ومعتقداتهم:

(اعلموا رحمكم الله أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله مخلصا له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم له كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦) فإذا عرفت أن الله تعالى خلق العباد للعبادة، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، كما قال تعالى: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون﴾ (التوبة: ١٧) فمن دعا غير الله طالبا منه ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب خير أو دفع ضر، فقد أشرك في العبادة، كما قال تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ (الأحقاف: ٥-٦) وقال تعالى: ﴿والذين تدعون من دونه

ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم
ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ (فاطر: ١٣-١٤)
فأخبر تبارك وتعالى أن دعاء غير الله شرك، فمن قال: يا رسول الله، أو: يا ابن
عباس، أو: يا عبد القادر، زاعما أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده ووسيلته
إليه [٢] ، فهو المشرك الذي يهدر دمه، وماله إلا أن يتوب من ذلك، وكذلك الذين
يحلفون بغير الله، أو الذين يتوكلون على غير الله ، أو يرجوا غير الله، أو يخاف
وقوع الشر من غير الله، أو يلتجئ إلى غير الله، أو يستعين بغير الله فيما لا يقدر
عليه إلا الله، فهو أيضا مشرك، وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذي قاتل رسول
الله المشركين عليه، وأمرهم بإخلاص العبادة كلها لله تعالى، ويصح ذلك - أي
التشنيع عليهم - بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله في كتابه:
(أولها) : أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقرون أن الله هو
الخالق، الرزاق، المحيي، المميت، المدبر لجميع الأمور، والدليل على ذلك قوله
تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل
أفلا تتقون﴾ (يونس: ٣١) ، وقوله تعالى: (﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن
كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو
يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ (المؤمنون: ٨٤-٨٩) . إذا عرفت
هذه القاعدة وأشكل عليك الأمر، فاعلم أنهم
بهذا أقروا، ثم توجهوا إلى غير الله يدعونه من دون الله، فأشركوا.
القاعدة الثانية:
إنهم يقولون: ما نرجوهم إلا لطلب الشفاعة عند الله، نريد من الله لا منهم،
ولكن بشفاعتهم، وهو شرك، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ويعبدون من
دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله
بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (يونس: ١٨) وقال الله تعالى:

﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا
ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من
هو كاذب كفار﴾ (الزمر: ٣) إذا عرفت هذه القاعدة فاعرف:
القاعدة الثالثة:
وهي أن منهم من طلب الشفاعة من الأصنام، ومنهم من تبرأ من الأصنام
وتعلق بالصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أولئك
الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ (الإسراء: ٥٧) ورسول الله لم يفرق بين من
عبد الأصنام، ومن عبد الصالحين في كفر الكل، وقاتلهم حتى يكون الدين كله لله) وإذا عرفت هذه
القاعدة فاعرف:
القاعدة الرابعة:
وهي أنهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون، والدليل عليه
قوله تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر
إذا هم يشركون﴾ (العنكبوت: ٦٥) وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد
لغير الله!! فإذا عرفت هذا فاعرف أن المشركين في زمان النبي أخف شركا من
عقلاء مشركي زماننا؛ لأن أولئك يخلصون لله في الشدائد، وهؤلاء يدعون
مشايخهم في الشدائد، والرخاء، والله أعلم) اهـ.
(وهذه الرسالة والقواعد التي أسسها ذلك الشيخ لا شبهة فيها؛ لأن هذا هو
الدين الذي جاء به النبي والأنبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم
أجمعين، لكن هذا الشيخ لم يتحقق ولم يحقق هذه المسألة، واتبعه قومه من بعده
فأفرطوا وفرطوا وقصروا، حتى تولد منهم بسبب هذه القواعد تنقيص وتحقير
ما عظمه الله وأمرنا بتعظيمه ومحبته وتوقيره، وقاسوا المسلمين المخلصين في
التوحيد بالمشركين، حتى قاتلوا المسلمين في أفضل البقاع، واستحلوا دماءهم
وأموالهم، كما وأن أكثر العوام من جهلة الإسلام قد تغالوا وأفرطوا وابتدعوا بدعا
تخالف المشروع من الدين القويم، فصاروا يعتمدون على الأولياء الأحياء منهم

والأموات، معتقدين أن لهم التصرف وبأيديهم النفع والضر، ويخاطبونهم بخطاب الربوبية، وهذا غلو في الدين القويم، وخروج عن الصراط المستقيم، وقد ورد في الحديث المرفوع (دين الله تعالى بين المغالي والمقصر) اهـ.

(المنار)

هذا ما كتبه مفتي بيروت – رحمه الله – ولا يخلو كلامه الأخير من تعارض، لعل سببه محاولة الجمع بين اعترافه بصحة عقيدتهم التي رواها مجملة، وبين ما ينقله عنهم خصومهم. على أنه كان مضطرا فيما كتبه إلى اتقاء وشاية المفسدين والسعاية به إلى السلطان عبد الحميد الذي كانوا يخوفونه من استعداد الوهابية للخروج عليه، وهؤلاء يقولون في ذلك: إذا كان المؤلف قد اعترف بأن هذه القواعد هي دين الله الذي أرسل بها رسله كلهم، فكيف يكون مؤسسها واضعا لمذهب جديد ، وهل الجديد إلا مخالفتها؟ وإذا كان قد اعترف أن أكثر العوام من جهلة الإسلام خالفوا الدين القويم بالاعتماد على الأولياء الأحياء والأموات إلخ ومن المعلوم أن غير الأكثر الجاهلين أقروهم على ذلك، فكيف يكون من بين لهم الحق الذي ضلوا عنه وقاتلهم عليه مخطئا؟ وأين قياس الموحدين المخلصين بالمشركين؟ وإذا صح قوله: إن هذه القواعد قد تولد منها تنقيص ما عظمه الله، وهي حق باعترافه، أفلا يكون ذلك من قبيل قوله تعالى في كتابه: ﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا﴾ (البقرة: ٢٦) وما المراد بذلك التنقيص؟ إن المؤمن بالله وبكتابه الغالي في اتباعه لا يصدر منه تنقيص لما أمر بتعظيمه، ولكن خصومنا يطلقون ذلك على إنكارنا غلوهم في تعظيم الصالحين بوصفهم بما لا يوصف به إلا الله ﷻ، ودعائهم واستعانتهم بهم فيما لا يطلب إلا منه تعالى فإن تجاوز بعضنا هذا الحد إلى ما يعد تنقيصا في عرف الشرع دون عرف أهل البدع أو الشرك – كما هو مقرر في القواعد – فإننا ننكر عليه، كما ننكر على كل مخالف، ولا نبرئ كل من انتمى إلينا من الخطأ في فهم قواعدنا أو مخالفتها،وحسبنا أن ما دعونا إليه وقاتلنا في سبيله من جردوا علينا الحملات العسكرية لأجل الملك هو دين الله على لسان خاتم رسله، ودين سائر أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم، كما اعترف بذلك المفتي رحمه الله.

هذا ما يقولونه، وللشيخ محمد عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - رسائل في رد شبهات المخالفين، ربما ننشر بعضها في المنار ليطلع عليها من لا يعرف عنه شيئا إلا من كلام المعترضين.

((يتبع بمقال تال))

---

(١) لا يخفى ما في هاتين الجملتين من الإشارة إلى الاستحسان، ولو صرح لعاقبتة السياسية وصادرت الكتاب.

(٢) هذا الإجمال يفسره ما بعده، والقوم لا ينكرون الشفاعة، بل يأخذون فيها بنص القرآن كما صرح به ابن عبد الوهاب في رسائله.." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا

فتاوى المنار

أسئلة من مدينة بنكوك (سيام)

(س٣٨-٤٥) من صاحب الإمضاء:

(١) يقع اختلاف وشقاق في كل عام بين أئمة المساجد في إثبات هلال رمضان، فمنهم من يعتمد ويعمل بمثل جدول الشهور والأيام للشيخ القزويني، ومنهم من يعمل بما قال في عجائب المخلوقات بعد ذكر الجدول، وهو ما نصه: قال جعفر الصادق - رضي الله عنه -: إذا **أشكل عليك** أول شهر رمضان فعد الخامس من الشهر الذي صمته في العام الماضي؛ فإنه أول يوم شهر رمضان الذي في العام المقبل، وقد امتحنوا ذلك ٥٠ سنة، فوجدوه صحيحا. اهـ.

ومنهم من لا يعمل إلا بما قال الشيخ البجيرمي في حاشيته على شرح فتح الوهاب: قال سيدي علي وفا المصري في فتاويه لا يستتر القمر أكثر من ليلتين آخر الشهر أبدا، ويستتر ليلتين إن كان كاملا وليلة إن كان ناقصا، والمراد

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٢٢٦/٢١

بالاستتار في الليلتين أن لا يظهر القمر فيهما، ويظهر بعد طلوع الفجر، وفي
عبارة بعضهم: وإذا استتر ليلتين، والسماء مصحية فيهما فالليلة الثالثة أول الشهر
بلا ريب، والتفطن لذلك ينبغي لكل مسلم، فإن من تفطن له يغنيه عن التطلع من
(؟) رؤية هلال رمضان، ولم يفته يوم أن كان كاملا، وحديث: (صوموا
لرؤيته ...) إلخ في حق من لم يتفطن لذلك، ولو علم الناس عظم منزلة رمضان
عند الله وعند الملائكة وعند الأنبياء - لاحتاطوا له بصوم أيام قبله؛ حتى لا يفوته
صوم يوم منه! اهـ، (قال) وهو كلام نفيس فاحفظه، والبقية يصومون
بالرؤية، ويفطرون بالرؤية عملا بالحديث الشريف؛ فصار كل مسجد يصوم بما
رأى إمامه.

وكذلك يختلفون في إثبات هلالي شوال والأضحى كاختلافهم في إثبات هلال
رمضان، بل العاملون بالرؤية يختلفون في قبول شهادة عدل واحد في هلالي شوال
والأضحى، (ولم تتوفر لأحد في سيام شروط العدالة المشروحة في كتب الإمام
الشافعي) ، فمنهم من يقبل، ومنهم من يرفض، فاعتمد الأول على ما ذكر
البجيرمي في حاشيته على الإقناع في كتاب الصيام أنه هو المعتمد، والثاني على
ما قال الشافعي في الأم، والنووي في شرح مسلم. فالرجاء ملء صدورنا أن
تبينوا لنا الحق في هذه مع الرد الصريح على من اهتدى بغير السنة النبوية.

(٢) ما حكم شراء أوراق اليانصيب؟ ، فإن الحكومة السياسية الآن تريد
جمع المال لشراء الأسلحة النارية والطيارات الهوائية من أرباح اليانصيب
لإعراض الجمهور عن التبرع لها، وما الفرق بينهما وبين الميسر الجاهلي؟ ، فإن
قيل بالمنع، فما يفعل بالجائزة لو ربحت النمرة التي اشتراها مسلم قبل تيقن الحرمة؟

(٣) فشا بيننا اليوم: (١) التداوي بالأدوية المركبة من الكحول، (٢)
واستعمال الروائح العطرية والإفرنجية، (٣) تعاطي البيرة، (٤) ووضع
خلاصة الفواكه (Essence) في عمل الحلاويات والمربات، (٥)
والاستصباح بزيت البترول (٦) ، والانتفاع بالغازات، فكل هذه مستحدثة يصعب
علينا معرفة أحكامها شرعا، فنلتمس من فضيلتكم بيانا شافيا مفصلا عن حكم كل

منهما، وعن أصلها، وعن الفرق بين كل واحدة منها إن وجد، ولا تحيلونا على ما لم يكن بيدنا من فتاوى سبقت لكم في المنار أو غيره، أفيدونا أثابكم الله، والسلام.

بنكوك نوى ... ... تلميذكم ناظر مدرسة البداية

... ... عبد الله بن محمد المسعودي

(جواب المنار)

إثبات هلال رمضان والعيدين

قال الله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (النساء: ٥٩) ، وقد أجمع العلماء على أن الرد إلى الله تحكيم كتابه، والعمل به، والرد إلى الرسول بعد وفاته تحكيم سنته، والعمل بها، وقد قال تعالى - في كتابه -: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ (البقرة: ١٨٥) ، وناط رسوله - صلى الله عليه وسلم - إثبات الشهر برؤية الهلال، وإلا أكملت عدة الشهر ثلاثين يوما، ولا حاجة إلى سرد شيء في تفسير الآية، ولا نصوص الأحاديث في ذلك، فهي معلومة لديكم، ومن عجائب ضلالات التقليد أن يترك السنة الصحيحة الصريحة عارفها، ويأخذ بقول زيد وعمرو من الناس الذين ليست أقوالهم دينا ولا حجة في الدين، ولو لم تكن مخالفة للكتاب والسنة فكيف إذا خالفتها، ولا هم من العلماء المجتهدين، على أن المسألة ليست اجتهادية لوجود النص الصريح فيها، وقد قال الإمام الشافعي - في أول باب الإجماع من رسالته الشهيرة في أصول الفقه -: (وقامت الحجة بما قلت بأن لا يحل لمسلم علم كتابا ولا سنة أن يقول بخلاف واحد منهما) ، فمادامت رؤية الهلال ممكنة فلا يجوز العمل بالحساب، ولا بمثل ما ذكر من الضوابط المبنية عليه، ولكن قد يحتاج إلى الضوابط إذا تعذر العمل بالسنة كأن تطبق الغيوم في قطر كبير عدة أشهر، ويتعذر عليهم الوقوف على إثبات صحيح للشهر برؤية الهلال في مكان قريب منهم مثلا، أو إذا كان الصيام في المنطقة القطبية، وما يقرب منها حيث لا شهور، فههنا يجتهد في تقدير الأوقات للصلاة والصيام.

وقد بينا هذه المسائل من قبل، والغرض هنا بيان أن المصيب من المختلفين في المسألة في بلاد السائل هو الفريق الذي يثبت الشهر برؤية الهلال، وإلا فبإكمال عدة شعبان ٣٠ يوما إذا غم الهلال على الناس، وينبغي أن يكثر المستهلون لتثبت الرؤية بالتواتر، فإن لم يتفق ذلك، وشهد برؤيته من لا يعد عدلا في مذهب الشافعي – رحمه الله تعالى – فلا بأس بأن يعد عدلا في مذهب غيره، والعبرة بتصديق الناس له، فإذا كنا نعلم أن زيدا يتحرى الصدق، ويتنزه عن الكذب، ولكنه لا يرى بأسا ببعض ما يعد في المذهب مسقطا للمروءة، ولا سيما إذا كان لا يعد مسقطا لها في هذا العصر، أو لا يسقط مروءة مثله لمجموع مزاياه الأخرى، فلا مانع من قبول شهادته، والعمدة في ذلك أن يعتقد صدقه، فإن بعض ما اشترطوه في العدالة مبني على العرف لا النص: كخرم المروءة، والعرف يختلف باختلاف الزمان والمكان، ويكفي في إثبات رمضان شهادة واحد، ثبت ذلك في السنة، وجرى عليه الجمهور.

وأما العيدان فالأدلة في إثباتهما بشهادة عدل أو عدلين متعارضة، والمهم أن يتفقوا على أحد القولين تفاديا من الاختلاف الذي يبغضه الله، ويبغض أهله.

بعد هذا نقول كلمة في تلك الأقوال التي نقلها السائل عن بعض المصنفين:

فأما ما نقلوه عن جدنا جعفر الصادق رضي الله عنه فهو صحيح في نفسه، وإنما يطرد بموافقة إثبات الشهر بالحساب الذي تقتضيه قواعد الفلك، ولكنه قد يخطئ إذا جرى الإثبات على قاعدة الشرع بالرؤية، وما يظن أن الإمام قال بترك الإثبات بما أمر به جده – عليه الصلاة والسلام – والعمل بالحساب، وإلا فإن العارف بالحساب لا يحتاج إلى ذلك الضابط، بل يعرف أول كل شهر معرفة قطعية لا شك فيها، وإنما تختلف أقوال مؤلفي التقاويم أحيانا؛ لأن بعضهم يجري في ذلك على قاعدة تولد القمر، وبعضهم يجري على قاعدة توافق الشرع، من حيث يجعل أول الشهر الليلة التي يمكن أن يرى فيها الهلال إذا انتفت الموانع كالغيوم وما في معناها، وقد بينا غير مرة أن الحكمة في جعل مواقيت الصلاة والصيام منوطة بما تسهل معرفته على جميع المسلمين من بدو وحضر، أميين ومتعلمين – هي أن لا تكون

أمورهم الدينية بأيدي أفراد من علماء فن مخصوص كالفلك، لا يوجدون في كل مكان، وقد يعبثون بأمور الأمة في دينها، كما فعل رؤساء الأديان الأخرى، ونجد أهل الأمصار الإسلامية الآهلة بالعلماء – من جميع المذاهب – لا يعملون في إثبات هلال رمضان والأعياد وغيرها إلا بالرؤية، أو إكمال العدة على كثرة الحاسبين المدققين فيها، ثم إنهم يثبتون الرؤية إثباتا شرعيا بحكم في دعوى صورية؛ لأجل إعلام الناس كافة به بصفة يرتفع فيها الخلاف ليسلم المسلمون من الفوضى، والخلاف في عبادتهم في كل قطر، فما يفعله أهل (سيام) عندكم مخالف لهدي الشارع ولحكمة الشرع ولعمل المسلمين سلفا وخلفا في جميع الأقطار الإسلامية.

وأما ما نقله البجيرمي من أن حديث: (صوموا لرؤيته) خاص بمن لم يتفطن لتلك القاعدة الحسابية، ومن أنه ينبغي الاحتياط لرمضان بصوم قبله حتى لا يفوته صوم يوم منه! فهو باطل بشقيه، ويستغرب قوله فيه: إنه نفيس، ويترتب على قوله الأول أن نقبل قول كل من جاءنا بقاعدة أو طريقة يمكن أن يحصل بها مقصد الشرع في عمل من الأعمال من غير الطريقة أو القاعدة الثابتة بنص الكتاب والسنة؛ وحينئذ يكون كل واحد من هؤلاء شارعا لغير ما شرعه الله تعالى، وناسخا لما شرعه، ولو في الوسائل، وهو شرك بالله تعالى، كما قال تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ (الشورى: ٢١) ، وقد بينا هذا المعنى في مواضع من التفسير والفتاوى القريبة العهد، وسيرى القراء شيئا منه في الجزء الآتي من المنار في باب الفتوى، إن شاء الله تعالى، وبمثل هذه الآراء أضاع من قبلنا أصول دينهم وفروعه.

وأما الرأي الثاني فيقال فيه: إن الصيام لا يعد من رمضان إلا إذا ثبت الشهر، وكان الصيام بنية رمضان، وإلا فقد ورد في السنة النهي عن صوم يوم الشك، وعن استقبال رمضان بيوم أو يومين.

وجملة القول أن الواجب على أهل بلدكم أن يعملوا في إثبات رمضان والعيدين بما يعمل به سائر المسلمين من الاستهلال، فإن رؤي الهلال فذاك، وإلا أكملوا عدة شعبان، وأن يجتمع أئمة المساجد والعلماء ليلة الثلاثين من رمضان،

فإن ثبت الشهر أعلموا به الناس، وصاموا جميعا، وإلا أفطروا جميعا، ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ (آل عمران: ١٠٥) .

شراء أوراق اليانصيب وربحها:

(اليانصيب) ضرب من ضروب الميسر التي كثرت في هذا الزمان، كما كثرت أنواع أخته الخمر، فلا خلاف في تحريمه بين علماء المذاهب الإسلامية كلها، وأما ربحه من حكومة غير إسلامية في دار الكفر التي لا تنفذ فيها شريعة الإسلام فمباح؛ إذ لا يمكن التزام أحكامها، واشتراط عقودها في تلك الدار، بل يكفي في حل أموال أهلها وحكوماتها رضاؤهم، وعدم كونه سرقة، أو خيانة لهم، ولا حاجة إلى بيان الفرق بين هذا الميسر والميسر الجاهلي؛ فإن كل ميسر حرام، كما أن كل خمر حرام.

وإن أكثر أنواع الخمر والميسر المستحدثة في هذا الزمان شر مما كان منهما في عصر نزول الشرع، وإن كان بعض الفقهاء يقول: إن حرمة الخمر المتخذة من عصير العنب أشد وأغلظ من سائر الخمور، فهؤلاء بنوا قولهم على دعوى لفظية مرجوحة، والحق الذي بيناه في التفسير أن كل شراب مسكر فهو خمر لغة وشرعا، وأن شر الخمور أشدها ضررا في العقل والبدن كالتي يسمونها الأشربة الروحية، ولا سيما المستحدثة بالطرق الأوربية، وكذلك الميسر شر أنواعه ما استحدثه الأوربيون في هذا الزمان.

الأدوية والأعطار الكحولية:

إذا كان في الأدوية التي يدخلها الكحول أشربة مسكرة، فلا شك في تحريم شربها وعدم إباحتها إلا في حال الاضطرار التي تبيح المحظور لقوله تعالى: ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ (الأنعام: ١١٩) قيل: وما دون الاضطرار من التداوي الذي يكون بتجربة صحيحة، أو برأي طبيب عدل يصدقه المريض بأن هذا دواء له، ولا يوجد غيره يقوم مقامه، وقد فصلنا هذا البحث بأدلته من قبل، ولكن يوجد كثير من الأدوية الجامدة والمائعة التي يدخلها الكحول للتطهير، وإماتة جراثيم الفساد، ولغير ذلك من حفظ المواد أو تحليلها أوتركيبها، وهي ليست أشربة مسكرة، فهذه

لا وجه للامتناع من التداوي بها، ومثلها الأعطار الإفرنجية المعدة للتعطر، وللتطهير الطبي، فلا وجه لتحريمها إلا عند من يعتقد أنها خمر نجسة، وقد بينا بطلان هذا القول في المجلد الرابع من المنار وفي غيره، كالمناظرة فيه بيننا وبين بعض كبراء علماء الأزهر.

وقد جاءتنا في هذه الأيام فتوى من الهند بتحريم تزيين المساجد بالطلاء الذي يدخله (الإسبيرتو) ؛ بناء على القول بأنه خمر نجس، وقد سئلنا عن رأينا فيها، فأجبنا جوابا طويلا ضاق عنه هذا الجزء، وسترونه فيما بعده إن شاء الله تعالى، وتعلمون منه أن هذه الأدوية والأعطار لا يحرم منها شيء، وإنما يحرم الشراب المسكر فقط.

البيرة:

(البيرة) شراب مسكر يسمى في اللغة العربية (الجعة) ، فهو محرم قطعا، وإن كان القليل منه لا يسكر؛ فإن القليل ذريعة إلى الكثير.

خلاصة الفواكه:

إن أنواع الحلوى والمربى التي توضع فيها خلاصة الفواكه - كالموز، والتفاح - كثيرة في مصر وغيرها من بلاد الإسلام، يأكلها المسلمون من العلماء وغيرهم، ولم يبلغنا أن أحدا جعلها موضوع خلاف يحتاج فيه إلى الاستفتاء، ولا نعلم أن منها خمرا، على أن الخمر إذا دخلت في مواد، وطبخت هذه المواد - خرجت عن كونها خمرا مسكرة، وطهرت على القول بأنها كانت نجسة، وهذا مذهب الحنفية الراجح المختار عندنا فيها، كما بيناه في الرد على الفتوى الهندية المشار إليها آنفا.

الاستصباح بزيت البترول:

قد استغربنا سؤالكم عن الاستصباح بزيت البترول، وقولكم: إنه من المستحدثات في بلاد سيام، فنحن منذ عرفنا الدنيا رأيناه يستصبح به في الدور والمساجد، ولا وجه لجعله مما يسأل عن حله وحرمته؛ فإن الأصل في جميع الأشياء النافعة الحل، وإذا وجد شيء جديد ضار - أو فيه ضرر من جهة ونفع من

أخرى – فهو الذي يسأل عن حكمه.
الانتفاع بالغازات: ما قيل في زيت البترول يقال في الغازات، والمستعمل عندنا في الاستصباح منها غاز الفحم الحجري، وهو كثير في مساجدنا، ومنها الجامع الأزهر. والله تعالى أعلم.
***

استفتاء آخر
في إسلام أهل سيام المشوب بالأعمال والشعائر الوثنية البوذية
(س٤٦) من صاحب الإمضاء:
م ا قولكم، دام فضلكم:
في مسلمين نساؤهم متبرجات تبرجا دونه تبرج الجاهلية الأولى، لا يرين في أنفسهن عورة سوى السوأتين، يتعاطين أشغال الحياة خارج البيت أكثر من داخله، ويختلطن مع الرجال الأجانب، ويزاحمنهم في الأسواق والحفلات والولائم وكل الأشغال، يقلن: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويصلين الخمس، ويصمن رمضان ... إلخ، ويحضرن أسواقا خيرية، وحفلات بوذية، يقيمها البوذيون في معابدهم، ويشتركن معهم فيها في الملهى والميسر في مكان مزدحم، ولا يوجد أدنى فرق بينهن وبين البوذيات في الزي والهيئة، هذه أوصاف بناتهم ونسائهم، فهم لم يعرفوا، ولم يعترفوا أن للحياء معنى، وللغيرة مغزى، يهينون من لم يتزيى بزيهم، ويعيرون من لم يتخلق بأخلاقهم، ويقلدون البوذيين في آدابهم، وفي الملبس والمسكن والوساخة، وفي بعض الأمور الدينية، وللوثنيين ملبس خاص قبيح المنظر جدا، ما يستر غير السوأتين، ومسكن عجيب فيه غرفة أو غرفتان هي قاعة الاستقبال، وقاعة النوم، والأكل معا – أول ما يرى الزائر عند دخوله المطبخ وما فيه، والمرقد وما حواليه، كما أن وساختهم ليس لها حد، ولقد صدق القائل: لا عتاب بعد الكفر، ولهم معابد كثيرة قلما يخلو شارع من معبد أو معبدين، وأقل مساحة كل معبد في بنكوك ٦٠٠ متر مربع، كذلك تجد مساجد المسلمين في كل حارة نزلوا فيها من مسجد إلى أربعة يكثرونها بدون أقل

حاجة، يقيمون في كل منها الجمعة، ويتبعونها بالظهر، وكل مسجد معارض ومعاد للآخر، وكل معجب بما عنده، فجمعتهم تفرق وحدتهم، وتبعث التنافر والتقاطع والتنابذ بينهم، وعلى ما ظهر تنزل غضب الله عليهم! ، ومع كثرة هذه المساجد – وفي عاصمة بنكوك فقط فوق عشرين مسجدا جامعا – تجد عدد مصلي الجمعة في كل مسجد لا يتجاوز العشرين رجلا! ، إلا في مسجدين أحدهما في (بنكوك نوى) ، والآخر في (وسكيت) ، وهذه المساجد معظمها مقفلة الأبواب في كل يوم، ولا تفتح إلا في أيام الجمع وليالي رمضان، وعند حضور الجنازات، كما أن معابد الوثنيين لا يفتحونها إلا في أيام معلومة، وصلاة الجماعة مفقودة في غير مسجدين أو ثلاثة، كأن لم يكن لهم علم بأنها من شعائر الإسلام والمسلمين.

والمتوظفون في هذه المساجد والمتدينون عندهم محلقو الرؤوس شعث غبر متقشفون، تاركو التجارة والصناعة، والحياة الشريفة لأهل الدنيا، فمن يحلق رأسه، أو ينظف أسنانه، أو يصلح زيه – يعد عندهم مارقا! ، فمعاشهم يأتيهم رغدا من ثمار ترغيب القوم وترهيبهم في فدية الصلاة والصوم وصلاة الجنائز، ولا يحضر أحد لصلاة الجنازة إلا بدعوة من المصاب، فأموات الفقراء يعد المصلون عليهم بالأصابع، وأما الأغنياء فلا تسل، ومن الولائم وإهداء ثواب الذكر والقرآن، بل بيعه لأموات الأغنياء والمثرين، ومن استنزاف ما بأيدي الناس من الصدقات بالترغيب في وضعها في أيدي العلماء والصالحين، والترهيب من أن تقع صدقة في يد الجهلاء والطالحين، فكم من مسلم فقير عضه الدهر بأنيابه لم ينظر إليه أخوه المسلم، وكم، وكم؛ لأن هذا في عينهم ليس من المستحقين للبر لفقره، أو لأنه غير محلوق الشعر!

وكل فقيه من فقهائهم أو إمام من أئمتهم – عدا أهل بنكوك نوى – يشحذ، والشحاذة شعار علمائهم والمتدينين منهم، فإذا خرج فقيه إلى القرى يشحذ، وحصل كثيرا – صار كبيرا مقدما يفوق أقرانه! وكثير من أئمتهم وعلمائهم من يملك أموالا طائلة من الذهب والفضة والأطيان، ولكن لا يزكونها؛ إذ هم عند قرب

حلول الحول يهبونها لأولادهم ونسائهم، فيصبحون فقراء يستحقون الصدقات، فيجولون من بادية إلى بادية، ومن بيت إلى بيت يشحذون، فبعد انصرام موسم الحصاد، وانقضاء الحاجة يستردون الأموال من أولادهم ونسائهم، ويقرضون المعوزين، ويأخذون منهم خمسة في المئة شهريا، ويستحلونها بطرق يستنبطونها من قواعد فقههم، أو يعطونهم ورقة بنكنوت قيمتها ١٠،٠٠ تيكلس مثلا، بشرط أن يؤدوها بخمسة عشر تيكلسا فضة، وهم لا يرون زكاة في أوراق البنكنوت، فتفتح لهم الأبواب، يدخلون فيها زمرا فرحين مستبشرين بما أوحى إليهم كبار علمائهم.

والخلاصة أنهم - في دينهم ودنياهم - على غير المألوف في المسلمين في أقطار العالم، وما من مسلم فاضل ينزل عندهم إلا ولسان حاله يقول:

بليت بقوم لا أريد ودادهم ... فأكرههم جدا مع البعد والقرب

ولكنني أصطاد رزقي بأرضهم ... ولا بد للصياد من صحبة الكلب

فالمرجو أن تبينوا لنا حكم هؤلاء، هل هم فسقة تسقط عدالتهم أمام الشرع الحنيف أم لا؟ ، فهذا الذي ذكرت قليل من كثير مما هم عليه من الخزي والضلال وما راء كمن سمع، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

... ... أحمد عبد الوهاب

(المنار)

إن إطلاق لقب الفسق وسقوط العدالة بالمعنى المعروف أقل ما يقال في هؤلاء الناس، وكنت أود لو أعرف شيئا عن تاريخ دخولهم في الإسلام، وكيف يتعلمه الذكور والإناث في هذه الأيام، وهل يعرف عوامهم العربية، وماذا يوجد عندهم من كتب العقائد والفقه، وما يحسن أن يرسل إليهم منها - ولو بغير ثمن - إن كانوا يقرؤون.

إن ما ذكر السائل عنهم - وقال إنه قليل من ضلالاتهم الكثيرة - يشمل عشرات من المعاصي المجمع على تحريمها، دع ما فيه خلاف منها، هل هو فسق أو كفر، أو هل هو من الكبائر أو الصغائر، ولعلنا نفصلها في مقال خاص.

إن بعض هذه الفواحش والمنكرات مما يكفر جميع علماء المذاهب الإسلامية

من يستحله؛ لأنه من المعلوم من الدين بالضرورة، ولا سيما مشاركة الوثنيين في عبادتهم وأكل الربا ومنع الزكاة وإظهار عورات النساء للرجال على الوجه المبين في السؤال، ولا يعذر مرتكبو أمثال هذه الكبائر إلا إذا كانوا حديثي عهد بالإسلام، بحيث لم تبلغهم أحكامه في هذه المسائل، وظاهر ما ذكرتم من أمرهم أن منهم فقهاء على مذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه -، ولعل بلاءهم من فقهاءهم كأكثر عوام المسلمين الذين لا يهتم فقهاؤهم بنشر الدين فيهم، ويكرهون كل من يرشدهم إليه، ويصدونهم عنه، أو ليسوا هم الذين كتبتم إلينا أنهم يصدون عن (المنار) ، ويعادون قراءه (ويرمونهم بألسنة حداد، ويجعلونهم من المفسدين لآثار الآباء والأجداد) ، فما الحيلة في هداية عامتهم إذا كانت هذه حالة علمائهم؟ ! :

يا معشر القراء يا ملح البلد ... ما يصلح الملح إذا الملح فسد

من غص داوى بشرب الماء غصته ... فكيف يفعل من قد غص بالماء

والذي نراه أنه إذا أمكن إطلاع هؤلاء الناس على حكم الله فيما هم فيه - وكانوا في جملتهم مذعنين لأصل الدين - فلا بد أن يهتدي كثير منهم، وإذا كانوا يعرفون العربية فيحسن إطلاعهم على كتاب (الزواجر) للفقيه ابن حجر المكي الشافعي، ونحن مستعدون لما نكلفه من السعي لهدايتهم.

وأما إذا كانوا لا يذعنون لما يعلمون من دين الله قطعا - فلا يعتد بإسلامهم، ولا يعبأ بصلاتهم ولا بصيامهم؛ لأن شرط صحة الإسلام أن يذعن المؤمن لكل ما علم أنه منه، ولا يستحل مخالفة شيء منه، ولا يقول نؤمن ببعض، ونكفر ببعض، وإلا كان متبعا لهواه، لا لما شرعه الله.

﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ (الفرقان: ٤٣) .

". (١)

"اعلم أن جميع روايات هذا الحديث المذكورة في المسند والسنن كلها من طريق شعبة، عن أبي عون، عن الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة، عن أناس من أصحاب معاذ، عن معاذ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٥٨٤/٢٣

أما الرواية المتصلة الصحيحة التي ذكرنا سابقا عن ابن قدامة في (روضة الناظر) أن عبادة بن نسي رواه عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ، فهذا الإسناد وإن كان متصلا ورجاله معروفون بالثقة، فإني لم أقف على من خرج هذا الحديث من هذه الطريق، إلا ما ذكره العلامة ابن القيم في (إعلام الموقعين) عن أبي بكر الخطيب بلفظ: وقد قيل إن عبادة بن نسي رواه عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ. اهـ منه. ولفظة «قيل» صيغة تمريض كما هو معروف، وإلا ما ذكره ابن كثير في تاريخه، فإنه لما ذكره فيه حديث معاذ المذكور باللفظ الذي ذكرنا بالإسناد الذي أخرجه به الإمام أحمد قال: وأخرجه أبو داود، والترمذي من حديث شعبة به. وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل. ثم قال ابن كثير: وقد رواه ابن ماجه من وجه آخر عنه، إلا أنه من طريق محمد بن سعيد بن حسان وهو المصلوب أحد الكذابين، عن عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن، عن معاذ به نحوه.

واعلم أن النسخة الموجودة بأيدينا من تاريخ ابن كثير التي هي من الطبعة الأولى سنة (١٣٥١) فيها تحريف مطبعي في الكلام الذي ذكرنا؛ ففيها محمد بن سعد بن حسان، والصواب محمد بن سعيد لا سعد. وفيها: عن عياذ بن بشر، والصواب عن عبادة بن نسي.

وما ذكره ابن كثير من إخراج ابن ماجه لحديث معاذ المذكور من طريق محمد بن سعيد المصلوب، عن عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن وهو ابن غنم، عن معاذ - لم أره في سنن ابن ماجه، والذي في سنن ابن ماجه بالإسناد المذكور من حديث معاذ غير المتن المذكور، وهذا لفظه: حدثنا الحسن بن حماد سجادة، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن محمد بن سعيد بن حسان، عن عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن بن غنم، حدثنا معاذ بن جبل، قال: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن، قال: «لا تقضين، ولا تفصلن إلا بما تعلم، وإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه» اهـ منه. وما أدري أوهم الحافظ ابن كثير فيما ذكر؟ أو هو يعتقد أن معنى «تبينه» في الحديث أي: تعلمه باجتهادك في استخراجه من المنصوص، فيرجع إلى معنى الحديث المذكور؟ وعلى كل حال." [1]

"يستفتونك: يطلبون منك بيان الحقيقة. يفتيكم: يبين لكم ما **أشكل عليكم**. المستضعفين: الضعفاء من اليتامى والولدان.

إنهم يطلبون منك يا محمد بيان ما غمض من أحكام النساء، والمراد بهن هنا اليتيمات. كان من عادة العرب في الجاهلية اذا كانت عند أحدهم بنت يتيمة صار وليها ووارثها، ورغب في تزوجها ليأخذ مالها.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٧٣/٤

وقد تكون غير جميلة ولها مال ولا يتزوجها ولا يزوجها من أحد. . خشية ان يحرم من مالها؟ فجاءت الآية هنا تدعو الى ترك عادات الجاهلية. فالرجل الذي عنده يتيمة يريد ان يتزوجها يجب عليه ان يدفع لها مهرا كالمرأة الغريبة عنه. واذا لم يرغب في زواجها فليتركها تتزوج من غيره. كما بينت الآية أنه يجب توريث الضعفاء من الأولاد الصغار والنساء واعطاؤهم حقوقهم كاملة. ثم رغب الله تعالى المؤمنين في العمل بما فيه فائدة لليتامى، وذكرهم انه عالم لا يعزب عن علمه شيء، وهو مجازيهم بما يعملون.

والخلاصة: ان الذي يتلى عليهم في الضعيفين، المرأة واليتيم، هو ما تقدم في أول السورة، لذلك يذكرهم الله بتلك الآيات المفصلة ليتدبروها ثم يعملوا بها. وهو بذلك كله يريد استئصال عادات الجاهلية والممقوتة، ويضع عوضا منها تقاليد انسانية راقية يبني عليها المجتمع الاسلامي العظيم.." (١)

"الله على أنها كذب، وأن مفتريها كذاب يريد أن يشرع للناس ما لم يأذن به الله، ويدخل في دينهم ما ليس منه، والله قد أكمل الدين وأتمه لهذه الأمة من قبل هذه الفرية بأربعة عشر قرنا.

فانتبهوا أيها القراء والإخوان، وإياكم والتصديق بأمثال هذه المفتريات، وأن يكون لها رواج فيما بينكم، فإن الحق عليه نور، لا يلتبس على طالبه، فاطلبوا الحق بدليله، واسألوا أهل العلم عما **أشكل عليكم**، ولا تغتروا بحلف الكذابين، فقد حلف إبليس اللعين لأبويكم على أنه لهما من الناصحين، وهو أعظم الخائنين، وأكذب الكذابين، كما حكى الله عنه ذلك في سورة الأعراف، حيث قال سبحانه:." (٢)

"وفي الغنم ليس فيما دون الأربعين شاة شياء (؟ شيء) فاذا بلغت أربعين إلى عشرين ومائة فابن ذلك ما كان ففيه شاة (؟) فاذا زادت على العشرين ومائة إلى المائتين شاتان. فاذا زادت على المائتين إلى الثلاث مائة فابن ذلك ما كان (؟) ثلاث شياه. فما زاد على ذلك ففي كل مائة شاة، وما كان أقل من ذلك ثلاث مائة بعد أن تأخذ من الغنم ثلاث شياه وليس فيه شيء حتى تتم مائة فيكون في كل مائة شاة بعد كل صغيرة وكبيرة ذكر وانثى ولا تأخذ في الصدقة إلا صحيحا سليما. ولا يتخير الغنم.

ولا يؤخذ من فحولها شيئا (؟ شيء) إلا أن يشاء صاحب الغنم ولا يكون إلا لبون. ولا يفرق بين المجتمع ولا يجمع بين المفترق حذار الصدقة.

ولا طمع من المصدق في المصدق في الزيادة فان الله يرى أعمالكم.

ولا يؤخذ هرمة ولا ذات عوار، ولا المخروق والمعتود.

---

(١) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ٣٤٦/١

(٢) التحذير من البدع ابن باز ص/٦٦

وما كان من خليطين أخذ لأحدهما دون خليط فليعطه خليطه بقدر نعمه حتى يعطي كل إنسان بقدر الذي له. فراقبوا الله الذي إليه تصيرون، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

قال ابن غنم: فقلت لمعاذ: كم كان الوسق قال: كأوساق إبلكم هذه خمسة عشر مدا (؟) أو نحو ذلك؛ والخمسة أوسق ألف ومائتي مد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم) . وفي أثناء رواية ابن غنم الاشعري عن معاذ فقلت: يا رسول الله أرأيت ما سئلت عنه واختصم إلي فيه مما لم يسمه الله في كتابه العزيز ولا سمعته منك قال: اجتهد فان الله إن علم منك الصدق وفقك للحق ولا تقولن إلا بعلم فان **أشكل عليك** أمر فقف حتى تأتيني وتكتب إلي فيه.

ولعل النصوص الآتية تتعلق بنفس المكتوب:

(أ) قال موسى بن طلحة: عندي كتاب معاذ بن جبل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمره أن يأخذ من الحنطة والشعير والزبيب والتمر.

قال فذكرت ذلك للحجاج. قال: صدق. (مصنف عبد الرزاق،." [١]

"فقلت له: اشرح لي هذا الإشكال وأنا إن شاء الله سأبين لك كل ما **أشكل عليك** في هذه الناحية.

فقال: تبين فيما أوردت من آيات وآثار أنك تريد إثبات أن المشركين الأولين ما كانوا يعبدون إلا الأولياء والصالحين، لكي تثبت عن طريق القياس أن القبوريين – كما تسميهم – يعبدون الأولياء والصالحين كذلك، ولكنه جاء فيما أوردت من آيات أن المشركين كانوا يعبدون الأصنام عبادة حقيقية لذاتها، ولو كانوا لا يعبدونها لذاتها وإنما يعبدون الأولياء والصالحين التي تحمل هذه الأصنام أسماءهم، لبين الله لنا ذلك ولاقتصر القرآن على توبيخ المشركين على عبادتهم الأولياء ماداموا لا يعبدون إلا هؤلاء الأولياء، ومادام أنهم (أي المشركون الأولون) لا يعتمدون على هذه الأصنام لتشفع لهم عند الله.

ولكن جل التحذيرات والتوبيخات التي جاءت في القرآن لهؤلاء المشركين حول هذا الموضوع إنما كانت مركزة على نهيهم عن عبادة الأصنام والأوثان والأنصاب.

﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ ١.

﴿إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا﴾ ٢.

﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا﴾ .

﴿فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم﴾ ٣.

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة محمد حميد الله ص/٢١٥

١ الحج: (٣٥)

٢ العنكبوت: (١٧)

٣ العنكبوت: (٢٥)

٤ الأعراف: (١٣٨)." [١]

"نوع آخر؛ وكفرهم ببلوغها إياهم، وإن لم يفهموها.

إن أشكل عليكم ذلك، فانظر قوله – صلى الله عليه وسلم – في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»، وقوله: «شر قتلى تحت أديم السماء»، مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع إجماع الناس أن الذي أخرجهم من الدين هو: التشدد والغلو والاجتهاد، وهم يظنون أنهم يطيعون الله، وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها.

وكذلك قتل علي – رضي الله عنه – الذي اعتقدوا فيه، وتحريقهم بالنار، مع كونهم تلاميذ الصحابة، ومع عبادتهم وصلاتهم وصيامهم، وهم يظنون أنهم

على حق.

وكذلك إجماع السلف، على تكفير غلاة القدرية وغيرهم، مع علمهم وشدة عبادتهم، وكونهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم لأجل كونهم لم يفهموا، فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا.

إذا علمتهم ذلك؛ فإن هذا الذي هم فيه كفر، الناس يعبدون الطواغيت، ويعادون دين الإسلام، فيزعمون انه ليس ردة، لعلهم ما فهموا الحجة، كل هذا بين.

وأظهر مما تقدم: الذين حرقهم علي، فإنه يشابه هذا، وأما إرسال كلام الشافعية وغيرهم، فلا يتصور أن يأتيكم أكثر مما أتاكم، فإن كان معكم بعض." [٢]

"آثار متعلقة بالآية

(٢١٠٤٥) – عن عبد الله بن عباس – من طريق عكرمة – أن رجلا من بني عبس يقال له: خالد بن سنان – قال لقومه: إني أطفئ عنكم نار الحدثان – فقال له عمارة بن زياد – رجل من قومه – : والله، ما قلت

(١) كيف نفهم التوحيد محمد بن أحمد باشميل ص/٤٦

(٢) فتح العلي الحميد في شرح كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد مدحت آل فراج ص/٢٦٤

لنا يا خالد قط إلا حقا، فما شأنك وشأن نار الحدثان، تزعم أنك تطفئها؟ قال: فانطلق، وانطلق معه عمارة في ثلاثين من قومه، حتى أتوها وهي تخرج من شق جبل من حرة يقال لها: حرة أشجع - فخط لهم خالد خطة، فأجلسهم فيها، فقال: إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي - فخرجت كأنها خيل شقر، يتبع بعضها بعضا، فاستقبلها خالد، فجعل يضربها بعصاه وهو يقول: بدا بدا بدا كل هدى، زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندى - حتى دخل معها الشق، فأبطأ عليهم، فقال عمارة: والله، لو كان صاحبكم حيا لقد خرج إليكم - فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه - قال: فقال: فادعوه باسمه؛ فوالله، لو كان صاحبكم حيا لقد خرج إليكم - فدعوه باسمه، فخرج إليهم وقد أخذ برأسه، فقال: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي؟ قد والله قتلتموني، فادفنوني، فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني؛ فإنكم ستجدوني حيا - فدفنوه، فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر، فقالوا: انبشوه، فإنه أمرنا أن ننبشه - فقال لهم عمارة: لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا، والله، لا تنبشوه أبدا - وقد كان خالد أخبرهم أن في عكم العكم واحد العكوم: الأحمال والغرائر التي تكون فيها الأمتعة وغيرها - النهاية (عكم) - امرأته لوحين، فإذا أشكل عليكم أمر فانظروا فيهما، فإنكم سترون ما تسألون عنه - وقال: لا تمسها حائض - فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما، فأخرجتهما وهي حائض، فذهب ما كان فيهما من علم - وقال أبو يونس: قال سماك بن حرب: سئل عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقال: «ذاك نبي أضاعه قومه» - وإن ابنه أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقال: «مرحبا بابن أخي» أخرجه الحاكم (٢) / (٦٥٤) ((٤١٧٣)) - قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط البخاري، ولم يخرجاه» - وقال السيوطي: «قال الذهبي: منكر» - وقال الهيثمي في المجمع (٨) / (٢١٣) - (٢١٤) ((١٣٨١٧)): «رواه الطبراني موقوفا، وفيه المعلى بن مهدي، ضعفه أبو حاتم، قال: يأتي أحيانا بالمناكير - قلت: وهذا منها» - وقال فيه أيضا (٨) / (٢١٤) ((١٣٨١٨)): «وفيه قيس بن الربيع، وقد وثقه شعبة، والثوري، ولكن ضعفه أحمد مع ورعه، وابن معين، وهذا الحديث معارض للحديث الصحيح قوله - صلى الله عليه وسلم - : «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم، الأنبياء إخوة لعلات، وليس بيني وبينه نبي» - قال البزار: رواه الثوري، عن سالم، عن سعيد بن جبير مرسلا» - وقال الألباني في الضعيفة (١) / (٤٤٩) ((٢٨١)): «لا يصح» - .
". (١)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور المؤلف غير معروف ١١/٢٥٢

"كما ألف في متشابه القرآن كتابه " فوائد في مشكل القرآن " أجاب فيه على إشكالات قد ترد على بعض الآيات، وجل هذه الإشكالات لغوية أو نحوية أو بلاغية.

والدارس لمؤلفات العز في التفسير وعلومه يلحظ تضلعه في اللغة وتمكنه من علم المعاني والبيان وسعة علمه بذلك، لذا عني بالمعاني البيانية واللغوية، وقد يستطرد فيذكر أصول الكلمات اللغوية، ويستشهد عليها بالشعر، فهو يرى أن تفسير القرآن يتوقف على معرفة اللغة، وقد أوضح ذلك في كتابه "الإشارة إلى الإيجاز" فقال "ص٢٧٩ ": وتتوقف معرفة القرآن على معرفة اللغة والإعراب.

قال ابن عباس: إذا أشكل عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنه ديوان العرب. فما كان موجبا للعمل جاز أن يستدل عليه بالآحاد والبيت والبيتين من الشعر، وما كان موجبا للعلم فلا يستدل عليه بمثل ذلك.

هذا وهناك ضروب أخرى للتفسير، وقواعد للترجيح ذكرها في الفصول التي ختم بها كتابه "الإشارة إلى الإيجاز " من ص٢٥٩ إلى آخر الكتاب. تركت إيرادها خشية الإطالة، وكلها تدل على سعة علم العز بالتفسير وتمكنه منه وبعد نظره فيه، والذي أعانه على ذلك تمكنه من اللغة وعلم المعاني والأصول، ولكن يلاحظ عليه أنه لم يطبق تلك القواعد في تفسيره المختصر فاكتفى بسرد أقوال المفسرين، وبيان المعاني التي يحتملها اللفظ دون ترجيح إلا في حالات قليلة كما سيأتي بيانه.." (١)

"لك الجواب ولكن نحب أن ننبهك إلى أصل عظيم وهو أن الأصل في باب العبادات المنع حتى يرد الدليل عليها شرعا، فلا يقال إن هذه العبادة مشروعة من أصلها أو من جهة عددها أو هيئتها إلا بدليل شرعي، فمن ابتدع في دين الله ما لم يشرعه فما صدر منه مردود عليه، قال صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد (١)» وفي رواية «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد (٢)».

ثانيا: ننصحك بتعلم كتاب الله وكثرة تلاوته وتدبره والعمل به والدعوة إليه، وتتعلم من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تدعو الحاجة إليه، فتقرأ صحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرهما من كتب السنة، وتسأل أهل العلم عما أشكل عليك.

ثالثا: طريقة الشاذلية والأحمدية والسعدية والبرهانية ونحوها من الطرق طرق ضلال لا يجوز للمسلم أن يتبع واحدة منها، بل الواجب عليه أن يتبع طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه وصحابته من بعده، الذين أخذوا بسنته، وكذا من أخذ بها بعدهم، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي على

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٢٨١/٢١

الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤)». . وقال صلى الله عليه وسلم: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي (٥)».

أما الرد عليهم فيحتاج إلى أن تعرف أنت تفاصيل عقائدهم وبدعهم وشبههم، وتعرض ذلك على الكتاب والسنة، ونرى أن تستعين في ذلك بالكتب المؤلفة في ذلك: كالسنن والمبتدعات في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ، وإغاثة اللهفان من مكائد الشيطان للعلامة ابن القيم، وأمثال

---

(١) صحيح مسلم الأقضية (١٧١٨)، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ١٨٠).

(٢) صحيح البخاري الصلح (٢٦٩٧)، صحيح مسلم الأقضية (١٧١٨)، سنن أبو داود السنة (٤٦٠٦)، سنن ابن ماجه المقدمة (١٤)، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ٢٥٦).

(٣) صحيح مسلم الإمارة (١٩٢٠)، سنن الترمذي الفتن (٢٢٢٩)، سنن أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢)، سنن ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢)، مسند أحمد بن حنبل (٥/ ٢٧٩).

(٤) صحيح البخاري الشهادات (٢٦٥٢)، صحيح مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٣)، سنن الترمذي المناقب (٣٨٥٩)، سنن ابن ماجه الأحكام (٢٣٦٢)، مسند أحمد بن حنبل (١/ ٤٣٤).

(٥) سنن ابن ماجه الفتن (٣٩٩٢).." (١)

"فأوصيكم جميعا أيها الأخوة من الرجال والنساء، وأوصي جميع من تبلغه هذه الكلمة أن يتقي الله، وأن يتعلم ويتفقه في الدين، وأن يعتني بكتاب الله القرآن الكريم، وأن يكثر من تلاوته، ويحفظ ما تيسر منه، فإنه كتاب الله، فيه الهدى والنور، كما قال الله سبحانه: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ (٢) ويقول سبحانه: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾ (٣).

ويقول جل وعلا: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (٤).

ويقول سبحانه: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ (٥). فالوصية للجميع

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٢٤/٨٢

العناية بالقرآن الكريم، والإكثار من تلاوته، وتدبر معانيه، والسؤال عما **أشكل عليك**، وإذا كنت طالب علم، وهكذا المرأة إذا كانت طالبة علم، فعلى كل منهما أن يطالع ويراجع كتب التفسير فيما أشكل عليه، كتفسير ابن كثير، والبغوي وغيرهما من كتب التفسير المعروفة التي تذكر الأدلة.

فعلى طالب العلم من الرجال والنساء. أن يتأمل ويتدبر ويتفقه ويتعلم، وهكذا العامة عليهم أن يسألوا، ويسمعوا خطب الجمعة والمحاضرات، والندوات ونور على الدرب، الذي يسره الله في كل ليلة، ففيه سؤالات وأجوبة مهمة تفيد من يسمعها إذا قصد الفائدة.

أما التهاون والإعراض فهذا من عمل الكفار. قال الله تعالى: ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ (٦) وقال سبحانه: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه﴾ (٧)، فالواجب التعلم

---

(١) سورة الإسراء الآية ٩

(٢) سورة فصلت الآية ٤٤

(٣) سورة الأنعام الآية ١٥٥

(٤) سورة النحل الآية ٨٩

(٥) سورة ص الآية ٢٩

(٦) سورة الأحقاف الآية ٣

(٧) سورة الكهف الآية ٥٧." [١]

"فتوى رقم ٤٣٢٣

س: أولا: أبدأ بسؤالي أن تنصحوني لأستفيد منكم والمثل هنا (العلم يأتي من أفواه الرجال)، فمثلا أريد بأن يقوى إيماني.

ثانيا: أريد أن أتعلم ولكن الكتب في الجزائر مهجورة، إلا بعض الإخوان جزاهم الله خيرا بتعلمهم.

ثالثا: إني أعمل بناء، والناس الذين في المعمل ليس لهم عقيدة، وكلامهم سخيف، وليس كلامهم إلا فاحشة.

رابعا: أنا أمشي مع أخ ولكن عقيدته فاسدة، وليس كلامه إلا في إخواننا المؤمنين الصالحين، وأنا مهلك منه، وأرجو أن تعطوني دواء لهذا الداء.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٢٦/٣٥

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه. . وبعد:

ج: أولا: ننصحك بأن تقرأ القرآن كثيرا وتكثر من الاستماع لتلاوته وتتدبر معاني ما تقرأ وما تسمع منه بقدر استطاعتك، وما **أشكل عليك** فهمه فاسأل عنه أهل العلم ببلدك، أو مكاتبة غيرهم من أهل العلم من علماء السنة، وننصحك أيضا بالإكثار من ذكر الله بما ورد من الأذكار في الأحاديث الصحيحة، مثل: لا إله إلا الله، ومثل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ونحو ذلك، وارجع في ذلك إلى كتاب (الكلم الطيب) لابن تيمية، وكتاب (الوابل الصيب) لابن القيم." (١)

"فأما في هذا الوقت فالأمران مفقودان، الضرر مفقود وانتهاك الحرمة مفقودة، فإن الإنسان قد رضي كل الرضا بذلك واختاره مطمئنا مختارا لا ضرر عليه ولا يسقط شيء من حرمته، والشارع إنما أمر باحترام الآدمي تشريفا له وتكريما، والحالة الحاضرة غير الحالة الغابرة، ونحن إنما أجزنا ذلك إذا كان المتولي طبيبا ماهرا، وقد وجدت تجارب عديدة للنفع وعدم الضرر، فبهذا يزول المحذور.

ومما يؤيد ذلك ما قاله غير واحد من أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم أنه إذا **أشكل عليك** شيء هل هو حلال أو حرام، أو مأمور به أو منهي عنه؛ فانظر إلى أسبابه الموجبة وآثاره ونتائجه الحاصلة، فإذا كانت منافع ومصالح وخيرات وثمراتها طيبة، كان من قسم المباح أو المأمور به، وإذا كان بالعكس، كانت بعكس ذلك، طبق هذه المسألة على هذا الأصل، وانظر أسبابها وثمراتها تجدها أسبابا لا محذور فيها، وثمراتها خير الثمرات، وإذا قال الأولون: أما ثمراتها فنحن نوافق عليها ولا يمكننا إلا الاعتراف بها، ولكن الأسباب محرمة كما ذكرنا في أن الأصل في أجزاء الآدمي التحريم، وأن استعمال الدم استعمال للدواء الخبيث، فقد أجبنا عن ذلك بأن العلة في تحريم الأجزاء إقامة حرمة الآدمي ودفع الانتهاك الفظيع، وهذا مفقود هنا، وأما الدم فليس عنه جواب إلا أن نقول: إن مفسدته تنغمر في مصالحه الكثيرة وأيضا ربما ندعي أن هذا الدم الذي ينقل من بدن إلى آخر، ليس من جنس الدم الخارج الخبيث المطلوب اجتنابه والبعد عنه وإنما هذا الدم هو روح الإنسان وقوته وغذائه فهو بمنزلة الأجزاء أو دونها، ولم يخرجه الإنسان رغبة عنه وإنما هو إيثار لغيره، وبذل من قوته لقوة غيره وبهذا يخف خبثه في ذاته وتلطفه في آثاره الحميدة، ولهذا حرم الله الدم المسفوح وجعله خبيثا، فيدل على أن الدماء في اللحم والعروق وفي معدتها قبل بروزها ليست محكوم، عليها بالتحريم والخبث، فقال الأولون: هذا من الدم المسفوح فإنه لا فرق بين استخراجه بسكين أو إبرة أو غيرها، أو ينجرح الجسد من نفسه فيخرج الدم فكل ذلك دم مسفوح محرم خبيث،

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ١٣٠/٣٩

فكيف تجيزونه؟ ولا فرق بين سفحه لقتل الإنسان أو الحيوان أو سفحه لأكل أو سفحه للتداوي به، فمن فرق بين هذه الأمور فعليه الدليل.

فقال هؤلاء المجيزون: هب أنا عجزنا عن الجواب عن حل الدم المذكور فقد ذكرنا لكم عن أصول الشريعة ومصالحها ما يدل على إباحة أخذ جزء من أجزاء الإنسان لإصلاح غيره إذا لم يكن فيه ضرر، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (١)»، «ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد (٢)» فعموم هذا يدل على هذه المسألة وأن ذلك جائز، فإذا قلتم: إن هذا في التواد والتراحم والتعاطف كما ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم- لا في وصل أعضائه بأعضائه، قلنا: إذا لم يكن ضرر ولأخيه فيه نفع فما الذي يخرجه من هذا؟ وهل هذا إلا فرد من أفراده؟ كما أنه داخل في الإيثار، وإذا كان من أعظم خصال العبد الحميدة مدافعته عن نفس أخيه وماله ولو حصل عليه ضرر في بدنه أو ماله فهذه المسألة من باب أولى وأحرى، وكذلك من فضائله تحصيل مصالح أخيه، وإن طالت المشقة وعظمت الشقة فهذه كذلك وأولى.

---

(١) صحيح البخاري الصلاة (٤٨١)، صحيح مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٥)، سنن الترمذي البر والصلة (١٩٢٨)، سنن النسائي الزكاة (٢٥٦٠)، مسند أحمد بن حنبل (٤/ ٤٠٥).

(٢) صحيح البخاري الأدب (٦٠١١)، صحيح مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦)، مسند أحمد بن حنبل (٤/ ٢٧٠).." (١)

"بالحق ولا يكون المرء مؤمنا إيمانا كاملا إلا إذا اعتقد أنه سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأن أسماءه كلها حسنى وصفاته كلها على، وأنه لا شبيه له، ولا مثل له، ولا كفؤ له، كما قال سبحانه: ﴿قل هو الله أحد﴾ (١) ﴿الله الصمد﴾ (٢) ﴿لم يلد ولم يولد﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿هل تعلم له سميا﴾ (٤) يعني: لا سمي له، ولا كفؤ له، ولا شريك له، قال تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ (٥) والمعنى: لا تجعلوا له أشباها ونظراء تدعونهم معه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (٦)، فهو يسمع أقوال عباده، ويسمع دعاءهم ويراهم، ومع ذلك لا شبيه له في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في سمعه وبصره، ولا في جميع صفاته، فهو الكامل في كل شيء، وخلقه لهم النقص، أما الكمال فهو له سبحانه وتعالى في كل الأمور.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٤/٧٦

فعليك بتدبر القرآن حتى تعرف هذا المعنى، تدبر القرآن من أوله إلى آخره، من الفاتحة وهي أعظم سورة في القرآن وأفضل سورة فيه إلى آخر ما في المصحف، قل هو الله أحد والمعوذتين. تدبر القرآن، واقرأه بتدبر وتعقل، ورغبة في العمل والفائدة، لا تقرأه بقلب غافل، اقرأه بقلب حاضر، بتفهم وبتعقل، واسأل عما **أشكل عليك**، اسأل أهل العلم عما **أشكل عليك**، مع أن أكثره

---

(١) سورة الإخلاص الآية ١

(٢) سورة الإخلاص الآية ٢

(٣) سورة الإخلاص الآية ٣

(٤) سورة مريم الآية ٦٥

(٥) سورة البقرة الآية ٢٢

(٦) سورة الشورى الآية ١١." (١)

"وقال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (٢). فيجب أن نتعلم هذا الكتاب، ونتفقه فيه، حتى نعلم ما خلقنا له؛ فنعلم العبادة التي خلقنا لهذا، حتى نستقيم عليها. وهكذا السنة، سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، نتعلمها ونحفظها ونتفقه فيها، ونسأل عما أشكل علينا، والطالب يسأل عما أشكل عليه من كتاب الله وسنة رسوله، قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (٣) فتعلم كتاب الله من أعظم نعم الله، فهنيئا لكل طالب يعنى بكتاب الله: تلاوة وتدبرا وتعقلا وعملا، وهذه نعمة عظيمة.

وإني أوصيكم بالاستقامة على هذا الخير العظيم، وسؤال الله التوفيق، والإخلاص في ذلك لله عز وجل، والعناية بالتفقه في كتاب الله، والتفقه في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مع العمل بأداء فرائض الله، وترك محارم الله، والمسارعة إلى كل خير، والحذر من كل شر، مع الإكثار من تلاوة كتاب الله، ومدارسته والتفقه فيه، ومراجعة كتب التفسير المفيدة، كتفسير ابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وغيرهم؛ لمعرفة الحق، ولمعرفة ما **أشكل عليكم**.

---

(١) سورة النحل الآية ٨٩

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٥٤/١٨

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧

(٣) سورة النحل الآية ٤٣." [١]

"كثيرة أدرك أنني على خطأ فيها لكني لا أعلم من أين أبدأ في إصلاحها وما هي الوسائل التي تساعد على إصلاحها، والتزمت في ذلك بالدعاء والشكوى إلى الله من حالي وضعفي، فهل أنا مخطئة في ذلك أم لا بد علي من سؤال العلماء والمختصين؟

ج: قال الله تعالى عن يعقوب: ﴿قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ (١). فالمسلم كلما حلت به المصائب التجأ إلى الله ورفع شكايته إلى الله، والله جل وعلا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، فيدعو ربه أن يفرج همه، ويزيل غمه، ويبدله بالهم فرحا وسرورا، ولكن عليها أيضا أن تسأل عما أشكل عليها من الأمور التي خفي عليها علمها، أن تسأل أهل العلم عما أشكل عليها لتعبد الله جل وعلا على بصيرة، فإن الله قريب ومجيب لمن دعاه، وقال جل وعلا: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ (٢) ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ (٣). فعليك أن تدعي الله وترجيه وتتضرعي بين يديه وتسأليه عما **أشكل عليك** أمره حتى تكوني على بصيرة.

---

(١) سورة يوسف الآية ٨٦

(٢) سورة الأنبياء الآية ٨٣

(٣) سورة الأنبياء الآية ٨٤." [٢]

"لدخلتموه (١)». نسأل الله لنا ولسائر المسلمين التوفيق والسداد والهداية لطريق الحق والرشاد.

وفي ختام هذه الكلمة أوصي نفسي وسائر إخواني المسلمين بتقوى الله في السر والعلن والتحقق في ذلك وأن يكون ديدن الجميع طلب الحق والعمل به، وأوصى إخواني المسلمين جميعا بالتفقه في الدين وطلب العلم ليعبدوا الله على بصيرة ولينالوا الخيرية يقول صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (٢)»، فعليكم إخواني بالتفقه في دينكم وتعلم العلم الشرعي المتين المبني على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، وألا تقدموا على أمر إلا بعلم، ولا تحجموا عنه إلا بعلم، ومتى **أشكل عليكم** الأمر

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٥٦/٣٧٠

(٢) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٥٧/١٦٧

واشتبهت عليكم الطرق فعليكم بسؤال أهل العلم المعروفين باتباع الحق والعمل به امتثالا لأمر ربكم عز وجل حيث يقول سبحانه: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (٣). كما أوصي إخواني من العلماء وطلاب العلم أن يتقوا الله فيما علموا وأن يبينوا للناس ما خفي عليهم من أمر دينهم وأن يجتهدوا في طلب الحق بدلائله من الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح وينشروا ذلك بين الناس، فإن الله قد أخذ على أهل العلم الميثاق على أن يبينوا للناس ما علموا مما يحتاجون إليه وحذر من اتباع سبيل من كتمه ويشتري به ثمنا قليلا، فقال سبحانه:

---

(١) صحيح البخاري الأدب (٦١٣٠)، صحيح مسلم فضائل الصحابة (٢٤٤٠)، سنن أبو داود الأدب (٤٩٣١)، سنن ابن ماجه النكاح (١٩٨٢)، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ٢٣٤).

(٢) صحيح البخاري العلم (٧١)، صحيح مسلم الإمارة (١٠٣٧)، سنن ابن ماجه المقدمة (٢٢١)، مسند أحمد بن حنبل (٤/ ٩٣)، موطأ مالك كتاب الجامع (١٦٦٧)، سنن الدارمي المقدمة (٢٢٦).

(٣) سورة النحل الآية ٤٣." [١]

"ومن المعلوم أن ترقي الطب الحديث له أثره الأكبر في هذه الأمور، كما هو معلوم مشاهد، والشارع أخبر بأنه ما من داء إلا وله شفاء، وأمر بالتداوي خصوصا وعموما، فإذا تعين الدواء وحصول المنفعة بأخذ جزء من هذا، ووضعه في الآخر، من غير ضرر يلحق المأخوذ منه – فهو داخل فيما أباحه الشارع، وإن كان قبل ذلك، وقبل ارتقاء الطب فيه ضرر أو خطر، فيراعى كل وقت بحسبه؛ ولهذا نجيب عن كلام أهل العلم القائلين: بأن الأصل في أجزاء الآدمي تحريم أخذها، وتحريم التمثيل بها، فيقال: هذا يوم كان ذلك خطرا أو ضررا، أو ربما أدى إلى الهلاك، وذلك أيضا في الحالة التي ينتهك فيها بدن الآدمي وتنتهك حرمته، فأما في هذا الوقت، فالأمران مفقودان: الضرر مفقود، وانتهاك الحرمة مفقود، فإن الإنسان قد رضي كل الرضا بذلك، واختاره مطمئنا مختارا، لا ضرر عليه، ولا يسقط شيء من حرمته، والشارع إنما أمر باحترام الآدمي تشريفا له وتكريما، والحالة الحاضرة غير الحالة الغابرة.

ونحن إنما أجزنا ذلك إذا كان المتولي طبيبا ماهرا، وقد وجدت تجارب عديدة للنفع وعدم الضرر، فبهذا يزول المحذور.

ومما يؤيد ذلك ما قاله غير واحد من أهل العلم، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم: أنه إذا أشكل

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية مجموعة من المؤلفين ٤٣/٦٠

عليك شيء، هل هو حلال أم حرام، أو مأمور به أو منهي عنه؛ فانظر إلى أسبابه الموجبة وآثاره ونتائجه الحاصلة، فإذا كانت منافع ومصالح وخيرات وثمراتها طيبة، كان من قسم المباح أو المأمور به، وإذا كان بالعكس، كانت بعكس ذلك.

طبق هذه المسألة على هذا الأصل، وانظر أسبابها وثمراتها، تجدها." (١)

"جسيم، فإن **أشكل عليك** شيء فسفرك إلى المغرب في طلبه غير كثير، واعتبر لنفسك حيث قلت لي فيما مضى: إن هذا هو الحق الذي لا شك فيه لكن لا نقدر على تغييره، وتكلمت بكلام حسن، فلما غربلك (١) الله بولد المويس ولبس عليك، وكتب لأهل الوشم يستهزئ بالتوحيد، ويزعم أنه بدعة، وأنه خرج من خراسان ويسب دين الله ورسوله لم تفطن لجهله وعظم ذنبه وظننت أن كلامي فيه من باب الانتصار للنفس، وكلامي هذا لا يغيرك فإن مرادي أن تفهم أن الخطب جسيم، وأن أكابر أهل العلم يتعلمون هذا ويغلطون فيه فضلا عنا وعن أمثالنا فلعله إن **أشكل عليك** تواجهني.

هذا إن عرفت أنه حق وإن كنت إذا نقلت لك عبارات العلماء عرفت أني لم أفهم معناها وأن الذي نقلت لك كلامهم أخطئوا، وأنهم خالفهم أحد من أهل العلم فنبهني على الحق وأرجع إليه إن شاء الله تعالى» (٢).

كما رد الشيخ عبد الله بن الإمام محمد على كثير من هذه المزاعم: قائلا: «وأما ما يكذب علينا: سترا للحق، وتلبيسا على الخلق.

بأنا نفسر القرآن برأينا، ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا، من دون مراجعة شرح، ولا معول على شيء.

وأنا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا: النبي رمة في قبره، وعصا أحدنا أنفع له منه، وليس له شفاعة، وأن زيارته غير مرغوبة، وأنه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله، حتى أنزل عليه فاعلم أنه لا إله إلا الله، مع كون الآية مدنية.

وأنا لا نعتمد على أقوال العلماء.

ونتلف مؤلفات أهل المذاهب، لكون فيها الحق والباطل.

وأنا مجسمة.

وأنا نكفر الناس على الإطلاق أهل زماننا، ومن بعد الستمائة، إلا من هو على ما نحن عليه.

---

(١) أبحاث هيئة كبار العلماء مجموعة من المؤلفين ٢/٧٣

(١) أي: ابتلاك.

(٢) الرسائل الشخصية (٦٢ - ٦٦) .." [١]

"وجه الخصوص، لا لأنه أبو هريرة؛ بل لما يحمله من العلم والدين الذي بلغنا بواسطته، هذا هو السبب الذي يجعل أبا هريرة موضع لسهام الأعداء.

يقول: "حب الصحابة" الصحابة جمع صحابي، والصحب جمع صاحب، كركب جمع راكب، والصحابة جمع صحابي.

حبهم "كلهم" يعني بدون استثناء، والمراد بالصحابي: من رأى النبي -عليه الصلاة والسلام- مؤمنا به ومات على ذلك، مات على الإيمان، مؤمنا ليخرج بذلك المنافق الذي رأى النبي -عليه الصلاة والسلام-، وهو لا يؤمن به، والمراد بالإيمان الإيمان القلبي، والدعوة المجرد باللسان لا تنفع ولا تفيد، ولذا صار حكم المنافقين في الدرك الأسفل من النار -نسأل الله السلامة والعافية-، ولو شهدوا أن لا إله إلا الله مع الناس، ولو صلوا مع الناس، ولو حضروا مجالس النبي -عليه الصلاة والسلام-.

حب الصحابة كلهم لي مذهب ... .

قدم الناظم الصحابة من باب الاعتراف بحقهم وفضلهم، وقلنا: أن لو تصورنا إن الصحابة ما وجدوا، أو ما وجد منهم من يحمل هذا العلم والدين كيف يكون حال من بعدهم؟ إذا كانت الأمة بأمس الحاجة إلى العلم وإلى أهل العلم في أواخر عصورها، فكيف بمن كان الواسطة بين الأمة وبين نبيها -عليه الصلاة والسلام-؟، تصور نفسك في بلد ليس فيه من تستفتيه إذا **أشكل عليك** شيء، أقول: تصور نفسك في بلد ليس فيه من يستفتى **وأشكل عليك** مشكلة في دينك؟." [٢]

"وجوب إثبات اللفظ والإيمان بأن له معنى

تقدم الكلام على جزء من هذا المقطع، وقلنا: إن نصوص الكتاب تنقسم إلى قسمين من حيث الدلالة: ما هو واضح الدلالة، وما هو خفي الدلالة، فواضح الدلالة الذي لا يحتمل إلا معنى واحدا هو المحكم، وأما ما خفيت دلالته أو احتمل أكثر من معنى فإنه المتشابه، والواجب في المحكم الإيمان به والعمل، والواجب في المتشابه الإيمان به ورد معناه إلى ما دل عليه المحكم، وهذا هو سبيل الراسخين في العلم.

يقول رحمه الله: (وما أشكل من ذلك) أي: ما وقع فيه إشكال، كأن اشتبه في دلالته ومعناه، ومن ذلك

---

(١) إسلامية لا وهابية ناصر العقل ص/١٧٧

(٢) شرح لامية شيخ الإسلام عبد الكريم الخضير ١/٢٥

آيات الصفات، فإن البحث هنا فيها بالذات والخصوص، أما من حيث الأصل فإنه يشمل البحث في آيات الصفات وفي غيرها.

يقول رحمه الله: (وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظا) وهذا لا إشكال فيه، فإنه لا يمكن أن يلغي أحد شيئا من كتاب الله عز وجل، ولا من سنة النبي صلى الله عليه وسلم إذا ثبتت وصحت، لكن البحث في المعنى فيقول: (وجب إثباته لفظا وترك التعرض لمعناه) أي: وجب إثبات اللفظ، وأما المعنى: فيجب ترك التعرض له، بمعنى: أن نعرض عن قول شيء لم يتبين لنا فيه حجة أو برهان، فلا نقول في آيات الله، ولا فيما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أنفسنا أو آرائنا، بل ما أشكل علينا إذا أمكن أن نرده إلى المحكم فذاك المطلوب، وهذا الذي ينبغي أن يكون.

وإذا لم نتمكن من ترجيح شيء في معنى هذا المشكل فالواجب ألا نقول فيه شيئا ليس لنا فيه حجة، وليس لنا فيه برهان، بل نقف ونقول: الله أعلم بمراده.

فمعنى قول المؤلف رحمه الله: (وترك التعرض لمعناه) أي: يجب علينا أن نقف في المعنى، وليس مقصود المؤلف ومعنى كلامه أننا نقول: إنه ليس له معنى، إذ ليس في كلام الله عز وجل ما لا معنى له، بل كل كلام الله عز وجل له معنى؛ لأن الله عز وجل خاطبنا بلسان عربي مبين، يدرك معناه، ويعرف مبتغاه، لكن إذا اشتبه علينا شيء من المعنى وجب علينا الوقوف في تحديد المعنى.

إذا: ما أشكل من الآيات، وما أشكل من الأحاديث فلم نفهم المعنى، فيجب علينا إثبات اللفظ الذي جاء به النص، وأما معنى هذا النص فالواجب علينا أن نتوقف فيه حتى يأتينا برهان أو حجة، ونستطيع من خلالها أن نقول: إن معنى الآية كذا وكذا، وهذا هو معنى قول المؤلف رحمه الله: (وجب إثبات لفظه، وترك التعرض لمعناه) .

وبعض الناس يظن أن المؤلف رحمه الله أراد بقوله: (وترك التعرض لمعناه) أي: أنه ليس له معنى، وهذا يأباه سياق الكلام، فإن المؤلف رحمه الله يتكلم عن الآيات المشكلة، وإنما جاء الإشكال لكون المعنى فيها غير واضح، فهو لم يقل: ليس لها معنى، أو أنها كلام لا يقصد منه شيء، إنما أراد المؤلف أن الواجب في المشتبه من المعاني إذا لم يتبين معناه التوقف.

إذا: إذا أشكل عليك شيء من كلام الله ومن كلام رسوله. فما هو الطريق الذي تسلكه؟ الطريق الذي تسلكه: أن تطلب حل هذا الإشكال من كلام الله ومن كلام رسوله، فإن وفقت إلى ذلك فالحمد لله، وهذا المطلوب والمبتغى، وإذا حيل بينك وبين هذا ولم تتوصل إلى المعنى فعند ذلك تثبت أن الكلام له

معنى؛ لأن الله خاطبنا بما له معنى، ثم تقول: الله أعلم بمراده.

كما سيأتي في كلام الشافعي رحمه الله الذي نقله المؤلف: (ليس في كلام الله ولا في كلام رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا معنى له) ، ومن قال: إن آيات الصفات لا معنى لها، أو أن كلها معناها لا نعلمه؛ فقد بخس القرآن حقه، وجنى على النصوص) ، وهو ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله في قوله: فالجحد والإعراض والتأويل والتـ جهيل حظ النفس عند الجاني التجهيل: أي: أنه ليس له معنى، هذا معنى قوله رحمه الله.

فكل من أعرض عن الكتاب، وجحد ما جاءت به النصوص من الصفات وكل من أول وحرف كلام الله عن مواضعه وكل مـن قال: إن النصوص ليس لها معنى، أو أن لها معنى لا نعلمه في جميع مواردها؛ فإنه قد جنى على النصوص؛ فكل هذا من أنواع الجنايات على كلام الله وكلام رسوله.." (١)

"يقول: نصت الأنظمة بأن دوام الموظفين يبدأ من السابعة والنصف إلى الثانية والنصف، ولكن العرف الآن في جميع الوزارات بأن الدوام من ثمان إلى ثنتين، فهل يلحق الذمة شيء من الإثم إذا كنا نذهب إلى الدوام الثامنة ونخرج الثانية، وهل في هذا مخالفة لما نص القرار عليه؟

على كل حال إذا كان هذا إجماع جميع الدوائر، وجميع المسؤولين لا يحضرون إلا في الثامنة، وينصرفون في الثانية فأنت واحد منهم، وقد ينسخ القول بالفعل، وإذا وجد من يطبق النظام فلتكن أول من يبادر إلى تطبيقه؛ لأنك أجير، واستؤجرت في هذه المدة، لكن إذا كانوا كلهم بما فيهم المسؤولين عن تطبيق النظام لا يداومون إلا في الثامنة وينصرفون في الثانية فأنت واحد منهم.

ما حكم استخدام الدف يوم العقد مع العلم بأن الدخول سوف يكون بعد أشهر؟

الدف إنما يستعمل في العرس فقط.

يقول: بم تنصحون من أراد أن يحفظ كتاب التوحيد هل يكتفي بالأدلة دون المسائل أم يحفظ المسائل؟

من أراد أن يحفظ كتابا فليحفظه بجميع ما فيه، بجميع ما فيه، حتى لو قدر أن فيه خطأ يحفظ الخطأ، ويودع في نفسه أن هذا خطأ، وأن الصواب كذا؛ ليصح أنه حفظ الكتاب الفلاني، كثيرا من يأتي من الإخوان يقول: أنا أريد أحفظ البلوغ، لكن التخريج صعب، أنا أريد أحفظ المتون.

بس لا تقول: حفظت البلوغ، أنت ما صدقت حينما تقول حفظت البلوغ، وأنت ما حفظته برمته.

ما الأفضل عند المتابعة في الدروس، هل عن طريق الشرح أم المتن، وجزاكم الله خيرا؟

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد لخالد المصلح خالد المصلح ٤/٢

إذا كان المتن متميز، بمعنى أنه يمكن الوقوف عليه بسهولة، مطبوع مع الشرح ومتميز عن الشرح، فأنت تتابع في المتن وإذا أشكل عليك شيء تراجع الشرح فإحضار الشرح طيب، وإذا كان المتن ممزوج مع الشرح فلتحضر المتن؛ لأنه المعول عليه، إذا كان المتن بارزا يمكن المتابعة فيه من غير مشقة ولا تشتت مع الشرح فليحضر الشرح، وإذا كان الشرح ممزوجا والمتن بين أقواس فإن مثل هذا عليه أن يحضر المتن. ما الشرح الذي أبدأ به؟." (١)

"في الأشياء اليسيرة القليلة هو من باب الابتعاد عن الشبهة، فكان بعيدا عن الشبهات احتياطا لدينه. وذلك أن الأمور ثلاثة كما قال هو بنفسه:

١- أمر استبان رشده فاتبعه.

٢- وأمر تبين خطؤه فاجتنبه.

٣- وأمر أشكل عليك فتوقف عنه١.

ومن المهم الإشارة إلى أن شيخ الإسلام قد بين أن الغلط يقع في الورع من ثلاث جهات:

١- أحدها: اعتقاد كثير من الناس أن الورع من باب الترك، فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام، لا في أداء الواجب، وهذا يبتلي به كثير من المتدينة المتورعة، ترى أحدهم يتورع عن الدرهم فيه شبهة: لكونه من مال ظالم أو معاملة فاسدة، ويتورع عن الركون إلى الظلمة من أجل البدع في الدين، وذوي الفجور في الدنيا، ومع هذا يترك أمورا واجبة عليه إما عينا وإما كفاية وقد تعينت عليه من صلة رحم، وحق جار، ومسكين، وصاحب، ويتيم، وابن سبيل، وحق مسلم وذي سلطان، وذي علم، وعن أمر بمعروف ونهي عن منكر، وعن الجهاد في سبيل الله، إلى غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم مما وجب عليه، أو يفعل ذلك لا على وجه العبادة لله تعالى بل جهة التكليف ونحو ذلك.

---

١ ابن عبد ربه العقد الفريد ٣٩٧/٤.." (٢)

"غير أنه يبين من هم الذين لم تقم عليهم الحجة فيقول: "إن الذي لم تقم عليه الحجة، هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أويكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه فان حجة الله هي القرآن فمن

---

(١) شرح كتاب التوحيد - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٣/٢

(٢) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة حياة بن محمد بن جبريل ١٦٦/١

بلغه القرآن فقد بلغته الحجة".

ويفرق الشيخ بين قيام الحجة وفهمها في جوابه لبعض من أشكل عليهم هل قامت الحجة على من بلغه القرآن أولا؟ فيقول: "ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فان أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم كما قال تعالى: ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ (الفرقان: ٤٤) ، وقيام الحجة، وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم (هو) ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها.

ويقول الشيخ: إن **أشكل عليكم** ذلك فانظروا قوله صلى الله عليه وسلم في الخوارج: "أينما لقيتموهم فاقتلوهم" وقوله: "شر قتلى تحت أديم السماء" ١.

---

١ الدرر السنية، ج ص ٩٠-٩١.

وانظر صحيح البخاري، ج٨ ص ٥٢ ك ٨٨/ ب ٦ وفيه: "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة". وفي سنن ابن ماجة ج١ ص ٦٢، المقدمة باب ١٢ ولفظه حدثنا سهل بن أبي سهل ثنا سفيان بن عيينة، عن أبي غالب، عن أبى أمامة يقول: "شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتيل من قتلوا، كلاب أهل النار ... قلت: يا أبا أمامة! هذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم".

قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات بعد أن أورده مطولا عما في ابن ماجة، مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٣٣-٢٣٤.

وفي مجمع الزوائد للهيثمي أيضا " ... فاقتلوهم هم شر البرية" قال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

وفي صحيح البخاري ج٨ ص ٥١ ك ٨٨/ ب ٦ قال البخاري: "وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين".

قال الحافظ ابن حجر في الفتح، وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار، وقال سنده صحيح.

وقال أيضا وقد ثبت في الحديث الصحيح المرفوع عن مسلم من حديث أبي ذر في وصف الخوارج "هم شرار الخلق والخليقة".

وعند أحمد بسند جيد عن أنس مرفوعا مثله، وعند البزارمن طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخوارج فقال: هم شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي. وسنده حسن. وعند

الطبراني من هذا الوجه مرفوعا هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وفي حديث أبي سعيد عند أحمد "هم شر البرية".

وفي رواية عبد الله بن أبي رافع عن علي عند مسلم "من أبغض خلق الله إليه".

وفي حديث عبد الله بن خباب يعنى عن أبيه عند الطبراني "شر قتلى أظلتهم السماء وأقلتهم الأرض". وفي حديث أبي أمامة نحوه وعند أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي برزه مرفوعا في ذكر الخوارج "شر الخلق والخليقة يقر لها ثلاثا".

وعند ابن أبي شيبة من طريق عمير بن إسحق عن أبي هريرة "هم شر الخلق".

قال الحافظ ابن حجر: "هم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين" انظر: فتح الباري ج١٢ باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ص ٢٨٣-٢٨٦.." [١]

"الضابط السادس: ما **أشكل عليك**؛ فكله إلى عالمه

قال تعالى: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ الآية: [النساء: ٨٣] وفي الخبر: "إنما شفاء العي السؤال"، وقال أبو حامد الغزالي -رحمه الله تعالى-: "لو سكت من لا يعرف؛ قل الاختلاف، ومن قصر باعه، وضاق نظره عن كلام علماء الأمة والاطلاع؛ فما له وللتكلم فيما لا يدريه، والدخول فيما لا يعنيه؟! وحق مثل هذا أن يلزم السكوت" (١).

قال بعض السلف: "الأمور ثلاثة: أمر استبان رشده فاتبعه، وأمر استبان غيه فاجتنبه، وأمر **أشكل عليك**، فكله إلى عالمه".

وقال الحسن عند قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ [البقرة: ١٢١]: "يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه " (٢)،

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: "ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه، ونؤمن بمتشابهه" (٣).

وارمتشابه من الحديث: ما يفتقر -للوصول إلى معناه المراد منه- إلى غيره، والمحكم: هو الذي لا يحتاج -للوقوف على معناه المراد منه- إلى غيره.

---

(١) انظر: "الحاوي" (٢/ ١١٦).

---

(١) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي صالح بن عبد الله العبود ٣٣٣/١

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٧/ ٣٨٦).

(٣) "الرسالة التدمرية" ص (٩٦).." [(١)]

"الخاتمة

وفي ختام هذه الرسالة أوصي نفسي وسائر إخواني المسلمين بتقوى الله في السر والعلن، والتحقق في ذلك، وأن يكون ديدن الجميع طلب الحق والعمل به، وأوصي إخواني المسلمين جميعا بالتفقه في الدين، وطلب العلم؛ ليعبدوا الله على بصيرة، ولينالوا الخيرية، يقول - صلى الله عليه وسلم -: «من يرد الله به خيرا يفقه في الدين (١) »

فعليكم إخواني بالتفقه في دينكم، وتعلم العلم الشرعي المتين، المبني على الكتاب، والسنة، وفهم السلف الصالح، وألا تقدموا على أمر إلا بعلم، ولا تحجموا عنه إلا بعلم، ومتى **أشكل عليكم** الأمر واشتبهت عليكم الطرق، فعليكم بسؤال أهل العلم

---

(١) [صحيح البخاري] (٤ \ ٤٩) و (٨ \ ١٤٩) ، [صحيح مسلم] (٢ \ ٧١٩) رقم الحديث (١٠٣٧)." [(٢)]

"فأسكن. ويقال: ماه قاله وماه قالته، يريدون: ما هو وما هي؛ وأنشد:

دار لسلمى إذه من هواكا

فحذف ياء هي. الفراء: يقال إنه لهو أو الحذل عنى اثنين، وإنهم لهم أو الحرة دبيبا، يقال هذا إذا **أشكل عليك** الشيء فظننت الشخص شخصين. الأزهري: ومن العرب من يشدد الواو من هو والياء من هي؛ قال:

ألا هي ألا هي فدعها، فإنما تمنيك ما لا تستطيع غروز (((١))) .

معجم المصطلحات البلاغية في لسان العرب

أ -

الابتداء :

الاستئناف: الابتداء ، وكذلك الائتناف (((٢))) ، وينظر : (براعة الاستهلال)

الإبداع :

---

(١) فقه أشراط الساعة محمد إسماعيل المقدم ص/٢٨٦

(٢) حقيقة شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ص/١٢١

فلان بدع في هذا الأمر أي أول لم يسبقه أحد. ويقال: ما هو مني ببدع وبديع ، قال الأحوص : فخرت فانتمت فقلت: انظريني ليس جهل أتيته ببديع (((٣))) .

الإبدال :

---

(١) لسان العرب (ها) .

(٢) لسان العرب (أنف) .

(٣) لسان العرب (بدع) .." [١]

"فاتقوا): الفاء واقعة في جواب الشرط، (اتقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، يعني عندهم قاعد يقولون: فعل الأمر يبنى على ما يجزم به مضارعه، قاعدة دي، إذا **أشكل عليك** فعل الأمر مبني على ماذا؟ رجعه إلى المضارع وانظر بما يبنى فهو بناء الأمر، (فاتقوا) المضارع (يتقون)، لو دخلنا عليه جازما: (لم يتقوا)، إذن مجزوم بحذف النون، إذن هو الآن مبني على حذف النون، و(الواو): واو الجماعة، والجملة في محل جزم جواب الشرط، مرت علينا أمس.." [٢]

"هذه العلامات التي يعرف بها الاسم ليس المراد منها أنها تأتي مجتمعة ، فإنه لا يمكن اجتماعها بحال ، قد يجتمع عدد كبير منها ، لكنها جميعا لا تجتمع ، ومن العلامات التي لا يمكن أن تجتمع التنوين والألف واللام ، فإن التنوين لا يمكن أن يجتمع مع الإضافة ، ولا يمكن أن يجتمع مع الألف واللام ، فأنت حينما تقول: هذا طالب، يكون كلمة طالب اسما ؛ لأنه دخلها التنوين ، فإذا أدخلت عليها الألف واللام قلت: هذا الطالب يذهب التنوين، ولا يجتمع مع الألف واللام.

فالحاصل أن هذه العلامات يكفي علامة واحدة منها فقط في أي كلمة ؛ لنعرف منها أن هذه العلامة اسم ، إذا جاء معك كلمة، واشتبه عليك هل هي اسم، أو فعل؟ وهذا يكون كثيرا في بعض أسماء الأفعال وفي بعض المصادر، فإن بعض المبتدئين يلتبس عليه هل هذه الكلمة اسم، أو فعل؟

وكثيرا ما نرى في كتابات بعض الطلاب في الاختبارات حينما يأتي معه بعض المصادر ، أو بعض أسماء الأفعال يحكم عليها بأنها فعل.

إذا **أشكل عليك** كلمة من الكلمات فحاول أن تطبق عليها هذه العلامات ، وهذه العلامات ما وضعت

---

(١) البحث العروضي والبلاغي في لسان العرب مع معجم بمصطلحات العروض والبلاغة، المؤلف غير معروف ص/١٢٠

(٢) شرح مختصر قواعد الإعراب، المؤلف غير معروف ص/٣٠

في الأصل إلا لكي تفرق بها، أو بواسطتها بين الأفعال والحروف ، فأي كلمة طبقت عليها هذه العلامات، وقبلت واحدة منها فاحكم عليها بأنها اسم وأنت مطمئن حينئذ، حتى ولو لم تكن مقتنعا من ذلك.
حروف الخفض وحروف الجر عدها وذكر منها: من ، وإلى ، وعن ، وعلى ، وفي ، ورب والباء ، والكاف ، واللام ، ثم حروف القسم وهي: الواو ، والباء ، والتاء.
والواقع أن هذه بعض حروف الجر ، وليست حروف الجر ، حروف الجر حينما يتحدث عنها العلماء بالتفصيل في باب حروف الجر يوصلونها إلى عشرين حرفا ، والذي ذكره المؤلف منها هو المشهور والمتفق عليه.." (١)

"مستطار، والحق أن الحذف في مثله ليس بمطرد، فلا يقال: اسطال يسطيل واسطاب يسطيب، وآءة في الاصل أوأة، لان سيبويه قال: إذا **أشكل عليك** الالف في موضع العين فأحمله على الواو، لان الاجوف الواوى أكثر فتصغيرها أويأة، فقوله: مستئاء في الاصل مستأوو قوله " على أصله " يعنى حذفه في الفرع ما حذف في الاصل قياسا وإن لم يثبت في الفرع علة الحذف، فحذفت التاء في مسئاء كما حذفت في مسطار، لاجتماع التاء والطاء، والاولى - كما قلنا - أن حذف التاء في مسطاع ليس بقياس، فلا يحذف في مستطاب ولا مستطيل ونحوهما، وآءة نبت على وزن عاعة، وهو من باب سلس وقلق، وهو باب قليل وخاصة إذا كان الاول والاخر همزة مع ثقلها، ومثلها أجاء والاءة وأشاءة عند سيبويه، وحمل على ذلك أنه لم يسمع الآية وأشاية، وقل ألاوة وأشاوة كعباية وسقاوة، وقالوا في أباءة، وهى الاجمة: إن أصلها أباية وإن لم يسمع، لان فيها معنى الاباء لامتناعها بما
ينبت فيها من القصب وغيره من السلوك، وليس في أشاءة وألاءه مثل هذا الاشتقاق قوله " وعلى الاكثر " أي على القول الاكثر، وهو أنه لا يحذف ولا يزاد في الفرع إلا إذا ثبتت علته، ولو كان مسطار مفعالا من السطر لقلت من آءة مؤواء قال: " وسأل ابن جنى ابن خالويه عن مثل كوكب من وأيت مخففا مجموعا جمع السلامة مضافا إلى ياء المتكلم فتحير أيضا فقال ابن جنى: أوى "

---

(١) الالاءة - مثل سحابة - واحدة الالاء - كسحاب - وهو شجر مر (٢) الاشاءة - مثل سحابة -

---

(١) شرح متن الآجرومية، المؤلف غير معروف ص/١١

واحدة الاشاء، وهو صغار النخل، قال ابن القطاع، همزته أصلية، عن سيبويه.
وتوهم الجوهرى أنها مبدلة فأتى بها في المعتل (*)."[1]

"بأو، لا يمكن أن يكون بعد السؤال بأم، لأنك في (أم) عالم بوجود أحدهما عنده، فكيف تسأل عما تعلم، وتقول: أزيد أفضل أم عمرو، أي: أيهما أفضل من الآخر، ففيه ذكر المفصول معنى، ولو قلت: أزيد أفضل أو عمرو، لم يجز، الا إذا كان المفضول معلوما للمخاطب، إذ المعنى: أأحدهما أفضل، وذلك إنما يكون إذا قال لك، مثلا، شخص: عندي رجل أفضل من بكر، ثم حضر زيد وعمرو، فتقول: أزيد، أو عمرو أفضل، أي: أأحدهما أفضل من بكر، وحيث **أشكل عليك** الأمر في (أو) و (أم) المتصلة، فقدر (أو)، ب (أحدهما) و (أم) ب (أيهما)، تقول: الحسن أو الحسين أفضل، أم بن الحنفية ١، والمراد: أأحدهما أفضل من ابن الحنفية أم ابن الحنفية أفضل من أحدهما، والمعنى: أيهما أفضل من أحدهما وابن الحنفية، والجواب: أحدهما، قوله: (ومن ثم لم يجز: أرأيت زيدا أم عمرا)، أي لأنه لم يلهما المستويان إذ أحدهما فعل والآخر اسم، وقد تقدم أن سيبويه قال: إن مثل هذا جائز حسن إلا أن نحو: أزيدا رأيت أم عمرا، أحسن وأولى، قوله: (ومن ثم كان جوابها: التعيين)، أي لكونها لطلب التعيين،

---

(١) هو أخو الحسن والحسين، وأمه من بني حنيفة، تزوجها سيدنا علي رضي الله عنه بعد موت السيدة فاطمة الزهراء، رضي الله عنهم جميعا (*)."[2]

"إذا **أشكل عليك** كلمة من الكلمات فحاول أن تطبق عليها هذه العلامات، وهذه العلامات ما وضعت في الأصل إلا لكي تفرق بها، أو بواسطتها بين الأفعال والحروف، فأي كلمة طبقت عليها هذه العلامات، وقبلت واحدة منها فاحكم عليها بأنها اسم وأنت مطمئن حينئذ، حتى ولو لم تكن مقتنعا من ذلك.

حروف الخفض وحروف الجر عدها وذكر منها: من، وإلى، وعن، وعلى، وفي، ورب والباء، والكاف، واللام، ثم حروف القسم وهي: الواو، والباء، والتاء.

والواقع أن هذه بعض حروف الجر، وليست حروف الجر، حروف الجر حينما يتحدث عنها العلماء بالتفصيل في باب حروف الجر يوصلونها إلى عشرين حرفا، والذي ذكره المؤلف منها هو المشهور والمتفق

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب، المؤلف غير معروف ٣٠٢/٣

(٢) شرح الرضي على الكافية، المؤلف غير معروف ٤١٥/٤

عليه.

حروف الجر لا نريد هنا أن نسترسل في المعاني، أو في معانيها ؛ لأن بعضها له عشرة معان، وبعضها له اثنا عشر معنى، وما إلى ذلك، فلا نريد أن نفصل فيها، أولها: "من" ومن المشهور فيها، المشهور في معانيها أنها تأتي لابتداء الغاية، وهو من أشهر معانيها. و"إلى" تأتي لانتهاء الغاية، وهو من أشهر معانيها. طبعا ابتداء الغاية، وانتهاء الغاية كما إذا قلت: خرجت من البيت إلى المسجد، فبداية الخروج البيت ونهايته المسجد. و"عن" ويراد بها المجاوزة كما إذا قلت: رميت عن القوس، رميت السهم عن القوس؛ فالسهم حينئذ جاوز القوس فسميت بالمجاوزة. و"على" لها عدة معان أشهرها، أو معناها الأصلي هو: الاستعلاء، وضعت الكأس على المنضدة أي: فوق المنضدة. و"في" ولها عدة معان -أيضا-، وأشهر معانيها هو الظرفية: جلسنا في المسجد، أي: في داخل المسجد. و"رب" ولها معان: من أشهر معانيها: التقليل، وأيضا ضده: وهو التكثير حسب السياق.." (١)

"٣ – وجاء فى نهج البلاغة أن علي بن أبي طالب قال : (وسيهلك في صنفان : محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق ، وخير الناس في حالا النمط الأوسط فالزموه ، والزموا السواد الأعظم بأن يد الله على الجماعة ، وإياكم وا لفرقة) [٥١].

٤ – وجاء في نهج البلاغة – ما يخالف ، اعتقادهم في عصمة الأئمة – حيث قال أمير المؤمنين –كما يروي صاحب النهج : (لا تخالطوني بالمصانعة ، ولاتظنوا بي استثقالا في حق قيل لي ، ولا التماس إعظام النفس، بأنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه ، كان العمل بهما أثقل عليه ، فلا تكفوا عن مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي)[٥٢].

وفي نهج البلاغة أيضا كان علي رضي الله عنه يوصي ابنه الحسن رضي الله عنه حيث قال : (..... فإن **أشكل عليك** من ذلك فاحمله على جهالتك به فإنك أول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك)(نهج البلاغة شرح محمد عبده ٥٧٨/٢ ط مؤسسة المعارف بيروت) فهذا علي لاينفي عن نفسه الخطأ فكيف يقول علماؤهم لايجوز على الأئمة الخطأ والسهو والنسيان ؟.

وكان علي رضي الله عنه يناجي ربه بهذا الدعاء – كما يروي صاحب النهج (اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني فإن عدت فعد علي بالمغفرة ، اللهم اغفر لي ما وأيت[٥٣] من نفسي ولم تجد له وفاء عندي ،

---

(١) شرح الآجرومية لمحمد خالد الفاضل، المؤلف غير معروف ص/١١

اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه قلبي ، اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ وسقطات الألفاظ وسهوات الجنان وهفوات اللسان [٥٤].

فهذا علي يدعوا الله بأن يغفر ذنوبه من السهو وغيره، فهل هذا ينافي العصمة ؟!.." (١)

" فإن سكن ما قبلها وهي طرف لم تثبتها على كل حال وذلك نحو جزء وهدء وخبء ونسء وركاء وداء

فإن سكن ما قبل الطرف وأضيفت الكلمة إلى مضمر كتبت في الرفع واوا وفي الجر ياء وذلك نحو هذا جزؤك وجزؤه وعجبت من جزئك وجزئه

وبعد فكل همزة **أشكل عليك** أمرها فاكتبها على مذهب أهل ." (٢)

"مسلمة ففي الاستيعاب لابن عبد البر أنه كان ممن اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين وقال حذيفة في حقه إني لأعرف رجلا لا تضره الفتنة فذكره وصرح بسماع ذلك من النبي - صلى الله عليه وسلم - أخرجه البغوي وغيره وأخرج ابن شاهين من طريق هشام عن الحسن أن محمد بن مسلمة قال أعطاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيفا فقال قاتل المشركين ما قوتلوا فإذا رأيت أمتي يضرب بعضهم بعضا فأت به أحدا فأضربه حتى ينكسر ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو نية قاضية ففعل.
قال الحافظ: رجال هذا السند ثقات إلا أن الحسن لم يسمع من محمد بن مسلمة (فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ قال فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك) تقدم في ذم العجب (وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولاتقف ما ليس لك به علم وقوله - صلى الله عليه وسلم - إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة بزيادة ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا الحديث وقد تقدم.

---

(١) تأملات في كتاب نهج البلاغة، المؤلف غير معروف ص/١٥

(٢) الألفاظ المهموزة وعقود الهمز، المؤلف غير معروف ص/٦٣

٣٨٦٠ - (قال عيسى عليه السلام الأمور ثلاث أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى عالمه).

قال العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن عباس بسند ضعيف

٣٨٦٠/أ - (وقد كان من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم).

قال العراقي: لم أجده.." [١]

"بخلاف "قطا" (جمع "قطاة") و"مها" (جمع "مهاة") فإن جمعهما: "قطوات" و"مهوات".

أوانقلابها ياءفى صفة المؤنث على "فعلاء"، نحو "اللمى" (١) و"الظمى" (٢)، فإنك تقول في وصف الأنثى من ذلك: "امرأة لمباء" (٣) (مؤنثة "الالمى")، و"شفة ظمياء" (٤)، بخلاف "العشا" (٥)، فإن صفة الأنثى منه: "عشواء" (مؤنثة "الأعشى").

وثانيهما: الإمالة، أي إضجاع فتحة ما قبل الألف إلى الكسرة فتكون حركته بين بين، أي بين الفتحة والكسرة، ولا تقل بين البينين كما تقوله العوام.

ولهذا قال في "أدب الكاتب": "إذا أشكل عليك من هذا الباب حرف، ولم تعلم أصله، ولا تثنيته فرأيت الإمالة فيه أحسن فاكتبه بالياء، وإن لم تحسن فأكتبه بالألف حتى تعلم أصله" انتهى (٦).

[٢ - في الأفعال "أحد أمرين"]:

وأما اللذان يعرف بأحدهما كون الفعل يائيا:

فأولهم١: انقلاب الألف ياء في مصدره، نحو "سعى يسعى"، فإن مصدره "السعى"، بخلاف "محا" و"سها" و"عفا"، فإن مصدرها "المحو" و"السهو" و"العفو".

---

(١) اللمى: سمرة الشفتين واللثات، واللمى لغة في اللمى "لسان العرب- لمى".

(٢) الظمى: قلة دم اللثة ولحمها "اللسان"- ظما.

(٣) امرأة لمياء: بينة اللمى. ويقال: رجل ألمى "اللسان- لمى".

---

(١) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، الزبيدي، مرتضى ٦/٢٤٤٠

(٤) شفة ظمياء: ليست بوارمة كثيرة الدم ويحمد ظماها، وشفة ظمياء: بينة الظمى إذا كان فيها سمرة وذبول "اللسان- ظما".

(٥) العشا: "مقصور": سوء البصر بالليل والنهار، ويكون في الناس والدواب والأبل والطير، وقيل: هو ألا يبصر بالليل "اللسان- عشا".

(٦) أدب الكاتب ص ١٧٩.." [١]

"أشهر [سورة الطلاق آية: ٤]. فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة حتى قال الظاهرية: بأن الآيسة لا عدة عليها، إذا لم ترتب (أي تشك) وقد بين ذلك سبب النزول، وهو أنه لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن: الصغار والكبار فنزلت». أخرجه الحاكم بن أبي، فعلم بذلك أن الآية خطاب لمن لم يعلم حكمهن في العدة، وارتاب هل عليهن عدة أو لا؟

وهل عدتهن كاللاتي في سورة البقرة أو لا؟ فمعنى إن ارتبتم: إن **أشكل عليكم** حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن.

ومن ذلك قوله تعالى: فأينما تولوا فثم وجه الله [سورة البقرة آية: ١١٥] فإنا لو تركنا ومدلول اللفظ، لا قتضى أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضرا وهو خلاف الإجماع، فلما عرف سبب نزولها علم أنها في نافلة السفر أو فيمن صلى بالاجتهاد وبان له الخطأ على اختلاف الروايات في ذلك.

(ومنها) دفع توهم الحصر، قال الشافعي- ما معناه- في قوله تعالى: قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما [سورة الأنعام آية: ١٤٥]: إن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادة والمحادة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم، فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه، نازلا منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة فتقول: لا آكل اليوم إلا حلاوة، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة فكأنه تعالى قال: لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، ولم يقصد حل ما وراءه، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل، قال إمام الحرمين: وهذا في غاية الحسن، ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية.

---

(١) المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، نصر الهوريني ص/٢٤٣

المسألة الثانية: اختلف أهل الأصول: هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

والأصح عندنا الأول، وقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية، وحد القذف في رماة عائشة ثم تعدى إلى غيرهم، ومن لم يعتبر عموم اللفظ قال: خرجت هذه الآية ونحوها لدليل آخر كما قصرت آيات على أسبابها اتفاقا لدليل قام على ذلك.

قال الزمخشري «في سورة الهمزة»: يجوز أن يكون السبب خاصا، والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون ذلك جاريا مجرى التعريض.

قلت: ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع." [1]

"الحديث التسعون

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن يزحزح عن النار ، ويدخل الجنة ، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه » . رواه مسلم .

لا شك أن من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وأن هذه غاية يسعى إليها جميع المؤمنين ، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث لها سببين ، ترجع إليهما جميع الشعب والفروع ، الإيمان بالله واليوم الآخر ، المتضمن للإيمان بالأصول التي ذكرها الله بقوله :

﴿ قولوا آمنا بالله ﴾ [البقرة : ١٣٦] . ومتضمن للعمل للآخرة والاستعداد لها ؛ لأن الإيمان الصحيح يقتضي ذلك ويستلزمه ، والإحسان إلى الناس ، وأن يصل إليهم من القول والفعل والمال والمعاملة ما يحب أن يعاملوه به .

فهذا هو الميزان الصحيح للإحسان وللنصح ، فكل أمر **أشكل عليك** مما تعامل به الناس ، فانظر ، هل تحب أن يعاملوك بتلك المعاملة أم لا ؟ فإن كنت تحب ذلك ، كنت محبا لهم ما تحب لنفسك ، وإن كنت لا تحب أن يعاملوك بتلك المعاملة ، فقد ضيعت هذا الواجب العظيم (١) .

---

(١) فالجملة الأولى فيها القيام بحق الله ، والجملة الثانية فيها القيام بحق الخلق . والله أعلم .." [2]

---

(١) الحديث في علوم القرآن والحديث، حسن أيوب ص/٤٥

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، المؤلف غير معروف ص/٢٩٧

" قال أبو محمد ونحن نقول إن حديث أبي رزين هذا مختلف فيه وقد جاء من غير هذا الوجه بألفاظ تستشنع أيضا والنقلة له أعراب ووكيع بن حدس الذي روى عنه حديث حماد بن سلمة أيضا لا يعرف غير أنه قد تكلم في تفسير هذا الحديث أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا عنه أحمد بن سعيد اللحياني أنه قال العماء السحاب وهو كما ذكر في كلام العرب إن كان الحرف ممدودا وإن كان مقصورا كأنه كان في عمى فإنه أراد كان في عمى عن معرفة الناس كما تقول عميت عن هذا الأمر فأنا أعمى عنه عمى إذا **أشكل عليك** فلم تعرفه ولم تعرف جهته وكل شيء خفي عليك فهو في عمى عنك وأما قوله فوقه هواء وتحته هواء فإن قوما زادوا فيه ما فقالوا ما فوقه هواء وما تحته هواء استيحاشا من أن يكون فوقه هواء وتحته هواء ويكون بينهما والرواية هي الأولى والوحشة لا تزول بزيادة ما لأن فوق وتحت باقيان والله أعلم

(قالوا حديث في التشبيه)

قالوا رويتم أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر فوافقتم في هذه الرواية الدهرية

قال أبو محمد ونحن نقول إن العرب في الجاهلية كانت تقول أصابني الدهر في مالي بكذا ونالتني قوارع الدهر وبواثقه ومصايبه ويقول الهرم حناني الدهر فينسبون كل شيء تجري به أقدار الله ." (١)

"وكل من عاون غيره على البر والتقوى: فهو من الداعين إلى الهدى.

وكل من أعان غيره على الإثم والعدوان: فهو من الداعين إلى الضلالة . بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار .

فضل الذب عن عرض المسلم

- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة)صححه الألباني

قوله صلى الله عليه وسلم (من رد عن عرض أخيه) أي منع غيبة عن أخيه (رد الله عن وجهه النار) أي صرف الله عن وجه الراد نار جهنم . قال المناوي : أي عن ذاته العذاب وخص الوجه لأن تعذيبه أنكى في الإيلام وأشد في الهوان . تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي .

من أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة

---

(١) تأويل مختلف الحديث، المؤلف غير معروف ص/٢٢٢

- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله علي◌ِه وسلم (من أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة: فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر. وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه)مسلم.

لا شك أن من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وأن هذه غاية يسعى إليها جميع المؤمنين. فذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث لها سببين ، ترجع إليهما جميع الشعب والفروع: الإيمان بالله واليوم الآخر، المتضمن للإيمان بالأصول التي ذكرها الله بقوله (قولوا آمنا بالله (، ومتضمن للعمل للآخرة والاستعداد لها؛ لأن الإيمان الصحيح يقتضي ذلك ويستلزمه. والإحسان إلى الناس، ون يصل إليهم منه من القول والفعل والمال والمعاملة ما يحب أن يعاملوه به.

فهذا هو الميزان الصحيح للإحسان وللنصح، فكل أمر أشكل عليك مما تعامل به الناس فانظر هل تحب أن يعاملوك بتلك المعاملة أم لا؟ فإن كنت تحب ذلك، كنت محبا لهم ما تحب لنفسك، وإن كنت لا تحب أن يعاملوك بتلك العاملة: فقد ضيعت هذا الواجب العظيم.." (١)

"(بيان اللغات) قوله يعالج أي يحاول من تنزيل القرآن عليه شدة ومنه ما جاء في حديث آخر ولى حره وعلاجه أي عمله وتعبه ومنه قوله من كسبه وعلاجه أي من محاولته وملاطفته في اكتسابه ومنه معالجة المريض وهي ملاطفته بالدواء حتى يقبل عليه والمعالجة الملاطفة في المراودة بالقول والفعل ويقال محاولة الشيء بمشقة قوله فأنزل الله تعالى لا تحرك به أي بالقرآن وقال الزمخشري رحمه الله وكان رسول الله إذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضي إليه وحيه ثم يعقبه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه والمعنى (لا تحرك به لسانك) بقراءة الوحي مادام جبريل عليه السلام يقرؤ لتعجل به لتأخذ به على عجلة ولئلا يتفلت منه ثم علل النهي عن العجلة بقوله (إن علينا جمعه) في صدرك وإثبات قراءته في لسانك قال الزمخشري (فإذا قرأناه) جعل قراءة جبريل قراءته والقرآن القراءة (فاتبع قرآنه) فكن معقبا له فيه ولا تراسله وطأ من نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه (ثم إن علينا بيانه) إذا أشكل عليك شيء من معانيه كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك وحيه) قوله قال أي ابن عباس في تفسير جمعه أي جمع الله لك في صدرك وقال في تفسير وقرآنه أي تقرأه يعني المراد بالقرآن القراءة لا الكتاب المنزل

---

(١) ارواء الضمآن من فضائل الرحمن، المؤلف غير معروف ص/٨٥

على محمد للإعجاز بسورة منه أي أنه مصدر لا علم للكتاب قوله فاستمع هو تفسير فاتبع يعني قراءتك لا تكون مع قراءته بل تابعة لها متأخرة عنها فتكون أنت في حال قراءته ساكتا والفرق بين السماع والاستماع أنه لا بد في باب الافتعال من التصرف والسعي في ذلك الفعل ولهذا ورد في القرآن (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) بلفظ الاكتساب في الشر لأنه لا بد فيه من السعي." (١)

"جميع ما أنعمت به عليه إلى ما خلق لأجله من طاعتي فلا يستعمل سمعه وغيره من مشاعره إلا فيما يرضيني ويقربه مني فلا يتوجه لشيء إلا وأنا منه بمرأى ومسمع فأناله سمع وعين ويد ورجل وعون ووكيل وحافظ ونصير كما هو جلي عند أئمة العرفان دون غيرهم إذ لا يؤمن عليهم لضيق العبارة عما يوهم لغير ذوي الإشارة من الأغاليط التي هي الحلول والاتحاد والانحلال عن رابطة الشرع لملجئه إلى مضايق الضلال ومن هذا يتضح لك قاعدة مهمة وهي إن ما **أشكل عليك** من عبارات الأولياء فإن أمكن تأويلها فبادر إليه كقول أبي يزيد ليس في الجبة غير الله فإن لم يكن فإن صدرت في مقام غيبه فلا حرج على قائلها لأنه غير مكلف حينئذ وكذا إن وقع الشك في ذلك وإن صدرت مع تحقيق صحوه أقيم عليه حكمها الشرعي إذ الولي ليس بمعصوم والمحفوظ ربما فرط منه ما عوقب به ثم عاد إليه حاله وإن سألني لأعطينه بالتأكيد وفي التعبير بأن دون إيماء إلى أنه قد يصل إلى مقام يترك فيه السؤال اتكالا على عمله بالحال أو لأنه لا يطلب غير الملك المتعال ولئن استعاذني قال العسقلاني ضبطناه بوجهين الا شهر بالنون بعد الذل المعجمة والثاني بالموحدة لأعيذنه أي مما يخاف من البعد وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن وفي نسخة عن قبض نفس المؤمن وقال ابن حجر كما في رواية قيل التردد هو التخير بين أمرين لا يدري أيهما أصلح وهو محال على الله سبحانه فاولوه على ترديد الأسباب والوسائط وجعلوا قصة موسى عليه السلام مع ملك الموت سندا لقولهم وقيل المراد من لفظ التردد إزالة كراهة الموت عن المؤمن بما يبتليه الله به من المرض والفاقة وغيرهما فأخذه المؤمن عما تشبث به من حب الحياة شيئا فشيئا بالأسباب التي ذكرنا يشبه فعل المتردد من حيث الصفة فعبر عنه بالتردد وقال القاضي التردد تعارض الرأيين وترادف الخاطرين وهو وإن كان محالا في حقه تعالى إلا أنه أسند إليه باعتبار غايته ومنتهاه الذي هو التوقف." (٢)

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف غير معروف ١٩٠/١

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف غير معروف ١٦/٨

"القلم فكل الصيد في جوف الفرا والله أعلم وعن ابن عمر قال قال رسول الله الاقتصاد في النفقة أي في صرفها أو في الإنفاق نصف المعيشة وهو مقتبس من قوله تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما الفرقان والتودد إلى الناس أي التحبب إلى المؤمنين الصالحين نصف العقل أي استعمال نصفه أو سبب تحصيل نصفه فإنه

بالاستصحاب يحصل للعقل الاكتساب فكان عقل المنفرد نصف العقل فيكمل بعقل صاحبه ولذا قيل علمان خير من علم واحد وكان بعض العارفين يقول لبعض تلاميذه أنا وأنت إنسان كامل لأنك حافظ القرآن وأنا مفسره ولعل هذا معنى ما رواه ابن أبي الدنيا في الإخوان عن سهل بن سعد مرفوعا المرء كثير بأخيه ولا شك أن مصاحبة أرباب الكمال تورث كمال العقل في جميع الأحوال وحسن السؤال نصف العلم فإن السائل الفطن يسأل عما يهمه وما هو بشأنه أعني وهذا يحتاج إلى فضل تميز بين مسؤول ومسؤول فإذا ظفر بمبتغاه وفاز به كمل علمه وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله لا أدري نصف العلم اه والأظهر أن يقال يفهم من حسن سؤال الطالب أن له مشاركة في العلم وأنه يريد أن يضيف إليه بقية العلم وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله لا أدري نصف العلم بخلاف من يسأل من غير تأمل وحسن مقال فإنه يكون نصا على نقصان عقله وكمال جهله حكي أن تلميذا كان لأبي يوسف ساكتا في المجلس فقال له إذا أشكل عليك شيء فسل ولا تستح فإن الحياء يمنع العلم وكان الإمام يتكلم في تعريف الصوم أنه من الصبح إلى الغروب فقال فإذا لم تغرب فإلى متى فقال له اسكت فإن سكوتك خير من كلامك وما أحسن ما قال بعض أرباب الحال إن الجاهل إذا تكلم فهو كالحمار وإذا سكت فهو كالجدار هذا والصحيح في معنى قوله لا أدري نصف العلم بيان أن العالم ولو بلغ مبلغ الكمال في العلم فإنه لا بد له من الجهل ببعضه ففي ذلك جوابه لا أدري وروى أنه قال لا أدري أعزير نبي أم لا وفي القرآن لا أدري ما يفعل بي ولا بكم الأحقاف وقل." (١)

" ٤١٧ - (إذا أردت أمرا) أي فعل شيء من المهمات وأشكل عليك وجهه (فعليك بالتؤدة) كهمزة أي الزم التأني والرزانة والتثبت وعدم العجلة (حتى) أي إلى أن (يريك الله منه مخرجا) بفتح الميم والراء أي المخلص يعني إذا أردت فعل شيء وأشكل عليك أو شق فتثبت ولا تعجل حتى يهديك الله إلى الخلاص ولفظ رواية البيهقي حتى يجعل الله لك مخرجا أو قال فرجا قال الراغب : يحتاج الرأي إلى أربعة أشياء اثنان من جهة الزمان في التقديم والتأخير أحدهما أن يعيد النظر فيما يرتقبه ولا يعجل

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف غير معروف ٣٧١/١٤

إمضاءه فقد قيل إياك والرأي الفطير وأكثر من يستعجل في ذلك ذوي النفوس الشهيمة والأمزجة الحادة والثاني أن لا يدافع به بعد إحكامه فقد قيل أحزم الناس من إذا وضح له الأمر صدع فيه وأكثر [ص ٢٧٢] من يدافع ذلك ذوو النفوس المهينة والأمزجة الباردة واثنان من جهة الناس أحدهما ترك الاستبداد بالرأي فإن الاستبداد به من فعل المعجب بنفسه وقد قيل الأحمق من قطعه العجب بنفسه عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة والثاني أن يتخير من يحسن مشاروته قال الشاعر :

فما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه . . . وما كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعا عند صاحب . . . فحق له من طاعة بنصيب

ومن دخل في أمر بعد الاحتراز عن هذه الأربعة فقد أحكم تدبيره فإن لم ينجح عمله لم تلحقه مذمة

(خد هب) وكذا الطيالسي والخرائطي والبغوي وابن أبي الدنيا كلهم (عن رجل من يلي) بفتح فكسر كرضي قبيلة معروفة قال هذا الرجل : انطلقت مع أبي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فناجاه أبي دوني فقلت لأبي ما قال لك قال قال لي إذا أردت إلى آخره رمز المؤلف لحسنه وفيه سعد بن سعيد ضعفه أحمد والذهبي لكن له شواهد كثيرة ." (١)

" ٢١٢٩ - (إن الملائكة لا تزال تصلي على أحدكم) أي تستغفر له (ما دامت مائدته موضوعة) أي مدة دوام وضعها للأضياف ونحوهم والمائدة ما يمد ويبسط عليه الطعام كمنديل وثوب وسفرة قال القاضي : المائدة الخوان إذا كان عليه طعام من ماد الماء يميد إذا تحرك أو ماده إذا أعطاه كأنه يميد من يقدم عليه ونظيره شجرة مطعمة انتهى وظاهر الخبر أن الأكل على المائدة محبوب لا مرهوب وكأني بك تقول يشكل بقولهم لم يأكل المصطفى صلى الله عليه و سلم على خوان فنقول كلا لا إشكال إذ المائدة ما يمد للأكل عليه كما تقرر وأما الخوان فهو المرتفع من الأرض بقوائمه والسفرة ما أسفر عما في جوفه لأنها مضمونة بمعاليقها ثم إن سؤال الملائكة ربهم أن يغفر لعبده من الأسباب الموجبة للمغفرة له فهو سبحانه نصب الأسباب التي يفعل بها ما يشاء بأوليائه وأعدائه وجعلها أسبابا لإرادته كما جعلها أسبابا لوقوع مراده فمنه السبب والمسبب وإذ **أشكل عليك** فانظر إلى الأسباب الموجبة لمحبته وغضبه فهو يحب ويرضى ويغضب والكل منه وإليه وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد وفيه حث على الجود وكثرة الإطعام

---

(١) فيض القدير، المؤلف غير معروف ٢٧١/١

(الحكيم) الترمذي في النوادر (عن عائشة) ورواه عنه أيضا الطبراني في الأوسط باللفظ المذكور عن عائشة فاقتصار المؤلف على الحكيم غير مرضي وجزم الحافظ العراقي كالمنذري بضعفه وقال البيهقي في الشعب بعد ما خرجه تفرد به بندار بن علي ." (١)

" وهي المصراة والتحفيل هي التصرية هكذا المشهور وسيذكرها المصنف وسوق كلام المصنف يفيد أن بينهما فرقا قوله

٤٤٨٦ - أو اللقحة بفتح وكسر فسكون قاف الناقة القريبة العهد بالنتاج وفي الصحاح اللقحة كالقربة والجمع لقح كقرب فلا يحفلها من التحفيل أي فلا تحبس لبنها في الضرع لتخدع به المشتري قوله وهو أي التصرية أو الضمير للتصرية التذكير باعتبار الخبر أخلاف الناقة أي ضروعها جمع خلف بالكسر وهو الضرع لكل ذات خف وظلف قوله

٤٤٨٧ - لا تلقوا الركبان من التلقي أي لا تستقبلوا القافلة الجالبة للطعام قبل أن يقدموا الأسواق ولا تصروا هو من التصرية عند كثير وقد روى عن بعض المشايخ أنه كان يقول لتلامذته متى **أشكل عليكم** ضبطه فاذكروا قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم واضبطوه على هذا المثال فيرتفع الاشكال وجوز بعضهم انه بفتح التاء وضم الصاد وتشديد الراء من الصر بمعنى الشد والربط والتصرية حبس اللبن في ضروع الإبل والغنم تغريرا للمشتري والصر هو شد الضرع وربطه لذلك وظاهر كلام المصنف يشير إلى الثاني فإنه فسر بالربط من ابتاع أي اشترى ." (٢)

"حبه إياه، ولا تنافي بين محبته إياه والشدة التي تلحقه في ذلك، (إن علينا جمعه وقرآنه) أي قراءته فهو مصدر مضاف للمفعول والفاعل محذوف والأصل وقراءتك إياه.

وقال الحافظ ابن حجر: ولا منافاة بين قوله يحرك شفتيه وبين قوله في الآية لا تحرك به لسانك، لأن تحريك الشفتين بالكلام المشتمل على الحروف التي لا ينطق بها إلا اللسان يلزم منه تحريك اللسان أو اكتفى بالشفتين وحذف اللسان لوضوحه لأنه الأصل في النطق أو الأصل حركة الفم، وكل من الحركتين ناشيء عن ذلك وهو مأخوذ من كلام الكرماني، وتعقبه العيني بأن الملازمة بين التحريكين ممنوعة على ما لا يخفى، وتحريك الفم مستبعد بل مستحيل لأن الفم اسم لما يشتمل عليه الشفتان، وعند الإطلاق لا يشتمل على الشفتين ولا على اللسان لا لغة ولا عرفا بل هو من باب الاكتفاء والتقدير: فكان مما يحرك

---

(١) فيض القدير، المؤلف غير معروف ٣٩٦/٢

(٢) حاشية السندي على النسائي، المؤلف غير معروف ٢٥٣/٧

به شفتيه ولسانه على حد ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل: ٨١] أي والبرد، وفي تفسير ابن جرير الطبري كالمؤلف في تفسير سورة القيامة من طريق جرير عن ابن أبي عائشة: ويحرك به لسانه وشفتيه فجمع بينهما.

(قال) ابن عباس في تفسير جمعه أي (جمعه) بفتح الميم والعين (لك صدرك) بالرفع على الفاعلية، كذا في أكثر الروايات وهي في اليونينية للأربعة أي جمعه الله في صدرك. وفيه إسناد الجمع إلى الصدر بالمجاز على حد أنبت الربيع البقل أي أنبت الله في الربيع البقل واللام للتعليل أو

للتبيين، ولأبوي ذر والوقت وابن عساكر جمعه لك صدرك بسكون الميم وضم العين مصدرا ورفع راء صدرك فاعل به. ولكريمة والحموي مما ليس في اليونينية جمعه لك في صدرك بفتح الجيم وإسكان الميم وزيادة في، وهو يوضح الأول. وفي رواية أبوي ذر والوقت وابن عساكر أيضا مما في الفرع كأصله جمعه له بإسكان الميم، أي جمعه تعالى للقرآن صدرك. وللأصيلي وحده جمعه له في صدر بزيادة في (و) قال ابن عباس أيضا في تفسير قرآنه أي (تقرأه) بفتح الهمزة في اليونينية.
وقال البيضاوي: إثبات قرآنه في لسانك وهو تعليل للنهي، (فإذا قرأناه) بلسان جبريل عليك (فاتبع قرآنه. قال) ابن عباس في تفسيره فاتبع أي (فاستمع له). ولأبي الوقت فاتبع قرآنه فاستمع له من باب الافتعال المقتضي للسعي في ذلك، أي لا تكون قراءتك مع قراءته بل تابعة لها متأخرة عنها. (وأنصت) بهمزة القطع مفتوحة من أنصت ينصت إنصاتا، وقد تكسر من نصت ينصت نصتا إذا سكت. واستمع للحديث، أي تكون حال قراءته ساكتا. والاستماع أخص من الإنصات لأن الاستماع الإصغاء والإنصات كما مر السكوت، ولا يلزم من السكوت الإصغاء. (ثم إن علينا بيانه) فسره ابن عباس بقوله: (ثم إن علينا أن تقرأه). وفسره غيره ببيان ما أشكل عليك من معانيه.
قال: وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب، أي لكن لا عن وقت الحاجة اهـ. وهو الصحيح عند الأصوليين ونص عليه الشافعي لما تقتضيه ثم من التراخي، وأول من استدل لذلك بهذه الآية القاضي أبو بكر بن الطيب وتبعوه، وهذا لا يتم إلا على تأويل البيان بتبيين المعنى، وإلا فإذا حمل على أن المراد استمرار حفظه له بظهوره على لسانه فلا. قال الآمدي: يجوز أن يراد بالبيان الإظهار لا بيان المجمل. يقال: بان الكوكب إذا ظهر. قال: ويؤيد ذلك أن المراد جميع القرآن، والمجمل إنما هو بعضه ولا اختصاص لبعضه بالأمر المذكور دون بعض. وقال أبو الحسين البصري: يجوز أن يراد البيان التفصيلي ولا يلزم منه جواز تأخير البيان الإجمالي فلا يتم الاستدلال. وتعقب باحتمال إرادة المعنيين الإظهار والتفصيل وغير

ذلك لأن قوله بيانه جنس مضاف، فيعم جميع أصنافه من إظهاره وتبيين أحكامه وما يتعلق بها من تخصيص وتقييد ونسخ وغير ذلك، وهذه الآية كقوله تعالى في سورة طه: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ [طه: ١١٤] فنهاه عن الاستعجال في تلقي الوحي من الملك ومساوقته في القرآن حتى يتم وحيه. (فكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعد ذلك إذا أتاه جبريل) ملك الوحي المفضل به على سائر الملائكة (استمع فإذا انطلق جبريل) عليه السلام (قرأه النبي –صلى الله عليه وسلم– كما قرأ)." (١)

"وهل مقدار الحركة منضبط أو هو مختلف باختلاف سرعة القارئ وبطئه... الخ

ولست هنا في مقام تتبع الأخطاء والهفوات بل هي وقفة تأمل وإنعام نظر فقد كفانا صاحب المنجد[٦٦] في هذه المسائل شر الانقسام.

وأقول لهؤلاء جميعا لابد من مراجعة علماء القراءات وما دونوه قديما وحديثا فما **أشكل عليكم** حله وصعب عليكم فهمه فإن لديهم الدواء النافع والبيان الساطع، والحكم القاطع، وكل علم يسأل عنه أهله.

ومن ذلك ما روي عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في سبحته قاعدا قط حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحته قاعدا، ويقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها»[٦٧].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسرة حرفا حرفا. [٦٨]

قال ابن القيم: وكانت قراءته ترتيلا لا هذا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفا◦ حرفا، وكان يقطع قراءته آية آية وكان يمد عند حروف المد فيمد الرحمن ويمد الرحيم. [٦٩]

أقول: لقد تلقت الأمة القرآن الكريم بحروفه وقراءته وكيفية النطق بتلك الحروف والهيئات والصيغ التي جاءت بها على أنها سنة متبعة يجب الحفاظ عليها والالتزام بها وتعليمها كما جاءت عنه صلوات الله وسلامه عليه واتباع هديه في ذلك.

أورد ابن مجاهد بأسانيده جملة من الأحاديث والآثار الدالة على وجوب الاتباع في نقل القراءة وترك الابتداع.

من ذلك ما رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «قال لنا علي بن أبي طالب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرءوا كلما علمتم»[٧٠].

وأورد بسنده عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: القراءة سنة[٧١]. وفي رواية أخرى عن خارجة قال:

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف غير معروف ٧٠/١

القراءة سنة فاقرءوا كما تجدونه[٧٢].

وبسنده عن عروة بن الزبير قال: إنما القراءة سنة من السنن فاقرءوه كما علمتموه[٧٣]. وفي رواية: فاقرءوه كما أقرئتموه[٧٤].

وورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرئ رجلا فقرأ الرجل ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾[٧٥] مرسلة فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وكيف أقرأكها؟ قال: أقرأنيها: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ [٧٦] فمدها.." (١)

"﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ الآية.

من هذه الأحاديث نعلم أن الغفلة عن أسباب النزول تؤدي حتما إلى فساد التأويل، وأن العلم بها ضروري في تصحيح الفهم، ودفع الاشتباه.

قال الشاطبي١ : "وهذا شأن أسباب النزول في التعريف بمعاني المنزل، بحيث لو فقد ذكر السبب لم يعرف من المنزل معناه على الخصوص، دون تطرق الاحتمالات وتوجه الإشكالات.

٢- ومن فوائد العلم بأسباب النزول أيضا بيان أن القيد في الآية معتبر في تقرير الحكم، بل هو لبيان الحال والواقع، أو بيان الغالب، ونحو ذلك.

كما في قوله تعالى من سورة الطلاق :

﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر﴾٢.

فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة حتى قال الظاهرية بأن الآية لا عدة عليها إذ لم ترتب، وقد بين ذلك سبب النزول، وهو أنه لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد النساء، قالوا : قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن : الصغار والكبار، فنزلت، أخرجه الحاكم عن أبي.

فعلم بذلك أن الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهن في العدة، وارتاب :

هل عليهن عدة أو لا؟ وهل عدتهم كاللاتي في سورة البقرة أو لا؟ فمعنى : ﴿إن ارتبتم﴾ إن **أشكل عليكم** حكمهن، وجهلتم كيف يعتدون، فهذا حكمهن، ومثله ما جاء في قوله تعالى من سورة النور :

﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾٣.

---

(١) الوجيز في تجويد الكتاب العزيز، المؤلف غير معروف ص/٩

١ المرجع السابق.

٢ آية : ٤.

٣ آية : ٣٣.

١٧٧ | ٣٧٥." [1]

"أول فائدة تتعلق بلفظ القرآن: هي أن الالتزام بجمع القرآن في صدر النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم جريانه على لسانه كما قرأه جبريل – عليه السلام – .. لم يقف عند قراءة الألفاظ كما هي، بل تعدى ذلك إلى (بيان الألفاظ) بيانا واضحا مستمدا من عربية اللسان من حيث العموم، وهيئة تلاوة القرآن من حيث خصوص كونه قرآنا، فتأويل ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ "بتفهيم ما أشكل عليك من معانيه" (١) قصر لعام بغير دليل، وتخصيص للمعنى بغير مخصص، على أن الأنسب والأوفق للمقام الكلام على اللفظ قبل المعنى "فإن الكلام له لفظ ومعنى، وله نسبة إلى الأذن والقلب ومتعلق بهما، فسماع لفظه حظ الأذن، وسماع حقيقة معناه ومقصوده حظ القلب" (٢) ، وكلاهما مراد بيانه، والأول أولى لأنه طريق إلى الثاني الذي هو الغاية من الأمرين، قال ابن كثير في قوله – سبحانه وتعالى – ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ : "أي بعد حفظه وتلاوته، نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا" (٣) .

---

(١) حاشية الصاوي ٣٥٤/٣، مرجع سابق .

(٢) تهذيب مدارج السالكين ٧٠/١، مرجع سابق .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٨٣/٤، مرجع سابق .." [2]

"ب – قوله تعالى ﴿ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن ﴾ فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة حتى نقل عن الظاهرية أن الآيسة لا عدة عليها إذا لم ترتب وقد أزال هذا الإشكال سبب النزول، وذلك أنه لما نزلت الآية التي في البقرة في عدد النساء قال الناس بقي عدد من النساء لم تذكر عدتها، فحينئذ أنزل الله الآية فعلم منها أن حكم عدة اليائسة والصغيرة ثلاثة أشهر، إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم عدتهن (١) .

ج – – قوله تعالى ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ فلو تركت على ظاهرها لفهم منها

---

(١) دراسات في علوم القرآن، المؤلف غير معروف ص/٢٢٩

(٢) تلقي النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم عن جبريل، المؤلف غير معروف ص/١٥٧

أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة فلما علم أنها نازلة في صلاة النافلة، أو في من عميت عليه القبلة فصلى باجتهاده وبان له الخطأ بعد ذلك زال الإشكال عنه.

---

(١) مناهل العرفان ١ / المدخل في علوم القرآن ١ / ١٣٨، الإتقان في علوم القرآن ١ / ٤٥ فما بعدها، مباحث في علوم القرآن ١ / ٧٩ فما بعدها." (١)

"الموسوعة القرآنية ، ج ٢ ، ص : ٣٦

مباحة ، ويحتجان بقوله تعالى : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية ، ولو علما سبب نزولها لم يقولا ذلك ، وهو أن ناسا قالوا لما حرمت الخمر : كيف يمن قتلوا فى سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر ، وهى رجس؟ فنزلت.

و من ذلك قوله تعالى : واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة حتى قال الظاهرية بأن الآيسة لا عدة عليها إذا لم ترتب ، وقد بين ذلك سبب النزول ، وهو أنه لما نزلت الآية التى فى سورة البقرة فى عده النساء ، قالوا : قد بقى عدد من النساء لم يذكرن الصغار والكبار ، فنزلت فعلم بذلك أن الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهن فى العدة ، وارتاب ، هل عليهن عدة أو لا؟ وهل عدتهن كاللاتى فى سورة البقرة أو لا؟ فمعنى : إن ارتبتم إن **أشكل عليكم** حكمهن ، وجهلتم كيف يعتدون ، فهذا حكمهن.

ومن ذلك قوله تعالى : فأينما تولوا فثم وجه الله فإنا لو تركنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضرا ، وهو خلاف الإجماع ، فلما عرف سبب نزولها علم أنها فى نافلة السفر ، أو فمن صلى بالاجتهاد وبان له الخطأ ، على اختلاف الروايات فى ذلك.

ومن ذلك قوله : إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية ، فإن ظاهر لفظها لا يقتضى أن السعى فرض ، وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسكا بذلك ، وقد ردت عائشة على عروة فى فهمه ذلك بسبب نزولها ، وهو أن الصحابة تأثموا من السعى بينهما ، لأنه من عمل الجاهلية ، فنزلت.

ومنها : دفع توهم الحصر. قال الشافعى ما معناه فى قوله تعالى : قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما الآية ، إن الكفار لما حرموا ما أحل الله ، وأحلوا ما حرم الله ، وكانوا على المضادة والمحادة ، فجاءت الآية

---

(١) نزول القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به، المؤلف غير معروف ص/٧٢

مناقضة لغرضهم ، فكأنه قال : لا حلال إلا ما حرمتموه ، ولا حرام إلا ما أحللتموه ، نازلا منزلة من يقول : لا تأكل اليوم حلاوة ، فتقول لا آكل اليوم إلا حلاوة ، والغرض المضادة لا النفى والإثبات على." (١)

"الموسوعة القرآنية ، ج ١١ ، ص : ٤٠٢

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ١٦ الى ٢٣]

لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨) ثم إن علينا بيانه (١٩) كلا بل تحبون العاجلة (٢٠)

و تذرون الآخرة (٢١) وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة (٢٣)

١٦ - لا تحرك به لسانك لتعجل به

:

به

بالقرآن ، أي لا تحرك بالقرآن لسانك حين الوحى.

لتعجل به

أي لتعجل بقراءته وحفظه.

١٧ - إن علينا جمعه وقرآنه

:

جمعه

فى صدرك.

و قرآنه

و إثبات قراءته فى لسانك.

١٨ - فإذا قرأناه فاتبع قرآنه

:

فإذا قرأناه

أي فإذا قرأه عليك رسولنا.

فاتبع قرآنه

---

(١) الموسوعة القرآنية، المؤلف غير معروف ص/٤٣٣

فاتبع قراءته منصتا له.

١٩ – ثم إن علينا بيانه :

ثم إن علينا بعد ذلك.

بيانه إذا أشكل عليك شيء منه.

٢٠ – كلا بل تحبون العاجلة :

كلا ردعا لكم عن إنكار البعث وهو الحق.

بل أنتم.

تحبون العاجلة الدنيا ومتاعها.

٢١ – وتذرون الآخرة :

أي وتتركون الآخرة ونعيمها.

٢٢ – وجوه يومئذ ناضرة :

ناضرة حسنة ناعمة.

٢٣ – إلى ربها ناظرة :

ناظرة بدون تحديد بصفة أو وجهة أو مسافة.." (١)

"مداخلات :

١– س : بالنسبة للروم في سورة يوسف ((مالك لا تأمنا على يوسف))

سمعت الشيخ إبراهيم الأخضر يقرأ بهذا الوجه في ختمة حفص بشكل مختلف عن الشيخ الحذيفي في ختمة حفص أيضا عندما قرأها أيضا بالروم ، فهلا أرشدتمونا بعد سماع الشيخين إذا كان هناك خلل .

ج : لقد استمعت إلى تلاوة الشيخين الحذيفي والأخضر حفظهما الله ووجدت أن تلاوة كليهما للفظ تأمنا تلاوة صحيحة ، بالاختلاس وهو فك الإدغام والإسراع بالنطق بالنون الأولى بحيث تنطقها بثلثي ضمة ، مع النطق بالنون الثانية مفتوحة بفتحة كاملة ، إلا أن الذي أشكل عليك فيما أظن هو أن النون الثانية المفتوحة قد تتوهم أنها لا تظهر لأول وهلة في تلاوة الشيخ الأخضر لكنك إذا كررت الاستماع إليها وكان التسجيل نقيا سمعتها ، ولعل هذا عيب في التسجيل .

وعلى كل حال فقد ذكرت من قبل أني لست أهلا لتقويم قراءة أحد ، وأني – يعلم الله – أستمع إلى تلاوة

(١) الموسوعة القرآنية، المؤلف غير معروف ص/٥٢٤٢

الشيخ الحذيفي والشيخ الأخضر وأمثالهما ، بغرض الاستفادة والتعلم .
وأود أن أنبه بهذه المناسبة على أن الوجه الذي قرأ به الشيخان المذكوران لفظ (تأمنا) [آية ١١ سورة يوسف] الصواب أن يقال له الاختلاس وليس الروم ، وإن جرت عادة بعض المصنفين على تسميته روما تساهلا لكنهم يعنون به النطق بثلثي الحركة ، فيصبح الصواب تسميته اختلاسا ، لأن الاختلاس هو النطق بثلثي الحركة بينما الروم هو النطق بثلث الحركة ، والوجهان الجائزان لحفص هنا هما الإشمام والاختلاس ، ولا يجوز عند أحد الاقتصار على النطق بثلث الحركة فقط ، والله أعلم.

س : أحد الإخوان قال لي أنه سئل أحد طلاب الشيخ إبراهيم الأخضر في مكة ، فسأله عن قراءة الشيخ لـ (تأمننا) في سورة يوسف فقال له ، إن الشيخ قرأها بنون خالصة ، وقد اعتمد ذلك بقصد التعليم في ختمة المجمع .
إلا أن هذا الطالب ليس بكبير السن و يحمل سند من الشيخ . فلذلك أحببنا أن نطلع على تعقيبكم حفظكم الله .
وفي الحقيقة أخبرت بهذا الخبر أحد المشايخ المصريين من مشايخ القراءات عن هذه الحادثة ، خاصة أنه استنكر عندما سمع الآية من الشيخ الأخضر ، فعندما أخبرناه بخبر طالبه قال : نعم هو في الحقيقة هناك وجه بهذه القراءة إلا أن الشاطبي لم يذكره وهو موجود عند أبي شامة
ج : عبارة الأخ المشار إليه : " إن الشيخ قرأها بنون خالصة " عبارة مجملة تحتاج إلى استفصال ، فإن قصد بالنون الخالصة الروم أو الاختلاس فهذا جائز ، وهو عين ما ذكرته من قبل ، وأما إن قصد أنه أظهر النون الأولى وقرأها بضمة كاملة ، فالذي تلقيناه عن مشايخنا ، ولم أطلع على غيره في كتاب من كتب القراءات التي اطلعت عليها أنه لا يجوز إظهار النون الأولى من (تأمننا) إظهارا تاما في أي قراءة من القراءات العشر ، ولا حتى في الأربع الشواذ ، إلا في رواية المطوعي عن الأعمش وهي من الشواذ فهو الوحيد الذي أجاز الإظهار والنطق بضمة كاملة ، وإنما يجوز فقط في باقي القراءات الإشمام وهو ضم الشفتين وهو يرى ولا يسمع ، والاختلاس (وسماه بعضهم هنا الروم) وهو النطق بثلثي ضمة النون الأولى وحذف ثلث الحركة ، وفي بعض القراءات تقرأ بالإدغام المحض بلا روم ولا إشمام ، أما الإظهار بحيث تنطق النون الأولى بضمة كاملة فهو خطأ ، والوجه الذي قرأ به الشيخ إبراهيم هو وجه الاختلاس ، وقد استمعت إليه أكثر من مرة ووجدته يقرؤها بالاختلاس ، والمقصود بالتعليم هو تعليم الناس وجه الاختلاس ، وأنه وجه جائز مقروء به ، ولا يتصور أن يقرأ بنون مظهرة بحركة كاملة للتعليم ، فما المصلحة من تعليم

الناس الخطأ الذي لا تجوز القراءة به ؟

هذا ما لدي ، والله أعلم .." (١)

"الأئمة حتى قال الظاهرية بأن الآيسة لا عدة عليها إذا لم ترتب. وقد بين ذلك سبب النزول وهو أنه لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد النساء قالوا قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن الصغار والكبار فنزلت. أخرجه الحاكم عن أبي. فعلم بذلك أن الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهن في العدة وارتاب: هل عليهن عدة أو لا ؟ وهل عدتهن كاللاتي في سورة البقرة أو لا ؟ فمعنى ﴿إن ارتبتم﴾ إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتدون فهذا حكمهن.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ فإنا لو تركنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضرا وهو خلاف الإجماع فلما عرف سبب نزولها علم أنها في نافلة السفر أو فيمن صلى بالاجتهاد وبان له الخطأ على اختلاف الروايات في ذلك.

ومن ذلك قوله: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية فإن ظاهر لفظها لا يقتضي أن السعي فرض وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسكا بذلك وقد ردت عائشة على عروة في فهمه ذلك بسبب نزولها وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية. فنزلت.

ومنها: دفع توهم الحصر قال الشافعي ما معناه في قوله تعالى: ﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما﴾ الآية: إن الكفار لما حرموا ما أحل." (٢)

"مراد الله من خلقه في كل ما تعبدهم به من معرفته وتصديق رسله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وبهذا الاعتبار كانت أمهات ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ما تشابه منه ومعنى ذلك أن من لم يكن على يقين من المحكمات وفي قلبه شك واسترابة كانت راحته في تتبع المشكلات المتشابهات ومراد الشارع منها التقدم إلى فهم المحكمات وتقديم الأمهات حتى إذا حصل اليقين ورسخ العلم لم تبال بما أشكل عليك ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التقدم إلى المشكلات وفهم المتشابه قبل فهم الأمهات وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع ومثل هؤلاء مثل المشركين الذين يقترحون على رسلهم آيات غير الآيات التي جاءوا بها ويظنون أنهم لو جاءتهم آيات أخر لآمنوا عندها جهلا منهم وما علموا أن الإيمان بإذن الله تعالى انتهى

(١) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، المؤلف غير معروف ص/٣٨٨

(٢) الإتقان في علوم القرآن، المؤلف غير معروف ١/١٠٩

وقال: الراغب في مفردات القرآن: الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكم على الإطلاق ومتشابه على الإطلاق ومحكم من وجه متشابه من وجه.

فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب:

متشابه من جهة اللفظ فقط ومن جهة المعنى فقط ومن جهتهما فالأول ضربان: أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة إما من جهة الغرابة نحو الأب و يزفون أو الاشتراك كاليد واليمين وثانيهما يرجع إلى جملة الكلام المركب وذلك ثلاثة أضرب: ضرب لاختصار الكلام نحو: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم﴾." (١)

" أن ناسا قالوا يا رسول الله قد عرفنا عدة ذوات الأقراء فما عدة اللائى لم يحضن من الصغار والكبار فنزلت فهذا يبين معنى إن آرتبتم أى إن **أشكل عليكم** حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن

ومن ذلك قوله تعالى ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله فإنا لو تركنا مدلول اللفظ لاقتضى أن المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضرا وهو خلاف الإجماع فلا يفهم مراد الآية حتى يعلم سببها وذلك أنها نزلت لما صلى النبى صلى عليه وسلم على راحلته وهو مستقبل من مكة إلى المدينة حيث توجهت به فعلم أن هذا هو المراد

ومن ذلك قوله تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فإن سبب نزولها أن قوما أرادوا الخروج للجهاد فمنعهم أزواجهم وأولادهم فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم أنزل فى بقيتها ما يدل على الرحمة وترك المؤاخذة فقال وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم

فصل

فيما نزل مكررا

وقد ينزل الشىء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا به عند حدوث سببه خوف نسيانه وهذا كما قيل فى الفاتحة نزلت مرتين مرة بمكة وأخرى بالمدينة وكما ثبت فى ." (٢)

"لأن مضارعه يكون على وزن يفعل، فحينئذ إذا كان يفعل لا بد أن يكون ماضيه إما من باب فعل أو فعل، ويمتنع أن يكون من باب فعل فيتعين أن يكون من باب فعل، وهكذا إذا **أشكل عليك** معرفة الصيغة أو الباب، تنظر إلى المضارع فنقول: يكون أصله يكون على وزن يفعل، ويفعل في لغة العرب لا

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، المؤلف غير معروف ١١/٣

(٢) البرهان في علوم القرآن، المؤلف غير معروف ٢٩/١

يأتي إلا من باب فعل يعني ماضيه فعل بفتح العين أو فعل بضم العين، ويكون من باب فعل إذا كان من الطبائع والغرائز ويكون لازما، وهنا كان ليست من الطبائع ولا من الغرائز، فتعين أن تكون من باب فعل.
إذا أصل كان كون، والألف منقلبة عن الواو، بدليل المصدر قال الشاعر:
ببذل وحلم ساد في قومه الفتى ... وكونك إياه عليك يسير
فصرح بالمصدر، وأيضا الفعل المضارع يكون، هذه الواو هي الألف المنقلبة في كان.
باب كان وأخواتها: جمع أخت، والمراد به النظائر، يعني: باب كان ونظائرها في العمل، وإنما خص كان دون غيرها لأن كان أم الباب، وسبق أن الشيء إذا قيل: بأنه أم الباب معناه أنه اختص بأحكام ينفرد بها عن غيره، فحينئذ كان تنفرد بأحكام لا يشاركها غيرها من أخواتها، كحذفها مع اسمها بعد إن ولو كثيرا، كذلك تزاد في حشو، وتحذف نونها من مضارعها بشرطه، إذا لها أحكام تختص بها كان دون أخواتها.." (١)

"٣٠٨٤ - عن ابن عباس، أن رجلا من بني عبس يقال له: خالد بن سنان قال لقومه: إني أطفئ نار الحدثان، فقال له رجل من قومه - يقال له عمارة بن زياد -: والله يا خالد ما قلت لنا قط إلا حقا، فما شأنك ونار الحدثان تزعم أنك تطفئها؟ فخرج خالد ومعه ناس من قومه فيهم عمارة بن زياد، فخط لهم خالد خطا فأجلسهم فيها، فإذا هي تخرج من شق جبل في حرة يقال لها حرة أشجع، فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا، فاستقبلها خالد بعصاه فجعل يضربها ويقول: بدا بدا، كل هدى مؤدى، زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تبدى.
وقد كان خالد قال لهم: إن أبطأت عليكم فلا تدعوني باسمي، فأبطأ عليهم، فقال لهم عمارة بن زياد: إن صاحبكم والله إن كان حيا لقد خرج إليكم بعد فادعوه باسمه، قالوا له: إنه قد نهى أن ندعوه باسمه، فدعوه باسمه، فخرج إليهم فقال لهم: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي، فقد والله قتلتموني، احملوني فادفنوني، فإذا مرت عليكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني فإنكم ستجدوني حيا، فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر فأرادوا نبشه، فقال لهم عمارة بن زياد: لا تنبشوه، لا والله لا تحدث مضر أنا ننبش موتانا.
وقد كان خالد قال لهم: إن في علم امرأته لوحين، فإذا **أشكل عليكم** شيء فانظروا فيهما فإنكم ستجدوني بما تريدون، ولا تمسها حائض، فأتوا امرأته فسألوها عنهما، فأخرجتهما إليهم وهي حائض، فذهب ما كان فيهما من علم.

---

(١) فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، أحمد بن عمر الحازمي ص/٣٥٠

قال أبويونس: قال سماك: سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «نبي أضاعه قومه».

قال أبويونس: قال سماك: إن ابن خالد بن سنان أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:." (١)

"ثانيا: فوائد أسباب النزول:

أ- فهم الآية القرآنية

كقوله تعالى: ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم [البقرة: ١١٥]، فقد يفهم منها أنه حيثما توجه المصلي شرقا أم غربا فصلاته جائزة ولكن الحكم ليس كذلك فالتوجه للقبلة شرط من شروط الصلاة، ويستثنى من ذلك أن الإنسان إذا كان في سفر بعيدا عن الناس وتحرى القبلة فلم يعرفها فيجوز له أن يصلي إلى الجهة التي يغلب على ظنه أنها القبلة ولو أخطأ بذلك، أما قوله تعالى:

واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا

[الطلاق: ٤]، فقد فهم الظاهرية من ذلك أن الكبيرة التي انقطع دم الحيض عنها لا عدة عليها إذا لم ترتب في ذلك أي في انقطاع الحيض عنها.

ولكن الأمر ليس كذلك كما يوضح لنا أسباب النزول فقد قال الصحابة قد علمنا عدد النساء جميعا فما عدة الكبيرة التي يئست من المحيض وما عدة الصغيرة التي لا تحيض فنزلت الآية لبيان عدتهن ويصبح معنى إن ارتبتم إن **أشكل عليكم** حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا هو حكمهن.

ب- معرفة من نزلت فيه الآية:

كقوله تعالى: ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم [النور: ٢٢].

فلما تكلم مسطح بن أثاثة قريب أبي بكر رضي الله عنه وخاض في حديث الإفك بشأن عائشة رضي الله عنها، حلف أبو بكر أن لا يعطيه شيئا فنزلت الآية السابقة تشير إلى أبي بكر وتطلب منه أن لا يقطع صدقاته عن مسطح قريبه وأن يعفو عنه ويصفح.." (٢)

---

(١) الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء، نبيل جرار ٤٧/٤

(٢) المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، أحمد عمر أبو شوفة ص/٢٨٣

"منه بعض التنازلات ليتم بينهم وبينه لقاء. فتضمين (يفتنوك) معنى (يحرفوك أو يزحزحوك) وكلاهما متعد بـ (عن) أدنى للسياق وأنأى عن اللبس في تضمين يصرفونك ويزيلونك ويخدعونك، والانحراف وهو من صور الفتنة – في جزء يسير ينتهي إلى انحراف كبير، ولذلك جاء التحذير الرهيب من هذه الجزئية أو البعضية (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما) والتسليم أو التنازل من الداعية في جانب ولو ضئيل لأصحاب السلطة هزيمة روحية لا تغتفر. فترفق في اختيار ما طابق من اللفظ معناه وشهد لصحته مساقة واستتب على منهجه وأمه، ثم ما خفي عنك منه فلا تخف إلى نقضه، وإلا أوعرت بك سبله **وأشكل عليك** تحرير القول فيه.

* * *

قال تعالى: (ففروا إلى الله) (٢).

قال الزمخشري: فروا من معصيته وعقابه إلى طاعته وثوابه. وقال أبو حيان: جمعت لفظة (ففروا) بين التحذير والاستدعاء وينظر إلى هذا المعنى قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: " ل ا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك "، قال ابن عطية: وهو تفسير حسن. وقال أبو السعود: اهربوا إلى الله. وقال الجمل: اذهبوا.

ومعنى الفرار إلى الله هو التخلص من الأوهاق والأثقال لأداء الوظيفة التي خلق العباد لها ومنحهم وجودهم لتأديتها، فحقيقة العبادة إذن تتمثل في أمرين:." (١)

"عن اسمه لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا **أشكل عليكم** الرؤيا فخذوا بالأسماء وبيانه أن أسم سهل سهولة وسالم سلامة وأحمد ومحمد محمدة ونصر نصرة وسعاد سعادة وأيضا يعتبر في ذلك ما يستقبله في ذلك الوقت فإن استقبلته عجوز فهي دنيا مدبرة وإن استقبله برذون أو بغل أو حمار فهو سفر لقوله تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ وإن سمع في ذلك الوقت نعيق الغراب واحدة أو ثلاثا أو أربعا أو ستا فهو خير فأما الأربع فيسقط منها واحدة فيبقى ثلاثة والست خير لا يسمعها إلا الأكابر وإن سمع اثنتين فلا يستحب

(وحكي) عن ابن عباس أنه قال إذا نعق الغراب ثلاثا فهو خير وبالفارسية ديك وإذا نعق الغراب اثنتين فهو شر وبالفارسية بد ويكره أن يقص الرؤيا يوم الثلاثاء لأنه يوم إهراق الدماء ويوم الأربعاء لأنه يوم نحس مستمر ولا يكره سائر الأيام وفي هذا القدر الذي صدرنا به كتابنا غنيمة ل من تدبره وتأمل معانيه إذ لو

---

(١) التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل ١٢٦/٢

بسطناه لأدى إلى الإبرام والملل وأرجو أن الله تعالى ينفعنا به ويعيذنا من علم لا ينفع وبطن لا يشبع ونفس لا تخشع ودعاء لا يسمع ومن طبع يهدى إلى طمع ومن طمع حيث لا مطمع إنه تعالى القادر على ما يشاء الفعال لما يريد وحسبي الله ونعم الوكيل.

[متن
الكتاب
]." (١)

"عمرو، لأن هذا فى موضع نصب، وإنما تعتبره أنك لو قلت: آلسوط ضربت فكان هذا كلاما، أو آلخوان أكلت، لم يكن إلا نصبا، "كما أنك لو قلت: أزيدا مررت فكان كلاما لم يكن إلا نصبا ". فمن ثم جعل هذا الفعل الذى لا يظهر تفسيره تفسير ما ينصب.

فاعتبر ما أشكل عليك من هذا بذا. فإن قلت: أزيد ذهب به أو أزيد انطلق به، لم يكن إلا رفعا، لأنك لو لم تقل " به " فكان كلاما لم يكن إلا رفعا، كما قلت: أزيد ذهب أخوه، لأنك لو قلت: أزيد ذهب لم يكن إلا رفعا.

وتقول: أزيدا ضربت أخاه، لأنك لو ألقيت الأخ قلت: أزيدا ضربت. فاعتبر هذا بهذا، ثم اجعل كل واحد جئت به تفسير " ما هو " مثله.

واليوم والظروف بمنزلة زيد وعبد الله، إذا لم يكن ظروفا، وذلك " قولك ": أيوم الجمعة ينطلق فيه عبد الله، كقولك: أعمرا تكلم فيه عبد الله، وأيوم الجمعة ينطلق فيه، كقولك: أزيد يذهب به.

وتقول: أأنت عبد الله ضربته، تجريه هاهنا مجرى أنا زيد ضربته، لأن الذى يلى حرف الاستفهام أنت ثم ابتدأت هذا وليس قبله حرف استفهام ولا شيء هو بالفعل وتقديمه أولى. إلا أنك إن شئت نصبته كما تنصب زيدا ضربته، فهو عربى جيد، وأمره " ها " هنا على قولك: زيد ضربته.

فإن قلت: أكل يوم زيدا تضربه فهو نصب، كقولك: أزيدا تضربه." (٢)

"١٩- قالوا: حديث في التشبيه- كان في عماء:

قالوا: رويتم في حديث أبي رزين العقيلي، من رواية حماد بن سلمة، أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟

---

(١) تفسير الأحلام = منتخب الكلام في تفسير الأحلام ابن سيرين ٤٦/١

(٢) الكتاب لسيبويه سيبويه ١٠٤/١

فقال: "كان في عماء، فوقه هواء، وتحته هواء"١.

قالوا: وهذا تحديد وتشبيه.

قال أبو محمد:

ونحن نقول إن حديث أبي رزين هذا، مختلف فيه، وقد جاء من غير هذا الوجه بألفاظ تستشنع أيضا، والنقلة له أعراب، ووكيع بن حدس الذي روى عنه حديث حماد بن سلمة أيضا لا يعرف.

غير أنه قد تكلم في تفسير هذا الحديث أبو عبيد القاسم بن سلام. حدثنا عنه أحمد بن سعيد اللحياني أنه قال: "العماء" السحاب، وهو كما ذكر في كلام العرب، إن كان الحرف ممدودا.

وإن كان مقصورا كأنه كان في عمى، فإنه أراد كان في عمى عن معرفة الناس، كما تقول: "عميت عن هذا الأمر، فأنا أعمى عنه عمى" إذا **أشكل عليك** فلم تعرفه ولم تعرف جهته، وكل شيء خفي عليك، فهو في عمى عنك.

وأما قوله: "فوقه هواء، وتحته هواء" فإن قوما زادوا فيه "ما" فقالوا: "ما فوقه هواء، وما تحته هواء"، استيحاشا من أن يكون فوقه هواء، وتحته هواء، ويكون بينهما -والرواية هي الأولى-.

والوحشة لا تزول بزيادة "ما" لأن "فوق" و"تحت" باقيان، والله أعلم.

---

١ أخرجه الترمذي: تفسير سورة ١١، وابن ماجة: مقدمة ١٣ وقد ورد بلفظ: "كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء"..." (١)

""الذي" مبتدأة وزيد خبر المبتدأ، وإذا جعلت مبتدأة فحينئذ تكثر المسائل وهو الباب الذي أفرده النحويون١ وجعلوه كحد من الحدود، فيقولون: إذا قلت "قام زيد" كيف تخبر عن زيد بالذي وبالألف واللام؟ فيكون الجواب: الذي قام زيد والقائم زيد "فتكون" الذي مبتدأ وقام صلته وفيه ضمير يرجع إليه وبه تم. وهو في المعنى: "زيد" لأن الضمير هو الذي والذي هو زيد، فهو في المعنى الفاعل، كما كان حين قلت: "قام زيد" وكذلك إذا دخلت الألف واللام بدلا من الذي قلت: "القائم زيد" فالألف واللام قد قامتا مقام الذي و"قائم"٢ [قد] حل مقام "قام" وفي "قائم" ضمير يرجع إلى الألف واللام، والألف واللام هما زيد إلا أنك أعربت "القائم" بتمامه بالإعراب الذي يجب "للذي" وحدها إذ لم يكن سبيل إلى غير ذلك، وكل اسم قيل لك أخبر عنه فحقه أن تنتزعه من الكلام الذي كان فيه وتضع موضعه ضميرا يقوم مقامه،

---

(١) تأويل مختلف الحديث الدينوري، ابن قتيبة ص/٣٢٣

ويكون ذلك الضمير راجعا إلى الذي أو الألف واللام، وإنما كان كذلك لأن كل مبتدأ فخبره إذا كان اسما مفردا في المعنى هو هو، فإذا ابتدأت "بالذي" وجعلت اسما من الأسماء خبره، فالخبر هو "الذي" والذي هو الخبر، وهذا شرط المبتدأ والخبر، وإنما الأخبار عن "الذي والألف واللام" ضرب من المبتدأ والخبر، وقد كنت عرفتك أن الصلة كالصفة للنكرة فإذا **أشكل عليك** شيء من ذلك فاجعل الصلة صفة[3] ليبين لك إن قال قائل إذا قلت: "ضربت زيدا" كيف تخبر عن زيد، قلت: "الذي ضربته زيد" فجعلت موضع "زيد" الهاء وهي مفعول كما كان زيد وهو[4] "الذي والذي هو زيد" فإن جعلته صفة قلت: "رجل ضربته زيد" إلا أن حذف الهاء في

١ انظر المقتضب ٣/ ٩٩ وما بعدها، وشرح الرضي ٢/ ٤٢ وما بعدها.

٢ ......

٣ في الأصل "صلة" والتصحيح من "ب".

٤ في الأصل "وهي" والتصحيح من "ب".." (١)

"فإن سكن ما قبلها وهي طرف لم تثبتها على كل حال وذلك نحو جزء وهدء وخبء ونسء وركاء وداء

فإن سكن ما قبل الطرف وأضيفت الكلمة إلى مضمر كتبت في الرفع واوا وفي الجر ياء وذلك نحو هذا جزؤك وجزؤه وعجبت من جزئك وجزئه

وبعد فكل همزة **أشكل عليك** أمرها فاكتبها على مذهب أهل." (٢)

"بالسقمونيا إذا أردنا بذلك أن نمنع ابتداء نوبة تقع. ومقال التقدم بالحفظ مفردا استفراغ المستعد لحمى الربع لغلبة السوداء بالخربق ولحمى الغب لغلبة الصفراء بالسقمونيا. وإذا **أشكل عليك** شيء من الأمراض سببه حر أو برد وأردت أن تجرب فلا تجربن بمفرط وانظر كي لا يغرك التأثير الذي بالعرض. واعلم أن التبريد والتسخين مدتهما سواء لكن الخطر في التبريد أكثر لأن الحرارة صديقة الطبيعة وأن الخطر في الترطيب والتيبيس سواء لكن مدة الترطيب أطول والرطوبة واليبوسة كل واحدة منهما يحفظ بتقوية أسبابها وتبذل بتقوية أسباب ضدها. والحرارة تقوى بالأسباب التي فرغنا من ذكرها ثم بالمنعشات وهي نفض الثفل

(١) الأصول في النحو ابن السراج ٢/٢٧٠

(٢) عقود الهمز ابن جني ص/٦٣

والامتلاء وتفتيح السدد ثم بما يحفظها وهو الرطوبة المعتدلة. والبرودة تقوى بتقوية أسبابها أوتخنق الحرارة وبما يفرط تحليلها وهو اليبوسة بالذات والحرارة بالعرض. والمعالج فرط الحرارة بتفتيح السدد ينبغي أن يتوقى التبريد المفرط لئلا يزيد في تحجر السدة فيزيد في سوء المزاج الحار بل ينبغي أن يترفق فيعالج أولا مما يجلو فإن كفى جال مبرد كماء الشعير وماء الهندبا فبها ونعمت وإن لم يقنع ذلك فبما يكون معتدلا فإن لم يقنع فبما فيه حرارة لطيفة ولا يبالي من ذلك فإن نفع تفتيحه في التبريد أكثر من ضرر تسخينه السهل التطفئة بعد التفتيح وربما منع فرط التطفئة من نضج الأخلاط الحادة. وإن كان بعض الناس مصرا على إبطال هذا الرأي وليس يدري أن التطفئة القوية تسقط القوة ولا سيما التي ضعفت بالمرض وإن كانت تصلح من المادة فضل إصلاح فإنها قد تعقب أمراضا أخرى إما من سوء مزاج بارد مفرد وأما مع مواد مضادة للمواد التي أصلحها. وأما تسخين المزاج البارد فكأنه صعب إذا كان قد استحكم وغاية من السهولة في الابتداء. وبالجملة فإن تسخين البارد في ابتداء الأمر أسهل من تبريد التسخين في الابتداء لكن تبريد ،لتسخين في الانتهاء وإن كان صعبا أسهل من تسخين البارد في الانتهاء لأن البرودة البالغة هي موت من الغريزة أو مساوقة له. واعلم أن التبريد قد يقارن التيبيس وقد يقارن الترطيب وقد يخلو منهما. والتيبيس أشد إثباتا للبرودة التي قد حدثت. والترطيب أشد جلبا للبرودة المستحدثة. وقد يعين في التيبيس جميع أسباب الحرارة إذا أفرطت ويعين في الترطيب جميع أسباب البرودة إذا أفرطت ولا يبلغ فيه شيء مبلغ الدعة والاستحمام الدائم الخفيف والأبزن وقد فرغنا من هذا فيما سلف. وشرب الممزوج قوي في الترطيب. واعلم أن الشيخ إذا احتاج إلى تبريد وترطيب فإنه لا يكفيه من ذلك ما يرقه إلى الاعتدال بل ما يجاوز ذلك إلى مزاجه البارد الرطب الذي وقع له فإنه وان كان عرضيا فهو له كالطبيعي. ويجب أن تعلم أنه كثيرا ما يحوج في تبديل مزاج ما إلى أن تستعمل ما يقوي ذلك المزاج مخلوطا بما يضافه مثل ما يحوج إلى استعمال الخل مع الأدوية المسخنة لعضو ما حتى تعوض قوتها ومثل ما يحوج إلى استعمال الزعفران في الأدوية المبردة." (١)

"جلاؤه أقل من جلاء العسل وكذلك السكنجبين السكري ولكن الاقتصار على السكنجبين ربما أورث سحجا وهذا مخوف في الأمراض الحادة ونحن نجعل لسقي ماء الشعير والسكنجبين كلاما مفردا وتلطيف التدبير يقتضيه طبع مادة المرض وتمكين الطبيعة من إنضاجها وتحليلها واستفراغها وأولى الأوقات بالتلطيف المنتهى فهنالك يشتد اشتغال الطبيعة بقتال المادة فلا ينبغي أن تشغل عنها بشيء آخر وخصوصا

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٢٧٢/١

عند البحران وأما قبل ذلك فإن القتال لا يكون استحكم ومما يقتضي التلطيف أن يكون إلى فصد أو إطلاق بطن وحقنة أو تسكين وجع حاجة فحينئذ يجب أن يفرغ من قضاء تلك الحاجة ثم يغذى إن وجب الغذاء ولم يكن مانع آخر وتغليظ التدبير تقتضيه القوة وأولى الأوقات بالتغليظ الوقت الذي لا تكون القوة مشتغلة فيه جدا بالمادة وهو أوائل العلة ويجب أن يتدارك ضرر التغليظ بالتفريق فإنه أيضا أخف على القوة والصيف لتحليله يحوج إلى زيادة تغذية وتفريق فإن القوة لا تفي بهضم الكثير دفعة ولأن التحليل فيه بالتفاريق فيجب أن يكون البدل بالتفاريق. وفي الشتاء الأمر بالعكس فإنه لقلة تحليله لا يحوج إلى بدل كثير ثم إن أعطي البدل دفعة كانت القوة وافية به ففزعت عنه دفعة والخريف زمان رديء ولهذا ينبغي أن يتلطف فيه بين حفظ القوة وبين قهر المادة والتفريق قليلا قليلا أولى فيه وبالجملة التفريق مع ضعف القوة أولى. واعلم أنه لولا تقاضي القوة لكان الأوجب أن يلطف الغذاء أبلغ تلطيف لكن القوة لا تحتمل ذلك وتخور وإذا خارت لم ينفع علاج فإن المعالج كما علمت هو القوة لا الطبيب أما الطبيب فخادم يوصل الآلات إلى القوة وإذا تصورت هذا فيجب أن ينظر فإن كانت العلة حادة جدا وذلك أن يكون منتهاها قريبا وحدست أن القوة لا تخور في مثل مدة ما بين ابتدائها إلى منتهاها خففت الشغل على القوة وسلطتها على المادة ولم تشغلها بالغذاء الكثيف بل لطفت التدبير ولو بترك الطعام أصلا وخصوصا في يوم البحران. وإن رأيت المرض حادا ليس جدا بل حادا مطلقا فيجب أن يلطف لا في الغاية إلا عند المنتهى وفي يوم البحران خاصة إلا بسبب عظيم وإن رأيت المرض مزمنا أو قريبا من المزمن لم تلطف التدبير فإن القوة لا تسلم إلى المنتهى مع تلطيف التدبير لكنه يلزمك مع ذلك في جميع الأصناف أن يكون أول تدبيرك أغلظ وآخر تدبيرك الموافي للمنتهى ألطف وتتدرج فيما بين ذلك حتى تكون القوة محفوظة إلى قرب المنتهى فهناك ترسل على المادة ولا تشغل بغيرها. وإذا علمت أن القوة قوية في بما أوجب الحال أن يقتصر على الجلاب ونحوه ولو أسبوعا وخصوصا في حميات الأورام فإن خفت ضعفا اقتصرت على ماء الشعير وإذا **أشكل عليك** الحال في المرض فلم تعرفه فلأن تميل إلى التلطيف أولى من أن تميل إلى الزيادة مع مراعاتك للقوة والاحتمال. والذي زعم أن التغذية والتقوية في المرض." (١)

"د- الاستشهاد بالشعر:

لا شك أن الشعر من أهم مصادر الاستشهاد عند العلماء، ولم يكن الاستشهاد بالشعر هم علماء العربية وحدهم، بل شاركهم في الاهتمام به الفقهاء والأصوليون والمحدثون والمفسرون١، وكان ابن العباس يقول:

---

(١) القانون في الطب ابن سينا ٣٧/٣

"إذا **أشكل عليكم** الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر فإنه ديوان العرب"٢.

وقد عني علماء العربية بالشعر إلى جانب عنايتهم بالقرآن الكريم، فاعتمدوا عليه في بناء الكثير من القواعد وإصدار العديد من الأحكام، ولجأوا إليه في شرح غوامض اللغة وتوضيح معانيها، وإحكام أصولها٣.

وقد اختلف موقف علماء العربية من الشعراء الذين يحتج بشعرهم، فقسموهم على أربع طبقات، ذكرها البغدادي في الخزانة٤:

الأولى: الشعراء الجاهليون، وهم قبل الإسلام، كامرئ القيس، والأعشى.

الثانية: المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كلبيد وحسان رضي الله عنهما.

---

١ الشاهد والاستشهاد في النحو ٣٤، ومصادر الشعر الجاهلي ١٥٢.

٢ الفاضل ١٠. وينظر: تفسير القرطبي ٢٠/١.

٣ ينظر: الزينة في الكلمات الإسلامية ٨٣/١.

٤ ص ٥/١، ٦.." [1]

"قال معاذ رضي الله عنه فقلت يا رسول الله أرأيت ما سئلت واختصم إلي فيه مما ليس في كتاب الله وما أسمعه منك قال اجتهد فإن الله إن علم منك الصدق وفقك ولا تقصير إلا بما تعلم وإن **أشكل عليك** أمر فقف عنده حتى تتبينه أو تكتب إلي فيه

وهو محمد بن سعيد الأسدي الذي روى عنه سعيد بن أبي هلال أخبرنا أبو علي أحمد بن محمد بن إبراهيم الصيدلاني أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق] عن ابن جريج [ح] وأخبرنا الحسن بن علي التميمي أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عثمان بن محمد عن سعيد بن أبي هلال عن محمد بن سعيد الأسدي عن أوس بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم الجمعة فغسل أحدكم رأسه واغتسل ثم غدا وابتكر ودنا واستمع وأنصت كان له بكل خطوة يخطوها صيام سنة وقيام سنة

وهو محمد بن حسان الذي روى عنه عبد الرحيم بن سليمان ومروان بن معاوية أخبرنا علي بن القاسم بن الحسن البصري حدثنا علي بن إسحاق المادرائي حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة حدثنا فروة هو ابن أبي

---

(١) إسفار الفصيح الهروي، أبو سهل ٢٣٩/١

المغراء حدثنا عبد الرحيم [ح] وأخبرنا الحسن بن أبي بكر أخبرنا عبد الله بن إسحاق ابن إبراهيم البغوي حدثنا أحمد بن علي الخراز حدثنا أبو القاسم فروة بن أبي المغراء حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن حسان عن المهاجر بن غانم عن الصنابحي قال سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يسمع صوته ويفرج كربه فلينظر معسرا أو ليدع له ومن سره أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فلا يكن على المؤمنين غليظا وليكن بهم رحيما لفظ المادرائي أخبرنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي حدثنا محمد بن أحمد." (١)

"مشورة من بحضرته ويصل إليه ويقدر عليه من علماء موضعه وهذا مشهور من مذهب عمر رضي الله عنه ذكر سيف بن عمر عن عبد الله بن المستورد عن محمد بن سيرين قال عهد عمر إلى القضاة أن لا يصرموا القضاء إلا عن مشورة وعن ملا وتشاور فإنه لم يبلغ من علم عالم أن يجتزىء به حتى يجمع بين علمه وعلم غيره ... وتمثل خليلي ليس الرأي في صدر ... واحد أثيرا علي اليوم ما يرياني ... قال سيف وحدثنا سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الأنصاري عن أبيه عن عبيد بن صخر بن لوذان الأنصاري قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل معلما لأهل اليمن وحضرموت قال يا معاذ إنك تقدم على أهل كتاب وإنهم سائلوك فذكر الحديث وفيه ولا تقضين إلا بعلم وإن **أشكل عليك** أمر فسل واستشر فإن المستشير معان والمستشار مؤتمن وإن التبس عليك فقف حتى تتبين أو تكتب إلي ولا تصرمن قضاء فيما لم تجده في كتاب الله أو سنتي إلا عن ملا وذكر تمام الخبر) وفيه دليل على عظيم ما كان عليه القوم من الإنصاف للعلم والانقياد إليه وكيف لا يكون كذلك وهم خير الأمم رضي الله عنهم وفيه دليل على استعمال خبر الواحد وقبوله وإيجاب العمل به وهذا هو أوضح وأقوى ما نرى من جهة الآثار في قبول خبر الواحد لأن ذلك كان في جماعة الصحابة وبمحضرهم في أمر قد أشكل عليهم فلم." (٢)

"التاريخ وذلك مجهول التاريخ، ولا خلاف بين العلماء أن المعلوم التاريخ هو الذي يقدم وقال ابن شهاب (١): ينتفع بجلد الميتة وإن لم يدبغ لقول النبي، - صلى الله عليه وسلم -: "وقد مر على ميتة هلا انتفعتم بإهابها" (٢)، ولأشكالها اختلف قول مالك، رضي الله عنه، فيها اختلافا متباينا. فمرة قال: يستعمل في الجامد دون المائع، ومرة قال: إن كان ففي الماء وحده، وتارة قال: من سرق جلد ميتة مدبوغا نظر؛ فإن كان في قيمة دباغه ربع دينار قطع ولم يعتبر قيمة ذاته، وتارة قال: يستعمل على الإطلاق (٣)

---

(١) موضح أوهام الجمع والتفريق الخطيب البغدادي ٢/٣٩٧

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ٨/٣٧٠

وليس يحتمل هذا القبس الإيضاح والتطويل، ولكننا نشير لكم إلى مشرعة (٤) قريبة من النظر تسلكون فيها فإن **أشكل عليكم** شيء من أمرها فإيضاحه في كتاب الأحكام (٥) قال الله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾

= درجة الحديث: نقل الحافظ تصحيح ابن حبان وتحسين الترمذي فتح الباري ٩/ ٦٥٩. والظاهر ضعفه فقد نقل الزيلعي في نصب الراية ١/ ١٢١، عن النووي قوله في الخلاصة: وحديث ابن عكيم أعل بأمور ثلاثة أحدها: الاضطراب في سنده، والثاني: الاضطراب في متنه فروي قبل موته بثلاثة أيام وروي بشهرين وروي بأربعين يوما. والثالث: الاختلاف في صحبته قال البيهقي: لا صحبة له فهو مرسل.

(١) رواه أبو داود من طريق عبد الرزاق ٤/ ٣٦٦ وأحمد ٥/ رقم ٣٤٥٢ من طريقه أيضا وانظر المصنف ١/ ٦٢ ونقل ابن عبد البر عن أبي عبد الله المروزي قوله: ما علمت أحدا قال ذلك قبل الزهري. انظر التمهيد ٤/ ١٥٤.

وقال الحافظ في الفتح ٩/ ٦٥٨: استدل به الزهري بجواز الانتفاع بجلد الميتة مطلقا سواء أدبغ أو لم يدبغ، لكن صح التقيد من طرق أخرى بالدباغ وهي حجة الجمهور.

درجة الحديث: صححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند ٥/ ٣٤٥٢ وقال ابن عبد البر وأما ابن شهاب فذلك عنه صحيح. التمهيد ٤/ ١٥٦.

(٢) انظر صحيح مسلم ١/ ٢٧٧.

(٣) قال ابن عبد البر: ذكر ابن عبد الحكم عن مالك ما يشبه مذهب ابن شهاب، قال: من اشترى جلد ميتة فدبغه وقطعه نعالا فلا يبيعه حتى يبين، فهذا يدل على أن مذهبه جواز بيع جلد الميتة قبل الدباغ وبعد الدباغ .. والظاهر من مذهب مالك غير ما حكاه ابن عبد الحكم، وهو أن الدباغ لا يطهر جلد الميتة ولكن يبيح الانتفاع بها في الأشياء اليابسة ولا يصلى عليه، ولا يؤكل فيه. هذا هو الظاهر من مذهب مالك وفي المدونة: من اغتصب جلد ميتة غير مدبوغ فأتلفه كان عليه قيمته. وذكر أبو الفرج أن مالكا قال: من اغتصب لرجل جلد ميتة غير مدبوغ فلا شيء عليه، قال إسماعيل: إلا أن يكون لمجوسي .. والآثار المتواترة عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، بإباحة الانتفاع بجلد الميتة شرط الدباغ كثيرة جدا. التمهيد ٤/ ١٥٧.

(٤) المشرعة، بفتح الراء، والشريعة هي الطريق إلى عبور الماء من حافة نهر أو بحر أو غيره. شرح النووي على مسلم ٦/ ٥٣.

(٥) أحكام القرآن ٢/ ٥٣٧ و ١/ ٥١، وانظر المنتقى ٣/ ١٣٣، الأشراف للقاضي عبد الوهاب ١/ ٤، والقرطبي ٢/ ٢١٩.." [١]

"مستطار، والحق أن الحذف في مثله ليس بمطرد، فلا يقال: اسطال يسطيل واسطاب يسطيب، وآءة في الأصل أوأة، لأن سيبويه قال: إذا **أشكل عليك** الالف في موضع العين فاحمله على الواو، لأن الأجوف الواوي أكثر فتصغيرها أويأة، فقوله: مستئاء في الأصل مستأوو قوله " على أصله " يعني حذفه في الفرع ما حذف في الأصل قياسا وإن لم يثبت في الفرع علة الحذف، فحذفت التاء في مسئاء كما حذفت في مسطار، لاجتماع التاء والطاء، والأولى - كما قلنا - أن حذف التاء في مسطاع ليس بقياس، فلا يحذف في مستطاب ولا مستطيل ونحوهما، وآءة نبت على وزن عاعة، وهو من باب سلس وقلق، وهو باب قليل وخاصة إذا كان الأول والآخر همزة مع ثقلها، ومثلها أجاء والاءة وأشاءة عند سيبويه، وحمل على ذلك أنه لم يسمع ألاية وأشاية، وقل ألاوة وأشاوة كعباية وسقاوة، وقالوا في أباءة، وهي الأجمة: إن أصلها أباية وإن لم يسمع، لأن فيها معنى الإباء لامتناعها بما
ينبت فيها من القصب وغيره من السلوك، وليس في إشاءة وألاءة مثل هذا الاشتقاق قوله " وعلى الأكثر " أي على القول الأكثر، وهو أنه لا يحذف ولا يزاد في الفرع إلا إذا ثبتت علته، ولو كان مسطار مفعالا من السطر لقلت من آءة مؤواء قال: " وسأل ابن جني ابن خالويه عن مثل كوكب من وأيت مخففا مجموعا جمع السلامة مضافا إلى ياء المتكلم فتحير أيضا فقال ابن جني: أوى "

---

(١) الالاءة - مثل سحابة - واحدة الالاء - كسحاب - وهو شجر مر (٢) الاشاءة - مثل سحابة - واحدة الاشاء، وهو صغار النخل، قال ابن القطاع، همزته أصلية، عن سيبويه.

وتوهم الجوهرى أنها مبدلة فأتى بها في المعتل (*)."[٢]

"والإثم ماحك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس)). رواه أحمد، والدارمي [٢٧٧٤].

((قض)): هذا الحديث من دلائل النبوة ومعجزات الرسول؛ فإنه صلى الله عليه وسلم أخبر عما في ضمير وابصة قبل أن يتكلم به، والمعنى أن الشيء إذا **أشكل عليك** والتبس ولم تتبين أنه من أي القبيلين هو؟

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/٢٩٩

(٢) شرح شافية ابن الحاجب - الرضي الأستراباذي الأستراباذي، الرضي ٣/٣٠٢

فليتأمل فيه إن كان من أهل الاجتهاد، وليسأل المجتهدين إن كان من المقلدين، فإن وجد ما تسكن إليه نفسه ويطمئن به قلبه وينشرح به صدره، فليأخذ به وليختر لنفسه، وإلا فليدعه، وليأخذ بما لا شبهة فيه ولا ريبة، هذا طريقة الورع والاحتياط، وحاصله راجع إلي حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، ولعله إنما عطف اطمئنان القلب علي اطمئنان النفس؛ للتقرير والتأكيد؛ فإن النفس إذا ترددت في أمر وتحيرت فيه وزال عنها القرار، استتبع ذلك العلاقة التي بينها وبين القلب، الذي هو المتعلق الأول له،، فتنقل العلاقة إليه من تلك الهيئة أثرا فيحدث فيه خفقان واضطراب، ثم ربما يسري هذا الأثر إلي سائر القوى، فيحسن بها الحلال والحرام، فإذا زال ذلك عن النفس، وحدث لها قرار وطمإنينة، انعكس الأثر، وتبدلت الحال علي مالها من الفروع والأعضاء. وقيل: المعني بهذا الأمر أرباب البصائر من أهل النظر والفكرة المستقيمة، وأصحاب الفراسات من ذوي النفوس المرتاضة والقلوب السليمة؛ فإن نفوسهم بالطبع تصبو إلي الخير وتنبو عن الشر، فإن الشيء ينجذب إلي ما يلائمه وينفر عما يخالفه؛ ويكون ملهمة للصواب في أكثر الأحوال. ((تو)): وهذا القول وإن كان غير مستبعد؛ فإن القول يحمله علي العموم فيمن تجمعهم كلمة التقوى، وتحيطهم دائرة الدين أحق وأهدى.

أقول: ولعل هذا الوجه أرجح؛ لأن المراد من النفس هو القلب علي الاستعارة؛ لأن الإنسان كما يتقوم بالنفس كذلك يتقوم بالقلب، ودل تكرير ((استفت استفت)) علي اتحادهما، ثم إذا كرر ثلاث مرات زاد التأكيد أضعافا، فإذا حصل ذلك بعد ضرب جمع الكف علي صدر وابصة مخاطبا له ((بنفسك)) وأنه خطاب لمثل وابصة، ومن هو علي صفته من شرف النفس وكرم الخلق، دل علي أنه لا ينبغي له أن يتجاوز نفسه إلي الغير، ولا يستفتى إلا عن نفسه؛ ولذلك جاء بقوله: ((وإن أفتاك الناس)) فإنها شرط قطع عن الجزاء، تتميما للكلام السابق وتقريرا له علي سبيل المبالغة. وقيل: الضمير في ((صدره)) يعود إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أوهمه قوله: ((قال)) ويجوز أن يكون من كلام الراوي غير وابصة، وهو أولي بسياق المعنى كما مر.

فإن قلت: سياق الحديث الأول في الصدق والكذب، وهذا في البر والإثم، فكيف وردا في باب الكسب؟ وأي مناسبة بينهما؟ قلت: قوله: ((طمإنينة)) كالبيان والتفسير للصدق، فلا يراد به المتعارف بل أعم، فهو حينئذ من باب عموم المجاز، ويشتمل علي الصدق في المقال والفعال، ومن الفعال طلب كسب الحلال، والكذب يقابله الكذب في المعنى.." (١)

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢١٠٨/٧

"رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: ((أنذرتكم فتنة الدجال، فليس من نبي إلا أنذره قومه، أو أمته، وأنه أدم جعد، أعور عينيه اليسرى. وأنه يمطر ولاينبت الشجر، وأنه يسلط على نفس رجل يقتلها، ثم يحيينها، ولايسلط على غيرها، وأنه معه جنة ونار، ونهر من ماء، وجبل من خبز، وأن جنته نار، وناره جنة، وأنه يلبث فيكم أربعين صباحا يرد منها كل منهل: إلا أربع مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والطور، والمسجد الأقصى. وإن **أشكل عليكم**، أو شبه، فإن الله ليس بأعور)) (١) .

(١) مسند أحمد، ٥/٤٣٤.." [1]

"يحيى بن سعيد الأموي، عن محمد بن سعيد بن حسان١، عن عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن بن غنم، قال: حدثنا معاذ بن جبل، قال: "لما بعثني رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى اليمن قال: "لا تقضين ولا تفعلن إلا بما تعلم، فإن **أشكل عليك** أمر فقف عليه، حتى تبينه٢ أو تكتب إلي فيه""٣.

فتبينا بهذا، أن الرجل الذي لم يسم في الرواية الأولى، هو: محمد بن سعيد بن حسان، وهو المصلوب، وهو كذاب [وضاع للحديث اتفقوا على تركه] ٤.

قوله: مسألة: لو ندر المخالف، مع كثرة المجمعين، كإجماع غير ابن عباس على العول، وغير أبي موسى على أن النوم ينقض الوضوء٥.

---

١ هو: محمد بن سعيد بن حسان بن قيس الأسدي، الشامي، المصلوب، ويقال له: سعيد بن عبد العزيز، أو ابن أبي عتبة، أو ابن أبي قيس، أو ابن أبي حسان، أو ابن الطبري، وأبو عبد الرحمن، وأبو عبد الله، وأبو قيس، وقد ينسب لجده. ويقال: إنهم قلبوا اسمه على مائة وجه؛ ليخفى كذبه، من السادسة.

قال أحمد بن صالح: وضاع، وضع أربعة آلاف حديث.

وقال أحمد: قتله المنصور على الزندقة وصلبه.

وقال ابن معين فيه: منكر الحديث.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حديثه موضوع.

وقال البخاري: قتل بالزندقة، متروك الحديث.

وقال أبو زرعة الرازي: صلب في الزندقة، وهو متروك الحديث.

---

(١) جامع المسانيد والسنن ابن كثير ٤٣٥/١٠

وقال النسائي: متروك الحديث.

وقال الدارقطني: متروك الحديث.

وقال ابن حبان: يضع الحديث على الثقات، ويروي عن الأثبات ما لا أصل له، لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه، ولا الرواية عنه بحال من الأحوال.

انظر تاريخ ابن معين، رواية الدوري ٤/ ٤٢٦، والضعفاء الصغير ص١٠٠، والجرح والتعديل ٧/ ٢٦٢، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص٩٢، وميزان الاعتدال ٣/ ٥٦١، وتهذيب التهذيب ٩/ ١٨٤، والمجروحين ٢/ ٢٤٨.

٢ في نسخة ف "تتبينه"، وفي الأصل ابن ماجه كما أثبته.

٣ ابن ماجه في المقدمة، باب اجتناب الرأي والقياس، حديث "٥٥" ١/ ٢١ وفيه: "لا تقضين ولا تفصلن ... ".

٤ ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل، وأثبتها من ف.

٥ انظر المسألة في مختصر المنتهى ص٥٩.." (١)

"أن ناسا قالوا: يا رسول الله قد عرفنا عدة ذوات الأقراء فما عدة اللائي لم يحضن من الصغار والكبار؟ فنزلت فهذا يبين معنى ﴿إن ارتبتم﴾ أي إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ فإنا لو تركنا مدلول اللفظ لاقتضى أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضرا وهو خلاف الإجماع فلا يفهم مراد الآية حتى يعلم سببها وذلك أنها نزلت لما صلى النبي صلى عليه وسلم على راحلته وهو مستقبل من مكة إلى المدينة حيث توجهت به فعلم أن هذا هو المراد

ومن ذلك قوله تعالى ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوا﴾ فإن سبب نزولها أن قوما أرادوا الخروج للجهاد فمنعهم أزواجهم وأولادهم فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم أنزل في بقيتها ما يدل على الرحمة وترك المؤاخذة فقال ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾

فصل: فيما نزل مكررا

---

(١) تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب ابن كثير ص/١٢٨

وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا به عند حدوث سببه خوف نسيانه وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين مرة بمكة وأخرى بالمدينة وكما ثبت في." (١)

"وروى الترمذي في سننه عن عيسى بن طلحة عن معاذ أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات، وهي البقول فقال: «ليس فيها شيء» .

مما يدل على بطلانه ما رواه ابن ماجه في سننه عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ قال لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم، فإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تتبينه أو تكتب إلي فيه» .." (٢)

"معلما لأهل اليمن وحضرموت، فقال: "إنك تقدم على قوم أهل كتاب، وإنهم سائلوك .. " الحديث.

وفيه: " .. ولا تقضين إلا بعلم، وإن **أشكل عليك** أمر فسل واستشر، فإن المستشير معان والمستشار مؤتمن، وإن التبس عليك فقف نبين لك أو تكتب إلى، ولا تصرمن قضاء فيما لم تجده في كتاب الله أو سنتي إلا عن ملأ" (١).

وفيه: دليل عظيم على ما كان عليه القوم من الإنصاف في العلم والانقياد إليه.

وفيه: استعمال خبر الواحد (وقبوله) (٢) وإيجاب العمل به، وهو أصح وأقوى ما يروى جهة الأثر في خبر الواحد؛ لأن ذلك كان بمحضر من الصحابة في أمر قد أشكل عليهم، فلم يقولوا لعبد الرحمن أنت واحد فلا يجب قبوله إنما يجب قبول خبر الكافة.

قال أبو عمر: ما أعظم ضلال من قاله، والله تعالى يقول: ﴿إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا﴾ فلو كان العدل إذا جاء بنبأ يتثبت في خبره ولم ينفذ لاستوى الفاسق والعدل.

وهذا خلاف القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ [ص: ٢٨] (٣) وقد قال القاضي أبو بكر: الصحابة على تقديم خبر الواحد (٤) على قياس الأصول، وما نحن فيه ظاهر.

---

(١) "التمهيد" ٨/ ٣٧٠.

(٢) من (ص٢).

(٣) السابق ٨/ ٣٧١.

---

(١) البرهان في علوم القرآن الزركشي، بدر الدين ٢٩/١

(٢) تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج ابن الملقن ص/١٠٥

(٤) قال ابن العربي في "أحكام القرآن" ٢/ ٥٧٩: خبر الواحد أصل عظيم لا ينكره إلا زائغ، وقد أجمعت الصحابة على الرجوع إليه، وقد جمعناه في جزء.." (١)

"عن الخضراوات وهي البقول، فقال: ليس فيها شيء» قال: ومما يدل على بطلانه ما رواه ابن ماجه في «سننه» عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ قال: «لما بعثني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم، فإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه» .

قال ابن طاهر: فقد صح عندي فساد حديث معاذ المذكور لما أوضحته من وهن إسناده، وبما أتبعته من الأحاديث المتصلة المخرجة في الصحيح ووجب ترك الاحتجاج به. هذا ملخص كلامه في التأليف المذكور. الحديث الذي أورده من طريق ابن ماجه عجبت منه سكوته على إسناده وفيه محمد ابن (سعيد) المصلوب وهو كذاب وضاع كما أسلفته في كتاب الجنايات. وقال أبو عمر وعثمان بن الإمام أبي علي حسن بن علي بن دحية «إرشاد البائنية والرد على المعتدي مما وهم فيه الفقيه أبو بكر ابن العربي» : هذا الحديث لا أصل له، ورجاله مجهولون، ولا يصح عند أحد من الأئمة النقاد، وهو حديث مشهور عند ضعفاء أهل الفقه لا أصل له، يوجب إطراحه. وقال: أحسن ما روي في هذا الباب ما رواه الشعبي عن شريح القاضي «أنه كتب إلى عمر بن الخطاب يسأله فكتب إليه عمر أن اقض بما [في] كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله ففي سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإن لم [يكن] في سنة رسول الله وإلا فبما قضى به الصالحون، فإن لم يكن في كتاب الله ولا." (٢)

"١ – حديث "قال عيسى الأمور ثلاثة: أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر **أشكل عليك** فكله إلى عالمه"

أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف.." (٣)

"يقدر، وقف يوم القيامة جلد ولا لحم له، عظم يتقعقع. فقال الرجل: آمنت بالله، شققت عليك يا نبي الله ولم أعلم. قال: لا بأس، أحسنت واتقيت. فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، احكم في أهلي ومالي بما شئت، أو اختر، فأخلي سبيلك. قال: أحب أن تخلي سبيلي فأعبد ربي. فخلى سبيله. فقال الخضر: الحمد لله الذي أوثقني في العبودية ثم نجاني منها».

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٤٦١/٢٧

(٢) البدر المنير ابن الملقن ٥٤٠/٩

(٣) تخريج أحاديث الإحياء = المغني عن حمل الأسفار العراقي، زين الدين ص/١٧٧٥

رواه الطبراني ورجاله موثقون، إلا أن بقية مدلس. ويأتي حديث آخر في وفاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخضر.

[باب ما جاء في خالد بن سنان]

١٣٨١٧ - عن ابن عباس، أن رجلا من بني عبس يقال له: خالد بن سنان قال لقومه: أنا أطفئ عنكم نار الحرتين. فقال له عمارة بن زياد - رجل من قومه -: والله ما قلت لنا يا خالد قط إلا حقا، فما شأنك وشأن نار الحرتين؟ تزعم أنك تطفئها؟ قال: فانطلق معه عمارة بن زياد في ناس من قومه حتى أتوها وهي تخرج من شق جبل في حرة يقال لها: حرة أشجع، فخط لهم خالد خطة فأجلسهم فيها وقال: إن أبطأت عنكم فلا تدعوني باسمي. فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضا، فاستقبلها خالد [فجعل] يضربها بعصاه ويقول: بدا بدا كل منتهى مردا زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندى، حتى دخل معها الشق فأبطأ عليهم. قال: فقال عمارة بن زياد: فوالله لو كان صاحبكم حيا لقد خرج إليكم بعد. فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه. قال: فادعوه باسمه، فوالله لو كان صاحبكم حيا لقد خرج بعد. فقال: إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه.، قال: فدعوه باسمه فخرج إليهم آخذا برأسه قال: ألم أنهكم أن تدعوني باسمي؟ فقد والله قتلتموني، فادفنوني، فإذا مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر فانبشوني، فإنكم ستجدوني حيا. قال: فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر، فقال: انبشوه، فإنه أمرنا أن ننبشه. فقال عمارة بن زياد: لا تحدث مضر عنا أنا ننبش موتانا، والله لا تنبشوه أبدا. قال: وقد كان خالد أخبرهم أن في عكم امرأته لوحين، فإذا **أشكل عليكم** أمر فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تسألون عنه، ولا تمسهما حائض. قال: فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما، فأخرجتهما وهي حائض، فذهب ما كان فيهما من." (١)

"(١٩) حدثنا بشر بن منصور الخياط عن أبي زيد عن أبي المغيرة عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته

هذا إسناد رجاله كلهم مجهولون قاله الذهبي في الكاشف وقال أبو زرعة لا أعرف أبا زيد ولا المغيرة

- باب اجتناب الرأي والقياس

(٢٠) حدثنا الحسن بن حماد سجادة حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن محمد بن سعيد بن حسان عن عبادة بن نسي عن عبد الرحمن بن غنم حدثنا معاذ بن جبل قال لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد نور الدين الهيثمي ٢١٣/٨

إلى اليمن قال لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم

وإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه

هذا إسناد ضعيف محمد بن سعيد هو المصلوب اتهم بوضع الحديث

(٢١) حدثنا سويد بن سعيد حدثنا ابن أبي الرجال عن عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم

فقالوا بالرأي

فضلوا وأضلوا

)

) حدثنا محمد بن أبي عمر العدني هذا إسناد ضعيف لضعف ابن أبي الرجال واسمه حارثة بن محمد بن عبد الرحمن

حدثنا محمد بن أبي عمر العدني عن سفيان بن عيينة قال لم يزل أمر الناس معتدلا حتى نشأ فلان بالكوفة وربيعة الرأي بالمدينة وعثمان البتي بالبصرة فوجدناهم من أبناء سبايا الأمم." (١)

"نسألك خطك بيدك وشفاعتك بلسانك أن تردنا. قال: كان عمر رشيد الأمر فلو طعن عليه يوما لطعن عليه ذلك اليوم ".

رواه مسدد.

٦٥٩٧ - وعن ابن عون قال: " سمعت القاسم بن محمد يقول في سجوده: اللهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان ".

رواه مسدد.

٦٥٩٨ - وعن عبد الرحمن بن أبزى قال: " لما وقع الناس في أمر عثمان قلت لأبي: يا أبا المنذر ما المخرج من ذلك؟ قال: كتاب الله. قال: فما استبان لك فآمن به وانتفع به وما **أشكل عليك** فكله إلى عالمه "

رواه مسدد.

٦٥٩٩ - وعن أبي قلابة " أن رجلا من قريش يقال له: ثمامة كان على صنعاء فلما جاء قتل عثمان بن

---

(١) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه البوصيري ١١/١

عفان خطب فبكى بكاء شديدا فلما أفاق قال: اليوم انتزعت خلافة النبي - صلى الله عليه وسلم - (من أمة محمد- صلى الله عليه وسلم - وصارت ملكا وجبرية من غلب على شيء أكله.

رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر.

٦٦٠٠ - وعن محمد بن سيرين قال: " ذكر رجلان عثمان- رضي الله عنه- فقال أحدهما قتل شهيدا فتعلقه الآخر فأتى به عليا- رضي الله عنه- فقال: هذا يزعم أن عثمان قتل شهيدا. فقال له علي: أقلت ذلك؟ قال: نعم أما تذكر يوم أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وعنده أبو بكر وعمر وعثمان- رضي الله عنهم- وأنت فسألت النبي - صلى الله عليه وسلم - فأعطاني وسألت أبا بكر فأعطاني وسألت عمر فأعطاني وسألت عثمان فأعطاني وسألتك فمنعتني فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يبارك لي. فقال: وما لك لا يبارك لك وقد أعطاك النبي - صلى الله عليه وسلم - وصديق وشهيدان- ثلاث مرات قال: دعه.

رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر وأبو يعلى الموصلي.." (١)

"مراد الله من خلقه في كل ما تعبدهم به من معرفته وتصديق رسله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وبهذا الاعتبار كانت أمهات ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ما تشابه منه ومعنى ذلك أن من لم يكن على يقين من المحكمات وفي قلبه شك واسترابة كانت راحته في تتبع المشكلات المتشابهات ومراد الشارع منها التقدم إلى فهم المحكمات وتقديم الأمهات حتى إذا حصل اليقين ورسخ العلم لم تبال بما **أشكل عليك** ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التقدم إلى المشكلات وفهم المتشابه قبل فهم الأمهات وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع ومثل هؤلاء مثل المشركين الذين يقترحون على رسلهم آيات غير الآيات التي جاءوا بها ويظنون أنهم لو جاءتهم آيات أخر لآمنوا عندها جهلا منهم وما علموا أن الإيمان بإذن الله تعالى انتهى

وقال: الراغب في مفردات القرآن: الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكم على الإطلاق ومتشابه على الإطلاق ومحكم من وجه متشابه من وجه.

فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب:

متشابه من جهة اللفظ فقط ومن جهة المعنى فقط ومن جهتهما فالأول ضربان: أحدهما يرجع إلى الألفاظ

---

(١) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة البوصيري ١٧٢/٧

المفردة إما من جهة الغرابة نحو الأب ويزفون أو الاشتراك كاليد واليمين وثانيهما يرجع إلى جملة الكلام المركب وذلك ثلاثة أضرب: ضرب لاختصار الكلام نحو: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم﴾." [1]

"أخرجه الترمذى (٥٣٧/٤، رقم ٢٢٨٠) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضا: الطبرانى فى الأوسط (٢٠٣/٧، رقم ٧٢٧٥) ، وفى الصغير (١٢٨/٢، رقم ٩٠٣) .

١٦٧٤٣- لا تقصوا نواصى الخيل فإنه معقود بنواصيها الخير ولا أعرافها فإنها أدفاؤها ولا أذنابها فإنها مذابها (أبو داود، وأبو يعلى، والبيهقى عن عتبة بن عبد السلمى)

أخرجه أبو داود (٢٢/٣، رقم ٢٥٤٢) ، قال المنذرى (١٦٨/٢) : فى إسناده رجل مجهول. والبيهقى (٣٣١/٦، رقم ١٢٦٨٢) . وأخرجه أيضا: أبو عوانة (٤٤٨/٤، رقم ٧٢٩٠) ، والطبرانى فى الشاميين (٢٦٨/١، رقم ٤٦٧) ، والديلمى (٢٥/٥، رقم ٧٣٣٧) .

١٦٧٤٤- لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم وإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبيه أو تكتب إلى فيه (ابن ماجه عن معاذ)

أخرجه ابن ماجه (٢١/١، رقم ٥٥) . قال البوصيرى (١١/١) : هذا إسناد ضعيف.." [2]

"٢٨٧٩٧- عن عاصم بن أبى النجود: أن عمر بن الخطاب كان إذا بعث عماله شرط عليهم أن لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقيا ولا تلبسوا رقيقا، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة، ثم يشيعهم، فإذا أراد أن يرجع قال: إنى لم أسلطكم على دماء المسلمين، ولا على أعراضهم، ولا على أموالهم، ولكنى بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة، وتقسموا فيهم فيئهم، وتحكموا بينهم بالعدل فإذا **أشكل عليكم** شيء فارفعوه إلى، ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها ولا تجمروها فتفتنوها ولا تعتلوا عليها فتحرموها جردوا القرآن (البيهقى فى شعب الإيمان) [كنز العمال ١٤١٩٧]

---

(١) الإتقان في علوم القرآن السيوطي ١١/٣

(٢) جامع الأحاديث السيوطي ٢٦٣/١٦

٢٨٧٩٨- عن عكرمة: أن عمر بن الخطاب كان إذا تلا هذه الآية ﴿ومن الناس من يعجبك قوله﴾ إلى قوله ﴿ومن الناس من يشترى﴾ قال اقتتل الرجلان (عبد بن حميد) [كنز العمال ٤٢٣١]." [١]

"٤٠٥٣١- يا معاذ إنك تقدم على أهل كتاب وإنهم سائلوك عن مفاتيح الجنة فأخبرهم أن مفاتيح الجنة لا إله إلا الله وإنها تخرق كل شيء حتى تنتهى إلى الله لا تحجب دونه من جاء بها يوم القيامة مخلصا رجحت بكل ذنب يا معاذ تواضع لله يرفعك الله واستدق الدنيا تلقك الحكمة فإنه من تواضع لله واستدق الدنيا أظهر الله الحكمة من قلبه على لسانه ولا تغضبن ولا تقولن إلا بعلم فإن أشكل عليك أمر فاسأل ولا تستحى واستشر فإن المستشير معان والمستشار مؤتمن ثم اجتهد فإن الله إن يعلم منك يوفقك وإن التبس عليك فقف وأمسك حتى تتبينه أو تكتب إلى فيه ولا تضربن فيما لم تجد فى كتاب الله ولا فى سنتى على قضاء إلا عن ملأ واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار وإذا قدمت عليهم فأقم فيهم كتاب الله وأحسن أدبهم وأقرئهم القرآن يحملهم على الحق وعلى الأخلاق الجميلة وأنزل الناس منازلهم فإنهم لا يستوون إلا فى الحدود لا فى الخير ولا فى الشر على قدر ما هم عليه من." [٢]

"١٤٤٠٣ - لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم وإن أشكل عليك أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه

(هـ) عن معاذ.

K (موضوع) انظر حديث رقم: ٦٢٥٥ في ضعيف الجامع." [٣]

"ولا يكتب اسم مبني بالياء إلا (متى) لإمالتها ولا شيء من الحروف بالياء إلا (بلى) لإمالتها أيضا و (على) و (حتى) و (إلى) لعودها ياء في (إليه) و (عليه) قال ابن الأنباري وإنما كتبت (حتى) بالياء وإن كانت لا تمال فرقا بين دخولها على الظاهر والمضمر فلزم فيها الألف مع المضمر حين قالوا (حتاي) و (حتاك) و (حتاه) وانصرف إلى الياء مع الظاهر حين قالوا حتى زيد انتهى فإن وصلت الثلاثة ب (ما) الاستفهامية كتبت بالألف لوقوعها وسطا نحو (إلام) و (علام) و (حتام) وقال الزجاجي إذا أشكل عليك شيء من ما آخره ألف فاكتبه بالألف لأنه الأصل وكما ذهب بعضهم وهو الصحيح إلى أن جميع ما جاز يكتب بالياء جاز أن يكتب بالألف

---

(١) جامع الأحاديث السيوطي ١٦٤/٢٦

(٢) جامع الأحاديث السيوطي ٢٥٣/٣٧

(٣) الجامع الصغير وزيادته السيوطي ص/١٤٤٠٣

٣ – رسم المصحف

(ص) ورسم المصحف متبع ومن ثم قيل خطان لا يقاسان خط المصحف والعروض أما القافية فالمقيدة تستوفي حروفها إلا ما يتم الوزن دونه فإن كان الروي ألفا فيها أبدا والمطلقة نصبا بالألف والمختار حذف صلة غيره والممدودة بألفين وما مر من زيادة أو حذف أو بدل مفقود (ش) رسم المصحف متبع لاتباع السلف رضي الله عنهم وقد وقع فيه أشياء كثيرة من الوصل والفصل والزيادة والحذف والبدل على خلاف ما تقدم تقريره كوصل ﴿ألن تجمع عظامه﴾ [القيامة: ٣] ﴿أمن هو قانت﴾ [الزمر: ٩] وفصل وزيادة ياء في ﴿بأييد﴾ [الذاريات: ٤٧] و ﴿من نبإي المرسلين﴾ [الأنعام: ٣٤] و ﴿وملإيه﴾ [الأعراف: ١٠٣] و ﴿وملائهم﴾ [يونس: ٨٣] وألف في ﴿الربوا﴾ [البقرة: ٢٧٥] ﴿إن امرؤ ا﴾ [النساء: ١٧٦] وحذف ألف (نشئوا) وكتابة واو صورة الهمزة وزيادة ألف بعدها وكتابة (ما زكى﴾ [النور: ٢١] بالياء وقياسه الألف لأنه من ذوات الواو وكتابة (الصلاة) و (الزكاة) و (الحياة) و (مشكاة) و (مناة) و (الربا) بواو بدل الألف وهذا كله مما ينقاد إليه في." (١)

"وقيل: لو لم يبتل العقل الذي هو أشرف البدن لاستمر العالم في أبهة العلم على التمرد، فبذلك يستأنس إلى التذلل بعز العبودية، والتشاغل به هو موضع خضوع العقول لبارئها استسلاما واعترافا بقصورها. وفي ختم الآية بقوله تعالى: (وما يذكر إلا أولو الألباب) ، تعريض بالزائغين، ومدح للراسخين – يعني من لم يتذكر ويتعظ ويخالف هواه فليس من ذوي العقول، ومن ثم قال الراسخون: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ...)

إلى آخر الآية، فخضعوا لبارئهم لاستنزال العلم اللدني بعد أن استغاثوا به من الزيغ النفساني.

وقال الخطابي: المتشابه على ضربين: أحدها ما إذا رد إلى الحكم واعتبر به

عرف معناه.

والآخر ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل

الزيغ فيظنون تأويله، ولا يبلغون كنهه، فيرتابون به فيفتتنون.

وقال ابن الحصار: قسم الله آيات القرآن إلى محكم ومتشابه، وأخبر عن

المحكمات أنها أم الكتاب، لأنه إليها ترد المتشابهات، وهي التي تعتمد في فهم

مراد الله من خلقه، أي في كل ما تعبدهم به من معرفته وتصديق رسله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

---

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع السيوطي ٥٢٧/٣

وبهذا الاعتبار كانت أمهات.

ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ما تشابه منه.

ومعنى ذلك أن من لم يكن على يقين من المحكمات، وفي قلبه شك واسترابة

كانت راحته في تتبع المشكلات المتشابهات، ومراد الشارع منا التقدم إلى فهم المحكمات، وتقديم الأمهات، حتى إذا حصل اليقين، ورسخ العلم لم تبال بما **أشكل عليك.**

ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التتبع إلى المشكلات، وفهم المتشابه قبل فهم

الأمهات، وهو عكس المعقول والمعتاد والشروع، ومثل هؤلاء من المشركين

الذين يقترحون على رسلهم آيات غير الآيات التي جاءو بها، ويظنون أنهم لو

جاءتهم آيات أخر آمنوا عندها جهلا منهم، وما علموا أن الإيمان بإذن الله

تعالى. انتهى.." (١)

"لو فعلت ذلك قومناك تقويم القدح١ فقال عمر: أنتم إذا أنتم إذا. "أبو ذر الهروي في الجامع كر".

"بعوثه رضي الله عنه"

١٤١٩٧- "مسنده" عن عاصم بن أبي النجود عن عمر بن الخطاب كان إذا بعث عماله شرط عليهم أن لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقيا٢ ولا تلبسوا رقيقا، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة، ثم يشيعهم، فإذا أراد أن يرجع قال: إني لم أسلطكم على دماء المسلمين، ولا على أعراضهم، ولا على أموالهم، ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة، وتقسموا فيهم فيئهم، وتحكموا بينهم بالعدل فإذا **أشكل عليكم** شيء فارفعوه إلي، ألا

---

١ القدح: ومنه الحديث "كان يسوي الصفوف حتى يدعها مثل القدح" أي مثل السهم أو سطر الكتابة. النهاية "٤/٢٠" ب.

٢ برذون: البرذون: الدابة، قال الكسائي: الأنثى من البراذين برذونه. المختار "٣٥" ب.

نقيا: نقاوة الشيء: خياره، وكذلك النقاية بالضم فيهما، كأنه بنى على ضده وهو النفاية، لأن فعالة يأتي

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطي ١٠٨/١

كثيرا فيما يسقط من فضلة الشيء. يقال: نقي الشيء بالكسر ينقى نقاوة بالفتح، فهو نقي أي نظيف. الصحاح للجوهري "٢٥١٤/٦" ب.." (١)

"١٥٠٢٦- "اذهبوا فقاسموهم أنصاف الأموال، ولا تمسوا ذراريهم ولولا أن الله لا يحب ضلالة العمل ما رزيناكم ١ عقالا". "د عن الزبيب العنبري" ٢.

١٥٠٢٧- "لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم، وإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه". "هـ عن معاذ".

١٥٠٢٨- "لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان". "م ت ن عن أبي بكرة".

١٥٠٢٩- "لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال". "د عن عوف بن مالك" ٣.

١٥٠٣٠- "لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان ". "حم خ د هـ عن أبي بكرة".

---

(١) ما رزيناكم: وفي الحديث "لولا أن الله تعالى لا يحب ضلالة العمل ما رزيناك عقالا" جاء في بعض الروايات هكذا غير مهموز، والأصل الهمز، وهو من التخفيف الشاذ. وضلالة العمل: بطلانه وذهاب نفعه. انتهى. النهاية "٢١٨/٢" ب.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الشهادات باب القضاء باليمين والشاهد رقم "٣٥٩٥" والحديث طويل ص.

(٣) الحديث أول فقرة منه في المطبوع: لا يقضي وهكذا في ذخائر المواريث في مسند عوف بن مالك "٧٦/٣". =." (٢)

"لا إله إلا الله وحده لا شريك له". "كر"؛ وفيه ركن الشامي متروك.

٣٠٢٩٢- " يا معاذ إنك تقدم على أهل الكتاب وإنهم يسألونك عن مفاتيح الجنة فأخبرهم أن مفاتيح الجنة لا إله إلا الله وأنها تحرق كل شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل لا يحجب دونه، من جاء بها إلى يوم القيامة مخلصا رجحت بكل ذنب، يا معاذ تواضع لله عز وجل يرفعك الله، واستدق١ الدنيا يؤتك الله الحكمة، فإنه من تواضع لله واستدق الدنيا أظهر الله تعالى الحكمة من قلبه على لسانه ولا تغضبن ولا تقولن إلا بعلم، فإن **أشكل عليك** أمر فاسأل ولا تستحي، واستشر فإن المستشير معان، والمستشار مؤتمن، ثم اجتهد فإن الله عز وجل إن يعلم منك يوفقك، وإن التبس عليك فقف، وأمسك حتى تبينه أو تكتب

---

(١) كنز العمال المتقي الهندي ٦٨٨/٥

(٢) كنز العمال المتقي الهندي ١٠١/٦

إلي فيه، ولا تضربن فيما لم تجد في كتاب الله ولا في سنتي على قضاء إلا عن ملأ، واحذر الهوى فإنه قائد الأشقياء إلى النار، وإذا قدمت عليهم فأقم فيهم كتاب الله وأحسن أدبهم، وأقرئهم القرآن يحملهم القرآن على الحق وعلى الأخلاق الجميلة، وأنزل الناس منازلهم

---

١ واستدق: أي: احتقرها واستصغرها. وهو استفعل، من الشيء الدقيق الصغير. النهاية ١٢٧/٢. ب.." (١)

"نجوم السماء) أشار به إلى غاية الكثرة من قبيل خبر لا يضع العصا عن عاتقه (من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا) أي لم يعطش عطشا يتأذى به (أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين بن الشعث رؤساء الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد) أي الابواب احتقار لهم (ت ك عن ثوبان) // (باسناد صحيح) //

(حولها) أي الجنة (ندندن) أي ما ندندن الاحول طلب الجنة وذا قاله لما قال لرجل ما تقول في الصلاة قال أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فذكره والدندنة كلام يسمع ولا يفهم (د عن بعض الصحابة عن أبي هريرة)

(حيثما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني) لان النفوس القدسية إذا تجردت عن العلائق البدنية اتصلت بالملأ الأعلى ولم يبق لها حجاب فترى وتسمع الكل كالمشاهد (طب عن الحسن بن علي) // (باسناد حسن) //

(حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار) ەذا تهكم نحو فبشرهم بعذاب أليم قاله لمن قال له أن أبي كان يصل الرحم وكان فأين هو قال في النار فكأنه وجد من ذلك فقال أين أبوك فذكره (هـ عن ابن عمر) بن الخطاب (طب عن سعد) بن أبي وقاص

(حياتي) أي في الدنيا والا فالانبياء أحياء في قبورهم (خير لكم) أي حياتي في هذا العالم موجبة لحفظكم من البدع والفتن والاختلاف (ومماتي خير لكم) فان لكل نبي في السماء مستقر إذا قبض والمصطفى مستقر هناك يسأل لأمته لا يقال الحديث مشكل لان أفعل التفضيل يوصل بمن عند تجرده ووصله بها هنا غير ممكن إذ يصير المعنى حياتي خير لكم من مماتي ومماتي خير لكم من حياتي لانا نقول المراد بخير هنا التفضيل لا الافضلية فلا توصل بمن وليس بمعنى أفعل وانما المقصود أن كلا من حياته ومماته فيه خير

---

(١) كنز العمال المتقي الهندي ٥٩٥/١٠

لا أن هذا خير من هذا ولا هذا خير من هذا (الحرث عن أنس) // (باسناد ضعيف) //

(حياتي خير لكم تحدثون) بضم المثناة الفوقية بخط المؤلف (ويحدث) بضم المثناة التحتية وفتح الدال بخطه (لكم) أي تحدثوني بما **أشكل عليكم** وأحدثكم بما يزيح الاشكال ويرفعكم إلى درجة الكمال واحتمال أن المعنى تحدثون طاعة ويحدث لكم غفرانا يدفعه أن ذلك ليس خاصا بحياته (فإذا أنامت بزيادة أنا (كانت وفاتي خيرا لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت شرا استغفرت لكم) وذلك كل يوم كما ذكره المؤلف وعده من خصوصياته وتعرض عليه أيضا مع الانبياء والآباء يوم الاثنين والخميس (ابن سعد) في طبقاته (عن بكر بن عبد الله) المزني (مرسلا) ورجاله ثقات

(الحائض والنفساء إذا أتتا على الوقت) الذي يصح فيه الاحرام بنسك (تغتسلان) غسل الاحرام بنية حالة الحيض أو النفاس مع أن الغسل لا يحل لهما شيئا حرمه الحيضان بل تشبها بالمتعبدين (وتحرمان) بضم المثناة الفوقية (وتقضيان) أي تؤديان (المناسك) أعمال الحج والعمرة (كلها) حال الحيض (غير الطواف) أي إلا الطواف (بالبيت) والا ركعتي الطواف والاحرام فذلك لا يصح مع الدم (حم د عن ابن عباس) // (باسناد حسن) //

(الحاج الشعث) مصدر الاشعث وهو المغبر الرأس (التفل) بمثناة فوقية وكسر الفاء الذي ترك استعمال الطيب أي من هذا نعته فهو الحاج حقيقة الحج المقبول (ت عن ابن عمر) بن الخطاب ورجاله رجال الصحيح

(الحاج الراكب له بكل خف يضعه بعيره حسنة) يعني بكل خطوة تخطوها دابته وخص البعير لغلبة الحج عليه وتمام الحديث والماشي له بكل خطوة يخطوها سبعون." (١)

"٤١٧ - (إذا أردت أمرا) أي فعل شيء من المهمات **وأشكل عليك** وجهه (فعليك بالتؤدة) كهمزة أي الزم التأني والرزانة والتثبت وعدم العجلة (حتى) أي إلى أن (يريك الله منه مخرجا) بفتح الميم والراء أي المخلص يعني إذا أردت فعل شيء **وأشكل عليك** أو شق فتثبت ولا تعجل حتى يهديك الله إلى الخلاص ولفظ رواية البيهقي حتى يجعل الله لك مخرجا أو قال فرجا قال الراغب: يحتاج الرأي إلى أربعة أشياء اثنان من جهة الزمان في التقديم والتأخير أحدهما أن يعيد النظر فيما يرتقبه ولا يعجل إمضاءه فقد قيل إياك والرأي الفطير وأكثر من يستعجل في ذلك ذوي النفوس الشهيمة والأمزجة الحادة والثاني أن لا يدافع به بعد إحكامه فقد قيل أحزم الناس من إذا وضح له الأمر صدع فيه وأكثر -[٢٧٢]- من يدافع ذلك ذوو

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ١/٥٠٢

النفوس المهينة والأمزجة الباردة واثنان من جهة الناس أحدهما ترك الاستبداد بالرأي فإن الاستبداد به من فعل المعجب بنفسه وقد قيل الأحمق من قطعه العجب بنفسه عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة والثاني أن يتخير من يحسن مشاروته قال الشاعر:

فما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه. . . وما كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعا عند صاحب. . . فحق له من طاعة بنصيب

ومن دخل في أمر بعد الاحتراز عن هذه الأربعة فقد أحكم تدبيره فإن لم ينجح عمله لم تلحقه مذمة (خد هب) وكذا الطيالسي والخرائطي والبغوي وابن أبي الدنيا كلهم (عن رجل من يلي) بفتح فكسر كرضي قبيلة معروفة قال هذا الرجل: انطلقت مع أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فناجاه أبي دوني فقلت لأبي ما قال لك قال قال لي إذا أردت إلى آخره رمز المؤلف لحسنه وفيه سعد بن سعيد ضعفه أحمد والذهبي لكن له شواهد كثيرة." (١)

"٢١٢٩ - (إن الملائكة لا تزال تصلي على أحدكم) أي تستغفر له (ما دامت مائدته موضوعة) أي مدة دوام وضعها للأضياف ونحوهم والمائدة ما يمد ويبسط عليه الطعام كمنديل وثوب وسفرة قال القاضي: المائدة الخوان إذا كان عليه طعام من ماد الماء يميد إذا تحرك أو ماده إذا أعطاه كأنه يميد من يقدم عليه ونظيره شجرة مطعمة انتهى وظاهر الخبر أن الأكل على المائدة محبوب لا مرهوب وكأني بك تقول يشكل بقولهم لم يأكل المصطفى صلى الله عليه وسلم على خوان فنقول كلا لا إشكال إذ المائدة ما يمد للأكل عليه كما تقرر وأما الخوان فهو المرتفع من الأرض بقوائمه والسفرة ما أسفر عما في جوفه لأنها مضمونة بمعاليقها ثم إن سؤال الملائكة ربهم أن يغفر لعبده من الأسباب الموجبة للمغفرة له فهو سبحانه نصب الأسباب التي يفعل بها ما يشاء بأوليائه وأعدائه وجعلها أسبابا لإرادته كما جعلها أسبابا لوقوع مراده فمنه السبب والمسبب وإذ **أشكل عليك** فانظر إلى الأسباب الموجبة لمحبته وغضبه فهو يحب ويرضى ويغضب والكل منه وإليه وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد وفيه حث على الجود وكثرة الإطعام (الحكيم) الترمذي في النوادر (عن عائشة) ورواه عنه أيضا الطبراني في الأوسط باللفظ المذكور عن عائشة فاقتصار المؤلف على الحكيم غير مرضي وجزم الحافظ العراقي كالمنذري بضعفه وقال البيهقي في الشعب بعد ما خرجه تفرد به بندار بن علي." (٢)

---

(١) فيض القدير المناوي ٢٧١/١

(٢) فيض القدير المناوي ٣٩٦/٢

"وهي المصراة والتحفيل هي التصرية هكذا المشهور وسيذكرها المصنف وسوق كلام المصنف يفيد أن بينهما فرقا

قوله

[٤٤٨٦] أو اللقحة بفتح وكسر فسكون قاف الناقة القريبة العهد بالنتاج وفي الصحاح اللقحة كالقربة والجمع لقح كقرب فلا يحفلها من التحفيل أي فلا تحبس لبنها في الضرع لتخدع به المشتري قوله وهو أي التصرية أو الضمير للتصرية التذكير باعتبار الخبر أخلاف الناقة أي ضروعها جمع خلف بالكسر وهو الضرع لكل ذات خف وظلف

قوله

[٤٤٨٧] لا تلقوا الركبان من التلقي أي لا تستقبلوا القافلة الجالبة للطعام قبل أن يقدموا الأسواق ولا تصروا هو من التصرية عند كثير وقد روى عن بعض المشايخ أنه كان يقول لتلامذته متى **أشكل عليكم** ضبطه فاذكروا قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم واضبطوه على هذا المثال فيرتفع الاشكال وجوز بعضهم انه بفتح التاء وضم الصاد وتشديد الراء من الصر بمعنى الشد والربط والتصرية حبس اللبن في ضروع الإبل والغنم تغريرا للمشتري والصر هو شد الضرع وربطه لذلك وظاهر كلام المصنف يشير إلى الثاني فإنه فسر بالربط من ابتاع أي اشترى." (١)

"وجوهها دليل كما قال ابن العربي على قبول إقرار المرء على نفسه وعدم قبول الرجوع عنه والله تعالى أعلم.

أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وعبد بن حميد والطبراني وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل وجماعة عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه يريد أن يحفظه فأنزل الله تعالى لا تحرك به لسانك

إلخ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق وفي لفظ استمع فإذا ذهب قرأه كما وعد الله عز وجل

فالخطاب في قوله تعالى لا تحرك به لسانك

---

(١) حاشية السندي على سنن النسائي السندي، محمد بن عبد الهادي ٢٥٣/٧

للنبي صلى الله عليه وسلم والضمير للقرآن لدلالة سياق الآية نحو إنا أنزلناه في ليلة القدر [القدر: ١] أي لا تحرك بالقرآن لسانك عند إلقاء الوحي من قبل أن يقضي إليك وحيه لتعجل به

أي لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك على ما يقتضيه كلام الحبر. وقيل لمزيد حبك له وحرصك على أداء الرسالة روي عن الشعبي ولا ينافي ما ذكر والباء عليهما للتعدية إن علينا جمعه

في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه وقرآنه

أي إثبات قراءته في لسانك بحيث تقرأه متى شئت فالقرآن هنا وكذا فيما بعد مصدر كالرجحان بمعنى القراءة كما في قوله:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

مضاف إلى المفعول وثم مضاف مقدر وقيل قرآنه

أي تأليفه والمعنى إن علينا جمعه

أي حفظه في حياتك وتأليفه على لسانك. وقيل: قرآنه

تأليفه وجمعه على أنه مصدر قرأت أي جمعت ومنه قولهم للمرأة التي لم تلد ما قرأت سلى قط وقول عمرو بن كلثوم:

ذراعي بكرة أدماء بكر ... هجان اللون لم تقرأ جنينا

ويراد من جمعه

الأول جمعه في نفسه ووجوده الخارجي ومن قرآنه

بهذا المعنى جمعه في ذهنه صلى الله عليه وسلم وكلا القولين لا يخفى حالهما وإن نسب الأول إلى مجاهد فإذا قرأناه

أي أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام المبلغ عنا فالإسناد مجازي وفي ذلك مع اختيار نون العظمة مبالغة في إيجاب التأتي فاتبع قرآنه

فكن مقفيا له لا مباريا، وقيل: أي فإذا قرأناه فاتبع بذهنك وفكرك قرآنه أي فاستمع وأنصت وصح هذا من رواية الشيخين وغيرهما عن ابن عباس وعنه أيضا وعن قتادة والضحاك أي فاتبع في الأوامر والنواهي قرآنه وقيل اتبع قرآنه بالدرس على معنى كرره حتى يرسخ في ذهنك ثم إن علينا بيانه أي بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه على ما قيل واستدل به القاضي أبو الطيب ومن تابعه على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب لمكان ثم وتعقب بأنه يجوز أن يراد بالبيان الإظهار لا بيان المجمل وقد صح من رواية الشيخين

وجماعة عن الحبر أنه قال في ذلك ثم إن علينا أن نبينه بلسانك وفي لفظ علينا أن تقرأه، ويؤيد ذلك أن المراد بيان جميع القرآن والمجمل بعضه كلا إرشاد لرسوله صلى الله عليه وسلم وأخذ به عن عادة العجلة وترغيب له عليه الصلاة والسلام في الأناة وبالغ سبحانه في ذلك لمزيد حبه إياه باتباعه قوله تعالى بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة تعميم الخطاب للكل كأنه قيل بل أنتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذا تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ويتضمن استعجالك لأن عادة بني آدم الاستعجال ومحبة العاجلة، وفيه أيضا أن الإنسان وإن كان مجبولا على ذلك إلا أن مثله عليه الصلاة والسلام ممن هو في أعلى منصب النبوة لا ينبغي أن يستفزه مقتضى الطباع البشرية وأنه إذا نهي صلى الله عليه وسلم عن العجلة في طلب العلم والهدى فهؤلاء ديدنهم حب العاجلة وطلب الردى كأنهم نزلوا منزلة من لا ينجع فيهم النهي فإنما." (١)

"يحب المقسطين (فسوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم) أي بين بني النضير وبني قريظة لقوله تعالى وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط أي بالعدل

قال المنذري وأخرجه النسائي

وفي إسناده محمد بن إسحاق بن يسار

١ - (باب اجتهاد الرأي في القضاء)

[٣٥٩٢] (لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن) أي واليا وقاضيا (أجتهد برأيي) وفي بعض النسخ رأيي بحذف الباء

قال الراغب الجهد والجهد الطاقة والمشقة والاجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة يقال جهدت رأيي واجتهدت أتعبته بالفكر انتهى

قال في المجمع وفي حديث معاذ أجتهد رأيي الاجتهاد بذل الوسع في طلب الأمر بالقياس على كتاب أو سنة انتهى

ـــQقال الحافظ شمس الدين بن القيم رحمه الله وقد أخرجه بن ماجه في سننه من حديث يحيى بن سعيد الأموي عن محمد بن سعيد بن حسان عن عبادة بن نسي عن عبد الرحمن بن غنم حدثنا معاذ بن جبل

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١٥/١٥٧

قال لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال لا تقضين ولا تفصلن إلا بما تعلم وإن **أشكل عليك** أمر فقف حتى تبينه أو تكتب إلي فيه

وهذا أجود إسنادا من الأول ولا ذكر فيه للرأي." [١]

"فقد يكون اللفظ عاما، والسبب خاص (١) ومنه ﴿إن ارتبتم﴾ (٢) .

---

(١) فإذا عرف السبب قصر التخصيص، على ما عدا صورته لأن صورة السبب قطعي، وإخراجها بالاجتهاد، حكى القاضي وغيره: الإجماع على منعه، وقال الشيخ: والآية التي لها سبب معين، إن كانت أمرا ونهيا، فهي متناولة لذلك الشخص، ولغيره ممن كان بمنزلته، لم يقصدوا أن حكم الآية مختص به دون غيره فإن هذا لا يقوله مسلم عاقل، على الإطلاق ولم يقل أحد من علماء المسلمين، إن عمومات الكتاب والسنة، يختص بالشخص المعين.

... وإنما غاية ما يقال: إنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ وقولهم: نزلت هذه الآية في كذا، يراد به تارة، أنه سبب النزول ويراد به تارة: أن هذا داخل في الآية، وإن لم يكن السبب كما يقال عنى بهذه الآية كذا وقول أحدهم: نزلت في كذا، لا ينافي قول الآخر: نزلت في كذا إذا كان اللفظ يتناولها.

(٢) أي: ومن اللفظ العام، وسببه خاص قوله تعالى: ﴿إن ارتبتم﴾ فإن من الناس من قال: الآيسة لا عدة عليها إذا لم ترتب، ووضح ذلك سبب النزول، وهو أنه لما نزلت الآية في

سورة البقرة، في عدد النساء، قالوا: قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن الصغار والكبار فنزلت هذه الآية، وعلم أنها خطاب لمن لم يعلم ما حكمهن في العدة، وارتاب هل عليهن عدة أو لا فمعنى ﴿إن ارتبتم﴾ إن **أشكل عليكم** حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن.." [٢]

"مداخلات:

١- س: بالنسبة للروم في سورة يوسف ((مالك لا تأمنا على يوسف))

سمعت الشيخ إبراهيم الأخضر يقرأ بهذا الوجه في ختمة حفص بشكل مختلف عن الشيخ الحذيفي في ختمة حفص أيضا عندما قرأها أيضا بالروم، فهلا أرشدتمونا بعد سماع الشيخين إذا كان هناك خلل.

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ٣٦٨/٩

(٢) حاشية مقدمة التفسير لابن قاسم عبد الرحمن بن قاسم ص/٤٦

ج: لقد استمعت إلى تلاوة الشيخين الحذيفي والأخضر حفظهما الله ووجدت أن تلاوة كليهما للفظ تأمنا تلاوة صحيحة، بالاختلاس وهو فك الإدغام والإسراع بالنطق بالنون الأولى بحيث تنطقها بثلثي ضمة، مع النطق بالنون الثانية مفتوحة بفتحة كاملة، إلا أن الذي **أشكل عليك** فيما أظن هو أن النون الثانية المفتوحة قد تتوهم أنها لا تظهر لأول وهلة في تلاوة الشيخ الأخضر لكنك إذا كررت الاستماع إليها وكان التسجيل نقيا سمعتها، ولعل هذا عيب في التسجيل.

وعلى كل حال فقد ذكرت من قبل أني لست أهلا لتقويم قراءة أحد، وأني – يعلم الله – أستمع إلى تلاوة الشيخ الحذيفي والشيخ الأخضر وأمثالهما، بغرض الاستفادة والتعلم.

وأود أن أنبه بهذه المناسبة على أن الوجه الذي قرأ به الشيخان المذكوران لفظ (تأمنا) [آية ١١ سورة يوسف] الصواب أن يقال له الاختلاس وليس الروم، وإن جرت عادة بعض المصنفين على تسميته روما تساهلا لكنهم يعنون به النطق بثلثي الحركة، فيصبح الصواب تسميته اختلاسا، لأن الاختلاس هو النطق بثلثي الحركة بينما الروم هو النطق بثلث الحركة، والوجهان الجائزان لحفص هنا هما الإشمام والاختلاس، ولا يجوز عند أحد الاقتصار على النطق بثلث الحركة فقط، والله أعلم.

س: أحد الإخوان قال لي أنه سئل أحد طلاب الشيخ إبراهيم الأخضر في مكة، فسأله عن قراءة الشيخ لـ (تأمننا) في سورة يوسف فقال له، إن الشيخ قرأها بنون خالصة، وقد اعتمد ذلك بقصد التعليم في ختمة المجمع.

إلا أن هذا الطالب ليس بكبير السن ويحمل سند من الشيخ، فلذلك أحببنا أن نطلع على تعقيبكم حفظكم الله.

وفي الحقيقة أخبرت بهذا الخبر أحد المشايخ المصريين من مشايخ القراءات عن هذه الحادثة، خاصة أنه استنكر عندما سمع الآية من الشيخ الأخضر، فعندما أخبرناه بخبر طالبه قال: نعم هو في الحقيقة هناك وجه بهذه القراءة إلا أن الشاطبي لم يذكره وهو موجود عند أبي شامة

ج: عبارة الأخ المشار إليه: " إن الشيخ قرأها بنون خالصة " عبارة مجملة تحتاج إلى استفصال، فإن قصد بالنون الخالصة الروم أو الاختلاس فهذا جائز، وهو عين ما ذكرته من قبل، وأما إن قصد أنه أظهر النون الأولى وقرأها بضمة كاملة، فالذي تلقيناه عن مشايخنا، ولم أطلع على غيره في كتاب من كتب القراءات التي اطلعت عليها أنه لا يجوز إظهار النون الأولى من (تأمننا) إظهارا تاما في أي قراءة من القراءات العشر، ولا حتى في الأربع الشواذ، إلا في رواية المطوعي عن الأعمش وهي من الشواذ فهو الوحيد الذي أجاز

الإظهار والنطق بضمة كاملة، وإنما يجوز فقط في باقي القراءات الإشمام وهو ضم الشفتين وهو يرى ولا يسمع، والاختلاس (وسماه بعضهم هنا الروم) وهو النطق بثلثي ضمة النون الأولى وحذف ثلث الحركة، وفي بعض القراءات تقرأ بالإدغام المحض بلا روم ولا إشمام، أما الإظهار بحيث تنطق النون الأولى بضمة كاملة فهو خطأ، والوجه الذي قرأ به الشيخ إبراهيم هو وجه الاختلاس، وقد استمعت إليه أكثر من مرة ووجدته يقرؤها بالاختلاس، والمقصود بالتعليم هو تعليم الناس وجه الاختلاس، وأنه وجه جائز مقروء به، ولا يتصور أن يقرأ بنون مظهرة بحركة كاملة للتعليم، فما المصلحة من تعليم الناس الخطأ الذي لا تجوز القراءة به؟

هذا ما لدي، والله أعلم.." (١)

"الشرط على بعض الأئمة، حتى قال الظاهرية: بأن الآيسة لا عدة عليها إذا لم ترتب، وقد أزال هذا الإشكال سبب النزول، ذلك أنه لما نزلت الآية التي في سورة «البقرة» في عدد النساء، قالوا: قد بقي عدد- بفتح العين من- عدد- بكسر العين- النساء لم يذكرن: الصغار والكبار، فنزلت الآية، أخرجه الحاكم، عن أبي، فعلم بهذا: أن الآية خطاب لمن لم يعلم: ما حكمهن في العدة وارتاب: أعليهن عدة أم لا وأ عدتهن كاللائي في سورة البقرة أم لا فظهر بهذا أن المعنى: إن ارتبتم- أي إن **أشكل عليكم** حكمهن، وجهلتم كيف يعتدون- فهذا حكمهن.

ج- ومن هذا قوله تعالى: ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله [البقرة: ١١٥].

فلو تركت على ظاهرها لاقتضت أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة، سفرا ولا حضرا، وهو خلاف الإجماع.

فلما عرف سبب نزولها علم أنها في نافلة السفر أو نزلت في الرد على اليهود الذي سفهوا على النبي والمسلمين بسبب تحويل القبلة إلى الكعبة، أو في من صلى بالاجتهاد وبان له الخطأ، على اختلاف الروايات في ذلك (١)، فلولا معرفة السبب لبقيت الآية مشكلة.

د- ما حكي عن قدامة بن مظعون (٢) وعمرو بن معديكرب أنهما كانا

---

(١) أسباب النزول للسيوطي عند هذه الآية، ولعل القول الأول هو الأولى، لأنه رواه مسلم والترمذي والنسائي، ويليه الثاني، أما الثالث فروي بأسانيد ضعيفة.

---

(١) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة عبد الفتاح القاضي /

(٢) هذا هو الصحيح أنه «قدامة» وفي البرهان للزركشي ونقله عنه السيوطي في الإتقان أنه «عثمان بن مظعون» وهو غلط لا محالة؛ لأنه رضي الله عنه توفي عقب بدر، أما أخوه قدامة فهو الذي طالت به الحياة إلى خلافة الفاروق رضي الله عنه وكان يتأول الآية على هذا، وقد جلده الفاروق عمر على شربه الخمر، ثم استرضاه في آخر حياته.

ذلك أن عمر حج، وحج معه قدامة، وهو مغاضب له، فلما قفلا من حجهما نام عمر بالسقيا- مكان- فلما استيقظ قال: عجلوا بقدامة، فو الله لقد أتاني آت في منامي فقال لي: سالم قدامة فإنه أخوك فجيء به فكلمه واستغفر له، الإصابة ج ٣ ص ٣٣٣ وكانت وفاة قدامة في خلافة علي سنة ست وثلاثين وهو ابن ثمان وستين سنة، وقد." (١)

"﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ الآية.

من هذه الأحاديث نعلم أن الغفلة عن أسباب النزول تؤدي حتما إلى فساد التأويل، وأن العلم بها ضروري في تصحيح الفهم، ودفع الاشتباه.

قال الشاطبي١: "وهذا شأن أسباب النزول في التعريف بمعاني المنزل، بحيث لو فقد ذكر السبب لم يعرف من المنزل معناه على الخصوص، دون تطرق الاحتمالات وتوجه الإشكالات.

٢- ومن فوائد العلم بأسباب النزول أيضا بيان أن القيد في الآية معتبر في تقرير الحكم، بل هو لبيان الحال والواقع، أو بيان الغالب، ونحو ذلك.

كما في قوله تعالى من سورة الطلاق:

﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر﴾ ٢.

فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة حتى قال الظاهرية بأن الآية لا عدة عليها إذ لم ترتب، وقد بين ذلك سبب النزول، وهو أنه لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد النساء، قالوا: قد بقي عدد من عدد النساء لم يذكرن: الصغار والكبار، فنزلت، أخرجه الحاكم عن أبي.

فعلم بذلك أن الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهن في العدة، وارتاب:

هل عليهن عدة أو لا؟ وهل عدتهم كاللاتي في سورة البقرة أو لا؟ فمعنى: ﴿إن ارتبتم﴾ إن **أشكل عليكم** حكمهن، وجهلتم كيف يعتدون، فهذا حكمهن، ومثله ما جاء في قوله تعالى من سورة النور:

﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهن فإن الله من بعد

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم محمد أبو شهبة ص/١٣٨

إكراههن غفور رحيم﴾ ٣.

---

١ المرجع السابق.

٢ آية: ٤.

٣ آية: ٣٣.." (١)

"وأما قول الكرماني عقيب هذا الكلام: وقال الفقهاء: يسن سجدة التلاوة للمستمع لا للسامع، فلا يستقيم على مذهب الحنفية، فإن قصد السماع ليس بشرط في وجوب السجدة مع أن هذا يخالف ما جاء في الحديث: ((السجدة على من تلاها، وعلى من سمعها)).

(﴿ثم إن علينا بيانه﴾): فسره ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: (ثم إن علينا أن تقرأه): مرة بعد أخرى، وفسره غيره ببيان ما **أشكل عليك** من معانيه كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا، كما يرى بعض الحراص على العلم، وقيل: ببيان ما وقع فيه من حلال وحرام، حكاه القاضي.

وفي مسلم: أن نبينه بلسانك، وقيل: بحفظك إياه، وقد استدل بهذه الآية _ أعني قوله تعالى: ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ _[القيامة: ١٩] القاضي أبو بكر بن الطيب وتبعه غيره على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب؛ لأن ثم تدل على التراخي، وهذا لا يتم إلا على تأويل البيان، وتفسيره ببيان ما أشكل عدبه صلى الله عليه وسلم من المعاني. وأما إذا حمل على استمرار حفظه له بظهوره على لسانه

[ج ١ ص ٩٩]

فلا، وقد قال الآمدي: يجوز أن يراد بالبيان: الإظهار لا بيان المجمل يقال: بأن الكوكب إذا ظهر. ويؤيد ذلك: أن المراد جميع القرآن، والمجمل إنما هو بعضه. وقال أبو الحسين البصري: يجوز أن يراد بالبيان البيان التفصيلي، ولا يلزم منه جواز تأخير البيان الإجمالي؛ فلا يتم الاستدلال.

وقيل: إن قوله: ﴿بيانه﴾ جنس مضاف؛ فيعم جميع أصنافه من إظهاره، وتبيين أحكامه، وما يتعلق بها من تخصيص وتقييد ونسخ إلى غير ذلك، هذا ثم إن تأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع عند الكل إلا عند من جوز تكليف ما لا يطاق. وأما تأخيره عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة فاختلفوا فيه فذهب الأكثرون إلى جوازه، واختاره ابن الحاجب. وقال الصيرفي والحنابلة: ممتنع. وقال الكرخي: بالتفصيل، وهو أن تأخيره عن وقت الخطاب ممتنع في غير المجمل كبيان التخصيص والتقييد والنسخ إلى غير ذلك، وجائز في

---

(١) دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل محمد بكر إسماعيل ص/١٧٧

المجمل كالمشترك. وقال الجبائي: تأخير البيان عن وقت الخطاب ممتنع في غير النسخ، وجائز في النسخ.." (١)

"مصنف المختصر، وهو أعرف الناس بشرحه، وأدراهم بما يحتويه هذا المصنف، تأتي إلى هذا الكتاب وتقرأ المتن تحاول تفهم المتن وتشرح المتن من تلقاء نفسك، ثم تقرأ ما كتبه المؤلف في شرحه عليه بعد أن أمعنت النظر في كلام المتن، تقرأ هذا الشرح وهو مطول، وفيه عسر، يعني لا ننكر أن فيه عسر؛ لأن الأصول فيه شيء من العسر، لكن الطالب إذا فهم قواعد هذا العلم وطبق عليه من خلال ما يمر به من مسائل تفصيلية وتفريعية وتوجد في الكتب وفي الدروس يطبق وإذا انفتح له هذا الباب ارتاح له راحة تامة، إذا قرأت المتن، هذا السطر من كلام المؤلف ثم راجعت عليه الشرح كررته مرة مرتين صغته بأسلوبك يعني بدل ما شرح هذا السطر ثلاثة صفحات أربع صفحات تجعله في صفحة واحدة بأسلوبك أنت، إذا **أشكل عليك** تسأل، العلماء متوافرون، في كلام مرتبط بعلم الكلام والمنطق، ودخيل على العلم الشرعي هذا استبعده، الكلام الذي لا تفهمه استبعده، دعه خله مرحلة ثانية تسأل عنه أو تقرأه على عالم، لكن إذا انتهيت يكون لديك قابلية لفهم هذا العلم، وقل مثل هذا في جميع العلوم عندك تفسير ابن كثير مثلا، تفسير ابن كثير في أربعة مجلدات أسفار كبار، يعني لو فردت وقد فردت في بعض الطبعات في خمسة عشر مجلدا، بإمكانك أن تقرأ الآية تقرأ كلام الحافظ ابن كثير، تختصر كلام الحافظ -رحمه الله-، الروايات المكررة تحذفها، الأسانيد التي يكررها الحافظ ابن كثير تختصرها، وتختصر الكتاب في ربع حجمه، وقد حصل، لا أقول: تصنع هذا لنفع الناس، والنشر والتأليف، وأنا أصدرت عشرين كتابا ثلاثين كتابا، وبعض الشباب صدر للمؤلف يذكر أربعين كتاب، والآن تحت الطبع مثلها، وقيد التحقيق، وقيد التأليف مثلها، لا، هذا تعجل للثمرة، هذا يندم في الغالب، أنا أقول: طريقة الاختصار وسيلة من وسائل التحصيل، وما المانع أنك في سفر مثلا مسافر ومعك شرح لكتاب ولكن مثل ما ذكرنا تفسير ابن كثير، أو تفسير القرطبي أو أي تفسير من التفاسير الذي تفهمه من كلام المؤلف تعلقه على الآية، وإذا انتهيت يكون عندك تصور تام لهذا الكتاب، فالاختصار وسيلة من وسائل التحصيل، وأتصور أن الحافظ ابن حجر فعل ذلك في مبدأ الطلب بعد أن صارت لديه." (٢)

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري المؤلف غير معروف ص/١١٧

(٢) شرح ألفية العراقي - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٧/١

"يقول: لما تأملت هذا الطلب، وأني لا أكثر عليك ولا أكرر لتفهم وتستنبط، "وللذي سألت – أكرمك الله– حين رجعت إلى تدبره –يعني تأملت ورددت في نفسي– وما تؤول به الحال –إن شاء الله تعالى– عاقبة محمودة، ومنفعة موجودة –يعني طلبك هذا لتوازن بين هذا الكم الذي سألتنيه مع العناية به وفهمه والاستنباط منه– له عاقبة محمودة ومنفعة موجودة– وظننت حين سألتني تجشم ذلك –يعني غلب على ظني أنك حينما سألتني عن ذلك، أنه لست أنت المستفيد فقط، وإنما أول من يستفيد أنا، يعني نفسه المؤلف، أول من يستفيد من التأليف المؤلف، أول من يستفيد من التعليم المعلم، ولذا من أنفع وسائل التحصيل التأليف والتعليم، فإذا تعلم الإنسان –طالب العلم إذا تعلم– وأخذ من مبادئ العلوم ما يؤهله للتعليم، ولو لم يكن أعلم الناس يجلس للتعليم وفي أثناء التعليم يتعلم، ويعاني التأليف، ولا يلزم أن يكون تأليفه في أول الأمر للناس لينشره للناس، ليتعلم، والله كتاب **أشكل عليك** فهمه، وله شروح، اقرأ في هذه الشروح، ولخص عليه شرح بأسلوبك، حينئذ يستقر المتن في ذهنك، والشروح أيضا تكتمل صورتها في ذهنك.." (١)

"هذه المباحث التي ذكرها الناظم –رحمه الله تعالى– وذكرها غيره ممن كتب في علوم الحديث في غاية الأهمية للتمييز بين الرواة، فطالب العلم عليه أن يعتني برواة الأحاديث؛ لأن مدار التصحيح والتضعيف عليهم، ويحصل الخلط والاشتباه في كثير من الأحوال، فالعناية بالأسماء بأسماء الرواة أمر لا بد منه؛ لأنها لا تدرك بمجرد النظر، ولا يستدل عليها بما قبلها ولا بما بعدها، لا يستدل عليها بما قبلها وما بعدها، يعني الكلام يستدل عليه بما قبله وما بعده، إذا سبك الكلام وعرف السياق قد تستقيم لك كلمة مشتبة عندك، وأحيانا تكون بعض الألفاظ في أثناء كلام مطموسة، أو أكلتها الأرضة أو سوس أو ما أشبه ذلك، أو آثار رطوبة، لكن يستدل عليها وأنت تقرأ السياق تستظهر أن هذه اللفظة كذا، لكن اسم راوي، اسم رجل إيش يطلعه هذا؟ نعم ما يمكن يطلع أبدا، إذا **أشكل عليك** يبقى الإشكال إلا أن تراجع، إلا إذا كانت لديك أهلية، وعندك ملكة من كثرة التعامل مع كتب الرجال، فأنت ترتاح، ويفيد في هذا الباب كثيرا كتب الشروح، لا سيما التي تعتني بالضبط ولا تمل من كثرة التكرار، فمثلا إرشاد الساري يعني ما تنتهي من هذا الكتاب إلا ورجال البخاري مثل إخوانك وجيرانك؛ لأنه يضبط كل كلمة، ولو تكررت مائة مرة، صحيح الإنسان قد يمل أحيانا من كثرة التكرار، لكن هذا التكرار يرسخ العلم، أيضا الكتب التي تنهي بالطرائف، طرائف الرواة تجعل اسم هذا الراوي يعلق بالذهن؛ لأنه مر ذكره مع ذكر ما يجعله محفوظا

---

(١) شرح مقدمة صحيح مسلم عبد الكريم الخضير ١٢/١

محفورا، مثل شرح الكرماني على البخاري يعتني بطرائف الرواة، النووي على مسلم أيضا يعتني بطرائف الرواة، فأنت تعرف أن هذا الراوي حصل له موقف، يعني ما هو مر ... فلان ابن فلان صحابي شهير ينتهي هذا خلاص، أما اللي حافظته ضعيفة هذا لا قد لا يدرك شيء، لكن إذا مر الاسم معه طريفة معه قصة ضبط مرة مرتين عشر لا بد تفهم، لا بد تحفظ، فنهتم بالشروح، ونجعلها أيضا ديدن على لمثل هذه الأمور، نراجع كل راوي يشكل علينا، وهناك كثير من الرواة حقيقة الخطأ فيها غير مقبول إطلاقا، يعني تصور شخص يشار له بالبنان من الكبار يعني، يقرأ سلمة بن كهبل، يمكن هذا يمشي؟ سلمة بن كهبل، ابن كهيل معروف،." (١)

"طالب:. . . . .

وش هو؟

طالب: ساقط البيت هذا.

أيه؟

جاز بمعناه لأهل الفهم ... حفظا وتبليغا لذاك الحكم

"جاز بمعناه لأهل الفهم" ها؟

وواجب أداؤه بلفظه ... لا غيره إلا لفوت حفظه

جاز بمعناه لأهل الفهم ... حفظا وتبليغا لذاك الحكم

أنتم الإخوان أنتم اللي ريحكم الطباعة والتصوير، **أشكل عليك** شيء المصور، فاتك الدرس من الإنترنت تسحبه يعني نعم لا تعد ولا تحصى، لكن هل يستفاد من النعم كما ينبغي؟ الله المستعان، الظاهر أن العلم خلاف غيره من الأمور كلما تيسر أمره صعب تحصيله العلم متين يحتاج إلى معاناة.

نعم اقرأ.

وواجب أداؤه بلفظه ... لا غيره إلا لفوت حفظه

جاز بمعناه لأهل الفهم ... حفظا وتبليغا لذاك الحكم

وبحديث مصره فليبتدي ... ثم حديث غيره من بلد

وكثرة المسموع فيه يعتني ... ليس بتكثير الشيوخ فافطن

والجمع للحديث إن شا أسنده ... حديث كل صاحب على حده

---

(١) شرح اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون عبد الكريم الخضير ٢٨/١٤

وإن يشا على حروف المعجم ... أو فعلى الأبواب للفقه افهم

وقصره على الصحيح والحسن ... أولى ومع تبينه الجمع حسن

وإن يشا رتبه على العلل ... مبينا فيه اختلاف من نقل

أو فعلى الأطراف ثم يسق ... في كل متن ما له من طرق

مستوعبا جميع ما قد وردا ... أو بخصوص كتب تقيدا

يقول الناظم -رحمه الله تعالى-:

وبحديث مصره فليبتدي ... .

لما ذكر الرحلة وشأن الرحلة عند أهل الحديث ذكر أن الرحلة ليست مطلوبة لذاتها؛ لأنها زيادة تعب وعناء ومشقة، إنما تطلب للحاجة، فعلى طالب العلم أن يعنى بحديث مصره، بلده، فإذا أتم رواية حديث بلده وما عند علماء بلده يرحل إذا كان عند غيرهم قدر زائد.

وبحديث مصره فليبتدي ... ثم حديث غيره من بلد." (١)

"فالمحكم النص الذي ما عارضه، الذي لم يرد في المسألة ما يعارضه من حيث المعنى، "ما عارضه ... نص كمثله" يعني في القبول، وعلى هذا فالضعيف لا يعارض به المقبول لا الصحيح ولا الحسن، "كمثله بحيث ناقضه" ناقضه في المعنى، ونعلم أن التعارض بين النصوص لا يمكن أن يوجد في الحقيقة، التعارض المعنوي الحقيقي في الباطن لا يمكن أن يوجد، قد يوجد في الظاهر بحسب فهم أهل العلم، بحسب الفهم يوجد حديثان متعارضان، لكن في الحقيقة لا يوجد حديثان صحيحان متعارضان، ولذا يقول ابن خزيمة إمام الأئمة: لا يوجد حديثان صحيحان متعارضان، فمن كان عنده فليأتني لأؤلف بينهما، ابن خزيمة اشتهر في هذا الباب، ونقل عنه أمور كثيرة بهذا الصدد، وتراجم الأبواب في صحيحه فيها شيء من هذا، جمع بين الروايات المختلفة، وهذه ميزة كتابه، ونقل عنه في هذا الباب أشياء، ومختلف الحديث ألفت فيه الكتب، وأول من كتب فيه الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- في ثنايا كتاب: (الأم) و (الرسالة) وفي (الأم) جزء سماه: اختلاف الحديث، منهم من يرى أنه تصنيف مستقل لهذا الشأن، ومنهم من يراه بابا من أبواب الأم، وعلى كل حال الكتب في الباب موجودة، اختلاف الحديث لابن قتيبة، اختلاف الحديث أو مختلف .. ، ومشكل الحديث، مشكل الآثار للطحاوي، ومشكل الحديث لابن فورك، لكن ينبغي أن نعنى في هذه المسائل وفي غيرها بكتب أهل السنة، فإذا **أشكل عليك** حديث معارض لحديث

---

(١) شرح اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون عبد الكريم الخضير ١٧/١٦

آخر ترجع إلى مشكل الحديث لابن فورك وهو لا يسلم من شوب البدعة قد يجمع بين النصوص من وجهة نظره، فلنكن على حذر من هذا، ولتكن عنايتنا بالأئمة أهل التحقيق.." (١)

"تسيء الظن بالشرع، إذا **أشكل عليك** مسألة يعني بعبارة العوام: ما دخلت مزاجك، أو رأيتها تخالف بعض الأمور التي في قرارة نفسك حق، تسيء الظن بالشرع، يعني الشارع الذي قال: ((لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)) تسيء الظن بمثل هذا النص الصحيح وتقول: فلانة حكمت، وفلانة نجحت في حكمها، هذا إساءة ظن بالشرع بلا شيء، لكن قد يتطرق إلى فهم الطالب -دعونا من الراسخين- فهم الطالب حينما يصعب عليه إدراك بعض الأمور، يعني ما يهضم بعض المسائل، كيف يقع هذا التعارض في النصوص؟ نقول: يا أخي يقع، القرآن فيه المحكم والمتشابه، وهذا له حكمته وهذا له حكمته؛ لينظر مدى استسلامك وانقيادك، وهذا ينظر مدى امتثالك وعملك، قد لا يستسيغ الطالب يعني غير الراسخ كون الرب -جل وعلا- ينزل في آخر كل ليلة ولا يخلو منه العرش، فيسيء الظن إما ينفي أحاديث العلو أو ينفي أحاديث النزول، نقول: لا يا أخي، هذه أمور غيبية لا تدركها أنت، وما يتعلق بالخالق لا يمكن أن يقاس على ما يتعلق بالمخلوق، فللخالق ما يخصه، وللمخلوق ما يخصه.

قد لا يستسيغ الطالب كون الشمس تسجد كل ليلة تحت العرش بالحديث الصحيحة، ونحن نراها في فلكها، أهل الهيئة يقولون: إنها لا تغيب أبدا، دائما في فلكها، تغيب عن قوم وتخرج على آخرين فكيف تسجد تحت العرش؟ نقول: يا أخي قل: سمعنا وأطعنا، عليك أن تقول: سمعنا وأطعنا في الأمور التي لا تدركها، ولا تثبت قدم الإسلام إلا على قنطرة التسليم، وعلى هذا ليس لأحد أن يسيء الظن بالشرع، وإنما عليه أن يسيء الظن بنفسه، وينسب إليها القصور والتقصير.

ولا تحكمن العقل فيما نقلا ... ." (٢)

"حديث عبد الله بن زيد في الأذان رؤيا، لكن هل الرؤيا والأحلام يقرر بها شرع؟ لا أبدا، لكن اكتسب الشرعية من إقرار النبي -عليه الصلاة والسلام-، فإقرار النبي -عليه الصلاة والسلام- نوع من أنواع سنته -عليه الصلاة والسلام-، يأتي من يكتب في الصحف مثل هذا الكلام، ويقول: إن الشريعة والدين مأخوذ من مزيج من حضارات، والنبي -عليه الصلاة والسلام- يستفيد من حضارات الأخرى، ((وكدت أن أنهى عن الغيلة، فإذا فارس والروم يستعملونها ولا يؤثر عليهم)) يقول: أبدا النبي -عليه الصلاة والسلام-

---

(١) شرح اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون عبد الكريم الخضير ٩/٧

(٢) شرح اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون عبد الكريم الخضير ٢١/٨

استفاد هذا الحكم من فارس والروم، نقول: ليس بصحيح، النبي -عليه الصلاة والسلام- بعث لجميع من على وجه الأرض، بعث للناس كلهم، والأحكام عامه، تشمل العرب وتشمل العجم، وتشمل فارس والروم والمشرق والمغرب، فكون هذا الأمر يؤثر على بيئة من الناس أو فئة من الناس، أو أهل مجتمع، نعم، لا يعطي حكم عام، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- أراد أن ينهى لأنه يضر، لكن يضر من؟ يضر في هذه البيئة التي عاش فيها؛ لوجود مؤثرات أخرى مع هذا، فلما عرف أنه لا يؤثر على بقية الناس إذا لا ينهى عن مثل هذا، نعم يبقى أن من يضره شيء يمتنع منه، بعض الناس يضره التمر نقول: لا تأكل التمر يا أخي، وليس معنى هذا أن التمر حرام، بعض الناس يضره اللبن نقول: يا أخي لا تشرب لبن، وليس معنى هذا أن اللبن حرام، بعض الناس يتضرر بالغيلة، والغيلة: إرضاع الطفل مع الحمل، مع حمل أمه، هذه الغيلة، العرب أو الحجاز على وجه الخصوص يتضررون لما يواكب ذلك من جو مثلا، فلا يحسن أن يصدر حكم عام لمن بعث إليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- في المشرق والمغرب، وأكثر الناس ما يتضرر؛ لأن الحكم للغالب، فبعض الناس يكتب في الصحف، ويحط من بعض النصوص، ويتكلم في بعض النصوص بناء على فهمه هو، نقول: لا يا أخي، لا بد من مراجع أهل العلم في مثل هذه الأمور، أنت **أشكل عليك** شيء، نعم **أشكل عليك** شيء أسأل يا أخي، نقول: الديانة مزيج من حضارات ما هو بصحيح أبدا، بل العكس، النبي -عليه الصلاة والسلام- حرم التشبه بالآخرين، باليهود والنصارى والمشركين وغيرهم، هل معنى هذا أنه مزيج؟ أبدا، أمة مستقلة، معتزة بدينها، موجودة." (١)

"عدد النساء قال الناس بقي عدد من النساء لم تذكر عدتها، فحينئذ أنزل الله الآية فعلم منها أن حكم عدة اليائسة والصغيرة ثلاثة أشهر، إن **أشكل عليكم** حكمهن وجهلتم عدتهن١.

ج - — قوله تعالى ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ فلو تركت على ظاهرها لفهم منها أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة فلما علم أنها نازلة في صلاة النافلة، أو في من عميت عليه القبلة فصلى باجتهاده وبان له الخطأ بعد ذلك زال الإشكال عنه.

د - ومن ذلك ما روى في الصحيح عن مروان بن الحكم أنه أشكل عليه قوله تعالى ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ (آل عمران: ١٨٨) قال مروان: لئن كان كل أحد فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون، حتى سأل ابن عباس عن ذلك فقال له ابن عباس: إن هذه الآية نزلت في اليهود سألهم النبي

---

(١) شرح المنظومة البيقونية - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ١/ ٨

صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه وأروه أنهم أجابوه واستحمدوه لذلك٢.

(٢) من الفوائد دفع توهم الحصر: قال الشافعي: في قوله تعالى ﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا﴾ الآية قال: إن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادة والمحادة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال لا حلال

---

١ مناهل العرفان ١/ المدخل في علوم القرآن ١/١٣٨، الاتقان في علوم القرآن ١/٤٥ فما بعدها، مباحث في علوم القرآن ١/٧٩ فما بعدها.

٢ صحيح البخاري ٣/." (١)

"وعلى قارئ القرآن أن يحذر من القول في تفسيره بغير علم.

الطريق إلى تفسير القرآن هو العلم بآلته مع القدرة على الاستدلال له بالحجج الصحيحة نقلية كانت أو عقلية.

أما الكلام في معاني القرآن بمجرد الرأي فهو ممنوع، ويقود صاحبه إلى القول على الله غير الحق، وهذا من أعظم الذنوب.

قال تعالى: ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ٣٦ [الإسراء: ٣٦].

وشدد الله تعالى في حرمته حتى قرنها بالشرك به، كما قال

تعالى: قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون [الأعراف: ٣٣].

ومن لم يحصل من آلة العلم بالتفسير ما يؤهله للكلام فيه، رجع إلى أهل العلم به والكتب المصنفة فيه، على ما بينته في (المقدمة الخامسة).

وعلى قارئ القرآن أن يؤمن بمتشابهه على مراد الله منه. ولا يحمل نفسه على الكلام فيه، فإن الخوض في المتشابه من أعظم أسباب الضلال.

وما أشكل عليك معناه، فهو نوعان:." (٢)

---

(١) نزول القران الكريم وتاريخه وما يتعلق به محمد عمر حويه ص/٥١

(٢) المقدمات الأساسية في علوم القرآن عبد الله الجديع ص/٥١٥

"غير زيادة ولا نقصان١.
رحم الله الداني ما أوسع علمه، وأجزل لفظه، وأحكم عبارته كيف لا وهو حصن حصين وسند في القراءة متين.
فقد رأيت من تخبط في فهم هذا الحديث فلم يعرف المراد بالمد فيه فقال: القراء لا يثبتون مدا في هذه المواضع الثلاثة ...
ومن قائل: إذا كان أداء القرآن - تجويده - متلقى بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أين دليله النصي؟ وهل مقدار الحركة منضبط أو هو مختلف باختلاف سرعة القارئ وبطئه ... الخ
ولست هنا في مقام تتبع الأخطاء والهفوات بل هي وقفة تأمل وإنعام نظر فقد كفانا صاحب المنجد٢ في هذه المسائل شر الانقسام.
وأقول لهؤلاء جميعا لابد من مراجعة علماء القراءات وما دونوه قديما وحديثا فما **أشكل عليكم** حله وصعب عليكم فهمه فإن لديهم الدواء النافع والبيان الساطع، والحكم القاطع، وكل علم يسأل عنه أهله.
ومن ذلك ما روي عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «ما ر أيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في سبحته قاعدا قط حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحته قاعدا، ويقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها» ٣.

---

١ التحديد للداني: ٨٠

٢ منجد المقرئين لابن الجزري: الباب السادس، الفصل الثاني: في أن القراءات العشر متواترة فرشا وأصولا حال اجتماعهم وافتراقهم: ٥٧

٣ موطأ الإمام مالك. ما جاء في صلاة القاعد: ٩٨، سنن الدرامي: ٢٦٢/١." (١)

"التحليل اللفظي
﴿يئسن﴾ : اليأس: القنوط، وقيل: اليأس نقيض الرجاء.
﴿المحيض﴾ : أي الحيض، يقال حاضت المرأة حيضا ومحيضا، والمحيض يكون اسما ويكون مصدرا،

---

(١) الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز محمد بن سيدي محمد الأمين ص/٢٩

والحيض والمحيض: اجتماع الدم في الرحم ومنه الحوض لاجتماع الماء فيه.

﴿ارتبتم﴾ : أي **أشكل عليكم** من الريبة أي الشك، وقيل ترددتم أو جهلتم، وقيل: تيقنتم فهو من الأضداد.

﴿يكفر﴾ : أي يستر ويمحو الخطيئة، وأصل الكفر: تغطية الشيء تغطية تستهلكه.

﴿وجدكم﴾ : الوجد: المقدرة والغنى واليسار والسعة والطاقة، والمقصود من سعتكم وما ملكتم، وعلى قدر طاقتكم، وقيل من مساكنكم. والوجد: يستعمل في الحزن والغضب والحب، يقال: وجدت في المال أي صرت ذا مال، ووجدت على الرجل وجدا وموجدة، ووجدت الضالة وجدانا، والوجد بالضم الغنى والقدرة يقال افتقر الرجل بعد وجد.." (١)

"﴿وأتمروا﴾ : افتعلوا – من الأمر – يقال ائتمر القوم وتأمروا إذا أمر بعضهم بعضا.

وقال الكسائي: وائتمروا أي تشاوروا ومنه قوله تعالى: ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ [القصص: ٢٠] .

وقول أمرئ القيس:

أحار بن عمرو فؤادي خمر ... ويعدو علي المرء ما يأتمر

وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بمعروف أي جميل في الأجرة والإرضاع ولا يكن معاكسة ولا معاسرة.

﴿تعاسرتم﴾ : أي تضايقتم، وتشاكستم، ولم يتفق الرجل والمرأة بالمشاحة من الرجل، أو طلب الزيادة من المرأة.

﴿ذو سعة﴾ : السعة نقيض الضيق، والوسع، والوسع، والسعة: الجدة والطاقة، وأصل السعة وسعة فحذفت الواو ونقصت.

المعنى الإجمالي

بين الله سبحانه وتعالى عدة المرأة المطلقة في سورة البقرة في قوله: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قرواء﴾ [البقرة: ٢٢٨] فربط العدة بالحيض، وأما المرأة التي لا تحيض لكبر سنها، أو لصغرها أو لحملها، فقد جاءت هذه الآيات لتقول للمؤمنين: إذا جهلتم عدة التي يئست من المحيض **وأشكل عليكم** أمرها فعدتها ثلاثة أشهر، وكذلك عدة التي طلقت ولم تر الحيض ثلاثة أشهر، وأما الحامل فتنتهي بولادتها عدتها.." (٢)

---

(١) روائع البيان تفسير آيات الأحكام محمد علي الصابوني ٢/٦٠٦

(٢) روائع البيان تفسير آيات الأحكام محمد علي الصابوني ٢/٦٠٧

